كيف نعالج أخطاء أبنائنا



عبدالله محمد عبد المعطى

أسئلة حيرت الآباء (١)

كيف نعالج أخطاء أبنائنا؟

الخبير التربوى
عبد الله محمد عبد المعطى
E-mail:atfallna@yahoo.com

الطبعة الاولى للناشر
١٤٣١هـ - ٢٠١٠م

رقم الإيداع / ٢٠٠٨/١٧٨١٢
الترقيم الدولي / I.S.B.N
978-977-456-148-7

الأندلس الجديدة
للنشر و التوزيع
18شارع مطر -احمد حلمى -شبرا مصر-ت:0101068135
newandalus@hotmail.com

إهـــداء

إلى أمــى الحبيبــة التــى عالجــت أخطــائى بحنــان ورقة... إلى والدى الحبيب الذى قوَّم عيوبى بحـزم وحكمة.. رب ارحمهما كما ربيانى صغيرًا، وحقـق فيهما قول حبيبك محمد ﷺ: «إن الرجــــل لترفــــع درجته فى الجنة، فيقول: أنى هذا، فيُقال: باســـتغفار ولـــدك لـــك»[1].. رب اغفـر لهمـا ولجميـع آبـاء وأمهات المسلمين... اللهم آمين.

المؤلف

(١) أخرجه أحمد فـى مسنده (٢/ ٥٠٢) وابـن ماجـه فـى سننه (٢/ ١٢٠٧) قـال البوصـيرى فـى مصـباح الزجاجة (٤/ ٩٨) هذا إسناد صحيح ورجاله ثقات، وقال الألبانى فى صحيح الجامع: حديث صحيح، وقال ابن عبد البر فى التمهيد (٢٣/ ١٤٢) إسناد حسن، وقـال الحـافظ العراقـى فـى تخـريج أحاديـث الإحياء (٤/ ٣٢١) إسناد حسن.

المُقدِّمة

يحرص الكثير من الآباء والأمهات على تأديب أبنائهم وبناتهم، ويبذلون الجهد والمال والوقت فى سبيل تنشئتهم على التحلى بمحاسن الأخلاق، وجميل الطباع، وهذا هو ما دعانا إليه نبينا الكريم ﷺ، إذ روى الإمام أحمد والترمذى أن رسول الله ﷺ قال: «**ما نحل (يعنى ما أعطى) والد ولده أفضل من أدب حسن**»[١] ولقد أخبرنا عليه الصلاة والسلام أن تأديب الأبناء أفضل من الصدقة، روى الإمام الترمذى عن جابر ابن سمرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**لأن يؤدب الرجل ولده خير من أن يتصدق بصاع**»[٢] ومع أن النبى ﷺ قد دعا إلى تأديب الأبناء جميعا وحسن تربيتهم، إلا أنه عليه الصلاة والسلام اختص البنات بمزيد تأكيد، ووعد من اهتم بتأديب بناته وتربيتهم على خصال الخير بالثواب الجزيل، روى الإمام أحمد وأبو داود عن أبى سعيد الخدرى قال: قال رسول الله ﷺ: «**من عال ثلاث بنات، فأدبهن ورحمهن وأحسن إليهن فله الجنة**»، وفى رواية أبى داود قال ﷺ: «**من عال ثلاث بنات فأدبهن وزوجهن وأحسن إليهن فله الجنة**»[٣]، وفى رواية الطبرانى قال ﷺ: «**من عال ثلاث بنات فأنفق عليهن وأحسن أدبهن أدخله الله الجنة. فقال رجل من الأعراب: أو اثنتين؟ قال: أو اثنتين**»[٤].

---

(١) سنن الترمذى ٤/ ٣٣٨، ومسند أحمد ٣/ ٤١٢.
(٢) سنن الترمذى ٤/ ٣٣٧، «والصاع هو الإناء الذى يكال به، وهو يتسع لأربعة أمداد مفردها مد، والمد هو ربع الصاع، ويقال إنه مقدر بأن يمد الرجل يديه فيملأ كفيه معًا طعامًا، ولذلك سمى مدًا» انظر: مختار الصحاح ١/ ١٥٦، والغريب للخطابى ١/ ٢٤٨.
(٣) مسند أحمد ٣/ ٩٧، وسنن أبو داود ٤/ ٣٣٨.
(٤) المعجم الكبير للطبرانى ١١/ ٢١٦.

أيها الوالد الكريم، أيتها الأم الحنون

إننا جميعًا ندرك أن تأديب الأبناء مهمة أساسية فى حياة الأسرة المسلمة، كما أننا نفهم أن الشريعة الإسلامية قد أوجبت على الآباء تهذيب الأبناء وتأديبهم، وجعلت للأب الولاية (المسئولية) العامة على أبنائه، وهى ولاية إنفاق وتأديب وإصلاح وإرشاد وتوجيه، وحمل على ما فيه مصلحتهم، كما فى قوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ [التحريم: ٦]، قال على بن أبى طالب فى تفسير هذه الآية: علموهم وأدبوهم، وقال الحسن البصرى: مروهم بطاعة الله، وعلموهم الخير[(١)].

وانطلاقًا من إدراكنا لوجوب تأديب الأبناء وحسن تربيتهم، فإننا نحرص على تعليمهم الخير، ونحثهم على الالتزام بالأخلاق الحميدة، لكن المشكلة أن الكثير من الآباء والمربين يقتصرون فى تأديب أبنائهم على وسيلة واحدة وهى الضرب، ظنًا منهم أنها الطريقة الوحيدة التى تصلح معهم، ومن يفعل ذلك يخالف ما دعانا إليه نبينا الكريم ﷺ، إذ إنه لم يأمرنا بتأديب الأبناء فقط، بل أمرنا بحسن تأديبهم وإكرامهم، روى ابن ماجة عن أنس بن مالك: قال رسول الله ﷺ قال: «**أكرموا أولادكم وأحسنوا أدبهم**»[(٢)]، وإن من إكرام الأبناء أن نستخدم فى تربيتهم وعلاج أخطائهم كل وسيلة كريمة، ونقلل من استخدام العصا معهم؛ لأن الضرب فى كثير من الأحيان يضر ولا ينفع، وخاصة إذا استخدمه الآباء والمربون فى وقت غير مناسب وبطريقة غير صحيحة.

أيها الوالد الكريم، أيتها الأم الحنون

إن رسولنا الكريم ﷺ قد بيَّن لنا كيفية وقاية أبنائنا من الوقوع فى الأخطاء، وذلك بعدد من الطرق العملية الرائعة، ولأن كل ابن آدم خطاء، فلقد دلنا معلمنا ﷺ على الكثير من الوسائل التى تساعدنا فى معالجة أخطاء الأبناء، ولقد جعل عليه

---

(١) تحفة المودود بأحكام المولود: ابن قيم الجوزية، مكتبة دار البيان، دمشق، ١٤١٦ هـ، ص ١٣٦، ١٧٥.
(٢) سنن ابن ماجه ٢/ ١٢١١.

الصلاة والسلام العقاب آخر هذه الوسائل، وفى العقاب دلنا ﷺ على الكثير من الطرق التى يمكننا أن نعاقب بها أبناءنا، ولقد كان الضرب آخر هذه الطرق التى عاقب بها النبى ﷺ، والمربى الناجح هو من يستخدم طريقة العلاج أو العقاب المناسبة لخطأ ابنه أو ابنته، وذلك وفقًا للحكمة التربوية القائلة: «لا أستخدم سوطى ما دام ينفع مع ابنى صوتى، ولا أستعمل صوتى ما دام ينفع معه صمتي». والسؤال الذى يطرح نفسه الآن: ما هى الطرق العملية التى تقى الأبناء والتلاميذ شر الوقوع فى الأخطاء؟ وما هى الوسائل الكريمة التى يمكن من خلالها أن نعالج أخطاء أبنائنا وبناتنا؟ وما هى بدائل الضرب التى قد تنفع فى إصلاح عيوبهم؟

وهذا ما سنحاول – بمشيئة الله – مناقشته خلال هذا الكتاب، سائلين المولى عز وجل العون والرشاد، كما نسأله سبحانه أن يوفق الآباء إلى حسن التطبيق، وأن يهدى الأبناء إلى صراطه المستقيم...

عبد الله محمد عبد المعطي

السبت ١٤ جمادى الأولى ١٤٢٧هـ

١٠ يونيه ٢٠٠٦م





الفصل الأول

وسائل العلاج



تمهيد

الطبيب مهمته فى الحياة علاج الأجساد مما يعتريها من أمراض، فهو يجتهد ليشخص المرض ويصف العلاج، والشفاء يكون بيد الله تعالى، والمربى مهمته فى الحياة علاج النفوس والقلوب والعقول مما يخالطها من أمراض، فهو يجتهد فى الإصلاح والتعليم، والنجاح بيد الخالق سبحانه، وتشترك أمراض الأجساد مع أمراض القلوب والعقول فى عدة أشياء، منها أن العلاج يبدأ بتشخيص المرض ثم يصف الطبيب أو المربى الدواء المناسب، وتختلف جرعة الدواء تبعًا لعمر المريض ومرحلته السنية، وتتحدد مدة تناول العلاج حسب نوع المرض وقوته، وكلما اشتد المرض احتاج المريض لمدة علاج أطول، والمرض الواحد قد يعالج بدواء واحد أو بعدة أدوية، وبعد ممارسة العلاج فترة وتناول الدواء مدة من الزمن لابد من الرجوع للطبيب أو المربى، ليقيس مدى فاعلية الدواء وهل يحتاج المريض إلى دواء جديد، وهكذا تشترك أمراض الأجساد مع أمراض القلوب والعقول فى طريقة التشخيص وأسلوب العلاج، لكن على المربى أن يأخذ فى الاعتبار أن علاج أمراض القلوب والعقول أصعب بكثير من معالجة أمراض الجسد، وقبل هذا كله على الطبيب والمربى أن يعملا وليس عليهما إدراك النجاح، فالعلاج والشفاء بيد الله سبحانه.

أيها الوالد الكريم، أيتها الأم الحنون

عندما يمرض جسد ابنك تسرع به نحو الطبيب، وتدفع الغالى والنفيس حتى يشفيه الله تعالى، وهذا بالطبع سلوك طيب وله من الله تعالى جزيل الثواب، لكن ماذا تفعل عندما يصاب بمرض خُلقى كالكذب والسرقة وغيرهما؟ فى هذه الحالة أنت وزوجتك ومؤدب ابنك (إن وجد) ومعلمه مسئولون عن العلاج، ولكى تعالج ابنك أو ابنتك فإنك تحتاج إلى ثلاثة أشياء، علم بأمراض

القلوب والأخلاق وأسبابها وكيفية الوقاية منها وطرق علاجها، ثم رفق بالمريض من أبنائك طوال فترة علاجه طالت أم قصرت، وصبر طوال فترة العلاج لأن هناك أمراضًا قد يستغرق علاجها شهورًا أو سنين، والزمن أحيانًا يكون جزءًا من العلاج، فلابد من هذه الثلاثة: العلم والرفق والصبر، فالعلم قبل الأمر والنهى (العلاج) والرفق معه والصبر بعده، وإن كان كل من الثلاثة لابد أن يكون مستصحبًا فى هذه الأحوال، وهذا كما جاء فى الأثر عن بعض السلف أنه: لا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر[١] إلا من كان فقيهًا فيما يأمر به فقيهًا فيما ينهى عنه، رفيقًا فيما يأمر به رفيقًا فيما ينهى عنه، حليمًا فيما يأمر به حليمًا فيما ينهى عنه». [٢] ولأن هذه المهمة ليست سهلة، فقد أخبرنا نبينا الكريم ﷺ أن تأديب الأبناء وعلاج أمراض قلوبهم وعقولهم أفضل من الصدقة، روى الإمام الترمذى عن جابر بن سمرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لأن يؤدب الرجل ولده، خير من أن يتصدق بصاع**»[٣].

أيها الوالد الكريم، أيتها الأم الحنون

إن أول خطوة فى علاج أخطاء أبنائنا هى معرفة أسباب الخطأ وطرق الوقاية منه وكيفية علاجه، وهذا يتحقق بالقراءة الدورية والمنتظمة فى مجال تربية الأولاد (كتاب واحد أو كتيب شهريًا) هذا بالإضافة إلى المشاركة فى الدورات التربوية المتخصصة (دورة سنويًا على الأقل) وهذا الفصل يعتبر خطوة مهمة على هذا الطريق، إذ نتحدث من خلاله عن وسائل لعلاج أخطاء الأبناء.. ومع العلم والمعرفة نحتاج إلى الرفق والصبر، لأن علاج الخطأ الواحد قد يستغرق أيامًا وأسابيع وربما شهورًا وسنوات، وذلك حسب خطورة الخطأ ومدى تغلغله فى نفس صاحبه، وكلما عظم الخطأ اشتد

---

(١) الهدف من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر هو علاج أمراض القلوب والعقول، وهذا يؤكد أن من يتصدى لعلاج هذه الأمراض – سواء أكان أبًا أو أمًا أم مؤدبًا – لابد أن يتحلى بهذه الصفات الثلاث: العلم والرفق والصبر.

(٢) الاستقامة ٢/ ٢٣٣، مجموع الفتاوى ٢٨/ ١٣٧.

(٣) سنن الترمذى ٤/٣٣٧، «والصاع هو الإناء الذى يكال به، وهو يتسع لأربعة أمداد مفرده مد، والمد هو ربع الصاع، ويقال إنه مقدر بأن يمد الرجل يديه فيملأ كفيه معًا طعامًا ولذلك سمى مدًا» انظر: مختار الصحاح ١/ ١٥٦، والغريب للخطابى ١/ ٢٤٨.

احتياج المربى للرفق والصبر، واستخدام الرفق مع الأبناء والبنات يأتى دائمًا بالخير، وييسر الله تعالى من خلاله علاج الأخطاء وإصلاح العيوب، روى مالك والطبرانى أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله تبارك وتعالى رفيق يحب الرفق، ويرضى به، ويعين عليه ما لا يعين على العنف**»[١]. وكلما ازدادت مشكلة الابن صعوبة احتاج إلى مزيد من الرفق، لأن الأخطاء الجسيمة لا تعالج إلا بالرفق والحزم، روى الإمام مسلم وأحمد (واللفظ له) عن عائشة رضى الله عنها قالت: كنت على بعير صعب[٢] فجعلت أضربه، فقال لى رسول الله ﷺ: «**عليك بالرفق، فإن الرفق لا يكون فى شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه**»[٣].. ومن هنا قال الشاعر:

الرفق يمن والأناة سعادة ... فاستأن فى رفق تلاقى نجاحًا

لا خير فى حزم بغير روية ... والشك وهن إن أردت سراحا[٤]

أيها الوالد الكريم، أيتها الأم الحنون

إن بيوتنا بحاجة ماسة إلى الرفق والحب والحنان، فالرفق ما كان فى بيت إلا نفع أهله جميعًا، روى أحمد والبزار عن عائشة - رضى الله عنها- أن رسول الله ﷺ قال لها: «**يا عائشة ارفقى، فإن الله إذا أراد بأهل بيت خيرًا، أدخل عليهم الرفق**»[٥]. وروى الطبرانى عن ابن عمر -رضى الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال: «**ما أعطى أهل بيت الرفق إلا نفعهم**»[٦]. فجميع أهل البيت ينتفعون من الرفق، فالأبناء يستفيدون من رفق وحنو الآباء، فيشعرون بالحب والحنان والاطمئنان النفسى، ويتقبلون توجيهات الآباء بكل ترحيب وامتنان مما يساعد فى علاج أخطائهم وحل مشكلاتهم، والآباء يستفيدون

(١) موطأ مالك ٢/ ٩٧٩، والمعجم الكبير ٢٠/ ٣٦٥.
(٢) الصعب من الدواب غير الذلول والذى يقاد بصعوبة.
(٣) صحيح مسلم ٤/ ٢٠٠٤، ومسند أحمد ٦/ ١٢٥، وشانه يعني: قبحه وعابه.
(٤) تاريخ بغداد ٧/ ١٦٦.
(٥) رواه أحمد والبزار من حديث جابر ورواتهما رواة الصحيح، انظر: مسند أحمد ٦/ ٧١، والترغيب والترهيب ٣/ ٢٧٩.
(٦) رواه الطبرانى بإسناد جيد، انظر: الترغيب والترهيب ٣/ ٢٧٩.

من رفقهم بأبنائهم فى الدنيا والآخرة، ففى الدنيا يحبهم أبناؤهم ولا يتمردون عليهم ويحرصون على برهم، وفى الآخرة يرفق الله بهم فى الحساب ويدخلهم جنته، روى الإمام مسلم وابن حبان وغيرهما عن السيدة عائشة -رضى الله عنها- قالت: سمعت من رسول الله ﷺ يقول فى بيتي هذا: «**اللهم من ولى من أمر أمتى شيئًا فشق عليهم فاشقق عليه، ومن ولى من أمر أمتى شيئًا فرفق بهم فارفق به**»(١). وروى الترمذى عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثلاث من كن فيه ستر الله عليه كنفه وأدخله جنته: رفق بالضعيف، وشفقة على الوالدين، وإحسان إلى المملوك**»(٢). وكان عمر بن عبد العزيز رحمه الله يقول: «إن من أحب الأمور إلى الله: القصد فى الجدة، والعفو فى المقدرة، والرفق فى الولاية، وما رفق عبد بعبد فى الدنيا، إلا رفق الله به يوم القيامة»(٣).

* * *

(١) صحيح مسلم ٣/ ١٤٥٨، وصحيح ابن حبان ٢/ ٣١٣.
(٢) سنن الترمذى ٤/ ٦٥٦، وقال: هذا حديث حسن غريب.
(٣) مصنف ابن أبى شيبة ٧/ ١٧٤، والزهد لهناد ٢/ ٦٠٣.

أخفهم فى الله عز وجل

عن ابن عمر -رضى الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا ترفع العصا على أهلك، وأخفهم فى الله عز وجل**»(١)، وفى هذا الحديث الشريف أصل عظيم للتربية، وهو أن الدافع للاستقامة على الخير والصواب إن كان بالعصا والعقوبة البدنية، فإنه يزول بزوال التهديد والعقاب، أما إذا كان الدافع من الداخل ومن الضمير، كان السير على الحق وعمل الخير أكثر استمرارًا وثباتًا.. ومن هنا تتجلى أهمية التقليل من العقاب بالعصا عندما يخطئ الصغار، مع التخويف بالله الذى يعلم حال المخطئ ويجازيه على خطاياه، والخوف من الله تعالى لا يتأتى من موقف أو اثنين، إنه أسلوب متواصل من التفهيم والتعليم والتذكير للطفل الصغير، حتى يتأصل عنده فى النفس وينطبع فى القلب، ويشعر تمامًا أن الله تعالى هو الرقيب الذى يسمع ويرى كل شيء ويحاسب عليه، وأنه سبحانه الذى يعلم ما توسوس به النفوس كما يعلم خفايا العقول، وأنه سبحانه الذى يعلم إن كان ما وقع متعمدًا أو بدون قصد، وأنه سبحانه سيحاسب على ذلك كله مهما صغر أو كبر، هذا عن الخوف من الله تعالى، وأما العصا فيتحايل عليها الأذكياء والأشقياء، وتقع غالبًا على الضعفاء والأبرياء، لذلك يجب على الآباء والمعلمين أن يربوا الصغار على الخير بالتعليم والتفهيم والتذكير بالله تعالى، حتى ينمو الوازع الخلقى – الضمير – الذى يحجزهم عن كل ما هو شر ومكروه، ويحثهم على فعل الخيرات والمكرمات.(٢) ومن أروع الأمثلة على تخويف الأبناء بالله تعالى ما روى عن أبى بكر بن عياش أنه قال لابنه وهو يريه غرفة فى البيت: يا بنى، إياك أن تعصى الله فيها، فإنى قد ختمت فيها اثنى عشر ألف ختمة(٣) (يعنى ختم القرآن الكريم تلاوة)...

---

(١) رواه الطبرانى فى الصغير والأوسط وفيه الحسن بن صالح بن حى وثقه أحمد وغيره وضعفه النووى وغيره وإسناده على هذا جيد، انظر: مجمع الزوائد ٨/ ١٠٦.

(٢) العشرة الطيبة مع الأولاد وتربيتهم ١١٢، بتصرف.

(٣) تهذيب الكمال ٢٣/ ١٣٤.

أيها الوالد الكريم، أيتها الأم الحنون

إن تخويف الأبناء بالله عز وجل وتذكيرهم بالجنة والنار هو خير علاج لأخطائهم، والدليل على ذلك ما رواه البخارى عن السيدة عائشة أنها قالت: إنما نزل أول ما نزل منه (يعنى من القرآن) سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء لا تشربوا الخمر، لقالوا: لا ندع الخمر أبدًا، ولو نزل لا تزنوا لقالوا: لا ندع الزنا أبدًا، أنزل على النبى ﷺ وأنا جارية ألعب ﴿**بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ**﴾ وهى من سورة القمر، وما نزلت البقرة والنساء (تقصد السور التى فيها أحكام وآداب) إلا وأنا عنده فى المدينة»[١]... [ولو تفكر الإنسان فى شرع الرحمن، لوجد أن الخمر قد حرم فى العام الثانى من الهجرة، أى بعد بعثة النبى ﷺ بخمس عشرة سنة، وفرض الحجاب فى العام السادس من الهجرة، بعد تسع عشرة سنة من البعثة، وهذا يعنى أن الإسلام ركز فى البداية على القلب، لأنه إذا تغير القلب واتصل بالرب، كان تغيير الظاهر بعد ذلك أيسر ما يكون[٢].. ومن هنا يتضح أن تخويف الأبناء بالله تعالى يتكون من خطوتين أساسيتين، الأولى: هى تعريف الأبناء بالله سبحانه، وربطهم بالجنة والنار، والخطوة الثانية هى نهيهم عن السيئات والآفات بتخويفهم من الله تعالى، والمشكلة أننا نهمل الخطوة الأولى، لذلك نفشل فى الثانية، ولا نفلح فى علاج أخطاء أبنائنا، لأن الإنسان عندما يعمر الإيمان قلبه (وذلك عن طريق الخطوة الأولى) تجده حريصًا على التمسك بالحق مجتهدًا فى البعد عن الشر، وإذا ارتكب خطأً ما صغيرًا كان أم كبيرًا، ثم ذكره أحد بالله وخوفه، فإنك تراه يسارع بالتصحيح ويتوب إلى الله من كل تقصير، وخير دليل على ذلك ما رواه مسلم وأبو داود والترمذى عن أبى مسعود البدرى ﷺ قال: «كنت أضرب غلامًا لى بالسوط، فسمعت صوتًا من خلفى: **اعلم أبا مسعود**، فلم أفهم الصوت من الغضب، فلما دنا منى إذا هو رسول الله ﷺ، فإذا هو يقول: «**اعلم أبا**

(١) صحيح البخارى ٤/ ١٩١٠.
(٢) رهبان الليل ٢/ ٣٤-٣٦، بتصرف.

مسعود أن الله عز وجل أقدر عليك منك على هذا الغلام»، فقلت: لا أضرب مملوكًا بعده أبدًا.. وفى رواية فقلت: يا رسول الله هو حر لوجه الله تعالى، فقال ﷺ: **أما لو لم تفعل للفحتك النار أو لمستك النار»**.



ولأننا قوم عمليون فإننا نقدم فيما يلى بعض الطرق الإيمانية التى يمكن أن تساعد فى علاج أخطاء أبنائنا والله ولى التوفيق...

الله يراني، الله يسمعني، الله مطلع عليَّ:

روى البخارى ومسلم عن عمر بن الخطاب ﷺ أن سيدنا جبريل سأل النبى ﷺ عن الإحسان، فأجابه النبى الكريم ﷺ قائلا: «**أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**»[(١)].. ومن معانى الإحسان أن يحسن المرء عمله، فيصنع الخير ويترك الشر، وهذا يعنى أن سيدنا جبريل (فى الحديث السابق) سأل عن الطريق الذى يوصل العبد إلى الإحسان فى العبادة وحسن طاعة الله تعالى[(٢)]، فأخبره ﷺ أن الوصول إلى الإحسان يكون عن طريق «دوام علم العبد وتيقنه باطلاع الحق سبحانه وتعالى على ظاهره وباطنه، فالله سبحانه رقيب عليه، ناظر إليه، سامع لقوله، ومطلع على عمله، كل وقت وكل لحظة، وكل نفس وكل طرفة عين»[(٣)]، ولأن إحساس المسلم أن الله دائمًا معه يمنعه من ارتكاب الآثام والشرور، فقد أكد القرآن الكريم على هذه الحقيقة كثيرًا، فقال جل شأنه: ﴿**وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ**﴾[البقرة: ٢٣٥]، وقال تعالى: ﴿**وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا**﴾[الأحزاب: ٥٢] وقال سبحانه: ﴿**وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ**﴾ [الحديد: ٤] وقال تعالى: ﴿**أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى**﴾ [العلق: ١٤]، وقال جل شأنه: ﴿**يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ**﴾ [غافر: ١٩].

(١) الترغيب والترهيب ٣/ ١١.
(٢) يؤكد هذا المعنى أن بعض العلماء قالوا: (إنه أراد «بالإحسان» الإشارة إلى المراقبة وحسن الطاعة، فإن من راقب الله أحسن عمله) انظر: النهاية فى غريب الحديث ١/ ٣٨٧.
(٣) مدارج السالكين ٢/ ٦٥ (بتصرف).

إن خير ما يساعد المسلم على فعل الخيرات وترك المنكرات هو استشعاره الدائم أن الله تعالى ناظر إليه، لذلك فإن من أراد أن يقلل من ارتكاب أبنائه للشر ويشجعهم دائمًا على فعل الخير، فليغرس فى قلوبهم - منذ الصغر - أن الله يراهم ويسمع سرهم ونجواهم، وحياة سهل بن عبد الله التسترى خير مثال على ذلك، إذ قال عنه المؤرخون: لم يكن له فى وقته (توفى ٢٨٣هجرية) نظير فى المعاملات والورع[1] وكان سبب سلوكه هذا الطريق خاله محمد بن سوار الذى كان من رواة الحديث فى القرن الثالث الهجرى، حيث يحكى سهل عن تجربته مع خاله فيقول: كنت وأنا ابن ثلاث سنين أقوم بالليل فأنظر إلى صلاة خالى محمد بن سوار، كان يقوم الليل، وكان يقول: يا سهل اذهب ونم فقد شغلت قلبى، فقال لى يوما: ألا تذكر الله؟ فقلت: كيف أذكره؟ قال: قل بقلبك عند تقلبك فى ثيابك ثلاث مرات، من غير أن تحرك به لسانك: الله معى، الله ناظر إلىّ، الله شاهدى، فقلت ذلك عشر ليال، ثم أعلمته، فقال: قل فى كل ليلة سبع مرات، فقلت ذلك، ثم أعلمته، فقال: قل فى كل ليلة إحدى عشرة مرة، فقلته، فوقع فى قلبى حلاوة، فلما كان بعد سنة (يعنى من ترديده لهذه العبارة) قال لى خالى: احفظ ما علمتك، ودُم عليه إلى أن تدخل القبر، فإنه ينفعك فى الدنيا والآخرة، فلم أزل على ذلك سنين، فوجدت لذلك حلاوة فى سرى، ثم قال لى خالى يوما: يا سهل، من كان الله معه، وناظرًا إليه، وشاهده، أيعصيه؟ إياك والمعصية»[2]. ولقد كان لهذا التوجيه الإيمانى العملى أثر كبير فى حياة الطفل الصغير فكان سهل تقيًا ورعًا محسنًا فى تعامله مع الناس، فهيا بنا نردد مع أبنائنا.. الله يرانى الله، يسمعنى الله مطلع علىَّ، ويمكن أن نكتبها على ورقة جميلة ونعلقها فى حجرات نومنا، لعلنا نشعر نحن وأبناؤنا بمراقبة الله لنا، فنبتعد عن الشر، ونفعل كل خير...

---

(١) انظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ٢/ ٤٢٩، والوافى بالوفيات ١٦/ ١١، ومرآة الجنان ٢/ ٢٠٠.

(٢) إحياء علوم الدين ٣/ ٨٣، ووفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ٢/ ٤٢٩، والوافى بالوفيات ١٦/ ١١، ومرآة الجنان ٢/ ٢٠٠.

كن من المســـتقدمين:

وكما أن شعور المسلم دائمًا بأن الله معه يقيه من الوقوع فى الخطأ والزلـل، فإنـه يساعده أيضا على التوبة وتصحيح أخطائه عندما يقع فى ذنب ما، فالمسـلم الصـادق عندما يخطئ خطأ ما وتذكره أن الله يراه ويعلم سره وخفاياه فإنه يسرع بالتوبة والندم ويترك ما كان فيه من خطأ، لذلك اكتفى الله تعـالى فـى بعـض الأحيـان بتـذكير مـن يعصيه من المسلمين بأنه مطلع عليهم وعالم بما يصنعون، وخـير مثـال علـى ذلـك مـا رواه ابن خزيمة وابن حبان فى صحيحهما عن ابن عباس – رضى الله عنهما – قـال: كانت تصلى خلف رسول الله ﷺ امرأة حسناء من أحسن الناس، فكان بعض القـوم يتقدم فى الصف الأول لئلا يراها، ويستأخر بعضهم حتى يكون فى الصف المـؤخر، فإذا ركع نظر من تحت إبطه فأنزل الله عز وجل فى شـأنه ﴿**وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْـتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ**﴾[١] [الحجر: ٢٤].

ذكر المــوت عـــلاج:

قال ابن عمر – رضى الله عنهما – أتيت النبى ﷺ عاشر عشرة، فقال رجل مـن الأنصار: من أكيس الناس وأكرم الناس يا رسول الله؟ فقال: «**أكثرهم ذكرًا للمـوت، وأشدهم استعدادًا له، أولئك هم الأكياس، ذهبوا بشرف الدنيا والآخرة**»[٢].

إن من يتذكر الموت ويعمل لما بعده يحوز شرفى الدنيا والآخرة؛ لأن ذكر المـوت علاج لكثير من العيوب والآفات، ودافع نحو الكثير من المكرمات، قال ابـن الـدقاق: من أكثر ذكر الموت أُكرم بثلاثة: تعجيل التوبة، وقناعة القلب، ونشاط العبـادة، ومـن نسى الموت: عوجل بثلاثة: تسويف التوبة، وتـرك الرضـا بالكفـاف، والتكاسـل فـى

(١) صحيح ابن خزيمة ٣/ ٩٧، وصحيح ابـن حبـان ٢/ ١٢٦، والسـنن الكـبرى للنسـائى ١/ ٣٠٢، وسـنن الترمذى ٥/ ٢٩٦، وسنن البيهقى الكبرى ٣/ ٩٨، ومسـند أحمـد ١/ ٣٠٥، والمعجـم الكبير للطبرانـى ١٢/ ١٧١، وسنن ابن ماجه ١/ ٣٣٢.

(٢) رواه ابن أبى الدنيا والطبرانى بإسـناد حسـن، ورواه ابـن ماجـه مختصرًا بإسـناد جيـد والبيهقـي، انظـر الترغيب والترهيب ٤/ ١١٩.

العبادة[١].. وقال أبو الدرداء ﷺ من أكثر من ذكر الموت: قل فرحه، وقل حسده[٢].. [ولأن ذكر الموت علاج للأخطاء، فقد كان عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - يذكر أبناءه به، ويحثهم عليه، فقد كتب رحمه الله إلى بعض أهل بيته قائلا: «أما بعد، فإنك إن استشعرت ذكر الموت فى ليلك أو نهارك، بُغض إليك كل فانٍ، وحبب إليك كل باقٍ، والسلام» [٣].

ولما ولى عمر بن عبد العزيز الخلافة، خطب فى الناس قائلا: أوصيكم بتقوى الله، فإن تقوى الله خلف من كل شيء، وليس من تقوى الله خلف، وأكثروا من ذكر الموت فإنه هادم اللذات، وأحسنوا الاستعداد له قبل نزوله، وإن هذه الأمة لم تختلف فى ربها ولا فى كتابها ولا فى نبيها، وإنما اختلفوا فى الدنيا والدرهم، وإنى والله لا أعطى أحدًا باطلاً، ولا أمنع أحدًا حقًا، ثم رفع صوته فقال: أيها الناس من أطاع الله وجبت طاعته، ومن عصى الله فلا طاعة له، أطيعونى ما أطعت الله، فإذا عصيت الله فلا طاعة لى عليكم. ثم نزل من على المنبر فدخل بيته ليستريح وقت الظهيرة، فأتاه ابنه عبد الملك فقال: يا أمير المؤمنين ماذا تريد أن تصنع؟ قال: يا بنى أقيل، قال ابنه: تقيل ولا ترد المظالم إلى أهلها، فقال عمر: إنى سهرت البارحة فى أمر سليمان (فى تجهيزه ودفنه) فإذا صليت الظهر رددت المظالم فقال له ابنه: ومن لك أن تعيش إلى الظهر، قال عمر: ادن منى، أى: بنى، فدنا منه، فقبل عمر بين عينيه وقال: الحمد لله الذى أخرج من صلبى من يعيننى على دينى، ثم قام وخرج وترك القائلة، وأمر مناديه فنادى ألا من كانت له مظلمة فليرفعها، وجلس يقضى فى المظالم ولم ينم خوفًا من الموت»[٤].

ونحن اليوم إذا أردنا علاج أخطاء أبنائنا، فإن علينا أن نستغل ما يمر بنا من أحداث ونذكرهم من خلالها بالموت والآخرة، ويتحقق ذلك عمليًا من

(١) التذكرة للقرطبى ١/ ٢٧.
(٢) حلية الأولياء ١/ ٢٥٠.
(٣) حلية الأولياء ٥/ ٢٦٤.
(٤) البداية والنهاية ٩/ ٢١٢، ٢١٣ بتصرف.

خلال زيارتهم للمقابر وصلاتهم على الجنائز، فعن ابن مسعود ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**كنت قد نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها، فإنها تزهد في الدنيا، وتذكر الآخرة**»[(١)] وعن أبي ذر ﷺ قال: قال لي رسول الله ﷺ: «**زر القبور تذكر بها الآخرة، واغسل الموتى فإن معالجة جسد خاوٍ موعظة بليغة، وصل على الجنائز، لعل ذلك يحزنك، فإن الحزين في ظل الله يوم القيامة**»[(٢)]. وقد يعترض البعض قائلاً: إن الصلاة على الجنائز والذهاب للمقابر خاص بالكبار فقط، ويرد على هؤلاء الإمام البخاري رحمه الله، إذ أورد في صحيحه بابًا سماه: صفوف الصبيان مع الرجال على الجنائز، وروى في هذا الباب عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ مر بقبر قد دفن ليلاً، فقال: **متى دفن هذا؟** قالوا: البارحة، **قال: أفلا آذنتموني** (يعني: أخبرتموني) قالوا: دفناه في ظلمة الليل، فكرهنا أن نوقظك، فقام فصففنا خلفه، قال ابن عباس: وأنا فيهم، فصلى عليه[(٣)] وأورد البخاري في صحيحه بابًا آخر سماه: باب صلاة الصبيان مع الناس على الجنائز، وأورد فيه نفس الحديث السابق لكن برواية أخرى وهي: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ثم أتى رسول الله ﷺ قبرًا فقالوا هذا دفن أو دفنت البارحة، قال ابن عباس رضي الله عنهما فصففنا: خلفه ثم صلى عليها[(٤)]، وهذا كله يؤكد أن الصبيان يذهبون إلى المقابر، ويصلون على الجنازة، لأن ابن عباس رضي الله عنهما فعل ذلك وهو صبي[(٥)]، إذ ذهب إلى المقابر بصحبة النبي ﷺ وبعض الصحابة الكرام، ولما مروا بالقبر صلوا على صاحبه صلاة الجنازة وابن عباس صلى معهم، بل وقف في صف الرجال أثناء الصلاة.

---

(١) حديث صحيح أخرجه الإمام مسلم وأبو داود وأحمد والنسائي والبيهقي وابن ماجه.
(٢) رواه الحاكم في المستدرك وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ووافقه الذهبي.
(٣) صحيح البخاري ١/ ٤٤٤.
(٤) صحيح البخاري ١/ ٤٤٦.
(٥) (ولد عبد الله بن عباس قبل الهجرة بثلاث سنوات، وهذا يعني أن النبي ﷺ توفي وعمر ابن عباس حوالي ١٣ سنة، وهذا يعني أن ذهابهم للمقابر مع النبي ﷺ كان قبل عمر ١٣سنة، ولعل هذا يعني أن أبناءنا يزورون المقابر بداية من عمر ١٢ سنة تقريبًا) انظر فتح الباري ٩/ ٨٤، بتصرف.

لا تكن فقيرًا يوم القيامة:

كثيرًا ما نربط أبناءنا بوجاهة الدنيا، فنحثهم على التفوق وكسب المال والإبداع وغيرها، وهذا شيء جميل ورائع، لكن الخطر كل الخطر أن نربطهم بوجاهة الدنيا فقط وننسى وجاهة الآخرة، ولذلك وصف الله تعالى سيدنا عيسى ابن مريم بالوجاهة فى الدنيا والآخرة، فقال جل شأنه: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾[آل عمران: ٤٥] ولقد فهمت أم سيدنا سليمان هذا الدرس جيدًا، فكانت كثيرا ما تربط ابنها بالآخرة، وتربطه بالله تعالى، وتخوفه من فقر يوم القيامة، فعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**قالت أم سليمان بن داود لسليمان: يا بنى، لا تكثر النوم بالليل، فإن كثرة النوم بالليل تترك الرجل فقيرًا يوم القيامة** - يعنى: فقيرًا من الحسنات-».[1]

* * *

(١) رواه ابن ماجه والبيهقى وفي إسناده احتمال للتحسين، انظر: الترغيب والترهيب ١/ ٢٥١.

اللهم أصلح عيوبه واغفر ذنوبه

عباد الرحمن هم صفوة الله من خلقه، فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون، وصفهم الله تعالى بحسن العبادة وجمال الأخلاق، ففى الليل تراهم ركعًا سجدًا يرجون من الله تعالى أن يصرف عنهم عذاب جهنم، وبالنهار تجدهم فى أعمالهم وتحركاتهم يتعاملون مع الناس برفق ولين، ليس للزور مكان فى حياتهم، وإذا مروا باللغو مروا كرامًا، ومع انشغالهم ليل نهار فإنهم لا ينسون بيوتهم، فتجدهم ينفقون على أبنائهم وزوجاتهم باعتدال دون إسراف أو بخل، وفى نفس الوقت يبذلون الغالى والرخيص فى سبيل تربيتهم على الخير والرشاد، ويدعون الله ليل نهار أن يرزقهم التقوى والصلاح، قال تعالى واصفًا لهم: ﴿**وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا**﴾[الفرقان: ٧٤] فهم يدعون الله دائمًا أن يوفق أهليهم وأبناءهم لفعل الطاعات، فتقر بهم عيونهم فى الدنيا والآخرة، ولقد سئل الحسن البصرى عن هذه الآية فقال: أن يرى الله تعالى العبد المسلم من زوجته ومن أخيه ومن حميمه طاعة الله، لا والله لا شيء أقر لعين المسلم من أن يرى ولدًا أو ولد ولد (حفيد) أو أخًا أو حميمًا مطيعًا لله عز وجل»[(١)].

والأنبياء هم أعبد الناس للرحمن، لذلك تراهم أكثر الخلق اهتمامًا ببيوتهم، وأحرصهم على صلاح ذرياتهم، ولأنهم أدركوا دور الدعاء فى استقامة الأبناء وعلاج عيوبهم، فقد كانوا أكثر الناس دعاء لأبنائهم، حتى إنهم دعوا الله تعالى من أجلهم قبل أن يولدوا، فهذا سيدنا إبراهيم يرفع أكف الضراعة إلى الله تعالى، طالبًا منه سبحانه أن يرزقه أبناء صالحين مصلحين، قال: ﴿**رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ**﴾ [الصافات:١٠٠]، يعنى ارزقنى ولدًا صالحًا، وكانت الاستجابة من الله تعالى ﴿**فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ**﴾ [الصافات:١٠١]، هو سيدنا إسماعيل عليه السلام، وعلى نفس الطريق

---

(١) تفسير ابن كثير ٣/ ٣٣٠.

سار سيدنا زكريا عليه السلام، إذ دعا الله تعالى لأبنائه قبل أن يولدوا قائلا: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [آل عمران: ٣٨] كما دعا الله تعالى أن يرزقه ولدًا صالحًا مرضيًا عند الله وعند الناس: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنْكَ وَلِيًّا ۞ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ [مريم: ٥، ٦] واستجاب الله دعاءه وحملت الملائكة إليه البشرى بالولد والنبى الصالح: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ [آل عمران: ٣٩].

ولم يكتف الأنبياء الكرام بالدعاء لأبنائهم قبل ولادتهم، بل ظلوا يتعهدون أبناءهم بالدعوات الصالحة طوال حياتهم، فها هو سيدنا إبراهيم عليه السلام يشعر بأهمية الصلاة فى حياة المسلم، فيدعو الله تعالى قائلا: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ﴾ [إبراهيم: ٤٠] ولما ترك زوجته وابنه فى مكة دعا الله لهما بقوله: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ [إبراهيم:٣٧] ولأن بيوت الأنبياء تعرف أهمية الدعاء، فقد اشترك سيدنا إبراهيم مع ابنه إسماعيل -عليهما السلام- فى دعاء واحد وهما يبنيان الكعبة، قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۞ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ۞ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧-١٢٩] ولأن الأبناء الصالحين يعرفون أهمية دعاء آبائهم لهم، فلقد طلب أبناء سيدنا يعقوب عليه السلام من والدهم أن يدعو الله لهم بالمغفرة على ما فعلوه بيوسف وأخيه، وهذا ما أخبرنا به القرآن الكريم، حيث قال تعالى حكاية عنهم: ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ﴾ [يوسف: ٩٧] وما كان من الأب الحنون إلا أن استجاب لطلبهم، ووعدهم أنه سوف يدعو الله ويستغفره لهم ﴿قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [يوسف: ٩٨].

أنت أفسدته:[١]

إن الدعاء للأبناء يصلح أحوالهم، ويجبر كسرهم، ويعالج أخطاءهم، ويحميهم من شرور الدنيا والآخرة، فهيا بنا نرفع أكف الضراعة لله عز وجل، وندعوه سبحانه أن يهديهم سواء السبيل، لعل الله يكرم أبناءنا كما أكرم على بن الفضيل بن عياض رحمه الله، فلقد اجتهد والده فى تربيته اجتهادًا كبيرًا، وكان يأمل أن يكون صالحًا ورعًا تقيًا فدعا الله قائلا: **اللهم إنى اجتهدت أن أؤدب عليًا فلم أقدر على تأديبه، فأدبه أنت لى**، لقد بذل الوالد الحانى كل ما يستطيع – تقريبًا – فى تربية ولده، واستعان بالله على هذه المهمة الصعبة، فكان التوفيق منه سبحانه وتعالى، إذ أصبح على بن الفضيل ابن عياض إمامًا كأبيه فى العلم والزهد، فقال الإمام النسائى عنه: ثقة مأمون، وقال الحافظ أبو بكر الخطيب: كان من الورع بمحل عظيم، وقال عبد الله بن المبارك يومًا: خير الناس الفضيل بن عياض وخير منه ابنه على، وعن سفيان ابن عيينة قال: ما رأيت أحد أخوف من الفضيل وابنه.

لقد اجتهد الوالد فى تربية ابنه ودعا الله أن يصلحه له، فاستجاب الله دعاءه، وأصبح الفتى عونًا لأبيه على التقى والزهد والورع، يخرجان معا للصلاة والحج وأعمال الخير، يقيمان الليل ويصومان معًا، دون نسيان بقية أهل البيت، فلقد كان بيت خير وصلاح، وهكذا كانت العلاقة بين الابن وأبيه إلى أن جاء اليوم الموعود، فلقد فارق على بن الفضيل الحياة فى سنة ثلاث وثمانين ومائة هجرية، ولقد افتقده والده وحزن عليه كثيرًا، فها هو الفضيل بعد وفاة ابنه على يقول: قال لى على يومًا أسأل الذى جمعنا فى الدنيا أن يجمعنا فى الآخرة ثم بكى، فلم يزل منكسر القلب حزينًا، ثم بكى الفضيل فقال: حبيبى من كان يساعدنى على الحزن والبكاء، يا ثمرة قلبى، شكر الله لك ما قد علمه فيك.. وهكذا ظل والده حزينًا عليه حتى لحق به بعد حوالى أربعة أعوام، إذ توفى الفضيل بن عياض – رحمه الله – سنة مائة وسبعة

---

(١) ذكر الإمام الغزالى أن رجلا جاء إلى عبد الله بن المبارك يشكو له عقوق ولده، فقال له: هل دعوت عليه؟ فقال: نعم، قال عبد الله بن المبارك: أنت أفسدته.

وثمانين هجرية، رحمهما الله وأسكنهما فسيح جناته، وألحقنا نحن وأبناءنا بهم على خير، اللهم آمين[(١)].

أيها الوالد الكريم، أيتها الأم الحنون

إن أخطاء أبنائنا تحتاج إلى صبر ودعاء، ولا نقصد بالدعاء أن يكون مرة أو مرتين، بل المطلوب أن ندعو لهم ليلاً ونهارًا، سرًا وجهرًا، ولا نيأس من رحمة الله تعالى، فربما تحتاج بعض الأخطاء إلى دعاء الأشهر والسنين حتى يصلحها الله جل جلاله، ولنفعل مثلما فعل التابعى الجليل مورق العجلي[(٢)] إذ روى عنه الذهبى أنه قال: «لقد سألت الله حاجة عشرين سنة، فما شفعنى فيها (يعنى: ما أعطانى إياها) وما سئمت من الدعاء»[(٣)]، فعلينا أن نقرع باب الله دائمًا بالتضرع والدعاء لأبنائنا، فإنه من أدمن الدعاء، ولازم باب مولاه، فُتح له..

تذكرينى فى دعائك يا أمي:

حكى سليم بن أيوب بن سليم[(٤)] عن طفولته فقال: أنه كان فى صغره بالرى، وهى مدينة من مدن فارس، وله نحو من عشر سنين، فحضر بعض

---

(١) للاستزادة من أخبار الفضيل بن عياض وابنه على انظر: البداية والنهاية ١٠/ ١٨٣، ١٠/ ١٩٨، وتهذيب الكمال ٢١/ ٩٦ - ١٠٥، وحلية الأولياء ٨/ ٢٩٧ - ٣٠٠، وسير أعلام النبلاء ٨/ ٤٤٢ - ٤٤٨.

(٢) مورق العجلى الإمام البصري، تابعى جليل، روى الحديث عن عدد من الصحابة الكرام، قال عنه ابن سعد: كان ثقة عابدًا، وقال النسائي: ثقة وذكره ابن حبان فى كتاب الثقات، كان يحج مع عبد الله بن عمر، وقدم خراسان أيام قتيبة، وكان معه فى فتح سمرقند، انظر: سير أعلام النبلاء ٤/ ٣٥٣، ٣٥٤، وتهذيب الكمال ٢٩/ ١٧.

(٣) سير أعلام النبلاء ٤/ ٣٥٥، وتهذيب الكمال ٢٩/ ١٧.

(٤) سليم بن أيوب بن سليم الإمام شيخ الإسلام أبو الفتح الرازى الشافعي، ولد سنة نيف وستين وثلاث مئة، وسكن الشام مرابطًا ناشرًا للعلم احتسابًا لله، وكان ثقة فقيهًا مقرئًا محدثًا، وروى أنه تفقه بعد أن جاز الأربعين، وغرق سليم الفقيه فى البحر الأحمر عند ساحل جدة بعد أن حج سنة سبع وأربعين وأربع مئة، وقد عاش أكثر من ثمانين سنة، كان فقيهًا مشارًا إليه صنف الكثير فى الفقه وغيره ودرس، وهو أول من نشر هذا العلم بمدينة صور، وروى أنه كان يحاسب نفسه فى الأنفاس لا يدع وقتا يمضى بغير فائدة إما ينسخ أو يدرس أو يقرأ، انظر: سير أعلام النبلاء ١٧/ ٦٤٥، ٦٤٦

الشيوخ وهو يلقن (يعني: يحفظ الصغار القرآن) فقال لى: تقدم فاقرأ، فجهدت أن أقرأ الفاتحة فلم أقدر على ذلك لانغلاق لسانى (لأنه لم يكن يتكلم اللغة العربية) فقال: لك والدة؟ قلت: نعم، قال: قل لها تدعو لك أن يرزقك الله قراءة القرآن والعلم، قلت: نعم، فرجعت فسألتها الدعاء، فدعت لى، ثم إنى كبرت ودخلت بغداد قرأت بها العربية والفقه، ثم عدت إلى الرى، فبينا أنا فى الجامع أقابل مختصر المزنى (يعنى يشترك مع غيره فى مناظرة حول كتاب مختصر المزنى ويتحدثون باللغة العربية) وإذا الشيخ قد حضر وسلم علينا وهو لا يعرفنى، فسمع مقابلتنا (مناظرتنا) وهو لا يعلم ماذا نقول، ثم قال: متى يتعلم مثل هذا؟ فأردت أن أقول: إن كانت لك والدة فقل لها تدعو لك فاستحييت.(١)

ابنك يعالج عيوبه:

من المهم جدًا أن يشترك أبناؤنا فى علاج عيوب أنفسهم من خلال الدعاء، ولذلك كان سعد بن أبى وقاص ﷺ يعلم أبناءه كيف يرفعون أيديهم إلى السماء، يدعون الله عز وجل أن يصلح عيوب أنفسهم، ويقيهم من البخل والجبن ومن فتنة الدنيا وعذاب الآخرة، يقول مصعب بن سعد بن أبى وقاص: كان سعد يعلمنا خمسًا يذكرهن عن النبى ﷺ: «**اللهم إنى أعوذ بك من البخل، وأعوذ بك من الجبن، وأعوذ بك من أن أرد إلى أرذل العمر، وأعوذ بك من فتنة الدنيا، وأعوذ بك من عذاب القبر**»(٢).

وعندما نتحدث عن تعليم الدعاء لأبنائنا وبناتنا، فإننا لا نقصد الكبار منهم فقط؛ لأن تعليم الدعاء للصغير منهج تربوى أصيل، والدليل على أن الصغار يستوعبون الأدعية النبوية المباركة ويمكنهم أن يحفظوها ما رواه الترمذى (٢/ ٣٢٨) والنسائى (١/ ٤٥١) وأبو داود (٢/ ٦٣) وأحمد (٣/ ٧٢) عن الحسن بن على ﷺ أنه

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٧/ ٦٤٥، ٦٤٦.

(٢) رواه أبو يعلى فى مسنده (٢/ ٧٢) بسند صحيح.

قال: علمنى رسول الله ﷺ كلمات أقولهن فى الوتر (فى قنوت الـوتر): «**اللهم اهدنى فيمن هديت، وعافنى فيمن عافيت، وتولنى فيمن توليت، وبارك لى فيما أعطيت، وقنى شر ما قضيت، إنك تقضى ولا يُقضى عليك، وإنه لا يذل من واليت، تباركــت ربنـــا وتعاليـــت**» والمعروف أن النبى ﷺ قد توفى وعمر سيدنا الحسن بن على رضى الله عنهما حوالى ثمانى سنوات[1]. وهذا معناه أن تعليم النبى ﷺ قد تم فـى عمـر يقـل عـن الثمـانى سنوات، وهذا يؤكد أن تعليم الدعاء للصغير منهج تربوى أصيل.

* * *

(١) انظر: الإصابة فى تمييز الصحابة ٢/ ٢٤٢، ٢٤٨.

ستنهاه صلاته يومًا مـــا

قال تعـالى: ﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلاَةَ إِنَّ الصَّلاَةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾[العنكبوت: ٤٥].

الصلاة خير علاج لأخطاء المسلم وعيوبه، فهى تنهاه عن الإثم وتبعده عن الشر، ومن هنا قال ابن عباس رضى الله عنهما: «فى الصلاة منتهى ومزدجر عـن معاصـى الله»[(١)]. وإذا كانت الصلاة تعالج الأخطاء وتصلح العيوب، فإن أكثرها إصلاحًا وعلاجًا قيام الليل، فقد روى الترمذى والطبرانى عن بلال بن رباح ﷺ أن رسول الله ﷺ قـال: «**عليكم بقيام الليل، فإنه دأب الصالحين قبلكم، ومقربـة إلى ربكـم، ومكفـرة للسيئات، ومنهاة عن الإثم، ومطردة للداء عن الجسد**».[(٢)] ولقد أورد ابن حبان رحمه الله فى صحيحه بابًا سماه: استحباب الإكثار للمرء من قيام الليل رجاء ترك المحظورات، وروى فى هذا الباب عن أبى هريرة ﷺ أنه قال: قيل: يا رسول الله، إن فلانًا يصلى الليل كله فإذا أصبح سرق، قال ﷺ: «**سينهاه ما تقول**»[(٣)] يعنى سيصلح حاله وينهاه عن السرقة قيامه بالليل، وروى الإمام أحمد فى مسنده (٢/ ٤٧٧) عن أبى هريـرة ﷺ قال: جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال: إن فلانًا يصلى بالليل فإذا أصبح سرق، قال ﷺ: «**إنه سينهاه ما تقول**» يعنى فى صلاته بالليل.

الخير عادة والصلاة عبادة:

يحتار الآباء كثيرًا فى كيفية علاج أخطاء أبنائهم، ويبحثون كثيرًا عن حل لمشكلاتهم، وينسون أن الصلاة خير علاج وأفضل دواء، ولقد فهم الصحابى الجليل عبد الله بن عباس رضى الله عنهما هذا الدرس جيدًا، فدعا الآباء والأمهات إلى إصلاح حال أبنائهم عن طريق الصلاة فقال: «حافظوا على أبنائكم فى الصلاة،

(١) الدر المنثور ٦/ ٤٦٤.
(٢) المعجم الكبير للطبرانى ٦/ ٢٥٨، وسنن الترمذى ٥/ ٥٥٢.
(٣) صحيح ابن حبان ٦/ ٣٠٠.

وعودوهم الخير فإن الخير عادة»(١)، فمن أراد لأبنائه الصلاح والفلاح فليربط أبناءه بالصلاة والمساجد، وكما يهتم بأحوالهم الدراسية فلا يهمل أحوالهم العبادية، وكما يوقظ أبناءه بحزم للذهاب للمدرسة فلا يتهاون فى إيقاظهم لصلاة الفجر. وليكن لنا فى عبد الله بن عباس رضى الله عنهما أسوة وقدوة، إذ كان حريصًا على إيقاظ أبنائه للصلاة، فعن أم ياسين خادمة ابن عباس قالت: إن ابن عباس كان يقول: «أيقظوا الصبى للصلاة ولو بسجدة» (٢) يعنى ولو سيلحق سجدة واحدة.

أيها الوالد الكريم، أيتها الأم الحنون

إن البيوت الصالحة تعرف قيمة الصلاة، وتدرك أنها خير علاج للأخطاء والعيوب، لذلك توجه أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام إلى الله تعالى بالدعاء، راجيًا منه سبحانه أن يجعله هو وذريته ممن يقيمون الصلاة ويحافظون عليها، فقال: ﴿**رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ**﴾[إبراهيم:٤٠] واستجاب الله دعاء النبى الكريم، وحافظ أهل البيت على الصلاة وأقاموها حق إقامتها، وانتقل الخير من الوالد الصالح إلى الابن البار، إذ ورث سيدنا إسماعيل من والده حب الصلاة، فكان يأمر أهله دائمًا بالمحافظة عليها وحسن أدائها، قال تعالى: ﴿**وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيًّا ۝ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا**﴾ [مريم:٥٤ ، ٥٥].

ولأن الصلاة عماد الدين وأساس بناء البيوت الصالحة، فقد أمر الله تعالى نبيه محمدًا ﷺ أن يأمر أهله بالصلاة وحثه على أدائها بصبر وعزيمة، قال تعالى: ﴿**وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لاَ نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى**﴾ [طه:١٣٢]، واستجابة من النبى الكريم لهذه الآية فقد كان ﷺ يجيء إلى باب علىٍّ فى صلاة الغداة ثمانية أشهر يقول: الصلاة رحمكم الله ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ**

(١) سنن البيهقى ٣/ ٨٤، المعجم الكبير للطبرانى ٩/ ٢٣٦.
(٢) مصنف عبد الرزاق ٤/ ١٥٤.

﴿الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[١] [الأحزاب: ٣٣].

ولقد استوعب الصحابة الكرام الدرس جيدا، فاهتموا بالصلاة وأمروا أهلهم بها، ولم يقتصر اهتمامهم على الصلوات الخمس، بل امتد ليشمل قيام الليل، أخرج مالك والبيهقى عن أسلم قال: كان عمر بن الخطاب يصلى من الليل ما شاء الله أن يصلى حتى إذا كان آخر الليل أيقظ أهله للصلاة ويقول لهم: الصلاة الصلاة، ويتلو هذه الآية ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاَةِ﴾.[٢]

أيها الوالد الكريم، أيتها الأم الحنون

هيا بنا ننضم إلى هذه القافلة المباركة، ونأمر أبناءنا بالصلاة مرارًا وتكرارًا، وندعوهم إلى أدائها بالحكمة والموعظة الحسنة، ولا ننسى أن قيام الليل له دور كبير فى صلاح حال أبنائنا؛ لذلك علينا أن نجمعهم لصلاة القيام ولو مرة واحدة فى الشهر، وما أجمل أن يستيقظوا يومًا من نومهم، فيجدونا قد علقنا لهم لوحة مكتوبًا عليها، «إذا لم تقدر على قيام الليل وصيام النهار، فاعلم أنك محروم كبلتك خطيئتك»[٣]، أو نكتب عليها: «إذا لم تقدر على قيام الليل، فلا تعص الله بالنهار»[٤]. ويمكننا أن نرسل لهم هذه العبارات اللطيفة عن طريق البريد الإلكترونى أو على هاتفهم النقال، ولكى نشعرهم بأهمية الصلاة فى كشف الكروب وإزالة المصائب، علينا أن نجمعهم إلى الصلاة إذا أصابنا هم أو غم، أخرج أحمد فى الزهد وابن أبى حاتم والبيهقى فى شعب الإيمان عن ثابت قال: كان النبى ﷺ إذا أصابت أهله خصاصة نادى أهله بالصلاة: **صلوا صلوا**، قال ثابت: وكانت الأنبياء إذا نزل بهم أمر فزعوا إلى الصلاة، وأخرج الطبرانى فى الأوسط والبيهقى فى شعب الإيمان بسند صحيح عن عبد الله بن سلام قال: كان النبى ﷺ إذا نزلت بأهله شدة أو ضيق أمرهم بالصلاة وتلا: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاَةِ﴾ [طه:١٣٢] [٥].

---

(١) الدر المنثور ٥/ ٦١٣.
(٢) الدر المنثور ٥/ ٦١٣، ٦١٤.
(٣) كان الفضيل بن عياض يقول: «إذا لم تقدر على قيام الليل وصيام النهار، فاعلم أنك محروم كبلتك خطيئتك» حلية الأولياء ٨/ ٩٦، سير أعلام النبلاء ٨/ ٤٣٥.
(٤) وقال بعض الصالحين: «إذا لم تقدر على قيام الليل، فلا تعص الله بالنهار» حلية الأولياء ٩/ ٢٦١.
(٥) الدر المنثور ٥/ ٦١٣.

لا تكن الأب السارق:

عن أبى قتادة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أسوأ الناس سرقة الذى يسرق من صلاته، قالوا: يا رسول الله، كيف يسرق من الصلاة؟ قال: لا يتم ركوعها ولا سجودها**، أو قال: **لا يقيم صلبه فى الركوع والسجود**»[(١)].

إن أسوأ الناس سرقة هو من يسرق من صلاته، فلا يتم ركوعها وسجودها، ولا يؤديها حق أدائها، وأسوأ حالا من هذا الصنف من يسرق من صلاته وصلاة أبنائه، فهو لا يحسن الصلاة وينقرها نقر الغراب، فيقتدى به أبناؤه ويصلون كما يصلى، وهكذا يصبح سببًا فى ضياع صلاته وصلاة أبنائه، فيكون من أسوأ الناس سرقة، روى أن مالك بن دينار رأى رجلا يسىء صلاته فقال: ما أرحمنى بعياله (وذلك إشفاقًا عليهم) فقيل له: يا أبا يحيى يسىء هذا صلاته وترحم عياله؟ فقال: إنه كبيرهم ومنه يتعلمون[(٢)]، فهيا بنا نحافظ على صلاتنا وصلاة أبنائنا، ولا نسرق من ركوعها وسجودها، ولننتهز فرصة القرب من الله تعالى فى السجود، وندع لأبنائنا بالهداية والرحمة، ونسأله سبحانه أن يصلح عيوبهم ويجبر كسرهم، وأن يتوب على عاصيهم ويعين طائعهم، روى أن التابعى الجليل عروة بن الزبير بن العوام رأى رجلا يصلى صلاة خفيفة، فدعاه وقال له: يا أخى، أما كانت لك إلى ربك حاجة فى صلاتك؟ إنى لأسأل الله فى صلاتى حتى أسأله الملح[(٣)].

* * *

(١) رواه أحمد والطبرانى وابن خزيمة فى صحيحه والحاكم وقال: صحيح الإسناد، انظر: الترغيب والترهيب ١/١٩٨.
(٢) حلية الأولياء ٢/٣٨٣.
(٣) البداية والنهاية ٩/١٠٣.

وصية عملية.. ونصيحة إيمانية

الموعظة الإيمانية والوصية العملية خير وقاية وأجمل علاج لكثير من أخطاء الأبناء، لذلك نقل لنا القرآن الكريم- بالتفصيل- موعظة لقمان الحكيم لابنه، فقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لابْنِه وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَى لاَ تُشْرِكْ بِاللهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ۞ وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْه حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِى عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِى وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرُ ۞ وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَى أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِه عِلْمٌ فَلاَ تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِى الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَى ثُمَّ إِلَى مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۞ يَا بُنَى إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى السَّمَاوَاتِ أَوْ فِى الأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللهُ إِنَّ اللهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ۞ يَا بُنَى أَقِمِ الصَّلاَةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ ۞ وَلاَ تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلاَ تَمْشِ فِى الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ۞ وَاقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ [لقمان: ١٣- ١٩].

وعندما نتأمل هذه الموعظة الأبوية الرائعة، نجد أنها تتكون من نصائح عملية، ويلى كل نصيحة سببها، فلقمان الحكيم أوصى ابنه بعدم الشرك، وذكر سبب ذلك وهو أن الشرك ظلم عظيم، ونهاه أيضا عن التكبر والإعجاب بنفسه، ثم ذكر سبب ذلك وهو أن الله تعالى لا يحب كل مختال فخور، وهذا معناه أن نجاح الموعظة يكون فى بيان سببها، فمثلا عندما تعظ ابنك بالحفاظ على الصلاة، لابد وأن تذكر له سبب ذلك، وهو أهمية الصلاة وثوابها وعقوبة من يتكاسل فى أدائها، وإذا وعظت ابنتك ونصحتها بارتداء الزى الإسلامى، فينبغى أن تشرح لها السبب الذى دعاك لقول هذه النصيحة، وهكذا نفعل فى كل المواعظ والنصائح.

أيها الوالد الكريم، أيتها الأم الحنون

إن الوصية الإيمانية والنصيحة العملية وسيلة تربوية مهمة، لذلك استخدمها النبى ﷺ مع عدد كبير من صحابته الكرام، مع اختلاف أعمارهم وبيئاتهم وقدراتهم، ومن أجمل ما نصح به النبى ﷺ الصغار ما رواه الترمذى وأبو يعلى والطبرانى عن أنس

ابن مالك ﷺ قال: [قدم رسول الله ﷺ المدينة وأنا يومئذ ابن ثماني سنين، فذهبت بي أمي إليه، فقالت: يا رسول الله إن رجال الأنصار ونساءهم قد أتحفوك غيري (يعني أعطوك هدايا وأنا لم أعطك شيئًا) وإني لم أجد ما أتحفك به إلا بني هذا، فاقبله مني يخدمك ما بدا لك. قال أنس: فخدمت رسول الله ﷺ عشر سنين، فلم يضربني ضربة ولم يسبني ولم يعبس في وجهي، وكان أول ما أوصاني أن قال: «**يا بني اكتم سري تكن مؤمنًا**»، فما أخبرت بسره أحدًا قط، وإن أمي وأزواج النبي ﷺ سألوني فما أخبرتهن بسره ولا أخبر سره أحدًا أبدًا، ثم قال - يعني بعد فترة من الزمن-: «**يا بني أسبغ الوضوء يزد في عمرك ويحبك حافظاك**» ثم قال: «**يا بني إن استطعت ألا تبيت إلا على وضوء فافعل، فإنه من أتاه الموت وهو على وضوء أعطي الشهادة**»، ثم قال - يعني في مرة أخرى-: «**يا بني إن استطعت ألا تزال تصلي فافعل، فإن الملائكة لا تزال تصلي عليك ما دمت تصلي**»، ثم قال: «**يا بني إياك والالتفات في الصلاة فإن الالتفات في الصلاة هلكة، فإن كان لابد ففي التطوع لا في الفريضة**»، ثم قال لي: «**إذا ركعت فضع كفيك على ركبتيك وفرِّج بين أصابعك وارفع يديك عن جنبيك، فإذا رفعت رأسك من الركوع فمكّن لكل عضو موضعه، فإن الله لا ينظر يوم القيامة إلى من لا يقيم صلبه**»، ثم قال لي: «**يا بني إذا سجدت فلا تنقر كما ينقر الديك، ولا تقع كما يقع الكلب، ولا تفرش ذراعيك الأرض افتراش السبع، وافرش ظهر قدميك وضع إليتيك على عقبيك، فإن ذلك أيسر عليك يوم القيامة في حسابك**»، ثم قال لي: «**بالغ في الغسل من الجنابة تخرج من مغتسلك ليس عليك ذنب ولا خطيئة**»، قلت: بأبي وأمي ما المبالغة في الغسل؟ قال: «**تبل أصول الشعر وتنقي البشرة**»، ثم قال لي: «**يا بني إن قدرت أن تجعل من صلاتك في بيتك شيئًا فافعل، فإنه يكثر خير بيتك**»، ثم قال لي: «**يا بني إذا دخلت عليَّ فسلم، يكون بركة عليك وعلى أهل بيتك**»، ثم قال لي: «**يا بني إذا خرجت من أهلك فلا يقعن بصرك على أحد من أهل القبلة إلا سلمت عليه ترجع وقد زيد في حسناتك**»، ثم قال: «**يا بني إن قدرت أن تمسي وتصبح ليس في قلبك غش لأحد فافعل**»، ثم قال لي: «**يا أنس إذا خرجت من أهلك فلا يقعن بصرك على أحد من أهل القبلة إلا ظننت أن له الفضل عليك فافعل**»، ثم قال لي: «**يا بني إن ذلك من سنتي**

فمن أحيا سنتى فقد أحبنى ومن أحبنى كان معى فى الجنة»، ثم قـال لى: «**يا بنى إن حفظت وصيتى فلا يكون شيء أحب إليك من الموت**»].[1] إنها حقًا باقة رائعة مـن الوصـايا و النصائح النبوية الكريمة التى تناسب الصغار والكبار علـى حـد سـواء، ولا يظـن أحد المربين إن النبى ﷺ قالها كلها لأنس بن مالك مرة واحدة حيث إن أنـس رضي الله عنه قد تلقاها من النبى ﷺ على مدار عشر سنين هى مـدة خدمتـه للنبـى ﷺ، ولقـد تلقى أولاها فى عمر ثمانى سنوات تقريبًا ولقد اتبع النبـى الكـريم نفـس طريقـة سيدنا لقمان فى النصح والإرشاد إذ جاءت مواعظه ﷺ لأنس بن مالـك متكونـة من شقين، الأول: وصية عملية، والثانى: سبب إيمانى لهذه الوصـية، فعلـى سـبيل المثال نرى النبى ﷺ قـال لأنـس: «**يا بنى إذا خرجت من أهلك فلا يقعن بصرك علـى أحد من أهل القبلة إلا سلمت عليه**»، ثم بين السبب بعد ذلك قائلا: «**ترجع وقد زيـد فى حسناتك**»، ومن ذلك أيضا أنه ﷺ قال: «**يا بنى إن قدرت أن تجعل من صـلاتك فى بيتك شيئا فافعل**»، ثم أوضح سبب تلك الوصية قائلا: «**فإنه يكثر خير بيتك**».

آباء الدقيقة الواحدة:

بعض الآباء يوقف ابنه أمامه ساعة أو أكثر ليقدم لـه النصـيحة، ويكـرر كلامـه ونصائحه مرات ومرات، وابنه واقف أمامه يتمنى اللحظة التـى ينتهـى فيهـا والـده من موعظته، والبعض الآخر من الآباء ينصح ابنه كلمـا رآه فـلا تمـر مقابلـة بينهمـا إلا وفيها وعظ من الأب وإرشـاد، أمـا آبـاء الدقيقـة الواحـدة فينصـحون أبنـاءهم بطريقة مختلفـة، فنصـائحهم قصـيرة ومـوجزة كمـا أنهـم يختـارون الوقـت والمكـان المناسب لها، وهذا ما فعلـه الأنبيـاء علـيهم السـلام والصـحابة الكـرام، والمعلمـون الأخيار، أورد البخارى ومسلم عن ابن مسـعود رضي الله عنه قـال: كـان النبـى ﷺ يتخولنـا (يتعهدنا) بالموعظة فى الأيام (يعنى: يعظهـم أيامًـا ويتركهـم أيامًـا أخـرى) كراهـة

---

(١) المعجم الصغير للطبرانى ٢/ ١٠٠- ١٠٢، والمعجم الأوسـط ٦/ ١٢٣- ١٢٥، وأبـو يعلـى ٦/ ٣٠٨، وروى الترمذى بعضه ٢/ ٤٨٤.

السآمة (الملل) علينا».[١] ومع أن النبى ﷺ أفضل الناس حديثًا وأعذبهم لسانًا، إلا أنه لم يعظ صحابته الكرام يوميًا خشية أن ينفروا منه، ولقد فهم صحابته الكرام الدرس جيدًا، فرفضوا وعظ التابعين كل يوم، وحددوا للوعظ يومًا فى الأسبوع حتى لا يمل الناس، روى الإمام مسلم وابن حبان عن شقيق أبى وائل قال: كان عبد الله يذكرنا كل يوم خميس فقال له رجل: يا أبا عبد الرحمن إنا نحب حديثك ونشتهيه ولوددنا أنك حدثتنا كل يوم. فقال: ما يمنعنى أن أحدثكم إلا كراهية أن أملكم. إن رسول الله ﷺ كان يتخولنا بالموعظة فى الأيام كراهية السآمة علينا[٢].

ولقد قيل لأنس بن مالك يوما: ألا تحدثنا؟ قال: «يا بنى، إنه من يكثر يهجر»[٣].

أيها الوالد الكريم، أيتها الأم الحنون

هيا بنا نتعاهد أبناءنا بالمواعظ الحسنة بين الحين والآخر وليكن الحد الأدنى موعظة أسبوعيًا، كما فعل الصحابى الجليل عبد الله بن مسعود ﷺ، وليكن الحد الأقصى للنصائح الأبوية مرة شهريًا، فلا يمر شهر إلا وقد نصحنا أبناءنا خلاله مرة واحدة على الأقل وأربع مرات على الأكثر، ولكى نتقن فن الموعظة الأبوية الحسنة، علينا أن نستعين بالله ثم بالرفق، ونتأمل كثيرًا فى مواعظ الأنبياء والصحابة والصالحين والتى وعظوا بها أبناءهم، **وخطوة على هذا الطريق تأمل معنا فى باقة النصائح التالية:**

١- فقير يوم القيامة:

روى عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**قالت أم سليمان بن داود لسليمان: يا بنى، لا تكثر النوم بالليل، فإن كثرة النوم بالليل تترك الرجل فقيرًا** – يعنى: من الحسنات– **يوم القيامة**»[٤].

---

(١) صحيح البخارى ١/ ٣٩، وصحيح مسلم ٤/ ٢١٧٢، المراد أنه كان يراعى الأوقات فى تعليمهم ووعظهم ولا يعظهم كل يوم خشية الملل، انظر: فتح البارى ١١/ ٢٢٨.
(٢) صحيح مسلم ٤/ ٢١٧٣، وابن حبان ١٠/ ٣٨٣.
(٣) سير أعلام النبلاء ٣/ ٤٠٣.
(٤) رواه ابن ماجه والبيهقى وفى إسناده احتمال للتحسين، انظر: الترغيب والترهيب، ١/ ٢٥١، وسنن ابن ماجه ١/ ٤٢٢.

٢- خمسة كلهم يضرونك:

قال محمد بن على بن أبى طالب: أوصانى أبى فقال: لا تصحبن خمسة، ولا تحادثهم ولا ترافقهم فى طريق، قال: قلت: جعلت فداك يا أبة من هؤلاء الخمسة؟ قال: لا تصحبن فاسقًا فإنه بايعك بأكلة فما دونها، قال: قلت: يا أبة ومن الثاني؟ قال: لا تصحبن البخيل، فإنه يخذلك فى ماله أحوج ما كنت إليه، قال: قلت: يا أبة ومن الثالث؟ قال: لا تصحبن كذابًا، فإنه بمنزلة السراب يبعد منك القريب ويقرب منك البعيد، قال: قلت: يا أبة ومن الرابع؟ قال: لا تصحبن أحمق، فإنه يريد أن ينفعك فيضرك، قال: قلت: يا أبة ومن الخامس؟ قال: لا تصحبن قاطع رحم فإنى وجدته ملعونًا فى كتاب الله قال تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ۞ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ﴾[1].

٣- كن نزيهًا ولا تكن شريكًا:

وعن عتبة بن أبى سفيان أنه قال لابنه عمرو: «إياك واستماع الغيبة، نزه سمعك عن الخنا (الكلام الفاحش القبيح) كما تنزه لسانك عن البذا، فإن المستمع شريك القائل، وإنما نظر إلى أخبث ما يكون فى وعائه فألقاه فى وعائك، ولقد أحسن القائل:

تحر فى الطريق أوساطها ... وعد عن الموضع المشتبه

وسمعك صن عن سماع القبيـ ... ـح كصون اللسان عن القول به

فإنك ثَمَّ استماع القبيـ ... ـح شريك لقائله فانتبه[2]

وقال معلى بن عبيد: دخلنا على محمد بن سوقة فقال: أحدثكم بحديث لعله ينفعكم فإنه قد نفعنى، ثم قال: قال لنا عطاء بن أبى رباح: «يا بنى أخى، إن من كان قبلكم كانوا يكرهون فضول الكلام، أتنكرون أن عليكم حافظين، أما يستحى أحدكم أن لو نشرت عليه صحيفته التى أملى صدر نهاره كان

(١) حلية الأولياء ٣/ ١٨٣، ١٨٤، البداية والنهاية ٩/ ١٠٥، ١٠٦، بتصرف.
(٢) التمهيد لابن عبدالبر ٢٣/٢٣.

أكثرما فيها ليس من أمر دينه ولا دنياه»[١].

٤-تقريب الأجل يذهب بالكسل:

قال محمد بن على بن أبى طالب لابنه: «يا بنى، إياك والكسل والضجر، فإنهما مفتاح كل شر، إنك إن كسلت لم تؤد حقًا، وإن ضجرت لم تصبر على حق»[٢]. وكان عبد الله بن عباس يقول لابنه: يا بنى، عليك بالاعتبار فإنه يذهب بالاغترار، وعليك بتقصير الأمل وتقريب الأجل، فإنه يذهب بالكسل ويحض على العمل»[٣].

٥- أمام باب مغلق:

عن عطاء بن أبى رباح قال: جاءنى طاووس يومًا فقال لى: «يا عطاء إياك أن ترفع حوائجك إلى من أغلق دونك بابه وجعل دونه حجابه وعليك بطلب من بابه لك مفتوح إلى يوم القيامة طلب منك أن تدعوه ووعدك الإجابة»[٤].

٦- ليكن المسجد بيتك:

كان أبو الدرداء ﷺ يقول لابنه: يا بنى، لا يكونن بيتك إلا المسجد فإن المساجد بيوت المتقين، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من يكن المسجد بيته، ضمن الله له بالروح والرحمة والجواز على الصراط إلى الجنة**»[٥].

٧- عرف فضلها ورجا ثوابها:

كان سعيد بن العاص ﷺ يحث أبناءه على الصبر فى طريق الحق قائلا: «يا بنى، إن المكارم لو كانت سهلة يسيرة، لسابقكم إليها اللئام، ولكنها كريهة مرة لا يصبر عليها إلا من عرف فضلها ورجا ثوابها»[٦].

---

(١) المنتظم ٧/ ١٦٦.
(٢) حلية الأولياء ٣/ ١٨٣.
(٣) تاريخ أصبهان ١/ ٤١٩.
(٤) البداية والنهاية ٩/ ٢٣٦.
(٥) تاريخ بغداد ٨/ ٣٤٠.
(٦) تاريخ مدينة دمشق ٢١/ ١٣٦.

أبي.. أحلامك وحدها لا تكفي

تعليم الأبناء الخير وتعويدهم عليه خير وقاية من الخطأ والزلل، فالولد إذا انشغل بالحق نسى الباطل ولم يجد له وقتًا، والبنت إذا انشغلت بالخير نسيت الشر ولم تجد لارتكابه وقتًا، وكما قال الصالحون: نفسك إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل[(١)]. وكذلك أبناؤك إن لم تشغلهم بالخير انشغلوا بالشر، وإن لم تعلمهم الفضائل والمكرمات تعلموا الشرور والموبقات، ومن هنا قال عبد الله بن مسعود ﷺ: «حافظوا على أولادكم فى الصلاة، وعلموهم الخير، فإنما الخير عادة»[(٢)]، وتعليم الأبناء الخير وتعويدهم عليه واجب على الآباء والأمهات، فلقد قال عمر بن الخطاب ﷺ لأحد الآباء: «أدِّب ولدك، فإنك مسئول عن ولدك ماذا أدبته وماذا علمته، وإنه مسئول عن برك وطواعيته لك»[(٣)].

أيها الوالد الكريم، أيتها الأم الحنون

كلنا نحلم بأبناء صالحين ناجحين محترمين، ونتمنى أن يتحلوا بمكارم الأخلاق وحميد الصفات، لكن الأحلام وحدها لا تكفى، والأمنيات بدون عمل وبذل واجتهاد لا تتحقق، ولكى تتحقق أحلام الآباء وأمنياتهم لابد من تعليم الأطفال الخير وتعويدهم عليه، وهذه المهمة تنقسم إلى ثلاث مراحل: المرحلة الأولى هى: تعليم الأبناء الخير مثل العبادات والأدعية والأخلاق بطريقة نظرية وعملية، والمرحلة الثانية: هى ممارسة هذا الخير مع الأبناء بطريقة عملية وباستمرار دون انقطاع، أما المرحلة الثالثة: فهى تصحيح ما يقعون فيه من أخطاء أثناء التعليم وعند تطبيق ما تعلموه، ولقد نجح نبينا الكريم فى هذه المهمة خير نجاح مع أنها لم تكن مهمة سهلة، والسبب فى ذلك هو أنه ﷺ أب لكل المسلمين ومسئول عن تعليمهم الخير، فقد روى ابن حبان

(١) تاريخ بغداد ٨/ ١١٤، ومجموع الفتاوى ٨/ ٢٢٣.
(٢) سنن البيهقى الكبرى ٣/ ٨٤، والمعجم الكبير للطبرانى ٩/ ٢٣٦.
(٣) سنن البيهقى الكبرى ٣/ ٨٤.

والنسائى وأحمد والبيهقى عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنى أنا لكم مثل الوالد أعلمكم**»،[(١)] وفى رواية أخرى عند أبى داود قال ﷺ: «**إنما أنا لكم بمنزلة الوالد أعلمكم**»[(٢)]. وإذا أردنا اليوم أن ننجح فى هذه المهمة التربوية العظيمة، فعلينا أن نقتدى بحبيبنا محمد ﷺ، وخطوة على هذا الطريق نشرح فيما يلى كيف نجح المعلم الكريم ﷺ فى هذه المهمة الصعبة خلال مراحلها الثلاث.

أولاً: مرحلة التعليم والتوجيه:

اهتم حبيبنا ﷺ بتعليم الخير لكل المسلمين بطريقة عملية ونظرية، ومن روعة التجربة التربوية النبوية، أنه ﷺ نوَّع فى عملية التعليم فتراه تارة مهتمًا بالتعليم الجماعى العام لكل المسلمين، عن طريق خطب الجمعة وحلقات العلم وميادين العمل، وتارة أخرى تجده حريصًا على التعليم الفردى لبعض المسلمين، وذلك عن طريق النصيحة الخاصة فى التعليم الخاص، فالتعليم العام الجماعى نراه فيما رواه النسائى عن أبى موسى الأشعرى ﷺ قال: «إن رسول الله ﷺ كان يعلمنا صلاتنا وسنتنا»[(٣)]. وروى البخارى عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال: «كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخارة فى الأمور كما يعلمنا السورة من القرآن»[(٤)]. وروى مسلم عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال: «كان نبى الله ﷺ يعلمنا التشهد فى الصلاة كما يعلمنا السورة من القرآن»[(٥)]. وهذا التعليم العام يطبقه الآباء الآن عن طريق حضور درس علمى مع أبنائهم، أو مشاهدة برنامج دينى فى قناة فضائية، أو عن طريق تنظيم مجلس أسبوعى فى البيت، يحضره الصغار والكبار، ونتعلم فيه كيف نقرأ القرآن، كما نتدارس بعض الموضوعات الدينية، ونخرج بوصية عملية نطبقها جميعًا خلال الأسبوع القادم، ثم نرفع أكف الضراعة لله تعالى بالدعاء والرجاء،

---

(١) صحيح ابن حبان ٤/ ٢٧٩، وسنن النسائى (المجتبى) ١/ ٣٨، وسنن البيهقى الكبرى ١/ ٩١، ومسند أحمد ٢/ ٢٥٠.
(٢) سنن أبى داود ١/ ٣ .
(٣) السنن الكبرى للنسائى ١/ ٢٩١.
(٤) صحيح البخارى ١/ ٣٩١.
(٥) صحيح مسلم ١/ ٣٠٢.

وهكذا تكون بيوتنا عامرة بالخير كما كانت بيوت أمهات المؤمنين عليهن رضوان الله، فلقد خاطبهن الله تعالى بقوله: ﴿**وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا**﴾ [الأحزاب: ٣٤] ففي هذه الآية مفهوم ومضمون، أما المفهوم: فيدل على أن هناك تاليًا يتلو عليهن القرآن والسنة، فهناك إذن تعليم داخل هذه البيوت الطاهرة، وأما المضمون: فهو أمرهن بتذكر ما يتلى عليهن من القرآن والسنة، وهذا يعني وجود تعلم أيضًا داخل هذه البيوت، ومن هنا كان لابد من تنظيم العلم والتعلم الشرعيين داخل كل بيت مسلم يريد أن يسير على نهج بيوت النبوة الطاهرة»[١].

ولأن التعليم الجماعي العام وحده لا يكفي، فلقد استخدم الرسول ﷺ التعليم الفردي الخاص مع صحابته الكرام؛ رجالهم ونسائهم، صغارهم وكبارهم، فها هو عبد الله بن مسعود يحكي لنا تجربته مع الرسول ﷺ فيما رواه البخاري ومسلم فيقول:«علمني رسول الله ﷺ وكفي بين كفيه التشهد، كما يعلمني السورة من القرآن». [٢] ولأن التعليم الفردي الخاص مهم جدًا لأفراد البيت المسلم، فها هو رسولنا الكريم ﷺ يعلم زوجته الطاهرة أم سلمة دعاء جميلاً تقوله عند أذان المغرب، روى أبو داود والبيهقي والترمذي وأبو يعلى عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: علمني رسول الله ﷺ أن أقول ثم (عند) أذان المغرب: «**اللهم إن هذا إقبال ليلك، وإدبار نهارك وأصوات دعاتك** (وفي رواية: **وحضور صلواتك**) **فاغفر لي**»[٣]. والتعليم الفردي في البيت لم يستخدمه الرسول الكريم مع الكبار فقط، فقد روى ابن خزيمة في صحيحه عن الحسن بن علي رضي الله عنهما قال: علمني رسول الله ﷺ كلمات أقولهن في قنوت الوتر: «**اللهم اهدني فيمن هديت، وعافني فيمن عافيت، وتولني فيمن توليت، وبارك لي فيما أعطيت، وقني شر ما قضيت، فإنك تقضي ولا يقضى عليك، وإنه لا**

(١) قوانين البيت المسلم، ص٥٨، ٥٩ (بتصرف)

(٢) صحيح البخاري ٥/ ٢٣١١، صحيح مسلم ١/ ٣٠٢ .

(٣) سنن أبي داود ١/ ١٤٦، وسنن البيهقي الكبرى ١/ ٤١٠، ومسند أبي يعلي١٢/ ٣٢٣، وسنن الترمذي ٥/ ٥٧٤.

يذل من واليت، تباركت ربنا وتعاليت». [(١)] والمعروف أن النبى ﷺ توفى والحسن عمره ثمانى سنوات، وهذا معناه أن هذا التعليم الفردى الخاص تم فى عمر أقل من ثمانى سنوات، فعلى كل عاقل ألا يحرم أطفاله من هذا الخير.

ثانيًا: مرحلة الممارسة والتطبيق:

الكلام وحده لا يكفى، والتوجيه النظرى وحده فائدته قليلة، ومن هنا فقد اهتم المعلم الكريم ﷺ بالتوجيه والتعليم النظرى دون نسيان التطبيق العملى، فنجده ﷺ على سبيل المثال قد شجع الصحابة على زيارة المريض، وبيَّن لهم الثواب الجزيل الذى يحصل عليه من يزور مريضًا، فعن أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«من عاد مريضًا أو زار أخًا له فى الله، ناداه مناد بأن طبت وطاب ممشاك، وتبوأت من الجنة منزلاً»** [(٢)]، وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«من عاد مريضًا، لم يزل يخوض فى الرحمة حتى يجلس (يعنى عند المريض) فإذا جلس اغتمس فيها»**. [(٣)]

ومع التوجيه النظرى (نحو زيارة المرضى) جاء التطبيق العملى ليزيد التعليم ثباتًا واستمرارًا، فها هو معلمنا الكريم ﷺ يأخذ أسامة بن زيد (أيام طفولته) ليزور معه سعد بن عبادة عندما كان مريضًا، روى البخارى ومسلم عن أسامة بن زيد رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ ركب على حمار عليه قطيفة فدكية [(٤)] وأردف أسامة بن زيد وراءه يعود سعد بن عبادة فى بنى الحارث بن الخزرج، قبل وقعة بدر» [(٥)].

---

(١) السنن الكبرى للنسائى ١/ ٤٥١، وسنن أبى داود ٢/ ٦٣، وسنن الترمذى ٢/ ٣٢٨، ومسند أبى يعلى ١٢/ ١٥٦، ومسند أحمد ١/ ١٩٩، وصحيح ابن خزيمة ٢/ ١٥١ (واللفظ له).

(٢) رواه ابن ماجه والترمذى و اللفظ له وقال: حديث حسن وابن حبان فى صحيحه كلهم من طريق أبى سنان بن عثمان بن أبى سودة عنه، انظر: الترغيب والترهيب ٣/ ٢٤٧.

(٣) رواه مالك بلاغًا وأحمد ورواته رواة الصحيح والبزار وابن حبان فى صحيحه ورواه الطبرانى من حديث أبى هريرة بنحوه ورواته ثقات، انظر: الترغيب والترهيب ٤/ ١٦٦.

(٤) القطيفة: كساء يوضع فوق الحمار، وفدكية: نسبة إلى فدك، وهى قرى بالشام صنعت فيها.

(٥) صحيح البخارى ٤/ ١٦٦٣، وصحيح مسلم ٣/ ١٤٢٢، وأسامة بن زيد بن حارثة: صحابى جليل، ولد أسامة فى الإسلام، ومات النبى ﷺ وله عشرون سنة، وقيل توفى الرسول الكريم وعمره ١٨ سنة، انظر الإصابة فى تمييز الصحابة ١/ ٤٥، وعندما نتأمل أحداث السيرة النبوية الطاهرة، نجد أن النبى ﷺ توفى سنة ١١ هجرية، وغزوة بدر كانت سنة ٢ هجرية، وهذا معناه أن عمر سيدنا أسامة بن زيد فى القصة السابقة حوالى ١١ سنة أو ٩ سنوات (على اختلاف الروايات).

ثالثًا: مرحلة العلاج والتصحيح:

عند تعليم الأبناء سيصدر عنهم بعض الأخطاء، وهنا يجب تصحيحها فى الحال، وهذا بالضبط ما فعله نبينا الكريم ﷺ، فقد روى البخارى عن البراء بـن عـازب رضي الله عنه قال: قال النبـى ﷺ: «**إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة، ثم اضطجع على شـــقك الأيمن، ثم قل: اللهم أسلمت وجهي إليك، وفوضت أمرى إليك، وألجأت ظهرى إليك، رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك، اللهم آمنت بكتابك الذى أنزلــت وبنبيــك الذى أرسلت، فإن مت من ليلتك فأنت على الفطرة، واجعلهن آخر ما تتكلم به** قال الـبراء: فرددتها (فأعدتها) على النبى ﷺ فلما بلغت: اللهم آمنت بكتابك الذى أنزلت قلت: ورسولك قال ﷺ: **لا، وبنبيك الذى أرسلت**»[(١)]، وفى رواية للنسائى قال البراء: فقلت كما قال إلا أنى قلت: وبرسولك الـذى أرسـلت، فوضـع يـده فـى صـدرى وقـال: «**وبنبيك الذى أرسلت**»[(٢)]، وفى رواية الترمذى قـال الـبراء: فقلـت وبرسـولك الـذى أرسلت، قال: فطعن بيده فى صدرى ثم قال: «**وبنبيك الذى أرسلت**»[(٣)].

وحدوث الأخطاء لا يقتصر على مرحلة التعليـم فقـط، بـل يحـدث أيضًـا عنـد الممارسة والتطبيق، لذلك وجب علـى المربـى النـاجح أن يتـابع مـن يعلمـه ويراقبـه ليصحح ما يقع فيه من أخطاء بكل رفق ولين، وهذا بالضـبط مـا فعلـه نبينـا الكـريم ﷺ، فقد روى الإمام مسلم عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما، قال: رجعنا مـع رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة، حتى إذا كنا بماء بالطريق، تعجل قـوم ثـم (عنـد) العصر فتوضأوا وهم عجال، فانتهينا إليهم وأعقـابهم[(٤)] تلـوح لم يمسـها المـاء، فقـال رسول الله ﷺ: «**ويل للأعقاب من النار، أسبغوا الوضوء**»[(٥)]. وروى الإمام مسـلم عـن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رجلا توضأ فترك موضع ظفـر علـى قدمـه (يعنـى لم يغسـله

---

(١) صحيح البخارى ١/ ٩٧.
(٢) السنن الكبرى للنسائى ٦/ ١٩٥.
(٣) سنن الترمذى ٥/ ٤٦٨.
(٤) الأعقاب مفردها: عقب، وهو مؤخرة القدم، انظر مختار الصحاح ١/ ١٨٦.
(٥) صحيح مسلم ١/ ٢١٤.

بالماء) فأبصره النبى ﷺ فقال: «**ارجع فأحسن وضوءك، فرجع ثم صلى**»،[١] ولقد قال الإمام النووى معلقًا على هذا الحديث: «فيه دليل على ضرورة تعليم الجاهل والرفق به»[٢]، ولقد أدرك أبو هريرة ﷺ أهمية متابعة المتعلمين أثناء التطبيق فكان يمر على التابعين وهم يتوضأون ويحثهم على تحسين الوضوء، فقد روى البخارى عن محمد بن زياد قال: سمعت أبا هريرة وكان يمر بنا والناس يتوضأون من المطهرة قال: أسبغوا الوضوء، فإن أبا القاسم ﷺ قال: «**ويل للأعقاب من النار**»[٣].

ومتابعة المتعلم لتصحيح ما يقع فيه من أخطاء لا يقتصر على الكبار وحدهم، وذلك لأن المعلم الكريم ﷺ مارس هذه الاستراتيجية التربوية مع الصغار أيضا وحققت نجاحًا كبيرًا، فقد روى الإمام مسلم عن أنس بن مالك ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ من أحسن الناس خلقـًا، فأرسلنى يومًا لحاجة، فقلت: والله لا أذهب وفى نفسى أن أذهب لما أمرنى به نبى الله ﷺ، فخرجت حتى أمر على صبيان وهم يلعبون فى السوق، فإذا رسول الله ﷺ قد قبض بقفاى (ممسك بقفاي) من ورائى، قال أنس: فنظرت إليه وهو يضحك فقال: **يا أنيس، أذهبت حيث أمرتك؟** قال أنس: قلت: نعم أنا أذهب يا رسول الله[٤].

* * *

---

(١) صحيح مسلم ١/ ٢١٥.
(٢) شرح النووى على صحيح مسلم ٣/ ١٣١، ١٣٢
(٣) صحيح البخارى ١/ ٧٣ .
(٤) صحيح مسلم ٤/ ١٨٠٥

التعريف قبل النصح اللطيف

يقع الأبناء فى كثير من الأخطاء، ويرتكبون العديد من المحظورات، ومن روعة الإسلام وجماله أنه علمنا كيف نتصرف فى هذه الحالات، وشرح لنا خطوات الوقاية والعلاج كما حدد الوقت المناسب لكل علاج، فعند وقوع الأبناء فى خطأ ما علينا أن نؤجل الضرب والتعنيف والزجر والوعظ ونبدأ أولاً بتعريف المخطئ أنه وقع فى خطأ ونبين له وجهة نظر الإسلام فيما فعل وذلك لمرات متعددة وبطرق مختلفة، فإن أصر على فعل هذا الخطأ نعظه موعظة لطيفة أكثر من مرة، فإن لم يرجع عن الخطأ نزجره وننهاه بشدة، فإن لم يتغير الخطأ نلجأ إلى وسائل العقاب الممكنة والتى يقع الضرب فى آخرها، وفى هذا الصدد يقول الغزالى رحمه الله: «إن نهى الأبناء عن المنكر وتغيير ما يقعون فيه من أخطاء لابد وأن يمر بست مراحل:

الأولى: التعريف (يعنى تعريف المخطئ أن ما وقع فيه خطأ).

الثانية: الوعظ بالكلام اللطيف.

الثالثة: السب والتعنيف، ولسنا نعنى بالسب الفاحشة، بل نقول له: يا جاهل يا أحمق، ألا تخاف من الله تعالى، ونحو ذلك.

الرابعة: المنع بالقهر، ككسر الملاهى وإراقة الخمر وغير ذلك.

الخامسة: التخويف والتهديد بالضرب.

السادسة: مباشرة الضرب له حتى يمتنع عما هو عليه»[1].

أيها الوالد الكريم، أيتها الأم الحنون

إن أبناءنا يرتكبون الكثير من الأخطاء وهم لا يدركون أن ما فعلوه خطأ، والعلاج فى هذه الحالة هو تعريفهم بأن ما ارتكبوه غير مقبول، ولا نكتفى بقولنا هذا خطأ، بل نوضح لهم سبب اعتباره خطأ، ونبين لهم وجهة نظر ديننا فيه، وهذا بالضبط ما فعله رسولنا الكريم ﷺ مع صحابته الكرام، فها هو صحابى جليل يصلى ذات

(١) إحياء علوم الدين ٢/ ٣٤٠ – ٣٤٤، ومختصر منهاج القاصدين ص١٣٤، ١٣٥، بتصرف.

يوم مع النبي ﷺ وهو لا يعرف أن الكلام أثناء الصلاة خطأ، فيعطس أحد الصحابة وهم يصلون، فيقول له هذا الرجل وهو يصلي: يرحمك الله، فيغضب الصحابة منه وجعلوا يرمونه بأبصارهم، فقال: واثكل أمياه ما لكم تنظرون إلى هكذا؟ فضرب الصحابة بأيديهم على أفخاذهم، فلما وجدهم يريدون سكوته سكت، وبعد الصلاة قام النبي ﷺ بعلاج الخطأ الضخم الذى وقع فيه الرجل، لكن النبى ﷺ لم يضربه ولم يشتمه، إنما عالج الخطأ بالعلاج الأول وهو التعريف، فقال له ﷺ: «**إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن**»، روى الإمام مسلم وأحمد وأبو داود، عن معاوية بن الحكم السلمى قال: بينا أنا أصلى مع رسول الله ﷺ إذ عطس رجل من القوم فقلت: يرحمك الله فرمانى القوم بأبصارهم فقلت: واثكل أمياه ما شأنكم تنظرون إلى فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم فلما رأيتهم يصمتوننى لكنى سكت فلما صلى رسول الله ﷺ فبأبى هو وأمى ما رأيت معلمًا قبله ولا بعده أحسن تعليمًا منه، فوالله ما كهرنى ولا ضربنى ولا شتمنى قال: «**إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس، إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن**».[1]

وها هو صحابى آخر يرتكب جريمة السرقة وهو لا يعلم أنها حرام، فيعلمه النبى ﷺ برفق ولين أن ما ارتكبه خطأ دون اللجوء إلى الشتم أو الضرب وما شابههما، عن عباد بن شراحيل قال: (أصابنا عام مخمصة فأتيت مع عموتى المدينة فدخلت حائطًا من حيطانها ففركت من سنبله (وحملت منه فى ثوبي) فجاء صاحب الحائط فأخذ كسائى وضربنى، فأتيت رسول الله ﷺ أستعدى عليه (يعنى أشكوه) فأرسل إلى الرجل فجاؤوا به، فقال ﷺ: «**ما حملك على هذا؟**» فقال يا رسول الله: إنه دخل حائطى، فأخذ من سنبله ففركه، فقال رسول الله ﷺ: «**ما علمته إذ كان جاهلاً ولا أطعمته إذ كان جائعًا، أردد عليه كساءه** (ثوبه) وأمر لى رسول الله ﷺ بوسق أو نصف وسق»[2].. وعندما رأى النبى ﷺ أحد الصحابة جالسًا وقد انكشفت عورته، أمره

(١) صحيح مسلم ١/ ٣٨١، وسنن أبى داود ١/ ٢٤٤، ومسند أحمد ٥/ ٤٤٧.
(٢) سنن النسائى ٨/ ٢٤٠، وسنن ابن ماجه ٢/ ٧٧٠، ومسند أحمد ٤/ ١٦٦، وسنن أبى داود ٣/ ٣٩.

عليه الصلاة والسلام بسترها، وعرفه أن كشفها حرام، عن زرعة بن جرهد الأسلمى عن أبيه وكان من أصحاب الصفة قال: إن النبى ﷺ مر به وهو كاشف عن فخذه فقال: «**أما علمت أن الفخذ عورة**، وفى رواية: **خمِّر عليك، أما علمت أن الفخذ عورة**»[(١)].

العمل اللطيف خير تعريف:

إن علاج الأخطاء بالتعريف لا يقتصر على الكلام النظرى فقط؛ لأن التعريف العملى يعالج وبصورة جيدة أخطاء الصغار والكبار، وهذا ما تؤكده سيرة النبى ﷺ، فقد روى النسائى وأبو داود والترمذى و أحمد عن كلدة بن الحنبل ﷺ أن صفوان بن أمية بعثه فى الفتح (فتح مكة) إلى النبى ﷺ بلبن وجداية وضغابيس، والنبى ﷺ بالوادى، قال كلدة: فدخلت عليه ولم أسلم ولم أستأذن، فقال النبى ﷺ: «**ارجع فقل السلام عليكم أأدخل**» وذلك بعدما أسلم صفوان»[(٢)]، وروى أبو داود عن رجل من بنى عامر أنه استأذن على النبى ﷺ وهو فى بيت، فقال: ألج؟ فقال النبى ﷺ لخادمه: «**اخرج إلى هذا فعلمه الاستئذان، فقل له: قل السلام عليكم أأدخل**؟ فسمعه الرجل فقال: السلام عليكم أأدخل؟ فأذن له النبى ﷺ فدخل»[(٣)]، وعن أبى سعيد الخدرى ﷺ أن رسول الله ﷺ مر بغلام يسلخ شاة، فقال له: «**تنح حتى أريك فإنى لا أراك تحسن تسلخ**»، فقال: فأدخل رسول الله ﷺ يده بين الجلد واللحم فدحس بها (فدفع بها) حتى توارت إلى الإبط ثم قال ﷺ: «**هكذا يا غلام فاسلخ**، ثم انطلق فصلى ولم يتوضأ ولم يمس ماء»[(٤)].

أنت تسأل.. وصاحب الذنب يجيب:

عندما يقع ابنك أو ابنتك فى خطأ ما، عليك أن تبدأ العلاج بتعريفهم أن ما فعلوه غير مقبول، وخير طريقة للتعريف هى أن تسألهم، برفق ولين، عن سبب ما

---

(١) مسند أحمد ٣/ ٤٧٨.

(٢) السنن الكبرى للنسائى ٤/ ١٦٩، وسنن أبى داود ٤/ ٣٤٤، وسنن الترمذى ٥/ ٦٤، ومسند أحمد ٣/ ٤١٤.

(٣) سنن أبى داود ٤/ ٣٤٥.

(٤) صحيح ابن حبان ٣/ ٤٣٨٥، و سنن ابن ماجه ٢/ ١٠٦١، وسنن أبى داود ١/ ٤٧.

فعلوه، فإن وجدتهم لا يعرفون أنه خطأ علمتهم وإن وجدتهم فعلوه رغمًا عنهم سامحتهم، وإن ثبتت معرفتهم المسبقة بأنه مرفوض، ومع ذلك ارتكبوه وعظتهم، وهذا هو النهج الذى اتبعه النبى ﷺ فى معالجة أخطاء الكبار والصغار، روى البخارى وابن حبان وابن خزيمة وغيرهم عن أبى رجاء العطاردى عن عمران بن حصين قال: «كنا فى سفر مع النبى ﷺ وإنا أسرينا (سرنا ليلا) حتى كان فى آخر الليل وقعنا وقعة، ولا وقعة أحلى ثم (عند) المسافر منها، فما أيقظنا إلا حر الشمس، وكان أول من استيقظ فلان ثم فلان ثم فلان يسميهم أبو رجاء، ثم عمر بن الخطاب الرابع، وكان النبى ﷺ إذا نام لم يوقظ حتى يكون هو يستيقظ، لأنا لا ندرى ما يحدث له فى نومه، فلما استيقظ عمر ورأى ما أصاب الناس وكان رجلا جليدًا فكبر ورفع صوته بالتكبير، فمازال يكبر ويرفع صوته بالتكبير حتى استيقظ بصوته النبى ﷺ، فلما استيقظ شكوا إليه الذى أصابهم، قال: **لا ضير أو لا يضير ارتحلوا**، فارتحل بعيد ثم نزل، فدعا بالوضوء فتوضأ، ونودى بالصلاة، فصلى بالناس فلما انفتل (انتهى ورجع) من صلاته، إذا هو برجل معتزل لم يصل مع القوم، قال ﷺ: **ما منعك يا فلان أن تصلى مع القوم؟** قال: أصابتنى جنابة ولا ماء، قال ﷺ: **عليك بالصعيد فإنه يكفيك**».[(١)] وروى أبو داود والترمذى وابن ماجه عن رافع بن عمرو الغفارى ﷺ قال: (كنت غلامًا أرمى نخل الأنصار، فأُتى بى رسول الله ﷺ، فقال لى: «**يا غلام لم ترمى النخل؟**» قلت: لآكل، فقال: «**لا ترم النخل، وكل ما سقط فى أسفلها**»، ثم مسح رأسى وقال: «**اللهم أشبع بطنه**» فهذا الغلام الجائع ﷺ ممن صحب النبى ﷺ فى أيام الشدة والفقر، قد لجأ إلى حدائق المدينة التى يملكها الأنصار، وأخذ يقذف النخل بالحجارة حتى يسقط منها ما يأكله، وهو خطأ ونوع من أخذ مال الغير بدون رضاه، ولذلك أُتى به النبى ﷺ ليفصل فى أمره، فأخذ رسول الله ﷺ يسأله ويستوضح منه عن السبب فى تصرفه الخطأ، وعلل الطفل سلوكه تعليلاً منطقيًا لطفل صغير جائع فقال: لآكل، فالقضية

---

(١) صحيح البخارى ١/ ١٣٠، ١٣١، وصحيح ابن حبان ٤/ ٢١٢، وصحيح ابن خزيمة ١/ ١٣٧، وفى هذا الحديث دليل على أن الجنب يجزيه التيمم عند قلة الماء فى السفر، وفى الحديث أيضا دليل على أهمية حسن الملاطفة والرفق في الإنكار، انظر: فتح الباري١/ ٤٥١.

ليس فيها العمد فى التعدى، ولا الحصول على ما يتمول به، وهنا يعلـم الحكـيم ﷺ الطفل -وطفولة الأمة الناشئة- كلها كيف يسلكون ويحكمون: «**لا ترم النخل، وكل ما سقط فى أسفلها**» إنه الحل الرفيق بالطفل الجائع الذى لا يملك ما يأكله، وهو حل رفيق أيضا بصاحب النخل المالك، فالجائع يأكل ويسد جوعه، والمالك يحفظ عليه ماله لأن الساقط من النخل عادة يترك ويفسد إذا لم يلتقطه لاقط. أما أن يمسح النبى ﷺ على رأس الطفل الجائع المخطئ والدعاء له فهذا غاية الشفقة والرحمة وحسن القضاء[1].

أيها الوالد الكريم، أيتها الأم الحنون

علينا ألا نتسرع فى عقاب الأبناء على ما يرتكبونه من أخطاء، ولنبدأ بالتعريف ثم الوعظ اللطيف لأن التسرع قد يجعلنا نظلم أبناءنا دون أن نشعر، فالرفق الرفق رحمكم الله، وليكن التعليم والتفهيم طريقنا الأول فى علاج أخطاء أبنائنا، وليكن لنا فى القصة التالية عبرة: «روى إبراهيم النخعى أن عمر بن الخطاب ﷺ رأى رجلا يصلى مع النساء، فضربه بالدرة، فقال الرجل: والله لئن كنت أحسنت فقد ظلمتنى، وإن كنت أسأت فما علمتنى، فقال عمر: اقتص، قال الرجل: لا أقتص، قال عمر: فاعف، قال الرجل: لا أعفو، فافترقا على ذلك، ثم لقيه عمر من الغد، فتغير لون عمر، فقال له الرجل: يا أمير المؤمنين، أرى ما كان منى قد أسرع فيك (يعنى: أثر فيك) قال عمر: أجل، فقال الرجل: فاشهد أنى قد عفوت عنك»[2].

سؤال ذكى وعلاج تربوي:

المربى الناجح هو من يعالج أخطاء أبنائه دون أن يجرح مشاعرهم، وعندما تسأل ابنك عن خطأ فعله أمام الآخرين فإنك تسبب له إحراجًا، وفى الغالب لا تنجح فى علاج خطئه بهذه الطريقة، لكنك عندما تحاوره على انفراد وتناقشه فيما ارتكب من أخطاء، فإنك تمد جسور الود والحب بينكما، كما تساعده على تصحيح ما ارتكبه من

(١) العشرة الطيبة مع الأولاد وتربيتهم، ص١١٧.
(٢) المهذب ٢/ ٣٣١.

أخطاء، ولقد استخدم حبيبنا محمد ﷺ هذا الحوار الودى بطريقة غاية فى الروعة والجمال، إذ لم يكتف ﷺ بالحوار مع المخطئ على انفراد، بل سأله سؤالاً ذكيًا يبدو للسامع أنه استفسار لكنه مليء باللوم والعتاب الرقيق، مما يجعل المخطئ يشعر بالندم على خطئه، ويقرر ألا يعود إليه أبدًا، فها هو الصحابى الجليل خوات بن جبير[(١)] رضي الله عنه يحكى عن نفسه فيقول: أسلمت وهاجرت إلى النبى ﷺ، فبينما أنا فى بعض طريق المدينة، إذا أنا ببغى من بغايا الجاهلية قد كانت لى خلا (صديقة) فحجبنى إسلامى عنها، ودعتنى نفسى إليها، فلم أزل ألتفت إليها حتى تلقانى جدار بنى جذرة (صدمه الجدار) فسالت الدماء وهشم وجهى، فأتيت النبى ﷺ على تلك الحالة، فقال: **مهيم** (يعنى: إيه، ماذا حدث لك) فأخبرته، فقال ﷺ: «**فلا تعد، إن الله عز وجل إذا أراد بعبد خيرًا عجل له عقوبته فى الدنيا**»[(٢)]. وبعد هذا الموقف بأيام يكرر خوات بن جبير نفس الخطأ لكن بصورة مختلفة، فقد روى الطبرانى أن خوات بن جبير رضي الله عنه قال: نزلنا مع رسول الله ﷺ مر الظهران، قال: فخرجت من خبائى فإذا أنا بنسوة يتحدثن، فأعجبننى، فرجعت فاستخرجت عيبتى فاستخرجت منها حلة فلبستها، وجئت فجلست معهن، وخرج رسول الله ﷺ من قبته فقال: «**أبا عبد الله، ما يجلسك معهن؟**» فلما رأيت رسول الله ﷺ هبته، واختلطت قلت: يا رسول الله، جمل لى شرد فأنا ابتغى له قيدًا، فمضى واتبعته، فألقى إلى رداءه ودخل الأراك كأنى أنظر إلى بياض متنه فى خضرة الأراك، فقضى حاجته وتوضأ فأقبل ظاهرًا (راجعًا) يسيل من لحيته على صدره أو قال يقطر من لحيته على صدره فقال ﷺ: «**أبا عبد الله، ما فعل شراد**

---

(١) (خوات بن جبير أخوه عبد الله بن جبير أمير الرماة يوم أحد، أسلم خوات وخرج مع رسول الله ﷺ إلى بدر فأصابه بالروحاء حجرٌ فكسر فرده النبى ﷺ إلى المدينة وضرب له بأجره وبسهمه فكان كمن شهدها. وذكر البخارى فى تاريخه عن ابن عيينة أنه شهد بدرًا، وقد شهد أحدًا والمشاهد بعدها مع رسول الله ﷺ، قال الواقدى وغيره: مات خوات بن جبير بالمدينة فى سنة أربعين وهو بن أربع وسبعين سنة) انظر: البدء والتاريخ ٥/ ١١٩، والمنتظم ٥/ ١٦٩-١٧٢، والإصابة فى تمييز الصحابة ٢/ ٣٤٦، ٣٤٧، والطبقات الكبرى ٣/ ٤٧٧.

(٢) انظر: المنتظم ٥/ ١٦٩-١٧٢ ، وقال ﷺ: «**إن الله جل وعلا إذا أراد بعبد خيرا عجل عقوبة ذنبه وإذا أراد بعبد شرًا أمسك عليه ذنبه حتى يوافى (به) يوم القيامة كأنه عائر**» (انظر: صحيح ابن حبان ٧/ ١٧١، وسنن أبى يعلى ٧/ ٢٤٧، ومسند أحمد ٤/ ٨٧).

جملك؟» ثم ارتحلنا، فجعل لا يلحقنى فى المسير إلا قـال: «**السلام عليك أبا عبد الله، ما فعل شراد ذلك الجمل؟**» فلما رأيت ذلك تعجلت إلى المدينة واجتنبت المسجد والمجالسة إلى النبى ﷺ، فلما طال ذلك تحينت ساعة خلوة المسجد فأتيت المسجد فقمت أصلى، وخرج رسول الله ﷺ من بعض حجره فجأة، فصلى ركعتين خفيفتين وطولت رجـاء أن يذهب ويدعنى، فقال: «**طوِّل أبا عبد الله ما شئت أن تطول فلست قائمًا حتى تنصرف**»، فقلت فى نفسى: والله لأعتذرن إلى رسول الله ﷺ ولأبرئن صدره، فلما قال: «**السلام عليك أبا عبد الله ما فعل شراد ذلك الجمل؟**» فقلت: والذى بعثك بالحق ما شـرد ذلـك الجمل منذ أسلمت، فقال ﷺ: «**رحمك الله ثلاثًا، ثم لم يعد لشيء مما كان**»[1].

❊ ❊ ❊

(١) المعجم الكبير للطبرانى ٤/ ٢٠٣، وتهذيب الكمال ٨/ ٣٤٩.

عــلاج يحترم المشـــاعر

كان النبى ﷺ لا يواجه أحدًا من المسلمين بمكروه، حتى إن رأى أو سمع منه ما يكره، وكان ﷺ لا يتسرع فى علاج الخطأ الذى يقع أمام عينيه، بل كان ينتظر أحيانًا ولا يعالج الخطأ ساعة وقوعه، ثم يتحدث مع المسلمين فى حضور المخطئ قائلا: ما بال أقوام يقعون فى خطأ كذا، ثم يرشدهم ﷺ إلى كيفية علاج هذا الخطأ، ولم يكن ﷺ يقول: ما بال فلان فعل كذا وكذا، بل كان يوجه الخطاب للجميع وينصحهم نصيحة جماعية، وبهذه الطريقة يعالج الخطأ دون توبيخ المخطئ أو فضحه على الملأ، وهذا من عظيم خلقه ﷺ[(١)] روى البخارى وأبو داود والنسائى وابن ماجه عن أنس ابن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما بال أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء فى صلاتهم**، فاشتد قوله فى ذلك حتى قال: **لينتهن عن ذلك أو لتخطفن أبصارهم**».[(٢)] وروى أبو داود وأبو يعلى عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: دخل رسول الله ﷺ إلى المسجد، فرأى ناسًا يصلون رافعى رؤوسهم إلى السماء فقال: «**لينتهين رجال يشخصون بأبصارهم إلى السماء، أو لا ترجع إليهم**» [(٣)]. إن الخشوع أساس الصلاة، ولما كان رفع البصر إلى السماء ينافى الخشوع، حرمه النبى ﷺ وتوعد عليه، لكنه ﷺ لم يفضح من رآهم يرتكبون هذا الخطأ، إنما نصحهم وزجرهم بطريقة تحفظ كرامتهم ولا تقلل من شأنهم[(٤)].

ولقد فهم الصحابة الدرس جيدًا، واستخدموا هذا العلاج النبوى الكريم فبدلاً من إحراج المخطئ أمام الآخرين، استخدموا معه طريقة ما بال أقوام، روى الإمام مسلم عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: بينما عمر بن الخطاب يخطب الناس يوم الجمعة، إذ دخل عثمان بن عفان فعرض به عمر، فقال: ما بال رجال يتأخرون بعد النداء (يعنى:

---

(١) نيل الأوطار ٢/ ٢٠٥، وفتح البارى ٩/ ١٠٥، وشرح النووى على صحيح مسلم ٩/ ١٧٦، بتصرف.
(٢) رواه البخارى وأبو داود والنسائى وابن ماجه، انظر: الترغيب والترهيب ١/ ٢٠٦.
(٣) سنن أبى داود ١/ ٢٠٦، ومسند أبى يعلى ١٣/ ٤٦٢.
(٤) مجموع فتاوى ابن تيمية ٢٢/ ٥٥٨، بتصرف.

بعد الأذان بين يدى الخطيب) فقال عثمان: يا أمير المؤمنين ما زدت حين سمعت النداء أن توضأت ثم أقبلت، فقال عمر: والوضوء أيضا؟ ألم تسمعوا رسول الله ﷺ يقول: «**إذا جاء أحدكم إلى الجمعة فليغتسل**»[١]. ومراد سيدنا عمر ﷺ من قوله: ما بال رجال يتأخرون بعد النداء، التلميح إلى ساعات التبكير التى وقع الترغيب فيها، وأنها إذا انقضت طوت الملائكة الصحف، وهذا من أحسن التعريضات وأرشق الكنايات، ولقد فهم سيدنا عثمان ﷺ ذلك فبادر إلى الاعتذار عن التأخر قائلاً: يا أمير المؤمنين ما زدت حين سمعت النداء أن توضأت ثم أقبلت، وهذا معناه أنه لم يشتغل بشيء بعد أن سمع النداء إلا بالوضوء، وهذا يدل على أنه دخل المسجد فى ابتداء شروع عمر فى الخطبة، واعتذار سيدنا عثمان معناه أنه لم ينتبه للوقت إلا عندما سمع الأذان فبادر إلى الوضوء، ثم أتى المسجد مسرعًا، وفى هذا الحديث نرى تفقد الإمام رعيته، وأمره لهم بمصالح دينهم، وإنكاره على من أخل بالفضل وإن كان عظيم المحل، ومواجهته بالإنكار ليرتدع من هو دونه بذلك، وأن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى أثناء الخطبة لا يفسدها[٢].

أيها الوالد الكريم، أيتها الأم الحنون

عندما يقع أبناؤنا فى الأخطاء ويرتكبون المحظورات علينا أن نجرب معهم هذا العلاج النبوى الكريم، سواء رأينا الخطأ بأنفسنا أو أبلغنا غيرنا به، عندما تشاهد ابنك يشتم زميله مثلا، حاول جاهدًا أن تكظم غيظك، ولا تتحدث معه فى حينها، لكن أجل العلاج واستخدم معه طريقة ما بال أقوام، وعندما يخبرك من تثق فيه أن ابنك يشرب الدخان، لا تتعجل فى مهاجمة ابنك، وعالج الخطأ بطريقة ما بال أقوام، فلقد روى أبو داود عن السيدة عائشة رضى الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا بلغه عن الرجل الشيء، لم يقل: ما بال فلان يقول، ولكن يقول: **ما بال أقوام يقولون**»[٣].

(١) صحيح مسلم ٢/ ٥٨٠.
(٢) فتح البارى ٢/ ٢٥٩، ٢٦٠.
(٣) فتح البارى ٦/ ٥٧٥.

والموقف التالى خير مثال على ذلك، روى الإمام مسلم وابن حبان فى صحيحهما عن أنس ﷺ أن نفرًا من أصحاب النبى ﷺ سألوا أزواج النبى ﷺ عن عمله فى السر (وفى رواية: فكأنهم تقالوها يعنى استقلوا عبادة النبى ﷺ) فقال بعضهم: لا أتزوج النساء، وقال بعضهم: لا آكل اللحم، وقال بعضهم: لا أنام على فراش (فبلغ ذلك النبى ﷺ فقام) فحمد الله وأثنى عليه فقال: «**ما بال أقوام قالوا كذا وكذا، لكنى أصلى وأنام، وأصوم وأفطر، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتى فليس مني**»[١]، فالنبى ﷺ بهذه الطريقة أرشد المخطئين ونصح جميع السامعين، وعلمهم ضرورة الالتزام بسنته ﷺ.

الفضيحة ليست نصيحة:

إن العلاج غير المباشر يدفع المخطئ إلى تغيير الخطأ وهو مسرور، ولم لا وقد احترمنا مشاعره وحافظنا على كرامته، ولأن الطرق غير المباشرة مهمة جدًا فى علاج الأخطاء فإن النبى ﷺ لم يكتف بطريقة ما بال أقوام، بل استخدم طريقة أخرى وهى انصح صاحبك، فقد روى الإمام النسائى وأبو يعلى عن أنس أن رجلاً دخل على رسول الله ﷺ ومعه أصحابه وعليه أثر صفرة (وفى رواية: فكرهها رسول الله ﷺ وكان لا يواجه رجلاً فى وجهه بشيء يكرهه» فلما قام قال لرجل من أصحابه لو أمرتم هذا أن يدع هذا (يعنى الصفرة))»[٢] واقتداء بالنبى ﷺ علينا أن نحاول علاج أخطاء أبنائنا بطريقة انصح صاحبك، وذلك بعدم النصح المباشر لأبنائنا، ثم نطلب من أحد أصدقائه الطيبين أو معلمه الصالح أو مؤدبه الكريم أن ينصحه بتغيير ما نراه ضارًا، بشرط ألا يخبره أننا طلبنا منه ذلك، والله ولى التوفيق.

القارورة السوداء حيرت الآباء:

حدث موقف غريب لأحد المعلمين، حيث لاحظ على أحد الطلاب، دون أن يشعر الطالب رائحة دخان، تنبعث منه، فاتخذ الإجراءات التالية على الفور:

(١) صحيح مسلم ٢/ ١٠٢٠، وصحيح ابن حبان ١/ ١٩٠.
(٢) السنن الكبرى (للنسائى) ٦/ ٦٨، ومسند أبي يعلى ٧/ ٢٦٤.

أولاً: قال المعلم لطلاب الفصل بمن فيهم شارب الدخان: سنقوم باختبار تجريبى يا طلاب، سؤال منه قد يكون فى الاختبار النصفى للترم الأول.

ثانيًا: لكى يكون الاختبار جديًا فسوف يخرج الطلاب شنطهم خارج الفصل، ويتولى الطالب فلان جمع الشنط وإخراجها من الفصل.

ثالثًا: أعطاهم أسئلة الاختبار، ثم قال لهم: سأترككم لوحدكم لأثبت لكم ثقتى فيكم.

رابعًا: خرج من الفصل وتوجه نحو الشنط، وبحذر شديد فتش شنطة الطالب الذى شم منه الرائحة فوجد فيها علبة الدخان، فأخذها من الشنطة ثم عاد إلى الفصل.

خامسًا: وفى الحصة التى بعدها نظر المعلم إلى ذلك الطالب نظرات حانية، ثم قام بعرض علبة الدخان دون الإشارة إلى صاحبها، وحدث التلاميذ عن ضررها، وقال: هيا بنا نرى ضررها عمليًا، ثم وضعها أمامهم فى قارورة ماء، وطلب من أحد التلاميذ إنزالها المختبر، وقام بالتنسيق مع معلم المختبر واتفق معه على أن يذهب طالبان أو ثلاثة من طلاب هذا الفصل إلى المختبر كل يوم لرؤية قارورة الدخان ثم يعودوا لوصف حالة الماء لبقية الفصل، وبعد أسبوع والأسبوع الآخر اسودت قارورة الماء بشدة، وهنا جاء الدور على ذلك الطالب المدخن، فشاهد القارورة السوداء ووصفها وصفًا مقززًا، وعندها جاء للمعلم واعتذر إليه اعتذارًا حارًا، وشكره شكرًا عميقًا أن تاب الله عليه من الدخان وعلى ستر المعلم له[1].

عندما تكون الحكاية علاجًا:

ما أجمل أن نكظم غيظنا عندما يخطئ أبناؤنا ولا نواجههم مباشرة بما فعلوه، وبعد فترة نحكى لهم حكاية تمس ما فعلوه، فمن يبخل مثلاً على إخوته وأقاربه وزملائه

(١) هل للانضباط مردود http: //67.18.239.93/vb/archive/index.php/t-7573

والمساكين بشيء نحكى لهم قصة الرقاقتان وبينهما الحلوى، فعن أحمد بن مسكين[1] الفقيه البغدادى قال: امتُحنت بالفقر سنة تسع عشرة ومائتين، وانحسمت مادتى وقحط منزلى قحطًا شديدًا جمع علىَّ الحاجة والضر والمسكنة، وجاء يوم صحراوى (حار) كأنما تطلع شمسه من بين الرمل لا من بين السحب، ومرت الشمس على دارى فى بغداد مرورها على الورقة الجافة المعلقة فى الشجرة الخضراء، فلم يكن عندنا شيء يسيغه حلق آدمى، إذ لم يكن فى الدار إلا ترابها وحجارتها وأجذاعها، ولى امرأة ولى منها طفل صغير، وقد طوينا (بتنا) على جوع يخسف بالجوف خسفًا كما تهبط الأرض، فتمنيت حينئذ لو كنا جرذانًا (فئرانًا) فنقرض الخشب، وكان جوع الصبى يزيد المرأة ألما إلى جوعها، وكنت بهما كالجائع بثلاث بطون خاوية، وجمعت نيتى على بيع الدار والتحول عنها، ثم خرجت لصلاة الفجر، ولما قضيت الصلاة رفع الناس أكفهم يدعون الله تعالى، وجرى لسانى بهذا الدعاء: «اللهم بك أعوذ أن يكون فقرى فى دينى، أسألك النفع الذى يصلحنى بطاعتك، وأسالك بركة الرضا بقضائك، وأسالك القوة على الطاعة والرضا يا أرحم الراحمين..»

ثم جلست أتأمل شأنى وأطلت الجلوس فى المسجد كأنى لم أعد من أهل الزمن فلا تجرى علىَّ أحكامه حتى إذا ارتفع الضحى وابيضت الشمس جاءت حقيقة الحياة، فخرجت أتسبب لبيع الدار، وما سرت غير بعيد حتى لقينى أبو نصر الصياد وكنت أعرفه قديمًا، فقلت: يا أبا نصر: أنا علىَّ بيع الدار، فقد ساءت الحال وأحوجت الخصاصة، فأقرضنى شيئًا يمسكنى على يومى هذا بالقوام من العيش حتى أبيع الدار وأوفيك، فقال: يا سيدى، خذ هذا المنديل إلى عيالك، وأنا على أثرك إلى المنزل، ثم ناولنى منديلاً فيه رقاقتان بينهما حلوى.

قال أحمد بن مسكين: وأخذت الرقاقتين وانطلقت على بركة الله إلى دارى، فلما كنت فى الطريق لقيتنى امرأة معها صبى، فنظرت إلى المنديل وقالت: يا سيدى هذا طفل يتيم جائع ولا صبر له على الجوع، فأطعمه شيئًا يرحمك الله، ونظر إلىَّ الطفل

(١) أحمد بن مسكين: فقيه بغداد تتلمذ على يد أحمد بن حنبل وبشر الحافى وغيرهما.

نظرة لا أنساها، حسبت فيها خشوع ألف عابد، يعبدون الله تعالى منقطعين عن الدنيا بل ما أظن ألف عابد يستطيعون أن يروا الناس نظرة واحدة كـالتى تكـون فـى عـين صبى يتيم جائع يسأله الرحمة، إن شدة الهم لتجعل وجوه الأطفال كوجوه القديسـين، فى عين من يراها مـن الآبـاء والأمهـات لعجـز هـؤلاء الصـغار عـن الشـر الآدمـى وانقطاعهم إلا من الله والقلب الإنسانى، فيظهر وجه أحـدهم وكأنـه يصـرخ بمعانيـه يقول: يا رباه يا رباه..

قال أحمد بن مسكين: وخيل إلىَّ أن الجنة نزلت إلى الأرض تعـرض نفسـها علـى من يشبع هذا الطفل وأمه، والناس عمى لا يبصرونها، وكأنهم يمـرون بهـا فـى هـذا الموطن مرور الحمير بقصر الملك، لو سُئلت فضلت عليـه الاصـطبل الـذى هـو فيـه، وتذكرت امرأتى وابنها وهما جائعان منذ أمس، لكنـى آثـرت اليتـيم وأمـه عليهمـا، ودفعت ما فى يدى للمرأة وقلت لها: خذى وأطعمى ابنك، والله ما أملك بيضاء ولا صفراء، وإن فى دارى لمن هو أحوج إلى هذا الطعام، ولـولا هـذه الحاجـة الملمـة بـى لتقدمت فيما يصلحك، فدمعت عيناها، وأشرق وجه الصبى ولكن طم على قلبى ما أنا فيه فلم أجد للدمعة معنى الدمعة، ولا البسمة معنى البسمة، ومشيت وأنا منكسـر منقبض، وكانت الشمس قد انبسطت فى السماء وذلك وقت الضحى الأعلى، فملت ناحية وجلست إلى حائط أفكر فى بيع الدار ومن يبتاعها، فأنا كـذلك إذ مـر بـى أبـو نصر الصياد وكأنه مستطار فرحا، فقال: يا أبا محمد، ما يجلسك ههنا وفى دارك الخـير والغنى؟ قلت: سبحان الله، ماذا حدث؟ فقال أبو نصر: إنى لفى الطريق إلى منزلـك، ومعى ضرورة من القوت أخذتها لعيالك، ودراهـم اسـتدنتها لـك، إذا رجـل يسـأل الناس عن أبيك أو أحد أهله، ومعه أثقال وأحمال، فقلت له: أنا أدلك، ومشيت معـه أسأله عن خبره وشأنه مع أبيك، فقال: إنه تاجر من البصرة وقد كان أبوك أودعه مالاً من ثلاثين سنة، فأفلس وانكسر المال، ثم ترك البصرة إلى خراسان فصلح أمـره علـى التجارة هناك، وأيسر بعد المحنة، فعاد إلى البصرة، وأراد أن يتحلل من الدين، فجـاءك بالمال وعليه ما كان يربحه فى الثلاثين سنة، وفوق المال جاء بالطرائف والهدايا.

قال أحمد بن مسكين: وعدت إلى دارى فوجدت مالاً جمًا وحـالاً جمـيلاً، فقلـت:

سبحان الله، لو أن هذا الرجل لم يقابل أبا نصر الصياد فى هذه الطريق، فى هذا اليوم، فى هذه الساعة، لما اهتدى إلىَّ، فقد كان أبى مغمورًا لا يعرفه أحد وهو حى، فكيف به ميتًا منذ عشرين سنة؟ وأقسمت ليعلمن الله شكرى هذه النعمة، فلم تكن لى همة إلا البحث عن المرأة المحتاجة وابنها فكفيتهما وأجريت عليها رزقًا، ثم اتجرت فى المال، وجعلت أنفقه بالمعروف والإحسان وهو مقبل يزداد ولا ينقص، وكأنى قد أعجبتنى نفسى، وسرنى أنى قد ملأت سجلات الملائكة بحسناتى، ورجوت أن أكون قد كتبت عند الله من الصالحين، فنمت ليلة فرأيتنى فى يوم القيامة والقوم يموج بعضهم فى بعض، والهول هول الكون الأعظم على الإنسان الضعيف، وسمعت الصائح يقول: سجدت البهائم شكرًا لله أنه لم يجعلها من بنى آدم، ورأيت الناس وقد وسعت أبدانهم فهم يحملون أوزارهم على ظهورهم مخلوقة مجسمة، حتى كأن الفاسق على ظهره مدينة كلها مخزيات.

وقيل: وضعت الموازين، وجيء بى لوزن أعمالى، فجعلت سيئاتى فى كفة وألقيت سجلات حسناتى فى الأخرى فطاشت السجلات ورجحت السيئات، كأنما وزنوا الجبل الصخرى العظيم الضخم أمام لفافة من القطن، ثم جعلوا يلقون الحسنة بعد الحسنة مما كنت أصنعه، فإذا تحت كل حسنة شهوة خفية من شهوات النفس: كالرياء والغرور وحب المحمدة عند الناس وغيرها، فلم يسلم لى شيء، وهلكت عنى حجتى، إذ الحجة ما يبنيه الميزان، والميزان لم يدل إلا على أنى فارغ، وسمعت الصوت: ألم يبق له شيء؟ فقيل: بقى هذا، وأنظر لأرى ما هذا الذى بقي؛ فإذا الرقاقتان اللتان أحسنت بهما على المرأة وابنها، فأيقنت أنى هالك فلقد كنت أُحسن بمائة دينار دفعة واحدة فما أغنت عنى، ووضعت الرقاقتان، وسمعت القائل: لقد طار نصف ثوابهما فى ميزان أبى نصر الصياد فانخذلت انخذالاً شديدًا، حتى لو كُسرت نصفين لكان أخف علىَّ وأهون، بيد أنى نظرت فرأيت كفة الحسنات قد نزلت درجة ورجحت بعض الرجحان، وسمعت الصوت: ألم يبق له شيء؟ فقيل: بقى هذا، وأنظر ما هذا الذى بقى، فإذا جوع امرأتي وولدى فى ذلك اليوم، وإذا هو شيء يوضع فى الميزان، وإذا هو ينزل بكفة ويرتفع بالأخرى حتى اعتدلتا بالسوية، وثبت

الميزان على ذلك، فكنت بين الهلاك والنجاة. وأسمع الصوت: ألم يبق له شيء؟ فقيل: بقى هذا، ونظرت فإذا دموع تلك المرأة المسكينة حين بكت من أثر المعروف فى نفسها، ومن إيثارى إياها وابنها على أهلى ووضعت غرغرة عينيها فى الميزان ففارت كأنها أمواج البحر، وجعلت تعظم ولا تزال تعظم، وكفة الحسنات ترجح ولا تزال ترجح، حتى سمعت الصوت يقول: قد نجا.[1]

أيها الوالد الكريم، أيتها الأم الحنون

إن علاج أخطاء الأبناء بطريقة غير مباشرة مهم جدًا..» ولهذا الأسلوب الكثير من الفوائد التربوية منها:

١- يحترم شخصية الطفل، ويحافظ على مكانته عند إخوانه وأصحابه فلا يقل شأنه ومرتبته عندهم، وبهذه الطريقة نحمى الطفل من الإحباط أمام الآخرين، والذى ينتج عنه العديد من الأمراض النفسية المعقدة.

٢- يؤدى إلى زيادة روابط الثقة والمحبة بين الوالدين والطفل، لأن الطفل يحس بالطمأنينة والارتياح النفسى إذا عالج أحد الوالدين خطأه دون أن يذكراه أمام الناس أو أمام أصدقائه وإخوانه، وهذا بدوره يزيد استعداده النفسى والفكرى لتصحيح خطئه.

٣- هذا الأسلوب يصحح أخطاء يقع فيها أطفال آخرون، ربما يكونون إخوان الطفل أو زملائه، فمثلا عندما يقول المربى: «ما بال أقوام يغتابون الناس؟» فلعل هناك أطفال آخرين من إخوان من يقصده أو أصحابه واقعين فى الغيبة، فينتبه هؤلاء هم والمقصودون إلى خطئهم فيعالجونه، وبهذا ينتفع جميع السامعين»[2].



(١) وحى القلم ٢ / ١٣٥ - ١٤٢، بتصرف.
(٢) من أساليب الرسول فى التربية، ص٣٠، بتصرف.

علاج سريع، ويناسب الجميع

قلنا فيما مضى أن النبى ﷺ كان يؤجل علاج الأخطاء للوقت المناسب فلا يواجه المخطئ بما فعل بل ينصح بصورة لطيفة دون إحراج ولا تجريح، لكن بعض الأخطاء ينبغى أن تعالجًا فى حينها دون تأجيل أو تأخير، وفى هذه الحالة يعتبر التوجيه المباشر للمخطئ علاجًا سريعًا وفعالاً، والتوجيه المباشر يكون بالأمر اللطيف أو النهى غير العنيف، وهذا بالضبط ما فعله نبينا الكريم ﷺ؛ إذ شاهد ﷺ بعض الأخطاء التى يقع فيها الأطفال، فعالجها النبى ﷺ فى حينها، دون تأجيل ولا تأخير وبأسلوب تربوى جميل، روى البخارى ومسلم عن عمر بن أبى سلمة[1] رضى الله عنهما قال: كنت غلامًا فى حجر النبى ﷺ (يعنى تحت رعايته ﷺ) فكانت يدى تطيش فى الصحفة (يعنى يده كانت تتحرك فى قصعة الطعام هنا وهناك) فقال لى رسول الله ﷺ: «**يا غلام، سمِّ الله، وكُلْ بيمينك، وكل مما يليك**، فما زالت طعمتى بعد» وفى رواية أبى داود والترمذى وابن حبان كان النبى ﷺ من دعا عمر بن أبى سلمة إلى الأكل، وذلك بقوله ﷺ: «**ادْنُ يا بنى، فسم الله، وكل بيمينك، وكل مما يليك**»[2]. ولقد تأثر الفتى الصغير بهذه الدعوة النبوية الرقيقة مما شجعه على الالتزام بآداب الطعام التى أمره بها حبيبه ﷺ، ولم يلتزم بهذه الآداب يومًا ولا شهرًا ولا سنة بل التزم بها طوال حياته، والدليل على ذلك قوله: فمازالت طعمتى بعد، يعنى: ما زلت آكل بهذه الطريقة وألتزم بهذه الآداب من يومها.

وكما أكل النبى ﷺ مع الصغار فقد تناول الطعام مع الكبار، ولأن الخطأ لا يقتصر على الصغار وحدهم، فقد شاهد المعلم الكريم ﷺ بعض أخطاء الكبار أثناء تناول الطعام، فعالجها بسرعة دون تأخير، واستخدم نفس الدواء وهو التوجيه

(١) عمر بن أبى سلمة، صحابى جليل، ولد فى السنة الثانية من الهجرة بأرض الحبشة، وبعد أن مات أبوه (ابو سلمة ﷺ) تزوج النبى ﷺ أمه السيدة أم سلمة المخزومية أم المؤمنين رضى الله عنها، وقيل إنه كان يوم توفى الرسول الكريم ﷺ ابن تسع سنين، انظر: الاستيعاب فى معرفة الأصحاب ٨/ ٢٤٧.
(٢) حديث صحيح: انظر صحيح الجامع ٢٥١.

المباشر، روى الترمذى وابن ماجه عن عكراش بن ذؤيب ﷺ قال: بعثنى بنو مرة ابن عبيد بصدقات أموالهم إلى رسول الله ﷺ فقدمت عليه المدينة، فوجدته جالسًا بين المهاجرين والأنصار، قال: ثم أخذ بيدى فانطلق بى إلى بيت أم سلمة، فقال: «**هل من طعام؟**» فأتينا بجفنة (بقصعة الطعام) كثيرة الثريد والوذر، وأقبلنا نأكل منها، فخبطت بيدى من نواحيها وأكل رسول الله ﷺ من بين يديه، فقبض بيده اليسرى على يدى اليمنى ثم قال: «**يا عكراش، كل من موضع واحد فإنه طعام واحد**»، ثم أتينا بطبق فيه من ألوان الرطب، قال: فجعلت آكل من بين يدى، وجالت يدى رسول الله ﷺ فى الطبق وقال: «**يا عكراش، كل من حيث شئت، فإنه غير لون واحد**»(١).

وعلى النهج النبوى المبارك سار الصحابة الكرام عليهم رضوان الله، إذ تناولوا الطعام مع الصغار فى جو من الحب والود والاحترام وشاهدوا بعض الأخطاء فعالجوها بنفس العلاج الذى استخدمه حبيبهم محمد ﷺ، روى الطبرانى عن جعفر ابن عبد الله قال: رآنى الحكم -قال الغفاري- وأنا آكل، وأنا غلام من ههنا وههنا، فقال: يا بنى، لا تأكل هكذا، هكذا يأكل الشيطان، ثم إن رسول الله ﷺ كان إذا وضع يده فى القصعة أو فى الإناء لم تجاوز أصابعه موضع كفه(٢).

تعددت الأمراض والدواء واحد:

لكل داء دواء لكن الدواء السريع (التوجيه المباشر) يناسب الكثير من الأمراض السلوكية، ويعالج العديد من أخطاء الأبناء بشرط أن يعطى للمريض برفق تام، حتى يستوعبه عقله ويتقبله قلبه، والسؤال الذى يطرح نفسه الآن: **متى نستخدم التوجيه المباشر فى علاج أخطاء أبنائنا؟**

أولاً: الخطر يدعو للحذر:

العلاج السريع (بالتوجيه المباشر) يكون ضروريًا جدًا عند وجود خطر يهدد بعض الأبناء، كأن يتشاجر أحدهم مع الآخر ويمسك بخشبة أو بحديدة قد تؤذى أخاه،

---

(١) سنن الترمذى ٤/ ٢٨٣، وسنن ابن ماجه ٢/ ١٠٨٩.

(٢) المعجم الكبير للطبرانى ٣/ ٢١٢.

فهنا ينبغى التدخل الفورى من الوالدين لمنع تفاقم الأوضاع، وذلك بأخذ العصا أو نهى حاملها وأمره بالتخلى عنها، ومن الحالات التى ينبغى على الوالدين استخدام العلاج السريع فيها: اقتراب الصغير من الموقد أثناء اشتعاله، أو لعبه بمسدس فيه طلقات بلاستيكية صغيرة قد تؤذى الآخرين، ويزيد هذه المسألة وضوحًا ما رواه البخارى عن جابر بن عبد الله أنه قال: مر رجل فى المسجد ومعه سهام، فقال له رسول الله ﷺ: «**أمسك بنصالها**»[١] وذلك حتى لا يؤذى أحدًا أثناء مروره بين الناس.

ومن الأفعال التى قد تمثل خطرًا على أبنائنا الخذف، وهو رميك حصاة أو نواة تأخذها بين سبابتك وإبهامك وترمى بها، أو تتخذ مخذفة من خشب أو جلد (قطعة خشب فيها فجوة يوضع فيها الحجر، ويقذف منها، او قطعة من الجلد تشبه النبلة) ترمى بها الحصاة أو النواة[٢]، وبما أن الخذف قد يمثل خطرًا على الآخرين، لذا وجب الإسراع فى نهى من يمارسه من أبنائنا وتلامذتنا حتى لا يصاب أحد الناس بأذى، ولقد فهم الصحابة رضى الله عنهم هذا الأمر جيدًا وطبقوه تطبيقًا عمليًا رائعًا، فقد روى الإمام مسلم وابن ماجة (واللفظ له) عن عبد الله بن مغفل ﷺ أنه كان جالسا إلى جنبه ابن أخ له فخذف فنهاه (عبد الله) وقال: إن رسول الله ﷺ نهى عنها وقال: «**إنها لا تصيد صيدًا ولا تنكى عدوًا، وإنها تكسر السن وتفقأ العين**»، قال عبد الله: فعاد بن أخيه يخذف، فقال (له): أحدثك أن رسول الله ﷺ نهى عنها ثم عدت تخذف، لا أكلمك أبدا[٣].

وعندما نتكلم عن استخدام العلاج السريع عند وجود الأخطار، لا نقصد تلك التى تهدد الإنسان وحده، بل التى تهدد الحيوان أيضًا، فعندما تشاهد ابنك يؤذى طائرًا أو حشرة أو حيوانًا، ينبغى عليك أن تستخدم العلاج السريع، لتبعد الخطر عن هذا المخلوق الضعيف، وقدوتك فى ذلك الصحابى الجليل عبد الله بن عمر، فقد روى البخارى ومسلم عن ابن عمر رضى الله عنهما أنه مر بفتيان من قريش قد

(١) البخارى ١/ ١٧٣.
(٢) النهاية فى غريب الحديث ٢/ ١٦، ولسان العرب ٩/ ٦١.
(٣) انظر: صحيح مسلم ٣/ ١٥٤٨، وسنن ابن ماجه ١/ ٨.

نصبوا طيرًا أو دجاجة يترامونها، وقد جعلوا لصاحب الطير كل خاطئة من نبلهم، فلما رأوا ابن عمر تفرقوا، فقال ابن عمر: من فعل هذا؟ لعن الله من فعل هذا، إن رسول الله ﷺ لعن من اتخذ شيئًا فيه الروح غرضًا»[1].

ثانيًا: السكوت هنا حرام:

روى الترمذى والبيهقى وأحمد والدارقطنى وأبو داود (واللفظ له) عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين وأضربوهم عليها وهم أبناء عشر، وفرقوا بينهم فى المضاجع**»[2]، وانطلاقًا من هذا التوجيه النبوى الكريم قال الفقهاء: «إن من الواجب الشرعى على ولى أمر الطفل، (سواء كان أبًا أو جدًا أو وصيًا أو قيمًا من جهة القاضي) أن يأمر بالصلاة عند تمامه لسبع سنين، يعنى فى أول العام الثامن من عمره، ويضربه على تركها إذا أتم عشر سنوات، ويبدأ فى العام الحادى عشر، وإذا لم يقم ولى أمر الطفل بهذا الواجب كان عاصيًا لله تعالى».[3] ولا يظن بعض الآباء أن المطلوب هو أن تأمر ابنك بالصلاة وتضربه عليها فحسب، لأن المطلوب هو تعليمهم فقه الطهارة والصلاة طوال ثلاث سنوات، وذلك من بداية العام الثامن وحتى بداية العام الحادى عشر، ويؤكد هذا الأمر ما رواه البيهقى عن النبى ﷺ أنه قال: «**علموا صبيانكم الصلاة فى سبع سنين، وأدبوهم عليها فى عشر سنين، وفرقوا بينهم فى المضاجع**»[4]، وأخرج أحمد والطبرانى عن أبى الجوزاء قال: قلت للحسن بن على ما حفظت من النبى ﷺ؟ قال: الصلوات الخمس.[5] ولقد أكد الحسن بن على رضى الله عنهما، على تعليم الفقه للأبناء فقال: إن معنى قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ**﴾ [التحريم: ٦] هو

(١) انظر: الترغيب والترهيب ٣/ ١٤٣، والغرض هو ما ينصبه الرماة يقصدون إصابته بالحجارة أو السهام أو غيرها.

(٢) سنن أبو داود ١/ ١٣٣، وسنن البيهقى الكبرى ٢/ ٢٢٩، ومسند أحمد ٢/ ١٨٧، وسنن الدارقطنى ١/ ٢٣٠، وسنن الترمذى ٢/ ٢٥٩.

(٣) انظر: حاشية ابن عابدين ١/ ٣٥٢، والمبدع ١/ ٣٠٣٠، والمجموع ٣/ ١١، ١٢، ومجموع الفتاوى، ٢٨/ ٣٦٠، وزاد المعاد ٥/ ٤٥٧، بتصرف.

(٤) سنن البيهقى الكبرى ٢/ ٢٢٩.

(٥) الدر المنثور ١/ ٧١٧

علموهم وأدبوهم وفقهوهم[١]. ويؤكد الإمام الشافعي على تعليم فقه الطهارة والصلاة للأبناء بقوله: «وعلى الآباء والأمهات أن يؤدبوا أولادهم ويعلموهم الطهارة والصلاة ويضربوهم على ذلك إذا عقلوا»[٢] وقال الكسائي(وهو من فقهاء الحنفية):وينبغي للرجل أن يؤدب ولده على الطهارة والصلاة إذا عقلهما»[٣].

أيها الوالد الكريم، أيتها الأم الحنون

إذا كان تعليم فقه الطهارة والصلاة للأبناء واجب علينا، فإن من الخطورة بمكان أن نشاهدهم (بعد بلوغهم سبع سنين) يسيئون الطهارة والصلاة ثم نسكت ولا نوجههم، فالسكوت في هذه الحالة يضر بنا وبهم، لذلك وجب علينا أن نعالج أخطاء الطهارة والصلاة باستخدام العلاج السريع، وهذا بالضبط ما فعله أصحاب النبي ﷺ مع أبنائهم، روى البخاري وابن حبان في صحيحهما عن مصعب ابن سعد بن أبي وقاص قال: صليت إلى جنب أبي فطبقت بين كفي ثم وضعتهما بين فخذي (وهذا أثناء الجلوس في التشهد) فنهاني أبي وقال: كنا نفعله فنهينا عنه، وأمرنا أن نضع أيدينا على الركب».[٤] وروى البخاري والبيهقي والطبراني (واللفظ له) عن حرملة مولى أسامة بن زيد: أنه بينا هو جالس مع عبد الله بن عمر، دخل الحجاج بن أيمن بن أم أيمن (أم أيمن كانت حاضنة رسول الله ﷺ) وصلى صلاة لم يتم ركوعها ولا سجودها فدعاه ابن عمر حين سلم فقال: يا بن أخي، أتحسب أنك صليت؟ إنك لم تصلِّ فعد لصلاتك، فلما ولى الحجاج (ذهب وانصرف) قال لي عبد الله بن عمر: من هذا؟ فقلت: هذا الحجاج بن أيمن بن أم أيمن، فقال (ابن عمر): لو رأى هذا رسول الله ﷺ لأحبه، فذكر حبه ما ولدت أم أيمن وكانت حاضنة رسول الله ﷺ[٥].

---

(١) زاد المعاد ٥/ ٤٥٦.
(٢) المجموع ٣/ ١١، ١٢
(٣) بدائع الصنائع ١/ ١٤٤.
(٤) صحيح البخاري ١/ ٢٧٣، وصحيح ابن حبان ٥/ ٢٠٠.
(٥) انظر، صحيح البخاري ٣/ ١٣٦٦، وسنن البيهقي ٢/ ٣٨٦، والمعجم الكبير، ٢٥/ ٩٠.

ثالثًا: كخ كخ.. ارْمِ بها:

عندما تدخل مع أبنائك أحد المحلات، فإنه قد يمد يده ليأخذ شيئًا يأكله أو يضعه في جيبه، وهنا يجب أن تنهاه وتعلمه حدود الملكية الشخصية، وأنه لا ينبغى الاعتداء على حقوق الآخرين، وعندما نجلس على المائدة لتناول الطعام ويحاول أحد الأبناء أخذ حقوق إخوته من اللحم أو ما شابه بعد تناول نصيبه، فهنا ينبغى منعه وتعليمه أن لكل فرد حقًا يتصرف فيه كما يريد، ولا ينبغى أن نعتدى على حقوق الآخرين. ويزيد هذه المسألة وضوحًا ما رواه البخارى ومسلم عن أبى هريرة ﷺ أنه قال: أخذ الحسن بن على تمرة من تمر الصدقة فجعلها فى فيه (فمه) فقال رسول الله ﷺ: «**كخ كخ، ارم بها،أما علمت أنا لا نأكل الصدقة**»[(١)].

وعندما نجلس فى البيت لنحكى حكاية أو نتناول طعامًا أو لنقوم بأى نشاط أسرى، يجلس كل منا فى مكان ما، وربما يقوم البعض من مكانه لسبب ما، فيجلس أخوه أو أخته مكانه دون إذنه، وعندما يعود صاحب المكان يطلب ممن جلس فيه أن يقوم فيرفض، وهنا تشتعل المعركة وينفعل الآباء على الأبناء لما فعلوه من ضجيج، ويصرخون فيهم أن هذه تفاهات، وربما ينتهى الموقف بضرب الجميع، وهذا ما لم يفعله رسول الله ﷺ إذ عرف الرسول الكريم ﷺ صحابته الكرام حدود الملكية الشخصية، وعلمهم أن أول من يجلس فى المكان يكون أولى به إلا إذا تنازل عنه بإرادته، روى الإمام مسلم عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال: «**لا يقيم الرجل الرجل من مقعده ثم يجلس فيه، ولكن تفسحوا وتوسعوا**»[(٢)] وروى أحمد وابن خزيمة عن أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا قام أحدكم من مجلسه ثم رجع فهو أحق به**»[(٣)]، ومن هنا قال العلماء: «أنه لا يجوز لمن سبق إلى مجلس مباح (كمجالس المساجد ومجالس الحكام والعلم وغيرها) أن يقام منه لأن الجميع فيه سواء، ولا يملكه أحد منهم، فمن سبق إلى شيء استحقه ومن استحق شيئًا فأخذ منه بغير حق فهو

---

(١) صحيح البخارى ٢/ ٥٤٢، وصحيح مسلم ٢/ ٧٥١.
(٢) صحيح مسلم ٤/ ١٧١٤.
(٣) صحيح ابن خزيمة ٣/ ١٦٠، ومسند أحمد ٢/ ٢٨٣.

غصب، والغصب حرام، واحتجوا بالحديث الذى أخرجه مسلم عن أبى هريرة رفعه: «**إذا قام أحدكم من مجلسه ثم رجع إليه فهو أحق به**» قالوا: فلما كان أحق به بعد رجوعه ثبت أنه حقه قبل أن يقوم(١).

رابعًا: إنها كانت يمين عمر:

عند ارتكاب الأبناء لمحظور شرعى، فإنه ينبغى على الآباء أن يسرعوا فى العلاج والتصحيح ويشرحوا للمخطئ خطورة ما وقع فيه، وقدوتنا فى ذلك حبيبنا محمد ﷺ، إذ أنه عندما رأى أحد الصحابة جالسًا وقد انكشفت عورته، أمره عليه الصلاة والسلام بسترها، وعرفه أن كشفها حرام، عن زرعة بن جرهد الأسلمى عن أبيه - وكان من أصحاب الصفة- قال: إن النبى ﷺ مر به وهو كاشف عن فخذه فقال: «**أما علمت أن الفخذ عورة**، وفى رواية: **خمر عليك، أما علمت أن الفخذ عورة**»(٢)، وبنفس السرعة والرفق والحزم تعامل عبد الله بن عمر رضى الله عنهما مع الأخطاء الشرعية؛ فقد روى الإمام أحمد عن سعد بن عبيدة قال: كنت مع ابن عمر فى حلقة فسمع رجلا فى حلقة أخرى وهو يقول: لا وأبى (يعنى يقسم بأبيه) فرماه ابن عمر بالحصى وقال: إنها كانت يمين عمر فنهاه النبى ﷺ عنها وقال: «**إنها شرك**»(٣).

خامسا: آداب يحتاجها الأحباب:

وضع لنا الإسلام بعض الآداب العامة التى تجعل حياتنا أفضل، وحينما يبتعد المجتمع عن هذه الآداب تعمه الفوضى وتملأه الهمجية، لذلك وجب علينا أن نربى أبناءنا وتلامذتنا على الالتزام بهذه الآداب، وإذا رأينا أحدهم يخالفها نعالجه بسرعة وحزم ورفق ولين، وهذا بالضبط ما فعله رسولنا الكريم ﷺ، إذ روى الإمام أحمد عن أنس بن مالك ﷺ قال: كنت

---

(١) فتح البارى ١١/ ٦٣، ٦٤ (بتصرف).
(٢) مسند أحمد ٣/ ٤٧٨.
(٣) مسند أحمد ٢/ ٥٨.

أخدم رسول الله ﷺ فكنت أدخل عليه بغير إذن، فجئت ذات يوم فدخلت عليه فقال: «**يا بنى إنه قد حدث أمر** (يعنى نزلت آيات الاستئذان عند الدخول) **فلا تدخل علىَّ إلا بإذن**»(١) وروى البخارى ومسلم عن عمر ابن نافع عن أبيه عن بن عمر: «أن رسول الله ﷺ نهى عن القزع، قال عمر: قلت لنافع: وما القزع؟ قال: «يحلق بعض رأس الصبى ويترك بعضًا»(٢)، وروى ابن حبان والنسائى وأحمد وأبو داود عن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبى ﷺ رأى صبيًا حلق بعض شعره وترك بعضه، فنهى عن ذلك وقال: «**احلقوه كله أو اتركوه كله**»(٣).



(١) مسند أحمد ٣/ ٢٠٩.
(٢) صحيح البخارى ٥/ ٢٢١٤، وصحيح مسلم ٣/ ١٦٧٥.
(٣) صحيح ابن حبان ١٢/ ٣١٨، والسنن الكبرى للنسائى ٥/ ٤٠٧، وسنن أبى داود ٤/ ٨٣، ومسند أحمد ٢/ ٨٨.

العــــلاج الصامـــت

روى أبو يعلى وابن ماجه عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: كنت أصلى، وقد وضعت يدى اليسرى على اليمنى، فجاءنى النبى ﷺ، فأخذ بيدى اليمنى فوضعها على اليسرى» [١]، إنها حقا تربية نبوية كريمة، فاليد النبوية الحنون عالجت الخطأ بكل لطف ورفق، بعيدًا عن الصياح والهياج والضرب والعقاب، وعلى نفس الطريق النبوى المبارك سار الصحابة عليهم رضوان الله، فقد استخدموا اليد مع الرفق فى علاج بعض الأخطاء، روى ابن حبان وأبو داود عن أبى ثمامة الحناط أن كعب بن عجرة ﷺ أدركه وهو يريد المسجد قال: فوجدنى، وأنا مشبك يدى إحداهما بالأخرى، قال: ففتق يدى (أبعدهما عن بعضهما) ونهانى عن ذلك وقال: إن رسول الله ﷺ قال: «**إذا توضأ أحدكم فأحسن وضوءه، ثم خرج عامدًا إلى المسجد، فلا يشبكن يديه فإنه فى صلاة**» [٢].

أيها الوالد الكريم، أيتها الأم الحنون

ربما يظن البعض أن هذه الطريقة لا تناسب أبناءه، لأنهم على درجة عالية من الشقاوة والتمرد، ويرتكبون العديد من الحماقات والكثير من المحظورات وما يقعون فيه من أخطاء لا يحل بهذه الطريقة، ونحن نقول لأصحاب هذا الرأى: لا تتعجلوا فى الحكم على صلاحية هذا العلاج قبل أن تجربوه مع أبنائكم، ونؤكد أن هذا العلاج النبوى الكريم يصلح مع الكثير من أخطاء أبنائنا، حتى لو وجدناهم لا يغضون أبصارهم فى الطريق أثناء سيرهم معنا، والدليل على ذلك أن النبى ﷺ «قد أردف الفضل بن عباس [٣]

(١) مسند أبى يعلى ٨/ ٤٥٥، سنن ابن ماجه ١/ ٢٦٦.
(٢) صحيح ابن حبان ٥/ ٣٨٢، وسنن أبى داود ١/ ١٤٥.
(٣) الفضل بن العباس ابن عم رسول الله ﷺ، وأمه أم الفضل لبابة الكبرى بنت الحارث ابن حزن الهلالية، وكان شقيق عبد الله بن عباس، وكان أسن(أكبر) ولد العباس، أردفه رسول الله ﷺ وراءه فى حجة الوداع وحضر غسل رسول الله ﷺ، وغزا مع رسول الله ﷺ مكة وحنينًا وثبت يومئذ مع =

رضى الله عنهما خلفه على الناقة فى حجة الوداع يوم النحر -وهو يوم عيد الأضحى- وكان الفضل رجلاً حسن الشعر أبيض وسيمًا فلما سار رسول الله ﷺ من مزدلفة نحو منى مرت به مجموعة من النساء يركبن على الجمال، فطفق الفضل ينظر إليهن، فوضع رسول الله ﷺ يده على وجه الفضل، فحول الفضل وجهه إلى الشق الآخر ينظر، فحول رسول الله ﷺ يده من الشق الأول على وجه الفضل، يصرف وجهه من الشق الآخر»[(١)]، فالنبى الكريم ﷺ قد عالج خطأ ابن عمه بيده فقط مع الرفق ولم يتحدث معه أو يلومه أو حتى يعاتبه، ومع أن الصحابى الشاب لم يستسلم وعاد ينظر مرة أخرى، إلا أنه ﷺ كرر معه نفس العلاج مرة أخرى، والعجيب أن نفس الخطأ قد تكرر من الفضل بن العباس رضى الله عنهما فى نفس اليوم مرة أخرى ومع ذلك فقد استخدم رسولنا الكريم ﷺ معه نفس العلاج، روى البخارى ومسلم عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال: أردف رسول الله ﷺ الفضل بن عباس يوم النحر خلفه على عجز راحلته، وكان الفضل رجلاً وضيئًا فوقف النبى ﷺ للناس يفتيهم، وأقبلت امرأة من خثعم وضيئة تستفتى رسول الله ﷺ، فطفق الفضل ينظر إليها وأعجبه حسنها، فالتفت النبى ﷺ والفضل ينظر إليها، فأخلف بيده فأخذ بذقن الفضل فعدل وجهه عن النظر إليها (وفى رواية: فجعل رسول الله ﷺ يصرف وجه الفضل إلى الشق الآخر) فقالت: يا رسول الله إن فريضة الله فى الحج على عباده أدركت أبى شيخًا كبيرًا لا يستطيع أن يستوى على الراحلة، فهل يقضى عنه أن أحج عنه؟ قال: **نعم**»[(٢)].

=رسول الله ﷺ حين ولى الناس منهزمين مع من ثبت من أهل بيته وأصحابه معه، روى عن النبى ﷺ عددًا من الأحاديث وروى أنه قتل يوم اليرموك فى عهد أبى بكر رضى الله عنهما وقال غيره: قتل يوم مرج الصفر سنة ثلاث عشرة وهو ابن اثنتين وعشرين سنة، وقيل: مات بالشام فى طاعون عمواس سنة ثمانى عشرة وله بضع وعشرون سنة، وقال ابن كثير هذا هو الأصح، وبما أن حجة الوداع كانت فى العام العاشر للهجرة، فهذا معناه أن هذين الموقفين حدثا مع الفضل بن العباس رضى الله عنهما وعمره ما بين ١٨و ١٩ سنة تقريبا (انظر: تهذيب الكمال ٢٣/ ٢٣٢، ٢٣٣، وسير أعلام النبلاء ١/ ٣٣٠، والبداية والنهاية ٧/ ٣٤.

(١) انظر: صحيح مسلم ٢/ ٨٩١، وصحيح ابن حبان ٩/ ٢٥٨، وسنن ابن ماجه ٢/ ١٠٢٦.

(٢) صحيح البخارى ٥/ ٢٣٠٠، وصحيح مسلم ٢/ ٩٧٣.

أيها الوالد الكريم، أيتها الأم الحنون

يمكننا أن نستخدم هذا العلاج النبوى الكريم فى علاج الكثير من أخطاء أبنائنا، فعندما يلعب ابنك بالكرة فى المنزل، وهو يعلم أن ما يفعله خطأ، وقد يكسر شيئًا فى المنزل، ونبهته لذلك أكثر من مرة، فإن كل ما عليك هو أن تذهب إليه أثناء لعبه، وتأخذ الكرة بلطف ولين وفى صمت تام، وتضعها فى مكان عال لا يصل إليه، أو تضعها فى حجرتك الشخصية، وعليك أن تكرر نفس الحل مع ابنك عدة مرات، وستشاهد النتيجة بنفسك.. ومن الأخطاء التى يمكن علاجها بالحل الصامت، استعمال الأبناء لأدواتنا الشخصية، كالكمبيوتر وغيرها، والقصة التالية خير دليل على ذلك:

بدأت إجازة الصيف، ومع بداية الإجازة تبدأ رحلة سارة فى البحث عما يشغل وقت فراغها، فهى لا تحب أن تنام لأوقات طويلة، ولا تحب مشاهدة التليفزيون كثيرًا، ولذلك ما إن يبدأ الصيف تبدأ سارة فى الحركة الكثيرة داخل المنزل، بحثًا عما هو مناسب للعب، وفى صباح أحد أيام الصيف استيقظت سارة من نومها وتناولت إفطارها، ثم جلست على سريرها مرة أخرى تفكر ماذا تفعل فى هذا اليوم الجديد، وفجأة تذكرت جهاز الكمبيوتر الذى لدى والدها، فهى تحب استخدامه كثيرًا، والقيام بعمل رسومات جميلة باستخدام برامج خاصة علمها لها والدها، ولكن سرعان ما تذكرت أن والدها قد أخبرها أن الجهاز بحاجة إلى إعداد قبل أن تبدأ باستخدامه في إجازة هذا الصيف، ولكن لانشغال والدها لم يتمكن من إعداده لها، فعادت تفكر فى شيء آخر ولكن فكرة الذهاب إلى جهاز الكمبيوتر وعمل الرسومات كانت مسيطرة عليها، فبدأت سارة تفكر فى حل لهذه المشكلة كيف يمكنها أن تستخدم الجهاز ووالدها غير موجود لاستئذانه؟ وفجأة قفزت إلى ذهنها فكرة، لقد وجدتها سوف تتصل بوالدها لاستئذانه، ولكنها حاولت الاتصال به فى مكان عمله دون جدوى، ولكن فكرة استخدام الجهاز لا تزال تملك عقلها، ولا ترى بديلا عنها.

بدأت سارة تقترب من مكتب والدها ببطء، واقتربت أكثر ووجدت نفسها تفتح الجهاز وتبدأ العمل وهنا قالت: عندما يعود أبى سوف أخبره أننى حاولت الاتصال

به فلم أفلح، ولم أجد شيئا آخر أفعله، أمضت سارة بعض الوقت مع الكمبيوتر ترسم وتكتب، ولكنها فجاة تذكرت أن موعد حضور والدها قد اقترب فأغلقت الجهاز بسرعة وعادت لغرفتها، وعندما حضر والدها لم تخبره بما قامت به خوفا من غضبه، وفى اليوم التالى، عادت سارة مرة أخرى وكررت ما قامت به فى اليوم السابق، ولكنها وعدت نفسها أن تخبر والدها هذه المرة، إلا أنها لم تخبره.

وفى اليوم الثالث: استيقظت سارة وهى عازمة على عدم العبث بجهاز الكمبيوتر، غير أنها لم تستطع منع نفسها من ذلك، فاقتربت من الجهاز واستعدت لتشغيله، وما إن حركت مفتاح التشغيل بيدها الصغيرة، حتى ظهرت أمامها كلمات بخط كبير على شاشة الجهاز تقول: «سارة أغلقى الجهاز» لم تدر سارة عندئذ ماذا تفعل فأسرعت مبتعدة، ثم عادت وتأكدت مما قرأت، نعم إنها نفس الجملة السابقة تعاد وتتكرر على الشاشة: «سارة أغلقى الجهاز» آه لقد علم والدها بما قامت به.

أغلقت سارة الجهاز وجلست فى غرفتها، وأخذت تفكر كيف تعتذر لوالدها على ما قامت به من خطأ، فكرت وفكرت ثم تناولت قلما وورقة ورسمت جهاز كمبيوتر يبكى، وكتبت أسفل منه: «أنا مخطئة أنا آسفة» وعندما عاد والدها من عمله وقفت على باب غرفته، واستأذنت وما إن رأت أمامها والدها حتى سلمت له الورقة، ثم أخذت تجرى نحو غرفتها، وجلست على سريرها منتظرة مترقبة، وبعد فترة وجدت والدها أمامها يقول لها: كلنا نخطئ يا سارة، لكن المهم هو أن نعرف خطأنا ونعتذر ولا نكرره، قالت سارة: نعم يا والدى، ثم أسرعت واحتضنته وهمست فى أذنه بسر عظيم، قالت: «إنى أحبك يا أبي».



حـوار بلا أسـوار

قامت جريدة (القبس) الكويتية باستطلاع ميدانى على عينة من الآباء تضم ألف شخص كويتى الجنسية كانوا حسب المؤهل العلمى كالتالى: (٣٣٠ أبـًا يحملون شهادة الثانوية، ٢٤٠ يحملون شهادة دبلـوم، ٢٧٠ يحملـون شـهادة جامعيـة، ١٢٠ يحملـون شهادتى الماجستير والدكتوراه، و٤٠ يحملون شهادات أخـرى) وهـذا معنـاه أن عينـة الاستطلاع تشمل تقريبًا جميع المستويات التعليمية، وفى هذا الاستطلاع طرحت على الآباء عدة أسئلة كان منها ما يلى:

السؤال الأول الذى وجه للآباء هو: كم من الوقت يستغرقه الأب مع أبنائه (يوميًا) للتدريس والمذاكرة؟ كانت النسب كالتالى:

(أ) الذين يقضون مع أبنائهم ٤ ساعات فأكثر للتدريس نسبتهم (١٪) فقط.

(ب) الذين يقضون ٣ ساعات (١٪فقط).

(ج) الذين يقضون ساعتين (٣٪فقط).

(د) الذين يقضون ساعة واحدة (٧٪فقط).

(هـ) الذين يقضون أقل من ٣٠ دقيقة (١٢٪فقط).

(و) أما الذين لا يقضون أى وقت مـع أبنـائهم للتـدريس فقـد جـاءت نسـبتهم (٧٦٪) وهى نسبة كبيرة جدًا وخطيرة للغاية.

والسؤال الثانى كان: كم من الوقت يستغرقه الآباء مع الأبناء (كل يوم فى الحوار والنقاش؟ فكانت النسب كالتالى:

(أ) الذين يقضون ٤ساعات فأكثر مع أبنائهم للمحادثة بلغت نسبتهم (صفر).

(ب) الذين يقضون ٣ ساعات جاءت نسبتهم (٢٪).

(ج) الذين يقضون ساعتين (٥٪).

(د) الذين يقضون ساعة واحدة نسبتهم (٥٩٪) وهى أعلى النسب.

(هـ) الذين يقضون أقل من ٣٠ دقيقة نسبتهم (٢٧٪).

(و) الذين لا يقومون بقضاء أى وقت مع أولادهم للمحادثة نسبتهم (٧٪).

والسؤال الثالث كان: كم من الوقت تستغرقه كأب مع أبنائك يوميا فى توجيههم وإرشادهم للخير؟ فكانت النسب كالتالى:

(أ) الآباء الذين يقضون ٤ ساعات فأكثر نسبتهم (صفر).

(ب) الآباء الذين يقضون ٣ ساعات فأكثر نسبتهم (٢٪).

(ج) الآباء الذين يقضون ساعة واحدة نسبتهم (٤٣٪).

(د) الآباء الذين يقضون أقل من ٣٠ دقيقة تبلغ نسبتهم (٤٩٪) وهى أعلى النسب هنا.

(هـ) أما الآباء الذين لا يقضون أى وقت مع أولادهم فى التوجيه والإرشاد فنسبتهم (صفر) والحمد لله.

أما السؤال الأخير فكان حول الوقت الذى يقضيه الآباء مع أبنائهم فى الترفيه، وكانت النسب كالتالى:

(أ) الآباء الذين يقضون ٤ ساعات فأكثر كانت نسبتهم (صفر).

(ب) الآباء الذين يقضون ٣ ساعات (١٪).

(ج) الآباء الذين يقضون ساعتين (٩٪).

(د) الآباء الذين يقضون ساعة واحدة (٤٠٪).

(هـ) الآباء الذين يقضون أقل من ٣٠ دقيقة (٤٩٪) وهى أعلى النسب.

(و) أما الآباء الذين لا يقومون بقضاء أى وقت مع أولادهم للترفيه نسبتهم (١٪)[1].

---

(١) كيف تنمين فى طفلك القيم الحميدة؟ ١١/ ٣/ ١٤٢٥ هـ الموافق ٣٠/ ٤/ ٢٠٠٤ م .http://www.lahaonline.com/Family/Motherhood/a8-30-04-2004. doc_cvt.htm

أيها الوالد الكريم، أيتها الأم الحنون

إن نتائج هذا الاستطلاع خطيرة للغاية وسيكون من المفيد تطبيقها على بيوتنا لنعرف هل نعطى لأبنائنا الوقت الكافى للتوجيه والترفيه والمذاكرة والحوار، والجدول التالى يساعدنا على معرفة الوقت الحقيقى الذى نربى فيه أبناءنا.

السؤال	٤ ساعات فاكثر	ثلاث ساعات	ساعتان	ساعة واحدة	أقل من ٣٠ دقيقة	صفر
١- كم من الوقت يستغرقه الأب أو الأم مع الأبناء (يوميًا) فى اليوم للحوار والنقاش؟						
٢- كم من الوقت تستغرقه مع أبنائك (كل يوم) فى التدريس والمذاكرة؟						
٣- كم من الوقت تستغرقه مع أبنائك يوميًا فى توجيههم وإرشادهم للخير؟						
٤- كم من الوقت تقضيه مع أبنائك (يوميًا) فى الترفيه واللعب؟						

وإذا لم يستطع الآباء والأمهات الإجابة عن الجدول السابق بدقة، بإمكانهم التسجيل اليومى فى الجدول التالى، ليعرفوا كم من الوقت يعطونه لأبنائهم يوميًا، وعن طريق جمع عدد الساعات اليومية يمكنهم أن يعرفوا كم ساعة يقضونها مع أبنائهم خلال الأسبوع، والتسجيل فى الجدول يكون فى نهاية اليوم، حتى يكون بمثابة ورد محاسبة يومى للآباء والأمهات.

اليوم / النشاط	السبت	الأحد	الاثنين	الثلاثاء	الأربعاء	الخميس	الجمعة
١- كم دقيقة حوار مع الأبناء؟							
٢- كم دقيقة ترفيه مع الأبناء؟							
٣- كم دقيقة مذاكرة للأبناء؟							
٤- كم دقيقة توجيه وإرشاد للأبناء؟							
٥- أوقات وأنشطة أخرى							
المجموع							

الحوار يعالج أخطاء الصغار:

كان عتبة بن ربيعة سيدًا من سادات قريش، فقال يومًا وهو جالس فى نادى قريش ورسول الله ﷺ جالس فى المسجد وحده: يا معشر قريش، ألا أقوم إلى محمد فأكلمه وأعرض عليه أمورًا لعله يقبل بعضها، فنعطيه أيها شاء، وذلك حين أسلم حمزة ورأوا أصحاب رسول الله ﷺ يزيدون ويكثرون، فقالوا: بلى يا أبا الوليد قم إليه

فكلمه، فقام إليه عتبة حتى جلس إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا ابن أخى، إنك منا حيث قد علمت من السلطة فى العشيرة، والمكان فى النسب، وإنك أتيت قومك بأمر عظيم، فرقت به جماعتهم وسفهت به أحلامهم، وعبت به آلهتهم ودينهم، وكفرت به من مضى من آبائهم، فاسمع منى أعرض عليك أمورًا تنظر فيها، لعلك تقبل منها بعضًا، فقال له رسول الله ﷺ: «**قل يا أبا الوليد أسمع**»، فقال عتبة: يا ابن أخى، إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالاً؛ جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت تريد به شرفًا، سودناك علينا حتى لا نقطع أمرًا دونك، وإن كنت تريد به ملكًا ملكناك علينا، وإن كان هذا الذى يأتيك رئيًا تراه لا تستطيع رده عن نفسك، طلبنا لك رآه وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه، فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه، حتى إذا فرغ عتبة ورسول الله ﷺ يستمع منه، فقال ﷺ: «**أقد فرغت يا أبا الوليد؟**» قال: نعم، قال ﷺ: «**فاسمع منى**»، قال: أفعل، فقال ﷺ: «﴿**بسم الله الرحمن الرحيم: حم ۞ تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۞ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۞ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لاَ يَسْمَعُونَ ۞ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ**﴾ ثم مضى رسول الله ﷺ فيها (فى سورة فصلت) يقرؤها عليه، فلما سمعها منه عتبة أنصت لها وألقى يديه خلف ظهره معتمدًا عليهما يسمع منه، ثم انتهى رسول الله ﷺ إلى السجدة منها فسجد، ثم قال: **قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت، فأنت وذاك**».(١)

أرأيت هذا الموقف؟ وكيف يتضح من خلاله: قدرة الرسول ﷺ على الإنصات الفعال؟ لقد أحسن النبى ﷺ الاستماع لمن يحاوره مع أنه مشرك، فلم يبادر بقطع حديثه، ولم يبدأ كلامه، إلا حين تأكد من فراغ وانتهاء حديث من يحاوره، وذلك حين قال له: «**أفرغت يا أبا الوليد؟**» قال: نعم، وقدم النبى الكريم ﷺ ما يغرى محاوره أن يفتح قلبه وعقله للاستماع إليه فناداه بكنيته قائلا: يا أبا الوليد، ولم يقل يا عتبة، وذلك حتى يرق قلبه، ويقبل على الاستماع إلى كلامه ﷺ، كما لم ينشغل رسولنا ﷺ أثناء الاستماع بالاتهامات الموجهة لشخصه، ولم يقاطع المتحدث أثناء إلقاء التهم بالرد عليها، كما أن مرونة النبى ﷺ فى تركه أبا الوليد يكمل حديثه دون مقاطعة،

(١) السيرة النبوية (لابن هشام) ٢/ ١٣٠، ١٣١.

جعلت أبا الوليد يخجل من أن يقاطع النبى ﷺ.. وهذا الموقف النبوى الكريم يخط للآباء والمربين منهجًا متكاملاً فى الإنصات الفعال، فقد يفشل الحوار بيننا وبين أبنائنا لأننا لا نجيد فن الإنصات[١].

أيها الوالد الكريم، أيتها الأم الحنون

إن الكثير من مشاكل أبنائنا لا يحلها إلا الحوار، والنقاش لكنا قد نسيء الاستماع لأبنائنا، وبالتالى نسيء الحديث معهم مما يهدم جدار الثقة بيننا فيتحدثون إلى زملائهم أكثر من الحديث معنا، ويفضلون مشاورة أصدقائهم على مشاورتنا وبهذه الطريقة يخسر أبناؤنا التعلم منا ونخسر نحن الكبار التواصل مع فلذات أكبادنا، ولأن النبى الكريم ﷺ يدرك أهمية حوار المربين مع الصغار والشباب والكبار، فإنه ﷺ علمنا ألا نغلق باب الحوار مع أحد من الناس حتى لو كان مشركًا، بل إنه ﷺ استخدم الحوار فى معالجة بعض الأخطاء، روى الإمام أحمد والطبرانى عن أبى أمامة أن فتى (وفى رواية فتى شاب) من قريش أتى النبى ﷺ، فقال: يا رسول الله، ائذن لى فى الزنا، فأقبل القوم عليه وزجروه، فقالوا: مه مه (يعنى: اسكت اسكت) فقال ﷺ: «**ادنه**»، فدنا منه قريبًا، فقال ﷺ: «**أتحبه لأمك؟**» قال الفتى: لا والله جعلنى الله فداك، قال: «**ولا الناس يحبونه لأمهاتهم**»، قال ﷺ: «**أفتحبه لابنتك؟**» قال الفتى: لا والله يا رسول الله جعلنى الله فداك، قال: «**ولا الناس يحبونه لبناتهم**». قال ﷺ: «**أفتحبه لأختك؟**» قال الفتى: لا والله يا رسول الله جعلنى الله فداك، قال: «**ولا الناس يحبونه لأخواتهم**»، قال: «**أتحبه لعمتك؟**» قال: لا والله يا رسول الله، جعلنى الله فداك، قال: «**ولا الناس يحبونه لعماتهم**»، قال: «**أتحبه لخالتك؟**» قال الفتى: لا والله يا رسول الله، جعلنى الله فداك، قال ﷺ: «**ولا الناس يحبونه لخالاتهم**»، قال راوى الحديث: فوضع ﷺ يده عليه، وقال: «**اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه، وحصن فرجه**»، قال الراوى: فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء (يعنى من النساء)[٢].

---

(١) هل تسمعنى كيف تنصت بفاعلية وتفهم ما وراء الكلمات، ص٨٢، ٨٣، بتصرف.
(٢) رواه أحمد والطبرانى فى الكبير ورجاله رجال الصحيح، انظر: مجمع الزوائد ١/ ١٢٩، مسند أحمد ٥/ ٢٥٦

أيها الوالد الكريم، أيتها الأم الحنون

إن فتح أبواب الحوار مع أبنائنا يساعدنا على التعرف على أحوالهم ومتابعة تطورات حياتهم، والحوار الهادئ الحنون يجعلهم يفتحون قلوبهم لنا، مما يجعلنا نشاركهم آمالهم وآلامهم، ويتيح لنا فرصة تصحيح ما عندهم من مفاهيم خاطئة، والتي يمكن أن يترتب عليها الكثير من المشكلات لو تركت دون تصحيح، والسؤال الذى يطرح نفسه الآن: هل نجيد حقًا فن الإنصات لحديث أبنائنا، ونمنحهم فرصة حقيقية للحوار معنا؟ هذا بالضبط ما سنعرفه بعد الإجابة عن الاستبيان التالى:

السؤال	دائمًا	أحيانًا	نادرًا	لا أفعل
١- هل تشجع أبناءك على التعبير عن أفكارهم بحرية وصراحة؟				
٢- هل تؤجل الرد على من يحدثك من أبنائك حتى ينتهى من عرض أفكاره كلها، ولو أن تقول لمن يحدثك: هل انتهيت؟				
٣- هل توجه كل اهتمامك لمن يحدثك من أبنائك، فلا تنشغل بجريدة أو كمبيوتر أو غيرهما؟				
٤- هل تخصص بعض الوقت يوميا للحديث مع أبنائك حتى ولو بالتليفون؟				
٥- هل تبتعد عن حركات السأم والتثاؤب والنظر فى الساعة عند حديثك مع أبنائك؟				
٦- هل تتجه بجسدك كله إلى من يحاورك من أبنائك، وتقبل عليهم بوجهك؟				

السؤال	دائمًا	أحيانًا	نادرًا	لا أفعل
٧- هل تقوم ببعض الإشارات التى تطمئن محدثك من أبنائك أنك منصت له، كالإيماء بالرأس والابتسام وغيرها، وتسأل بعض الأسئلة مثل: كيف ومتى ولماذا؟				
٨- هل تحتفظ بهدوئك أثناء الحديث مع أبنائك، فلا تنطق بكلمة بذيئة أو لفظ جارح؟				
٩- عندما تسمع من ابنك ما لا يعجبك، هل تتجنب إنهاء الحديث وتبتعد عن تعنيف ابنك، وتحاول مناقشته بهدوء؟				
١٠- هل تتجنب العبارات التالية عند حديث أبنائك إليك: أنا مش فاضى، قل ولا تكثر الكلام، ما تتعب رأسى وتصيبنى بالصداع، لا تعيد الكلام وتزيده؟				



احسب نتيجتك

الإجابة	دائمًا	أحيانًا	نادرًا	لا أفعل
الدرجة	٤ درجات	٣ درجات	درجتان	درجة واحدة

اعرف نفسك

حاول أن تقترب

إذا كان مجموع درجاتك يقع بين ١٠-٢٠ درجة فهذا معناه أن طريقة حوارك مع أبنائك تحتاج إلى إعادة نظر، وهذا لا يعنى أنك لن تنجح يومًا فى الحوار مع أبنائك، فالفرصة مازالت أمامك للتصحيح والتغيير، فأسرع قبل فوات الأوان.

على وشك الاقتراب

إذا كان مجموع درجاتك يقع بين ٢٠-٣٠ درجة، فأنت ربما تخطئ فى طريقة الحوار مع أبنائك، ولكنك تقترب غالبا من الطريقة الصحيحة، ولهذا حاول معرفة نقاط الضعف عندك، واعمل مستعينًا بالله على تقويتها، والله ولى التوفيق.

إنك على الطريق الصحيح

إذا كان مجموع درجاتك يقع بين ٣٠-٤٠ درجة، فإن طريقة حوارك مع أبنائك مؤثرة وناجحة، فاستمر على بركة الله، واعمل جاهدًا على تحسين مهاراتك وقدراتك الحوارية باستمرار.

حوار لكن من بعيد:

الحوار مع الأبناء لا يقتصر على المحادثة المباشرة وجهًا لوجه، بل يمتد ليشمل المحادثة عن بعد عن طريق التليفون والرسائل والإنترنت وغيرها، وإذا كان الحوار المباشر والنقاش وجهًا لوجه أفضل أنواع الحوار، إلا أن هناك بعض الحالات التى يحتاج فيها أبناؤنا للحوار عن بعد كأن يكون الوالد أو الابن مسافرًا داخل أو خارج البلاد، أو عندما يرغب الآباء فى توجيه الأبناء بصورة غير مباشرة، فيرسل له رسالة على بريده الإلكترونى (الإيميل) ينصحه فيها بما يريد دون ذكر هوية المرسل، ثم يوقع الرسالة باسم ناصح أمين أو فاعل خير، وأذكر ذات مرة أننى قابلت أحد الآباء المشغولين، واشتكى من بعده كثيرًا عن البيت وقلة جلوسه مع أبنائه، فاقترحت عليه أن يجرب الحوار عن بعد وذلك بأن يتصل تليفونيًا بأبنائه، ليطمئن عليهم ويحاورهم بعض الشيء، وبالفعل اتصل الأب الكريم لكن النتيجة أذهلته، لقد استغرب أبناؤه وزوجته هذا الاتصال وقالوا له: ماذا يحدث وهل هناك أمر تخفيه علينا؟ لكنه أجاب: اشتقت فقط لسماع صوتكم وأردت أن أطمئن عليكم.

أيها الوالد الكريم، أيتها الأم الحنون

إن ما يعجز الحوار المباشر عن تحقيقه قد يحققه وبنجاح الحوار عن بعد، بل إن بعض أخطاء الأبناء يمكن علاجها عن طريق الحوار غير المباشر، وذلك عن طريق رسالة عادية أو إلكترونية وبمكالمة هاتفية وغيرها، ولقد فهم عمر بن الخطاب ﷺ هذه المسألة جيدًا، فاستخدم الحوار عن بعد فى علاج أخطاء بعض رعيته، فلقد كان هناك رجل من المسلمين من أهل الشام ذا حال مادية صعبة، وكان يأتى دائمًا إلى عمر فى المدينة ليأخذ ما يسد حاجته، لكن الخليفة الصالح افتقده مدة من الزمن، فسأل عنه، وكان الجواب أن هذا الرجل بدأ يشرب الخمر، فنادى عمر على كاتبه فقال له اكتب: «من

عمر بن الخطاب إلى فلان، سلام عليك، فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو غافر الذنب، وقابل التوب شديد العقاب، ذى الطول، لا إله إلا هو إليه المصير» ثم رفع عمر يديه يدعو الله له بالهداية وأمن من عنده على دعائه، ودعوا له أن يقبل الله بقلبه وأن يتوب عليه، وانطلق البريد يحمل الرسالة الحانية إلى صاحب الذنب، فلما وصلت الرسالة إلى الرجل جعل يقرأها ويقول: غافر الذنب قد وعدنى الله أن يغفر لى، وقابل التوب شديد العقاب قد حذرنى الله عقابه، ذى الطول -والطول الخير الكثير- لا إله إلا هو إليه المصير، فلم يزل يرددها على نفسه ثم بكى ثم تاب فأحسن التوبة، فلما بلغ عمر أمره قال: هكذا فاصنعوا إذا رأيتم أخًا لكم زل زلة، فسددوه ووفقوه وادعوا الله أن يتوب عليه، ولا تكونوا أعوانًا للشيطان عليه(1).

وفى زمن هارون الرشيد -رحمه الله- حدثت قصة اخرى تؤكد فاعلية الحوار عن بعد فى علاج بعض أخطاء الأبناء، فلقد عين الرشيد الفضل بن يحيى واليًا على خراسان، فتوجه إليها وأقام بها مدة، فوصل كتاب صاحب البريد بخراسان إلى الرشيد ويحيى (والد الفضل) جالس بين يديه، ومضمون الكتاب أن الفضل بن يحيى متشاغل بالصيد و إدمان اللذات عن النظر فى أمر الرعية، فلما قرأ الرشيد رمى به إلى يحيى وقال له: يا أبت اقرأ هذا الكتاب واكتب إليه بما يردعه عن هذه، فكتب يحيى على ظهر كتاب صاحب البريد: حفظك الله يا بنى وأمتع بك، قد انتهى إلى أمير المؤمنين ما أنت عليه من التشاغل بالصيد ومداومة اللذات على النظر فى أمر الرعية ما أنكره، فعاود ما هو أزين بك، فإنه من عاد إلى ما يزينه وترك ما يشينه لم يعرفه أهل بلده إلا به، والسلام، وكتب فى أسفله هذه الأبيات:

انصب نهارك فى طلاب العلى ... واصبر على فقد لقاء الحبيب
حتى إذا الليل أتى مقبلا ... واستترت فيه عيون الرقيب

(1) حلية الأولياء ٤/ ٩٧، ٩٨ (بتصرف).

فكابد الليل بما تشتهى ... فإنما الليل نهار الأريب

كم من فتى تحسبه ناسكا ... يستقبل الليل بأمر عجيب

غطى عليه الليل أستاره ... فبات فى لهو وعيش خصيب

ولذة الأحمق مكشوفة ... يسعى بها كل عدو رقيب

وكان يحيى يكتب الرسالة والرشيد ينظر إلى ما يكتب، فلما فرغ يحيى من الكتابة قال الرشيد: قد أبلغت يا أبت، ولما ورد الكتاب على الفضل لم يفارق المسجد إلى أن انصرف من ولايته لخراسان[1].



(١) شذرات الذهب، ١/ ٣٣١، ٣٣٢، ومعجم الأدباء ٥/ ٦١٨.

المدح الجميل والأب البخيل

المدح الصادق سلوك تربوى جميل، وهو حاجة نفسية يحتاجها الصغير والكبير، ومهما كان مستواه العبادى والأخلاقى والفكرى والثقافى، والمدح الصادق يستفيد منه المادح والممدوح والمستمع لهما، فالمادح يقول الحق وينطق بالصدق، ويفعل شيئًا يحبه الله تعالى، روى البخارى ومسلم عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ليس أحد أحب إليه المدح من الله، من أجل ذلك مدح نفسه**».[1] كما أن المادح يدفع غيره نحو التمسك بالخير، كما أنه يوطد العلاقة بينه وبين من يمدحه، أما الممدوح فإن كلمات المدح تسرى فى جسده سريان النسيم، فتشبع حاجته النفسية وتشعره بالفرح والحب والسعادة، وتشجعه على فعل الخير والتمسك بالحق كما يشرح المدح صدره ويساعده على الاستفادة من نصح المادح، والطرف الثالث فى عملية المدح الصادق هو المستمع، وهو بدوره يستفيد كثيرًا إذ إنه يجد فى المادح والممدوح أسوة وقدوة فينطلق ممارسًا للمدح الصادق الذى مارسه المادح ويتمسك بالفعل الصالح الذى مارسه الممدوح فاستحق عليه المدح.

ولأن الخالق العظيم جل جلاله يعلم مدى احتياج الإنسان للمدح الصادق، فقد امتدح سبحانه أنبياءه الكرام كثيرًا، فهذا أبو الأنبياء إبراهيم يمدحه ربه قائلا: ﴿**إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۞ شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**﴾ [النحل: ١٢٠،١٢١]، ومدح الله تعالى نبيه نوحًا بقوله: ﴿**ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا**﴾ [الإسراء: ٣]، وسيدنا يوسف مدحه ربه قائلا: ﴿**إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ**﴾ [يوسف: ٢٤]، ومدح الله تعالى نبيه داود بقوله: ﴿**إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ**﴾ [ص: ٤٤]، ولم يتخلف سيدنا موسى عن قافلة الممدوحين فقال عنه تعالى: ﴿**وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا**﴾ [مريم: ٥١]، وسيدنا إسماعيل مدحه ربه قائلاً: ﴿**وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ**

(١) انظر: صحيح البخارى ٤/١٦٩٦، وصحيح مسلم ٤/٢١١٣.

رَسُولاً نَّبِيًّا﴾ [مريم: ٥٤] وامتدح الله تعالى نبيه إدريس بقولـه: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ۞ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريم: ٥٦، ٥٧]، أما محمد ﷺ فقـد مدحـه ربـه أكثر من مرة، مدح لسانه فقال: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى﴾ [النجم: ٣] ومدح بصره فقـال: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَـى﴾ [النجم: ١٧] وامتدحـه كلـه فقـال:﴿وَإِنَّـكَ لَعَلَـى خُلُـقٍ عَظِيمٍ﴾[القلم:٤].

والأنبياء الكرام تعلموا الدرس جيدًا فمارسوا المدح الصـادق فيمـا بيـنهم ومـع أتباعهم، فالنبى ﷺ فى رحلة الإسراء والمعراج قابل عددًا من الرسل والانبياء كلـهم قد قابلوه بالبشر والترحاب والمدح والثناء، «فعند معراجه ﷺ من الأرض إلى السماء قابل فى السماء الأولى سيدنا آدم فرحـب بـه قـائلا: مرحبـا بـالابن الصـالح والنبـى الصالح، وفى رواية أنه قال له: مرحبًا وأهلاً بـابنى نعـم الابـن أنـت، وفـى السـماء الثانية قابل ﷺ يحيى وعيسى وهما ابنا الخالة فقـالا: مرحبـا بـالأخ الصـالح والنبـى الصالح، وفى السماء الثالثة كان النبى ﷺ على موعد مع سيدنا يوسف، فرحب بنبينا الكريم قائلا: مرحبا بالأخ الصالح والنبى الصالح، أما السماء الرابعة فقد قابل فيهـا الرسول ﷺ سيدنا إدريس فرحب هو الآخر بالنبى ﷺ قائلا: مرحبا بـالأخ الصـالح والنبى الصالح، وفى السماء الخامسة قابـل ﷺ سـيدنا هـارون فقـال نفـس العبـارة: مرحبا بالأخ الصالح والنبى الصالح، وفى السماء السادسـة كـان اللقـاء مـع سـيدنا موسى، فرحب بالنبى ﷺ قائلا: مرحبا بالأخ الصالح والنبـى الصـالح، أمـا السـماء السابعة فقابل فيها نبينا الكريم ﷺ سيدنا إبـراهيم، فكـان البشـر والترحـاب عنـوان اللقاء، فقال إبراهيم عليه الصلاة والسلام: مرحبا بالابن الصالح والنبى الصالح»[(١)].

وعلى هذا النهج الكريم سـار نبينـا محمـد ﷺ فقـد امتـدح صـحابته كـثيرًا فـى حضورهم وعند غيابهم، روى البخارى عن أبى هريرة أن رسـول الله ﷺ قـال: «**نعم الرجل أبو بكر، نعم الرجل عمر، نعم الرجل أبو عبيدة بن الجراح، نعم الرجل أسـيد بـن حضير، نعم الرجل ثابت بن قيس بن شماس، نعم الرجل معاذ بن عمرو بـن الجمـوح**»[(٢)]،

(١) انظر: صحيح البخارى ٣/ ١٤١٠، ١٤١١، صحيح البخارى ٦/ ٢٧٣١.
(٢) صحيح البخارى ١٥/ ٤٥٩.

وروى الطبرانى عن زيد بن أرقم قال: قال النبى ﷺ: «**نعم الرجل بلال، والمؤذنون أطول الناس أعناقًا** (يعنى: يوم القيامة)».[١]

ولم يتوقف المدح النبوى الكريم عند الكبار فقط، بل امتدح ليشمل الصغار أيضا، ويمكننا أن نقول أن النبى ﷺ قد اهتم اهتمامًا خاصًا بمدح الصغار، وذلك لأنهم ربما يحتاجون إلى المدح الصادق أكثر من الكبار، فهذا زيد بن ثابت يشترك مع رسول الله ﷺ فى غزوة الخندق وهو ابن خمس عشرة سنة، وكان فيمن ينقل التراب يومئذ مع المسلمين، فلما رآه النبى الكريم على هذه الحالة من الجد والنشاط قال رسول الله ﷺ مادحا له: «**أما إنه نعم الغلام**»[٢]. وهذا هو الصحابى الجليل عبد الله بن مسعود يحكى لنا كيف مدحه النبى الكريم ﷺ عندما كان غلامًا يافعًا، فقد روى ابن حبان وأبو يعلى والطبرانى عنه أنه قال: «كنت يافعًا فى غنم لعقبة بن أبى معيط أرعاها، فأتى علىَّ النبى ﷺ وأبو بكر فقال: «**يا غلام، هل معك من لبن؟**» فقلت: نعم ولكنى مؤتمن، قال: «**ائتنى بشاة لم ينزل عليها الفحل**» (يعنى شاة ليس فيها لبن، ولا يتوقع أبدًا أن تحلب لبنًا) فأتيته بعناق فاعتقلها رسول الله ﷺ ثم جعل يمسح الضرع ويدعو حتى أنزلت (اللبن)، فأتاه أبو بكر رضوان الله عليه بشيء فاحتلب فيه، ثم قال لأبى بكر: اشرب، فشرب أبو بكر ﷺ، ثم شرب النبى ﷺ بعده، ثم قال للضرع: «**أقلص**» فقلص فعاد كما كان، قال: ثم أتيت النبى ﷺ فقلت: يا رسول الله علمنى من هذا الكلام أو من هذا القرآن، فمسح رأسى وقال ﷺ: «**إنك غلام مُعلم**»، قال ابن مسعود: فلقد أخذت من فيه (فمه) ﷺ سبعين سورة ما نازعنى فيها بشر»[٣]، ومن عدله وفقهه ﷺ أنه لم يفرق فى المدح بين الذكور والإناث، لان الجميع بحاجة ماسة إلى المدح الصادق، فها هى الصحابية الجليلة أم خالد بنت خالد بن سعيد تحكى لنا ذكرياتها عندما عادت وهى صغيرة مع أبيها من الحبشة بعد هجرتهم إليها، وكيف أن النبى ﷺ استقبلها بالترحاب والمدح والدعاء بطول البقاء، روى البخارى عن أم خالد بنت خالد بن سعيد قالت:

---

(١) المعجم الكبير ٥/ ٢٠٩، والمعجم الأوسط ٣/ ١٧٨.
(٢) انظر: المستدرك على الصحيحين ٣/ ٤٧٦، وتهذيب الكمال ١٠/ ٣٠، والسيرة الحلبية، ٢/ ٦٣٣، وتاريخ مدينة دمشق، ١٩/ ٣١٣.
(٣) صحيح ابن حبان ١٤/ ٤٣٢، ٤٣٣، ومسند أبى يعلى ٨/ ٤٠٣، والمعجم الكبير للطبرانى ٩/ ٧٨.

أتيت رسول الله ﷺ مع أبي وعليَّ قميص أصفر، قال رسول الله ﷺ: «**سنه سنه** (قال الراوي: وهي بالحبشية: حسنة) قالت: فذهبت ألعب بخاتم النبوة، فزبرني أبي، قال رسول الله ﷺ: **دعها**، ثم قال رسول الله ﷺ: **أبلي واخلقي ثم أبلي واخلقي ثم أبلي وأخلقي**، قال الراوي: فبقيت حتى ذكر يعني من بقائها»[1] والإمام الطبراني يروى لنا نفس الموقف بصورة أكثر تفصيلاً وتوضيحًا، فقد روى عن خالد بن سعيد ﷺ أنه قدم على النبي ﷺ حين قدم من مهاجر الحبشة ومعه بنته أم خالد، فجاء بها إلى رسول الله ﷺ وعليها قميص أصفر قد أعجب الجارية قميصها، وقد كانت فهمت بعض كلام الحبشة، فراطنها (فكلمها) رسول الله ﷺ بكلام الحبشة فقال: «**سنه سنه**» (وهي بالحبشية: حسن، يعني ثوبك جميل) ثم قال لها ﷺ: «**أبلي واخلقي ثم أبلي واخلقي**، قال الراوي: فأبلت والله ثم أخلقت ثم أبلت ثم أخلقت»[2].

واقتداء بالنبي الكريم ﷺ وسيرًا على نهجه القويم، فقد حرص الصحابة الكرام على ممارسة المدح الصادق فيما بينهم، روى البخاري عن زيد بن ثابت ﷺ أنه قال: «أتيت أبا بكر وعمر عنده جالس لا يتكلم، فقال أبو بكر: إنك رجل شاب عاقل ولا نتهمك، كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ فتتبع القرآن فاجمعه. قال زيد: فوالله لو كلفني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علي مما أمرني به من جمع القرآن».[3] ولقد اهتم الصحابة الكرام بمدح الصغار كما فعل حبيبهم وحبيبنا محمد ﷺ، روى الإمام أحمد عن غضيف بن الحرث (وكان من أصغر الصحابة سنًا) أنه مر بعمر بن الخطاب ﷺ فقال عمر: نعم الفتى غضيف، فلقيه أبو ذر (بعد ذلك) فقال: أي أخي استغفر لي، فقال غضيف: أنت صاحب رسول الله ﷺ وأنت أحق أن تستغفر لي، قال أبو ذر: إني سمعت عمر بن الخطاب يقول: نعم الفتى غضيف، وقد قال رسول الله ﷺ: «**إن الله عز وجل ضرب بالحق على لسان عمر وقلبه** (يعني يدرك الحق بقلبه وينطق به على لسانه)»[4].

---

(١) صحيح البخاري ٥/ ٢٢٣٤.

(٢) المعجم الكبير للطبراني ٤/ ١٩٤.

(٣) صحيح البخاري ٤/ ١٧٢٠.

(٤) انظر: مسند أحمد ٥/ ١٤٥، والمستدرك على الصحيحين ٣/ ٩٣، سير أعلام النبلاء ٣/ ٤٥٣-٤٥٥.

دواء طعمه حلــو :

نلاحظ أن معظم أدوية الأطفال طعمها حلو ورائحتها جميلة، وذلك حتى يتقبلها الطفل بصدر رحب ويقبل على تناولها، فتكون سببًا فى شفاء أمراضه بإذن الله، ونفس الفكرة علينا أن نطبقها عند علاج أمراضهم الخلقية والسلوكية، فنمزج لهم الدواء المر مع شيء حلو يحبونه ويرغبون فيه، وهذا بالضبط ما فعله رسولنا الكريم ﷺ إذ عالج أخطاء الصغار بما يسمى: المدح المشروط، وهو عبارة عن مدح المخطئ وفى نفس الوقت دعوته لإصلاح عيب من عيوبه، وخير مثال على ذلك ما رواه البخارى ومسلم عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال: كان الرجل فى حياة النبى ﷺ إذا رأى رؤيا قصها على رسول الله ﷺ، فتمنيت أن أرى رؤيا فأقصها على رسول الله ﷺ، وكنت غلامًا شابًا وكنت أنام فى المسجد على عهد رسول الله ﷺ، فرأيت فى النوم كأن ملكين أخذانى فذهبا بى إلى النار، فإذا هى مطوية كطى البئر، وإذا لها قرنان، وإذا فيها أناس قد عرفتهم، فجعلت أقول: أعوذ بالله من النار، قال: فلقينا ملك آخر فقال لى: لم ترع (فى رواية عند البخارى أن الملك قال له: لم ترع، نعم الرجل أنت لو تكثر الصلاة)، فقصصتها على حفصة، فقصتها حفصة على رسول الله ﷺ فقال: «**نعم الرجل** (وفى رواية: **نعم الفتى**) **عبد الله لو كان يصلى من الليل**»[1]، فكان (عبد الله) بعد ذلك لا ينام من الليل إلا قليلاً. لقد فرح الفتى المؤمن بالمدح النبوى له، لكنه شعر أنه مدح غير مكتمل، والسبب فى ذلك خطأ يقع فيه وهو قلة صلاته بالليل فقرر أن يعالج نفسه ليحصل على المدح النبوى كاملا دون أى نقص، فكان بعد ذلك لا ينام من الليل إلا قليلا.

ولأن العلاج الحلو ناجح وفعال، فقد استخدمه النبى الكريم مع صحابى آخر هو خريم بن فاتك ﷺ ، هذا الصحابى الجليل كان يرتكب خطأين اثنين، أولهما: إطالة الشعر بطريقة غير معتادة وبصورة غير لطيفة، حيث كان يطيل

---

(١) صحيح البخارى ١/٣٧٨، ٦/٢٥٧٨، وصحيح مسلم ٤/١٩٢٧

شعره حتى يتعدى شحمة أذنه، والخطأ الثانى: هو إطالة ثيابه أسفل من الكعبين، وذهب خريم يومًا يزور النبى ﷺ، وانتهز المعلم الكريم الفرصة، وعالج هذين الخطأين بصورة تربوية رائعة، فقال ﷺ: «**يا خريم بن فاتك لولا خصلتان فيك لكنت أنت الرجل**، وفى رواية أخرى أنه ﷺ قال: **نعم الرجل أنت يا خريم لولا خلتان فيك**»، فما كان من خريم إلا أن قال: وما هما بأبى أنت يا رسول الله؟ فقال ﷺ: «**إسبالك إزارك وإرخاؤك شعرك**، فانطلق خريم من حينه فقص شعره وقصر ثوبه، وقال: من اليوم لا يجاوز شعرى أذنى ولا ثوبى كعبى»[(١)].

ولأن العلاج نافع ومفيد فقد حاول الصحابة رضى الله عنهم استخدامه مع بعضهم البعض؛ فلقد روى عن صهيب ﷺ أنه قال: قال لى عمر: نعم الرجل أنت يا صهيب لولا خصال فيك ثلاث، قلت: وما هى يا أمير المؤمنين؟ قال: تكّنيت ولم يولد لك[(٢)]، وفيك سرف فى الطعام، وانتميت إلى العرب ولست منهم، قلت: أما قولك تكنيت ولم يولد لك، فإن رسول الله ﷺ كنانى أبا يحيى، وأما قولك انتميت إلى العرب ولست منهم، فإنى رجل من بنى النمر بن قاسط سبتنا الروم من الطائف بعد ما عقلت أهلى ونسبى، وأما قولك فيك سرف فى الطعام، فإن رسول الله ﷺ قال: «**خياركم من أطعم الطعام**»[(٣)].

أتمنى أن أسمعها منك يا أبي:

المدح الصادق يجلب الحب والخير والصلاح، وأبناؤنا يحبون من يمدحهم ويتمنون لقاءه باستمرار، ويفرحون لحديثه ويستمعون لنصائحه، أما من يذمهم صباح مساء، فيكون على قلوبهم ثقيلاً، وفى أعينهم بغيضًا، حتى لو كان من أقرب المقربين إليه

---

(١) انظر: مسند أحمد ٤/ ٢٠٧، ٢٠٨، والمعجم الصغير للطبرانى ١/ ٢٥٤، والمعجم الأوسط للطبرانى ٤/ ٢٠، وبغية الطلب فى تاريخ حلب ٧/ ٣٣٤٧، والتاريخ الكبير ٣/ ٢٢٤، تعجيل المنفعة ١/ ١٤٥.
(٢) عمر ﷺ قد أنكر على صهيب أن يتكنى قبل أن يولد له، وهذا يدل على أنهم أو أكثرهم كانوا لا يتكنون حتى يولد لهم، فيكتنون بأبنائهم فيقولون: أبو فلان، وأبو فلانة، شرح معانى الآثار ٤/ ٣٤٠.
(٣) شرح معانى الآثار ٤/ ٣٤٠.

نسبًا، ولقد جربت هذا الأمر كثيرًا، كنت أتعمد أن أمارس المدح الصادق مع بعض الصغار، وأراقب ردود أفعالهم، فأرى فى وجوههم الفرحة والبسمة، كما أنهم يسعدون كثيرًا لرؤيتى، ويستمعون بإنصات لكلامى، ومن أطرف ما حدث لى أن أحد أصدقائى كان له ابن عمره عشر سنوات، وكان مرتبًا فى ملابسه، وينتقيها مع والديه بعناية فائقة، فكنت كلما قابلته قلت له: ما هذه الأناقة؟ ثيابك جميلة، ألوانها متناسقة جدًا، كيها مضبوط وذات مظهر جميل، مقاسها عليك مضبوط ورائع كأنها مرسومة عليك، أنت حقًا تتمتع بذوق عال فى الملابس، تسريحة شعرك مع الملابس تعطى رونقًا وجمالاً، هكذا حقا كان اهتمام رسولنا الكريم بمظهره وشعره وثيابه، وكل مرة كنت أمدحه فيها كان يفرح كثيرًا، ويقابلنى بعدها أكثر هندامًا واعتناء بملبسه ومظهره، وظللت هكذا أمدحه مدحًا صادقًا، طوال ثلاثة أشهر تقريبًا إلى أن جاء اليوم الموعود، إنه يوم العيد، والجميع قد اختار ملابسه بعناية فائقة، وذهبت إلى المصلى، وبعد صلاة العيد قابلته مع والده فهنأتهما بالعيد، لكننى استأذنت منهما على عجل لأسلم على بعض الأقارب والأصدقاء لكن الفتى استوقفنى، وقال: أليست ملابسى جميلة اليوم يا عمي؟

أيها الوالد الكريم، أيتها الأم الحنون

كثيرًا ما نذم أبناءنا ونصفهم بأبشع الصفات وهكذا نهدم أخلاقهم ونحطم نفسياتهم، فلماذا لا نعطى أنفسنا هدنة ونتوقف ولو يومًا واحدًا عن السب والشتم واللوم والعتاب، ونستبدلها بالمدح والثناء الصادقين، وسنرى والله من أبنائنا ما يسرنا ولكى ينجح هذا الأمر، علينا أن نحدد الجوانب الإيجابية فى حياة أبنائنا، ثم نحدد كيفية مدحنا لأحد هذه الجوانب، ولا يظن البعض أن ابنه لا يملك أى إيجابيات، فمن يقول ذلك يظلم أبناءه كثيرًا، كل ما علينا فعله هو أن نمسك قلمًا وورقتين وفى الورقة الأولى نكتب إيجابيات ابننا الجسمانية والعقلية والفكرية والعلمية والرياضية والعبادية والأخلاقية، وفى الورقة الثانية نكتب سلبياته فى كل هذه

الجوانب، والله سوف تـذهلنا النتيجـة، وسـنرى إلى أى درجـة نظلـم أبناءنـا، وذلـك بتركيزنا على سلبياتهم وإهمال إيجابياتهم مع سبق الإصرار والترصد.

أيها الوالد الكريم، أيتها الأم الحنون

إن أبناءنا بحاجة ماسة إلى كلمات المدح الصادقة وعبارات الثنـاء اللطيفة، فلماذا نبخل علـيهم بهـا ونحـرمهم مـن سماعهـا؟ لمـاذا لا نعرف سوى التوبيخ واللوم والتجريح؟ مع أن المدح هو خير عـلاج للكثير من أخطاء أبنائنا، ولقد فهمت إحدى المعلمات ذلك فنجحت كـثيرًا فـى عـلاج أخطـاء تلميـذاتها، فقـد رأت يومًـا يـدى إحـدى تلميذاتها متسخة نتيجـة اللعـب، فلـم تقـل لهـا: مـا هـذه القـذارة؟ اخرجى بسرعة لغسل يـديك، ولم تقـل لتلميـذاتها: انظـرن إلى هـذه التلميذة غير النظيفة، لم تفعل هذا كله إنمـا لجـأت إلى العـلاج الحلـو فعالجت به هذا السلوك، لقد قالـت لصـاحبة اليـدين المتسـختين: إن يديك جميلتان، فعليك أن تحـافظى علـى جمالهمـا بالنظافـة والعنايـة، فقامت البنت من فورها لتستأذن من المعلمة لتذهـب فتغسـل يـديها، وبعد ذلك كانت تأتى أمام المعلمة فتريها يديها، وكـم همـا نظيفتـان فتمدحها المعلمة، وتثنى عليها، فتضحك البنـت فرحـة مسـرورة، وتحتضـن معلمتهـا تعبيرًا منها عن الحب والشكر والامتنان.

أحسنت صنعًا ولا تعد :

فوجئنا فى يوم من الأيام أن ابن جارنا البالغ من العمر خمس سنوات قد اختفى، وبدأت رحلة البحث عنه، ومع مرور كل دقيقة يضطرب أهله ويزداد قلقهم وخوفهم عليه، مضت ساعة ولم يعثر عليه أحد، وبلغ القلـق غايتـه والخـوف ذروتـه، وذرفـت دموع الأم والجدة على الغائب المنتظر بشوق ولهفة، وهنا فكر أحد الجيران أن يذهب ليبحث عنه فى المسجد، لكننا لسنا فى وقت صلاة، نحن بين صلاتى العصر والمغرب، لكنه قرر أن يذهب أخذًا بالأسباب، وبقى الجميع يبحث أمـام العمـارة التـى نسـكن فيها، وبعد دقائق ظهر جارنا وفى يده الطفل الضـائع، لقـد كـان فعـلا فـى المسـجد، أتعلمون لماذا؟ لأننا كنا فى شهر رمضان، وقد تعود والده على الجلوس فـى المسـجد

يوميًا بعد العصر حتى صلاة المغرب يقرأ القرآن الكريم، ولقد حاول الطفل تقليد والده لكنه لم يخبر أحدًا بذهابه إلى المسجد، ومن هنا جاء الخوف والقلق عليه، فيا ترى ما هو العلاج التربوى لهذه المشكلة؟ وكيف يتعامل الوالدان مع هذا الطفل الذى خلط الحق بالباطل وجمع بين الخطأ والصواب.

إن التعامل الصحيح مع هذا الموقف يبدأ قبل ضياع الطفل وذلك بالتنبيه عليه ألا يخرج إلا بإذن إن كان فى سن يدرك هذا الكلام، وهنا نحذر الوالدين من تخويف الأبناء من الخروج خارج المنزل بالعفاريت والحرامى وغيرها، ويمكننا أن نضع مع طفلنا كارت يحمله معه دائمًا ونكتب فيه اسمه وعنوانه ورقم التليفون، أو نجعله يحفظ اسمه بالكامل وعنوانه وتليفونه إن أمكن ذلك، أما إذا حدث وتاه الطفل، فإن من الواجب أن يسرع الجميع (الأهل والجيران والأصدقاء) بالبحث عنه، وعند عثورنا على الطفل التائه نسرع بإزالة أى خطر يحيط به (كحشرة ضارة أو سيارات مسرعة أو غيرها) ثم نحتضنه ونقبله ونطمئنه ونخبره كم قلقنا عليه، ولا نقابله باللوم والتعنيف ولا بالتوبيخ والتجريح، وهذا هو ما فعله حبيبنا محمد ﷺ، فقد روى الطبرانى عن سلمان الفارسى ﷺ قال: كنا حول النبى ﷺ فجاءت أم أيمن فقالت: يا رسول الله لقد ضل الحسن والحسين، قال سلمان: وذلك راد النهار يقول: ارتفاع النهار، فقال رسول الله ﷺ: «**قوموا فاطلبوا ابنَّى**» (يقصد حفيديه) قال: وأخذ كل رجل تجاه وجهه وأخذت نحو النبى ﷺ (يعنى ذهب سيدنا سلمان ليبحث فى الجهة التى توجه إليها النبى الكريم) فلم يزل حتى أتى سفح جبل، وإذا الحسن والحسين رضى الله عنهما ملتصق كل واحد منهما صاحبه، وإذا شجاع (ثعبان) قائم على ذنبه (ذيله) يخرج من فيه (من فمه) شبه النار، فأسرع إليه (إلى الثعبان) رسول الله ﷺ فالتفت مخاطبًا لرسول الله ﷺ ثم انساب فدخل بعض الأحجرة، ثم أتاهما (الحسن والحسين) فأفرق بينهما، ومسح وجههما، وقال: «**بأبى وأمى أنتما، ما أكرمكما على الله**»، ثم حمل أحدهما على عاتقه الأيمن والآخر على عاتقه الأيسر، فقلت: طوباكما نعم المطية مطيتكما، فقال رسول الله ﷺ: «**ونعم الراكبان هما، وأبوهما خير منهما**»[1].

---

(١) المعجم الكبير للطبرانى ٣/ ٦٥.

وبعد سكون الطفل واطمئنانه نناقشه فى أسباب ما حدث له محاولين علاج ما حدث من أخطاء. وفى حالة ابن جارنا الذى ذهب للمسجد دون إذن، فقد خلط خيرًا (وهو الذهاب إلى المسجد) بشر (وهو خروجه دون أن يخبر أحدًا)، فهنا يجب التمييز بين الخير والشر، فالخير يستحق الثناء والمدح فنقول له: بارك الله فيك على ذهابك للمسجد، وفى نفس الوقت الخطأ يحتاج إلى تنبيه وعتاب فنقول: لكنك خرجت دون إذن منا فلا تفعل ذلك ثانية، وهذه النظرة الشاملة لسلوك من يخلط الصواب بالخطأ هى ما علمنا إياها حبيبنا محمد ﷺ إذ روى البخارى والطبرانى وأحمد (واللفظ له) عن أبى بكرة إنه جاء ورسول الله ﷺ راكع، فركع دون الصف (بعيدًا عن الصف) ثم مشى إلى الصف (وهو راكع) فقال النبى ﷺ: «**من هذا الذى ركع ثم مشى إلى الصف؟**» فقال أبو بكرة: أنا، فقال النبى ﷺ: «**زادك الله حرصًا، ولا تعد**».[1] وقوله ﷺ: «**زادك الله حرصًا**» أى على الخير، وهنا يمدح النبى ﷺ فعل أبى بكرة من الجهة العامة وهى الحرص على إدراك فضيلة الجماعة، وخطأ من الجهة الخاصة فقال ﷺ: «**لا تعد**» أى: إلى ما صنعت من المشى الشديد وأنت راكع بعيدًا عن الصف[2]. وربما يكون معنى قوله ﷺ: «**ولا تعد**» يعنى لا تعد أن تتأخر عن الصلاة حتى تفوتك[3].

ومن هنا فإن علينا أن نميز بين أفعال الأبناء عندما يخلطون الصواب بالخطأ، فمثلا إذا تأخر تلميذ من تلامذتنا عن المدرسة، وقام من النوم مسرعًا وأتى مهرولاً، لا نلومه ونعاتبه على تأخره فقط، كما لا نكتفى بمدح حرصه على الحضور وإتيانه مسرعًا، بل نجمع بين الأمرين معًا، فنمدح الصواب ونطالبه بتصحيح الخطأ فنقول له فى هذه الحالة: بارك الله فيك وزادك حرصًا على المدرسة، لكن لا تتأخر ثانية عن مواعيد الدراسة، وعندما يأتى الطفل إلى

(١) انظر: صحيح البخارى ١/ ٢٧١، والمعجم الأوسط للطبرانى ٨/ ١٣٢، ومسند أحمد ٥/ ٤٥.
(٢) فتح البارى ٢/ ٢٨٦، ٢٨٧ (بتصرف).
(٣) التمهيد لابن عبد البر ١/ ٢٦٩.

الصلاة وهو يجرى حتى يلحق الإمام وهو راكع حتى تحتسب له ركعة نقول له: زادك الله حرصًا على إدراك الصلاة، لكن لا تأتى الصلاة مسرعًا فلقد علمنا حبيبنا ﷺ أن نأتى إلى الصلاة بكل هدوء وسكينة، روى البخارى عن عبد الله بن أبى قتادة عن أبيه قال: بينما نحن نصلى مع النبى ﷺ، إذ سمع جلبة رجال (صوت رجال يجرون) فلما صلى قال: «**ما شأنكم؟**» قالوا: استعجلنا إلى الصلاة، قال: «**فلا تفعلوا، إذا أتيتم الصلاة فعليكم بالسكينة، فما أدركتم فصلوا، وما فاتكم فأتموا**»[١].

* * *

(١) صحيح البخارى ١/ ٢٢٨.

الخير مدفون والشكر ممنوع

روى الطبرانى عن فضالة بن عبيد ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثلاثة من الفواقر**[١] **إمام** (مدير أو أب أو غيرهما) **إن أحسنت لم يشكر، وإن أسأت لم يغفر، وجار سوء: إن رأى خيرًا دفنه، وإن رأى شرًّا أذاعه، وامرأة: إن حضرتك آذتك، وإن غبت عنها خانتك**» [٢].

الأم فى بيتها قد تبذل قصارى جهدها لتعد طعامًا شهيًا لزوجها الحبيب، وتمكث فى المطبخ عدة ساعات لتنجز هذه المهمة الجميلة، وعند حضور الزوج يجلس لتناول الطعام دون أن ينطق بكلمة شكر واحدة فتقول الزوجة باهتمام: ما رأيك فى الأكل اليوم لقد طبخته بيدى، فيرد الزوج بكل جمود: عادى كل الزوجات يطبخن لأزواجهن، وهنا تجرف الزوجة عاصفة من الألم والحزن والإحباط. والابن قد يجتهد فى دراسته ليفتخر به والده، وفى اليوم الموعود يحمل شهادته الدراسية ذات الدرجات المرتفعة ليراها الوالد الحبيب، ويعود الابن إلى بيته مهرولاً فرحًا مسرورًا، ويجرى على والده ويناوله الشهادة، لكن والده يقول: أنا الآن مشغول بقراءة الجريدة بعد فترة سأراها، فيعود الابن مخذولاً حزينًا والحسرة تعتصر قلبه، ويتمنى أنه لم يذهب للمدرسة يومًا. والطالب قد يجتهد فى إجراء بحث طلبه منه أستاذه، ويحاول بذل قصارى جهده حتى ينجزه بصورة جيدة، وعندما يراه الأستاذ يقول: هذا البحث مكانه الحقيقى سلة المهملات (الزبالة) وهنا يشعر الطالب بحسرة وألم وحزن شديد.

إن شكر الآخرين ومكافأتهم على مجهودهم واجب إنسانى وعمل تربوي، لأن النفس البشرية بفطرتها تحب المكافأة والإثابة على ما تقوم به من مجهود، ومن هنا دعانا نبينا الكريم ﷺ إلى مكافأة كل من قدم لنا معروفًا صغيرًا كان أم كبيرًا، روى

---

(١) ثلاثة من الفواقر أى الدواهي، واحدتها فاقرة، كأنها تحطم فقار الظهر، كما يقال قاصمة الظهر، انظر: لسان العرب ٢/ ٦٤.

(٢) رواه الطبرانى بإسناد لا بأس به، انظر الترغيب والترهيب ٣/ ٢٤٣، والمعجم الكبير للطبرانى ١٨/ ٣١٨.

أبو داود وابن حبان والنسائى وغيرهم عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«من استعاذ بالله فأعيذوه، ومن سألكم بالله فأعطوه، ومن استجار بالله فأجيروه، ومن أتى إليكم معروفًا فكافئوه، فإن لم تجدوا فادعوا له حتى تعلموا أن قد كافأتموه»،**[١] ولقد كان حياته ﷺ تطبيقًا عمليًا لهذه القاعدة التربوية الرائعة، حيث كانت مكافأة المحسن عادته ﷺ باستمرار[٢].

وعلى النهج النبوى الكريم سار سلفنا الصالح، فكافأوا كل من صنع لهم معروفًا كما استخدموا أسلوب المكافأة مع أبنائهم وتلامذتهم بطريقة تربوية رائعة، وخير مثال على ذلك الفقيه المالكى سحنون بن سعيد رحمه الله[٣] حيث عود ابنه محمد على المدح والكلام اللطيف، فكان يشكره ويمدحه إذا فعل خيرًا، ويرشده ويوجهه إذا فعل شرًا، وكان يقول لمؤدب ابنه محمد: «لا تؤدبه إلا بالكلام الطيب والمدح، فليس هو ممن يؤدب بالتعنيف والضرب، واتركه على بختى، فإنى أرجو أن يكون نسيج وحده وفريد أهل زمانه»[٤] ولقد كان لهذا الأسلوب التربوى أثر كبير فى حياة الطفل الصغير، فنشأ محبًا للحق مقبلاً على فعل الخير، حتى أصبح فقيهًا عالمًا كأبيه، حتى قال عنه المؤرخون: كان محمد بن سحنون إمامًا فى الفقه ثقة، تفقه بأبيه وغيره من العلماء ولم يكن فى عصره أحذق بفنون العلم منه، وكان الغالب عليه الفقه والمناظرة، ولقد جلس مجلس أبيه (فى الفتوى) بعد موته فصار مفتيًا للقيروان، وكان من أكثر الناس حجة وأتقنهم بها لدرجة أنه كان يناظر أباه، ولقد قيل

(١) رواه أبو داود والنسائى واللفظ له وابن حبان فى صحيحه والحاكم وقال صحيح: على شرطهما ورواه الطبرانى فى الأوسط مختصرًا قال: **«من اصطنع إليكم معروفًا فجازوه فإن عجزتم عن مجازاته فادعوا له حتى تعلموا أن قد شكرتم، فإن الله شاكرا يحب الشاكرين»**، انظر: الترغيب والترهيب ٢/ ٤٤.

(٢) يقول ابن حجر العسقلاني: «إن المكافأة كانت عادة النبى ﷺ مستمرة» فتح البارى ٣/ ١٤٤.

(٣) سحنون بن سعيد التنوخى الإفريقى من فقهاء أصحاب مالك رحمه الله، وهو ممن جالس الإمام مالك ابن أنس مدة وروى عنه أكثر من ثلاثين ألف مسألة، وحفظ مذهبه وفرع عليه، وهو الذى قدم بمذهب الإمام مالك إلى إفريقية ونشره فى بلاد المغرب العربي، توفى عام ٢٤٠هـ، وقيل ٢٤٢، وكان مولده سنة ١٦٠ أو ١٦١ هـ، انظر: الأنساب ١/ ١٩٧، ومعجم البلدان ١/ ٢٣١.

(٤) الديباج المذهب ١/ ٢٣٤، ٢٣٥.

لعيسى بن مسكين[١]: من خير من رأيت فى العلم؟ فقال: محمد بن سحنون، وقال أيضًا: ما رأيت بعد سحنون مثل ابنه محمد، وقال فيه إسماعيل القاضى ابن إسحق: هو الإمام بن الإمام، قال ابن حارث: كان من الحفاظ المتقدمين المناظرين المتصرفين وكان كثير الكتب غزير التأليف، له نحو من مائتى كتاب فى فنون من العلم، وكان ابن سحنون كريمًا فى معاشرته، نفاعًا للناس فيعطى من قصده عشرات الدنانير، مطاعًا جوادًا بماله وجاهه، وجيهًا عند الملوك والعامة، جيد النظر فى الملمات[٢].

أولاً: المكافأة أشكال وألوان:

المكافأة والإثابة منهج تربوى أساسى فى تربية الطفل والسيطرة على سلوكه وتطويره، وهى أيضا أداة هامة فى خلق الحماس ورفع المعنويات وتنمية الثقة بالذات عند الكبار والصغار لأنها تعكس معنى القبول الاجتماعى الذى هو جزء من الصحة النفسية، والطفل الذى يثاب على سلوكه الجيد المقبول يتشجع على تكرار هذا السلوك مستقبلا.[٣] والسؤال الذى يطرح نفسه الآن هو: كيف نكافىء أبناءنا على سلوكياتهم الإيجابية؟ والحقيقة أن هناك العديد من المكافآت (المادية والمعنوية) التى تناسب الكبار والصغار منهم، ومنها ما يلى:

١- أحسنت وخيراً فعلت:

ما شاء الله عمل متميز، أنت بارع، جميل وممتع رؤية عملك وإنجازك، عمل رائع يستحق التقدير، أنا معجب بما فعلت، أحسنت أداؤك ممتاز، كم أنا سعيد بسلوكك

(١) عيسى بن مسكين قاضى القيروان وفقيه المغرب أخذ عن سحنون والحارث بن مسكين بمصر، وكان إمامًا ورعًا خاشعًا متمكنًا من الفقه والآثار مستجاب الدعوة يشبه سحنون فى سمته وهيبته، أكرهه ابن الأغلب الأمير على القضاء فولى ولم يأخذ رزقًا وكان يركب حمارًا ويستقى الماء لبيته وتوفى عام ٢٩٥هـ، انظر: العبر فى خبر من غبر ٢/ ١٠٨، ١٠٩.

(٢) توفى عام ٢٥٦هـ، بعد موت أبيه بست عشرة سنة وعمره أربع وخمسون سنة، وكان مولده سنة ٢٠٢ وقيل ٢٠٠ هـ، انظر: الديباج المذهب ١/ ٢٣٤- ٢٣٧، وشذرات الذهب ٢/ ١٥٠، ومرآة الجنان ٢/ ١٨٠، والوافى بالوفيات ٣/ ٧٢، وطبقات الفقهاء ١/ ١٦١.

(٣) مجلة النفس المطمئنة، العدد ٦٩، يناير ٢٠٠٢ بتصرف.

الطيب.. كل هذه العبارات يستخدمها الآباء والمعلمون لمدح من يحسن من أبنائهم وتلامذتهم، وهذه العبارات الرائعة تؤثر كثيرًا فيمن يسمعها، وتشعره بالفرح والثقة بالنفس، كما تشجعه على تكرار ما فعل من عمل جيد لينال استحسان والديه ومعلميه.

إن عبارات المدح الصادقة وكلمات الثناء الرائعة خير مكافأة تعطيها للمحسن من أبنائك وتلامذتك؛ لأنها تفجر فى النفس البشرية طاقات هائلة من الفرح والسعادة والنشاط والإبداع والإقبال على الحياة، ولنا فى سيرة حبيبنا محمد ﷺ خير الأمثلة على مكافأة المحسن بالمدح والثناء، روى البيهقى والحاكم عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال: أتى النبى ﷺ كتاب رجل، فقال لعبد الله بن الأرقم: أجب عنى، فكتب جوابه ثم قرأه عليه، فقال ﷺ: «**أصبت وأحسنت، اللهم وفقه**» فلما ولى عمر (الخلافة) كان يشاوره[1]. وروى البخارى ومسلم عن أبى موسى الأشعرى ﷺ قال: قدمت على رسول الله ﷺ وهو بالبطحاء فقال: «**أحججت؟** قلت: نعم، قال: **بما أهللت؟**[2] قلت: لبيك بإهلال كإهلال النبى ﷺ، قال ﷺ: **أحسنت، انطلق فطف بالبيت وبالصفا والمروة**»[3]، وروى ابن ماجه والطبرانى عن نمران بن جارية عن أبيه: أن قومًا اختصموا إلى النبى ﷺ فى خص كان بينهم، فبعث حذيفة يقضى بينهم، فقضى للذين يليهم القمط[4] فلما رجع إلى النبى ﷺ أخبره، فقال: «**أصبت وأحسنت**»[5].

٢- أنا محتاج لدعائك فلا تخذلني:

الدعاء هو خير مكافأة نعطيها لأبنائنا وتلامذتنا إذا أحسنوا العمل، والدليل على ذلك ما رواه البخارى وابن حبان (واللفظ له) عن ابن عباس رضى الله عنهما، قال:

---

(١) سنن البيهقى الكبرى ١٠/ ١٢٦، والمستدرك على الصحيحين ٣/ ٣٧٨، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد.

(٢) «الإهلال: هو رفع الصوت بالتلبية، يقال: أهلَّ المحرم بالحج يهل إهلالًا: إذا لبى ورفع صوته» النهاية فى غريب الحديث.

(٣) صحيح البخارى ٢/ ٦١٦، وصحيح مسلم ٢/ ٨٩٤.

(٤) «الخص: البيت الذى يعمل من الحطب أو الخوص، والقمط: هى الحبال التى يربط بها الحطب بجوار بعضه البعض» النهاية فى غريب الحديث ٤/ ١٠٨ (بتصرف)

(٥) سنن ابن ماجه ٢/ ٧٨٥، والمعجم الكبير للطبرانى ٢/ ٢٥٩.

أتى النبى ﷺ الخلاء، فوضعت له وضوءًا، فلما خرج قال: «**من وضع هذا؟** قالوا: ابن عباس، قال: **اللهم فقهه (فى الدين)**». [١] ولقد قال العلماء إن هذا الحديث دليل على استحباب المكافأة بالدعاء [٢]، وهناك دليل آخر على استحباب المكافأة بالدعاء وهو ما رواه أبو داود والنسائى وابن حبان وغيرهم عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ «**من أتى إليكم معروفا فكافئوه، فإن لم تجدوا فادعوا له حتى تعلموا أن قد كافأتموه**». [٣] ومما يؤكد استحباب الدعاء لفاعلى الخير من أبنائنا وغيرهم، أن النبى ﷺ قد ساوى بين من يفعل الخير من المسلمين، وبين من يقابل الخير والعطاء بالشكر والدعاء، روى أبو داود والنسائى عن أنس ﷺ قال: قال المهاجرون: يا رسول الله، ذهب الأنصار بالأجر كله، ما رأينا قومًا أحسن بذلاً لكثير ولا أحسن مواساة فى قليل منهم، ولقد كفونا المؤنة، قال ﷺ: «**أليس تثنون عليهم به وتدعون لهم؟**» قالوا: بلى، قال: «**فذاك بذاك**» [٤].

أيها الوالد الكريم، أيتها الأم الحنون

إننا قد نشكر من يصنع لنا معروفًا وندعو له بالخير، لكننا غالبًا ما ننسى أبناءنا ونهمل شكرهم ونتغافل عن الدعاء لهم، فلماذا لا تشكر ابنك عندما يحضر لك كوب ماء أو يشترى شيئًا من السوق؟ ولماذا لا تشكرين ابنتك عندما تساعدك فى طهى الطعام وترتيب المطبخ؟ بعض الآباء قد يقول: إن ما يفعلون ما هو إلا واجب عليهم لذلك لا شكر ولا دعاء على واجب، وهنا نقول: إن ما يفعله أبناؤنا من خير تجاهنا هو فعلا واجب، لكن شكرهم على هذا الواجب مطلوب ومستحب، والدليل على

(١) صحيح البخارى ١/ ٦٦، وصحيح ابن حبان ١٥/ ٥٢٩.
(٢) قال ابن حجر العسقلاني: «قال التيمي: فيه استحباب المكافأة بالدعاء» (فتح البارى ١/ ٢٤٤).
(٣) رواه أبو داود والنسائى واللفظ له وابن حبان فى صحيحه والحاكم وقال: صحيح على شرطهما ورواه الطبرانى فى الأوسط قال: «**من اصطنع إليكم معروفًا فجازوه، فإن عجزتم عن مجازاته فادعوا له حتى تعلموا أن قد شكرتم، فإن الله شاكر يحب الشاكرين**» الترغيب والترهيب ٢/ ٤٤.
(٤) رواه أبو داود والنسائى واللفظ له، الترغيب والترهيب، ٢/ ٤٦.

ذلك قوله ﷺ: «**من أتى إليكم معروفًا فكافئوه**»[١]، وهنا يطلب منا النبى ﷺ مكافأة كل من فعل لنا معروفـًا، سواء أكان ابنًا أو قريبًا أو صديقًا أو حتى خادمًا، وخير مكافأة فى هذه الحالات هو الدعاء لفاعل الخير بقولنا: جزاك الله خيرًا، فقد روى ابن حبان والنسائى والترمذى عن أسامة بن زيد ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من صُنع إليه معروف فقال لفاعله: جزاك الله خيرًا، فقد أبلغ فى الثناء**»[٢]، والثناء هنا بمعنى المدح والشكر والدعاء.

٣- يحبها الصغار ويحتاجها الكبار:

القبلة الحانية هى عنوان المحبة والمودة والقبول، لذلك يحب أطفالنا كثيرًا أن نقبلهم ونحتضنهم ونمزح معهم، والقبلة الرقيقة على الخد والرأس والجبين هى عنوان الاحترام والحب والفرح، لذلك يحتاج أبناؤنا الكبار إلى تقبيلنا لهم فى هذه الأماكن كلما كانت هناك مناسبة لذلك، ومن الأوقات التى يحتاج فيها الأبناء إلى قبلات الآباء عند قدومهم من السفر، وخير دليل على ذلك ما رواه البيهقى وأبو داود والطبرانى (واللفظ له) عن الشعبى قال: لما أتى رسول الله ﷺ حين فتح خيبر، قيل له: قد قدم جعفر من ثم (عند) النجاشى، فقال النبى ﷺ: «**لا أدرى بأيهما أنا أشد فرحًا بقدوم جعفر أو فتح خيبر**، فقبل ما بين عينيه» وفى رواية أبى داود: «أن النبى ﷺ تلقى جعفر ابن أبى طالب فالتزمه (فضمه) وقبَّل ما بين عينيه»[٣].

وعندما يمرض الأبناء يحتاجون إلى دعوات الآباء وقبلاتهم، وهذا ما فهمه الصحابى الجليل أبو بكر الصديق ﷺ وطبقه أجمل تطبيق، فقد روى أبو داود عن البراء قال: دخلت مع أبى بكر أول ما قدم المدينة، فإذا عائشة ابنته مضطجعة قد أصابتها حمى، فأتاها أبو بكر فقال لها: كيف أنت يا بنية، وقبل خدها»[٤].

---

(١) رواه أبو داود والنسائى وابن حبان فى صحيحه والطبرانى والحاكم وقال: صحيح على شرطهما، انظر: الترغيب والترهيب ٢/ ٤٤.
(٢) صحيح ابن حبان ٨/ ٢٠٢، السنن الكبرى للنسائى ٦/ ٥٣، سنن الترمذى ٤/ ٣٨٠.
(٣) المعجم الكبير للطبرانى ٢/ ١٠٨، وسنن البيهقى الكبرى ٧/ ١٠١، وسنن أبى داود ٣٥٦.
(٤) سنن أبى داود ٣٥٦، وسنن البيهقى الكبرى ٧/ ١٠١، والمعجم الكبير للطبرانى ٢٣/ ١٨٣.

وعندما يحسن الأبناء ويفعلون الخير يمكـن أن نكـافئهم بضـمة ودودة[(١)]، وقبلـة حانية، وقدوتنا فى ذلك خامس الخلفاء الراشدين عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى، لما ولى عمر بن عبد العزيز الخلافة خطب فى الناس خطبة جامعة، ثم نـزل مـن علـى المنبر فدخل بيته ليستريح وقت الظهيرة، فأتاه ابنه عبد الملك فقـال: يـا أمـير المـؤمنين ماذا تريد أن تصنع؟ قال:يا بنى، أقيل، قال ابنه: تقيل ولا ترد المظالم إلى أهلـها، فقـال عمر: إنى سهرت البارحة فى أمر سليمان (فـىَّ تجهيـزه ودفنـه) فـإذا صـليت الظهـر رددت المظالم، فقال له ابنه: ومن لك أن تعيش إلى الظهر، قال عمر: ادن منى أى بنى، فدنا منه فقبل عمر بين عينيه (جبين ابنه) وقال: الحمد لله الذى أخرج من صلبى مـن يعيننى على دينى، ثم قام وخرج وترك القيلولة، وأمر مناديه فنادى: ألا من كانت لـه مظلمة فليرفعها، وجلس يقضى فى المظالم وتتابع الناس فى رفع المظالم إليه فما رفعت إليه مظلمة إلا ردها، وظل مستيقظًا ولم ينم خوفًا من الموت». [(٢)]

٤- بكم تبيع ابتسامتك؟

روى ابن حبان والترمذى والطبرانى عن أبى ذر ﷺ قـال: قـال رسـول الله ﷺ: «**تبسمك فى وجه أخيك صدقة**» [(٣)].

---

(١) (كشفت الدراسات النفسية الأخيرة عن أن احتضان الوالدين لابنهما الطفل واللمس على كتفه يزيد من ذكائه ونموه الطبيعي، إذ أنه يساعد على إفراز مادة الأندروفين فى الجسم وهى موصـل عصـبى يسـاعد على تخفيف العصبية والقلق النفسى والإحساس بالألم، وينصح الأخصائيون كما يقـول الـدكتور أحمـد أمين نائب رئيس جمعية «صوت المعاق ذهنيا»، بأن هناك عوامل أخرى لتنمية ذكاء الطفـل مثـل تقـارب الآباء مع أبنائهم بقضاء وقت كاف معهم فى رحلات عائلية أو زيارات للمتاحف أو السـير بالحـدائق، وتوفير جو باسم بينهم وإعطاء نموذج مقبل على الحياة وتكليف الأبناء بأداء مهام بسيطة تعطيهم الثقـة فى النفس ومنحهم مكافأة عليها ولو كانت كلمة شكر، وفى نفس الوقت يجب على الوالدين أن يكونا صبورين على ابنهما فى التصرفات الخاطئة لأنه فى مرحلة تعلم للسـلوكيات وتجنـب أذاه الجسـدى أو الإهانة بالكلام أو توجيه الانتقادات والتعليقات أو الملاحظات السـلبية المتكـررة، مـع تهيئـة جـو مـن الهدوء فى حل المشاكل وتجنب الصراخ والصوت الصارخ الذى قد يقتدى بـه الطفـل فـى تعامله مـع المشاكل والآخرين ومع الثبات على الرأى وعدم التراجع فيه وتوضيح عواقب السلوك الخاطئ للطفـل وتحبيذ السلوك الإيجابي).

انظر: احتضان الطفل يزيد ذكاءه http://gulfeve.com/forums/showthread.php?t=4096

(٢) البداية والنهاية ٩/ ٢١٢، ٢١٣، بتصرف، المنتظم ٧/ ٥٨، ٥٩.

(٣) صحيح ابن حبان ٢٢١٢، سنن الترمذى ٤/ ٣٣٩، والمعجم الأوسط للطبرانى ٨/ ١٨٣.

للضحك والتبسم أسباب متعددة، لكن أكثرها يكون للتعبير عن الإعجاب أو التعجب، وربما يكون الهدف من التبسم هو الملاطفة، والتعبير عن مشاعر الحب الصادقة، وربما تكون البسمة تعبيرًا عن السخرية والاستهزاء، والرسول ﷺ يخبرنا أن البسمة (بكل أنواعها الطيبة) تحسب عند الله صدقة، لذلك كان ﷺ كثيرًا ما يتبسم فى وجوه أصحابه، روى البخارى ومسلم عن جرير بن عبد الله البجلى ﷺ قال: «ما حجبنى النبى ﷺ منذ أسلمت، ولا رآنى إلا تبسم فى وجهي»[1] فلماذا لا نقتدى بحبيبنا محمد ﷺ ونتبسم فى وجوه أبنائنا؟ لماذا لا نملأ بيوتنا بابتسامات المودة والمحبة والرضا والإعجاب والتعجب؟ إن من يراك تبتسم فى وجهه كلما رأيته، سيتمنى أن يراك دائمًا، ويكون مؤهلاً لطاعتك فيما تريد منه، أما إذا قابلنا أبناءنا دائمًا بالعبوس وعدم الرضا، فسيهربون من بيوتنا إلى شوارع وبيوت لا ندرى ما يتعلمون منها.

إن البسمة التى تعبر عن الفرح والإعجاب يمكن أن تكون فى حد ذاتها، مكافأة يتلقاها من يحسن من أبنائنا وتلامذتنا، فالإحساس برضا الآباء والمعلمين يملأ نفوس الأبناء والتلاميذ بالسعادة والراحة والطمأنينة، ويملأ أجسامهم بالطاقة ويدفعهم نحو العمل والإنجاز، وهذا ما أدركه معلمنا وحبيبنا محمد ﷺ، فاستخدم الابتسامة الصادقة فى مكافأة من يحسن من صحابته الكرام، روى البخارى ومسلم عن أبى سعيد الخدرى ﷺ أن ناسًا من أصحاب رسول الله ﷺ كانوا فى سفر فمروا بحى من أحياء العرب فاستضافوهم (طلب الصحابة منهم أن يستضيفوهم) فلم يضيفوهم، فقالوا: هل معكم من دواء أو راق فإن سيد الحى لديغ أو مصاب؟ فقال رجل منهم: نعم فأتاه فرقاه بفاتحة الكتاب، فبرأ الرجل، فأعطى قطيعًا من غنم، فأبى أن يقبلها وقال: حتى أذكر ذلك للنبى ﷺ، فأتى النبى ﷺ فذكر ذلك له فقال: يا رسول الله، والله ما رقيت إلا بفاتحة الكتاب، فتبسم ﷺ، وقال: **«وما أدراك أنها رقية؟ ثم قال: خذوا منهم، واضربوا لى بسهم معكم»**[2]، وقوله ﷺ: **«ما أدراك أنها رقية؟»** فيه التصريح بأنها رقية فيستحب أن يقرأ بها على من لدغته حية أو عقرب، كما يقرأ بها على المريض

(١) صحيح البخارى ٣/ ١١٠٤، وصحيح مسلم ٤/ ١٩٢٥.
(٢) صحيح البخارى ٥/ ٢١٦٦، وصحيح مسلم ٤/ ١٧٢٧.

وسائر أصحاب الأسقام والعاهات، وهذا يعنى أن التبسم هنا تبسم إعجاب بما فعله الصحابى الجليل، أما قوله ﷺ: «**واضربوا لى بسهم معكم**» فإنما قاله تطييبًا لقلوبهم ومبالغة فى تعريفهم أنه حلال لا شبهة فيه»[(١)]، وروى الإمام مسلم والطبرانى (واللفظ له) عن أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما قالت: لما ولدت عبدِ الله بن الزبير أتى به النبى ﷺ فمسحه وسماه عبد الله، ثم جاء بعد وهو ابن سبع سنين أو ثمان ليبايع النبى ﷺ أمره الزبير بذلك، فتبسم رسول الله ﷺ حين رآه مقبلا وبايعه»[(٢)]. ولقد قال ابن حجر العسقلانى معلقًا على هذا الحديث: «هذا بيعة تبريك وتشريف، لا بيعة تكليف»[(٣)]، ولقد أعجب النبى ﷺ بما فعله الزبير عندما أمر ابنه أن يأتيه ﷺ ليبايعه كما فعل الرجال، كما أعجب الرسول ﷺ بطاعة عبد الله لوالده ومجيئه لمبايعته ﷺ، لذلك تبسم ﷺ فى وجه عبد الله (ابن السبع سنوات) بسمة إعجاب وتقدير، ومد ﷺ يده الشريفة ليبايع المسلم الصغير.

٥- امنحه شيئًا يحبه:

دلت الإحصائيات على أن الإثابة المعنوية (المدح والدعاء والقبلة والابتسامة) تأتى فى المرتبة الأولى فى تعزيز السلوك المرغوب، بينما تأتى المكافأة المادية فى المرتبة الثانية، والمقصود بالمكافأة المادية هو إعطاء صاحب الفعل الحسن شيئًا ماديًا ملموسًا، مثل: قطعة حلوى، شراء لعبة، إعطاء نقود، إشراك الطفلة فى إعداد الحلوى مع والدتها تعبيرًا عن شكرها لها، السماح للطفل بمشاهدة التلفاز حتى ساعة متأخرة، اللعب بالكرة مع الوالد، اصطحاب الطفل فى رحلة ترفيهية خاصة (سينما، حديقة حيوانات، سيرك... إلخ)[(٤)]. ويمكن إجمال الخطوط العريضة للمكافأة المادية فيما يلى:

أ- **المكافأة باللعب**: فقد يشترى الأب لابنه لعبة جديدة مكافأة له على سلوكه

---

(١) شرح النووى على صحيح مسلم ١٤/ ١٨٨ (بتصرف)

(٢) صحيح مسلم ٣/ ١٦٩٠، والمعجم الكبير للطبرانى ٢٤/ ٨٠

(٣) فتح البارى ١٤/ ١٢٦.

(٤) مجلة النفس المطمئنة، العدد ٦٩، يناير ٢٠٠٢.

الطيب، وقد يشترك الوالد بنفسه مع ابنه فى لعبة يحبها (والحقيقة أن مكافأة السلوك الإيجابى قد يكون أفضل تعبير عنه ملاعبتك لابنك والخروج عن دائرة الناصح الذى يعطى الحلول ويصدر الأحكام، وملاعبة الطفل تعنى أنك متواجد معه وهذا يجعله ينفتح عليك ويتقبل منك، كما أن اللعب مع الطفل يطمئنه ويشعره أن سلوكه إيجابى وصحيح، مما يمنحه ثقة قوية بقدراته وإمكاناته، ويشكل لديه بالمقابل القيم والمعايير الإيجابية)[(١)] لذلك رأينا نبينا الكريم ﷺ يلعب مع الصغار ويمازحهم ويحنو عليهم، روى الطبرانى وأحمد (واللفظ له) أن عبد الله بن الحرث قال: كان رسول الله ﷺ يصف عبد الله وعبيد الله وكثيرًا من بنى العباس (وفى رواية الطبرانى: فيفرج يديه هكذا فيمد باعه) ثم يقول: «**من سبق إلىَّ فله كذا وكذا**، قال: فيستبقون إليه فيقعون على ظهره وصدره فيقبلهم ويلزمهم»[(٢)].

ب-**المكافأة بالهدية**: فلقد حثنا النبى ﷺ على التهادى فيما بيننا بسبب وبدون سبب، وذلك ليعم الخير وينتشر الحب، فقد روى أبو يعلى عن أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**تهادوا تحابوا**» وفى رواية عند الطبرانى «**تهادوا تزدادوا حبًا**»[(٣)]، ولقد بين لنا الرسول ﷺ أن أولى الناس بالهدية هم الأقرب فالأقرب، فالإمام البخارى قد أورد فى صحيحه بابًا سماه «باب بمن يبدأ بالهدية» وروى فى هذا الباب عن السيدة عائشة رضى الله عنها قالت:قلت: يا رسول الله إن لى جارين، فإلى أيهما أهدي؟ قال: «**إلى أقربهما منك بابًا**»[(٤)] ومن هنا كان إعطاء الهدايا لأبنائنا بسبب وبدون سبب مهمًا وضروريًا جدًا، وذلك لأنهم أقرب الناس لنا، ويحتاجون إلى الشعور بحبنا وعطفنا وعلينا ألا نهمل إعطاء الهدية للطفل على سلوكه الإيجابى، وفى الوقت نفسه لا يمكن

(١) كيف تكافئ السلوك الإيجابى لابنك؟ مصطفى أبو سعد ١/ ٩/ ١٤٢٤هـ.
http://www.alnadwa.net/BN/modules.php?name=News&file=article&sid=41
(٢) مسند أحمد ١/ ٢١٤، والمعجم الكبير ١٩/ ١٨٨.
(٣) مسند أبى يعلى ١١/ ٩، والمعجم الأوسط للطبرانى ٦/ ٥٤.
(٤) صحيح البخاري ٢/ ٩١٦.

اعتبار المكافأة المادية (الهدية) هى الأساس فى مكافأة أبنائنا.

جـ- **المكافأة ببعض الامتيازات:** «وفقًا لبعض الدراسات التربوية فقد ثبت أن استخدام الامتيازات مع الطفل له أثر فعال فى تعديل السلوك، قد تكون الامتيازات زيادة فى وقت مشاهدة التلفاز، أو تأخير لمدة نصف ساعة عن موعد النوم، أو قراءة قصتين بدلا من قصة واحدة لما قبل النوم، أو أمور أخرى يشعر الوالدان بتفضيل الأبناء لها، لكن يجب الانتباه إلى أن الامتيازات لا تدخل ضمن إطار الاحتياجات الرئيسية للطفل كالغذاء، قضاء وقت مع الوالدين، أو الأمان، والحب والثقة، فجميع ذلك يجب أن يكون أساسًا موجودًا لدى الطفل» (١)

د- **المكافأة ببعض الاختيارات:** امنح ابنك حق اختيار المكافأة التى يفضلها من بين عدة بدائل، كالذهاب فى رحلة مع زملائه أو شراء هدية أو بعض الامتيازات، ويمكنك أن تزيد الاختيار روعة وجمالاً، فتحضر وريقات صغيرة، وتكتب فى كل منها مكافأة معينة مثل: لعب مباراة تنس مع الوالد أو الوالدة، خروج وشرب عصير مع الأب أو الأم، سندوتش فول، رحلة مع الأصدقاء، دعاء من الوالدين لمدة خمس دقائق، ثم تترك صاحب السلوك الجيد يختار ورقة واحدة من بين الوريقات الصغيرة، والمكافأة المسجلة فيها تكون من نصيبه.

ثانيًا: المكافأة وقاية وعلاج:

قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۝ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾ [الشمس: ٧-١٠].

النفس البشرية فيها استعداد لقبول الخير والعمل به كما أنها مستعدة بنفس المقدار لقبول الشر والاشتغال به، والنفس البشرية مثل الكوب مستعدة لأن يملأها

(١) مجلة ولدى العدد (١) نوفمبر ١٩٩٨، ص٥٤.

صاحبها بما يشاء فمن وضع فيها خيرًا وملأها به امتلأت، ومن شغلها بالشر وملأها به استجابت وامتلأت، لكن النفس البشرية يمكنها أن تستوعب الخير والشر معا فى نفس الوقت، وهذا هو حال نفوسنا جميعًا، حيث تحتوى مقدارًا من الخير وآخر من الشر، وهذا معناه أنه من يهتم بنفسه (أو بنفوس أبنائه) فيكثر من تعويدها على الخير ويشغلها به، فإن هذا بدوره سيزيد ما فيها من خير وسيقلل ما فيها من شر، فالوالد مثلاً عندما يدعم خلق الصدق فى أبنائه ويشجعهم عليه بمكافأة جميلة ويدربهم على الالتزام به، فإن هذا سيؤدى إلى التزام الأبناء بخلق الصدق ويقلل وقوعهم فى ذنب الكذب، فمكافأة الطفل على صدقه تساعده على تكرار الصدق حتى يكون خلقًا ملازمًا له مما يقيه الوقوع فى رذيلة الكذب، والطفل عندما يلتزم بمواعيده ويكافأ على ذلك، فإنه سيسعى جاهدًا حتى يلتزم بكل مواعيده، مما يساعده على التحلى بخلق الوفاء بالمواعيد، ويقيه شر الوقوع فى جريمة التأخر عن المواعيد بغير عذر، والبنت التى تنظم حجرتها وتكافئها أمها ستعمل يوميًا على تنظيمها لتنال المدح والثناء من والدتها الحبيبة، وهذا بدوره يساعدها على التحلى بخلق النظافة والنظام، ويقيها من الوقوع فى آفة الإهمال.

ومن هنا تعتبر مكافأة الطفل على سلوكه الجيد وقاية له من الوقوع فى الخلق السيئ، «لكننا كآباء ومعلمين -حسب الدراسات- نهتم بسلوكيات الأبناء السيئة فنوبخهم عليها، بينما نهمل سلوكياتهم الجيدة فلا نكافئهم عليها، ومن المعروف نفسيًا أن السلوك الإيجابى الذى لا يعزز (لا يكافأ) لا يلبث أن ينطفئ ويختفى وأن السلوك السلبى المعاقب لا ينطفئ ولا يتلاشى بالضرورة على المدى البعيد، وإن أحسن أساليب ترقية السلوك وتطويره تلك الأساليب المعتمدة على التعزيز الإيجابى (المكافأة) بدلا من التعزيز السلبى والعقاب»[1]. ومن هنا كان من الواجب علينا كآباء ومعلمين أن نركز على سلوكيات أبنائنا الصحيحة وندعمها ونكافئ عليها، مع

(١) تأديب الأطفال فى الوسط العائلي: الواقع والاتجاهات، د/ مصطفى عشوي، جامعة الملك فهد للبترول والمعادن، الظهران، مجلة الطفولة العربية (مجلة فصلية تصدرها الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية) العدد السادس عشر، سبتمبر ٢٠٠٣.
Journal on Arab children (JAC) Email: haa49@qualitynet.net

الأخذ فى الاعتبار أن التوقف عن سلوك سلبى يعتبر فى حد ذاته سلوكًا جيدًا، فحين يتوقف ابنك عن سلوك مزعج اعتبر هذا فى حد ذاته سلوكًا إيجابيًا يحتاج لمكافأة، فإذا توقف عن البكاء والصراخ قل له: وأخيرًا توقفت عن البكاء وابتسمت ما شاء الله، وإذا توقف عن رمى لعبة فى الحجرة ووضعها فى الصندوق الخاص بها تقول له: وأخيرًا توقفت عن رمى لعبك هكذا تكون ابنًا منظمًا وأنا أحب سلوكك هذا الطيب(١).

١- جائزة إنكار المنكر:

«يقول أحد الآباء: فى أحد الأيام قام أبنائى مع والدتهم بزيارة عائلية لأحد الأقارب، ولما عدت لأخذ الأولاد مساء ونحن فى السيارة قال لى ابنى الصغير (ذو الأربع سنوات): يا أبى لقد رأيت اليوم خالى يدخن فقلت له: إن التدخين حرام، فأعجبت بموقف ابنى الصغير وقلت له: أحسنت يا بنى كلامك صحيح، ثم قلت فى نفسى: لن أجعل هذا الموقف يمر مرورًا عاديًا بل لابد من أن أبين له أنه موقف بطولى يستحق التقدير والشكر عليه، وذلك لأن كثيرًا من الكبار، فضلاً عن الصغار، لا يملك الجرأة والحماس فى النهى عن المنكر والأمر بالمعروف، فقررت أن أشترى له جائزة وأسميها (جائزة إنكار المنكر) وبالفعل فقد اشتريتها وأعطيتها إياه وأخبرته باسم الجائزة، وأثنيت عليه وقلت له: إن هذا العمل يحبه الله سبحانه وتعالى ويحب من يفعله، ولذلك أنت تستحق هذه الجائزة،فما كان من أخيه الذى يكبره بسنتين إلا أن تحمس للأمر وفعل مثلما فعل أخوه مع شخص آخر».. (٢) وهكذا عندما نكافئ على سلوك جيد فإن الطفل سيحرص هو وأخوته على تكراره، ومع تكرار المكافأة على السلوك الجيد كلما صدر من أبنائنا سيصبح هذا السلوك خلقًا أصيلاً فى نفوس أولادنا وبناتنا.

٢- جدول الحافز:

وكما أن مكافأة الأبناء على سلوكياتهم الجيدة تساعدهم على الوقاية من

---

(١) من استراتيجية التربية الإيجابية: فن مكافأة السلوك الإيجابي، د. مصطفى أبو سعد (بتصرف) http://www.muslm.net/mjmjmj/index/ml.htm

(٢) نقلا عن مجلة الأسرة العدد ٨٣، http://www.saaid.net/alsafinh/18.htm

الأخلاق الفاسدة، فإنها (المكافأة) تساعد أيضًا فى علاج سلوكيات الأبناء الخاطئة، حيث يمكن أن تكون جزءًا من خطوات علاج تلك الأخطاء، فمثلا عندما نعالج مشكلة تلفظ الأبناء بكلمات بذيئة فإن من خطوات العلاج مدح الكلام الجميل الذى يصدر عن الطفل، وهكذا سيحب أن يحصل على مدحنا له ولذلك سيتلفظ بكلمات جميلة، ولسان الطفل إذا انشغل بالجميل نسى القبيح، لذلك فإن علينا أن نعلم أبناءنا ما هو نوع الكلام الذى نحبه ونقدره ويعجبنا سماعه على لسانه، كأن يقول: شكرًا ومن فضلك ولو سمحت وجزاك الله خيرًا، ثم نظهر إعجابنا به كلما سمعنا هذه العبارات منه، ونعبر عن ذلك الإعجاب بمثل قولنا: يعجبنى كلامك هذا الهادئ، هذا جميل منك[(١)].

والمكافأة أيضا تصلح كجزء من علاج مشكلة تبول الطفل فى ملابسه، ويتم ذلك بأن ننمى داخل الطفل الرغبة فى تغيير حفاظاته المتسخة فإذا أصبح الطفل قادرًا على المشى نعلمه أن يأتى إلينا بمجرد أن تتسخ حفاظته ونمدحه كلما يأتينا لتغيير الحفاظة المتسخة، وبعد فترة نتفق معه أن يخبرنا قبيل تبوله فى الحفاظة حتى نذهب معه للحمام، وفى كل مرة يخبرنا نمدحه ونكافئه وذلك حتى ينتظم فى دخول الحمام وقضاء حاجته بمفرده.[(٢)] ويمثل جدول الحافز أفضل الأساليب للتعامل مع هذه المشكلة وهى الحوار مع الطفل حول المشكلة وسببها، وهو تأخره فى الدخول إلى الحمام مباشرة، عندما يشعر بالرغبة فى ذلك، ونتفق معه على عمل جدول أسبوعى تصاعدى يتم مكافأة الطفل فيه عندما لا يتبرز أو يتبول فى ملابسه بوضع (نجمة)، ويفضل أن تكون من النوع الملون واللاصق والذى يقوم الطفل بلصقه بنفسه فى المكان المخصص لذلك أمام اليوم المحدد مع عبارات التشجيع والاستحسان من الأم، وفى اليوم التالى يضع نجمتين، وهكذا حتى يصل إلى سبع نجوم فى نهاية الأسبوع، واليوم الذى يقع فيه فى الخطأ يكون العقاب هو عدم وضع أى نجمة فى هذا اليوم،

---

(١) كيف تعالج فلتات لسان طفلك؟! د. مصطفى أبو السعد (بتصرف)
http://www.pls48.net/forums48/showthread.php?t=1591
(٢) علامات استعداد الطفل للتدريب على الحمام (بتصرف)
http://www.nafsany.com/showarticle.php?idd=33

وأن يبدأ العد فى اليوم التالى بنجمة واحدة مرة أخرى، وفـى نهايـة الأسـبوع يكـون هناك نوعان من المكافأة: نوع خـاص بتحويـل عـدد النجـوم التـى حصـل عليهـا إلى مكافأة مادية مقابل كل نجمة، ولتكن مبلغًا معينًا من النقود، مقابل كل نجمـة يضـرب فى عدد النجوم، ثم مكافأة ثانية مقابل حصوله أو وصوله لعدد سبع نجوم فـى اليـوم السابع، أى فى الأسبوع الذى يتمه كله بدون حدوث الخطأ ويستمر هذا الجدول لمدة ثلاثة أشهر على الأقل، ولا تستخدم أى وسائل عقابية أو تحفيزية أخرى حتى أنـه لا يعاتب، ويترك الطفل لنفسه يتفاعل مع الجدول والنجوم زيادة ونقصانًا، بحيث تتكون لديه الرغبة الخاصة بالتخلص من هذا الأمر(١).

٣- جدول النجوم:

لكى لا يظن البعض أن استخدام المكافأة لعلاج أخطاء الأبنـاء شـيء مسـتحيل، نقـدم فيمـا يلـى تجربـة إبداعيـة لأحـد الآبـاء وهـو أب لولـدين وقـد ابتكـر أسـلوبًا جـديا لتعديل سلوكيات أبنائه، ويحدثنا بنفسه عن تجربته:

كانت الأمور تجرى بينى وبين ولدى بشكل عفوى مثلما يحدث فى أكثر الأسـر، فشجارهما معًا واختلافهما معى يحل بطرق كثيرة وروتينية كرفع الصـوت والضـرب وغيرهما، ولم أكن ألمس لها أى فائدة جوهرية على ولدى، فبدأت أفكر بطريقة عملية ومجدية للتعامل مع ولدى بحيث تشجعهما على العمـل والتنـافس ولا تكـون مؤذيـة لهما، وجاءتنى فكرة جدول النجوم، وتتلخص فكرته بأن أصمم جدولاً يحتوى علـى تقسيمات لكل أيام الأسبوع، وفى أعـلاه علامـتين (×) (*)، والفعـل السـيئ الـذى يفعله الابن يعنى تسجيل (×)، الفعل السيئ مثل كلام غير لائق أو مشـاجرة وإيـذاء لأخيه، التسبب فى الإزعاج بشكل متكرر، يـرفض التعـاون ومشـاركة الآخـرين، أو يتلف أشياء فى المنزل تسجل على الفور علامة (×) وتتكرر العلامة مع كل فعل. أما الفعل الجيد الذى يفعله الابن يعنى تسجيل (*) والأفعال الطيبة وهى عكس كل مـا

---

(١) ضبط الإخراج بجدول الحافز
http://www.islam-online.net/Tarbia/Arabic/display.asp?hquestionID=2205

سبق إضافة إلى مواظبته على الصلاة وحصوله على درجات دراسية جيدة وطاعة الوالدين يستحق الحصول على علامة (❋)، وفى نهاية الأسبوع نحصى عدد العلامات (×) و(❋) لكل منهما، وإذا زادت علامات (❋) على علامات (×) يستحق فى نهاية الأسبوع هدية جميلة أقدمها له.

وقمت بتصميم جدولين للحافز ثم علقت واحدًا على سرير كل منهما بعد أن شرحت لهما الفكرة، ويجب أن أعترف أنه فى بداية الأمر رفض ولدى الفكرة لأنها تقيدهما وتجعلهما ينتبهان لتصرفاتهما، وهذا أمر غير محبب عموما لدى الأطفال، إلى درجة أنهما فى فترة من الفترات مزقوا الجداول وألقوا بها فى سلة المهملات، ولكن بعد التفاهم وشرحى لهما بدأ التفاعل والاهتمام واستغرق تفهمهما واندماجهما حوالى ثلاثة أسابيع.

والآن بعد مرور ثلاثة أشهر على تجربتى أستطيع أن أقول إن النتائج الإيجابية للفكرة كبيرة وهناك تحسن ملحوظ فى تصرفات ولدى ولعل دور أمهما كان كبيرًا فى نجاح الفكرة، فكانت متحمسة للفكرة جدًا وتحرص على تطبيقها فى أثناء غيابى، ولم تخضع لأساليب ولديها لخداعها وثنيها عن تنفيذ الجدول، فلله الحمد[(١)].

٤- كيس النقود:

«لكى نقنع الطفل بطاعة الأوامر واتباع قواعد السلوك التى وضعناها كآباء ومعلمين، علينا أن نمارس معهم الدعم الإيجابى كلما أطاعونا، فعندما يطيعك طفلك قبليه واحتضنيه أو امتدحى سلوكه بقولك: ممتاز، جزاك الله خيرًا، عمل رائع، وبعض الآباء قد يستخدمون الهدايا العينية، مثل نجمة لاصقة، عندما يرون تشجيع أبنائهم لأداء مهمة معينة مثل: حفظ القرآن مثلاً، ويقومون بوضع لوحة، وفى كل مرة يطيع فيها توضع له نجمة، وبعد الحصول على خمس نجمات يمكن أن يختار لعبة تشترى له أو رحلة وهكذا، وبهذه الطريقة سيحب الطفل أن يطلب منه والداه أى شيء ليسمع

(١) مجلة ولدى العدد (٣) فبراير ١٩٩٩، ص: ١٥ (بتصرف).

كلامهما ويطيعهما فيحصل على المكافأة»[1].

وهناك طريقة أخرى يمكن من خلالها أن نعالج مشكلة عدم طاعة أبنائنا لنا، هذه الطريقة يمكن أن نسميها: كيس النقود، وهى عبارة عن مكافأة مالية غير عادية، حيث نعطى النقود لأبنائنا مقدمًا قبل أن يتحلوا بالسلوك الجديد، فمثلاً عندما تشاهد ابنك يكرر تصرفًا خاطئًا (عدم طاعة الوالدين، الكذب، التخلف عن الصلاة) أعطه كيسًا به مبلغ من المال مقسمًا على هيئة عملات صغيرة مناسبة لمرحلته العمرية، كأن تعطيه ١٠٠ جنيه مكونة من ٢٠ ورقة من ذوات الخمس جنيهات، ثم تخبره أن هذه النقود ستكون ملكًا له بعد مرور أسبوع، ولكن إذا قام بتصرف خاطئ تحدده (كعدم طاعته لوالدته) فسوف تأخذ من كيسه عملة ورقية مقدارها خمسة جنيهات فى كل مرة يفعل هذا الخطأ، والحقيقة أن بعض الآباء جربوا هذه الطريقة (كيس النقود) مع أبنائهم، وكانت النتائج، بفضل الله، خطيرة ورائعة.

ثالثًا: المكافأة مواقف وأخطاء:

هناك بعض الأخطاء التى نقع فيها عندما نكافئ أبناءنا، وقد يترتب على هذه الأخطاء العديد من الآثار التربوية السيئة لذلك وجب علينا الحذر من الوقوع فى مثل هذه الأخطاء، ويمكن تلخيص هذه الأخطاء فيما يلى:

١- إهمال وتأجيل وربما عقاب:

الطفلة التى ترغب فى مساعدة والدتها فى بعض شئون المنزل كترتيب غرفة النوم مثلا ولم تجد أى إثابة من الأم، فإنها تلقائيًا لن تكون متحمسة لتكرار هذه المساعدة فى المستقبل، مثال: أحمد طالب فى الصف الخامس الابتدائى، تسلم شهادته من المدرسة وكانت درجاته جيدة، عاد من المدرسة ووجد والده يقرأ الصحف وقال له: (انظر يا أبى لقد نجحت ولا شك أنك ستفرح بى) وبدلا من أن يقطع الوالد قراءته ويكافئ الطفل بكلمات الاستحسان والتشجيع قال له: (أنا مشغول الآن

(١) مجلة المجتمع الكويتية ٢٩/ ٢/ ٢٠٠٤.

اذهب إلى أمك واسألها هل أنهت تحضير الأكل، ثم بعد ذلك سأرى شهادتك) وهنا تلقى الصغير من والده صدمة كبيرة، وعاد يجر أذيال الخيبة والحزن والندم.

أيها الوالد الكريم، أيتها الأم الحنون

من الضرورى أن ننتبه لمثل هذه المواقف، ولا نحسبها هينة وعادية وبسيطة؛ لأنها ليست صغيرة فى عيون أبنائنا، وعلينا أن نكافئ أبناءنا (بالطريقة المناسبة) بلا تردد ولا تأخير، وذلك مباشرة بعد إظهار السلوك المرغوب منهم، فالتعجيل بإعطاء المكافأة هو مطلب شائع فى السلوك الإنسانى سواء للكبار أو الصغار، ولكن على الأهل الامتناع عن إعطاء المكافأة لسلوك مشروط من قبل الطفل، بمعنى أن يشترط الطفل إعطاءه المكافأة قبل تنفيذ السلوك المطلوب منه، فالمكافأة يجب أن تأتى بعد تنفيذ السلوك المطلوب وليس قبله إلا فى حالة مثل تجربة كيس النقود التى ذكرناها سابقًا.

ومن الأخطاء التى نقع فيها أحيانا: معاقبة الطفل- دون أن نشعر- على سلوك جيد، مثال: زينب رغبت فى أن تفاجئ أمها بشيء يسعدها فقامت إلى المطبخ وغسلت الصحون، وذهبت إلى أمها تقول: (أنا عملت لك مفاجأة يا أمى فقد غسلت الصحون) فردت عليه الأم قائلة: (أنتِ الآن كبرتى ويجب عليك القيام بمثل هذه الأعمال، لكن لماذا لا تغسلى الصحون الموجودة فى الفرن، هل نسيتِ؟) إن زينب كانت تتوقع من أمها أن تكافئها ولو بكلمات الاستحسان والتشجيع، لكن جواب الأم كان عقوبة وليس مكافأة، لأن الأم أولاً لم تعترف بالمبادرة الجميلة التى قامت بها البنت، وثانيًا: وجهت لها اللوم بصورة غير مباشرة على تقصيرها فى ترك صحون الفرن دون غسيل[1].

٢- الاستسلام للشعور بالذنب تجاه الأبناء:

السلوك غير المرغوب الذى يكافأ حتى ولو بصورة عارضة دون أن يشعر الوالدان، من شأنه أن يتعزز ويتكرر مستقبلاً، مثال: الأم التى تساهلت مع ابنتها فى

(١) مجلة النفس المطمئنة، العدد ٦٩، يناير ٢٠٠٢ (بتصرف).

ذهابها إلى النوم فى وقت محدد بحجة عدم رغبة البنت فى النوم ثم رضخت الأم لطلبها بعد أن بكت البنت متذرعة بعدم قدرتها على تحمل بكاء وصراخ ابنتها، ففى هذا الموقف تعلمت البنت أن فى مقدورها اللجوء إلى البكاء مستقبلاً لتلبية رغباتها وإجبار أمها على الرضوخ، والسبب فى استجابة الأم لطلب ابنتها -مع أنه خاطئ- هو بكاؤها، وهذا البكاء أشعر الأم ببعض الذنب تجاه ابنتها ولكى تتخلص من الإحساس بالذنب (غير الحقيقي) وافقت على طلبها مع أنه خطأ.

وهناك مثال آخر يوضح هذه الفكرة بصورة أفضل: مصطفى عاد إلى المنزل وقت الغداء وأخبر والدته أنه يريد النزول فى الحال للعب الكرة مع أصدقائه، وذلك قبل أن يتناول غداءه فطلبت منه الوالدة أن يتناول الطعام ثم يأخذ قسطًا من الراحة ثم يذهب بعد ذلك لأصدقائه، فأصر مصطفى على رأيه وهددها بالامتناع عن الطعام إذا رفضت ذهابه فى الحال، فما كان من والدته إلا أن رضخت قائلة له: (لك ما تريد يا ابنى الحبيب، ولكن لا تبكِ ولا ترفض الطعام واذهب مع أصدقائك وعند عودتك تتغدى) وهنا نرى الأم قد استجابت لتهديد ولدها لتهرب من الشعور بالذنب (غير الحقيقي) تجاهه إذا لم يتناول الطعام. والحقيقة أنها علمت ولدها أن لغة التهديد والوعيد تفعل له ما يريد، وهذا سلوك تربوى غير جيد، وهناك مثال ثالث يزيد المسألة وضوحًا: قال محمد لوالدته: أريد أن أشهد البرنامج القادم، فأجابت الأم لكنك لم تتوقف عن مشاهدة التلفاز منذ أن عدت من المدرسة، رد محمد: أعلم ذلك لكن ليس لدى أى واجبات مدرسية اليوم، فقالت الأم: ولو.. لقد شاهدت التلفاز بما فيه الكفاية، وهنا قال محمد: أرجوك يا أمى، وبالفعل استجابت الأم لإلحاحه وسمحت له بمشاهدة البرنامج، وهذا الموقف خاطئ من الأم، لأنها وقعت فى مصيدة الحرص على إرضاء ابنها ولو بشكل مؤقت.

أيها الوالد الكريم، أيتها الأم الحنون

إن أبناءنا أحيانا يلعبون بعواطفنا، ومشاعرنا، ويسرقون منا ما يريدون من قرارات دون أن نشعر، لذلك علينا أن نفرق بين الشعور بالذنب الحقيقى تجاه أطفالنا وبين الشعور بالذنب الوهمى، والذى يستغله أطفالنا ليحصلوا على ما يريدون. والموقف التالى يعلمنا كيف ننتبه ونوقف الشعور بالذنب الخاطئ تجاه أطفالنا، كانت الأم

فى طريقها للخروج حينما طلبت منها إيمان أن تشترى لها بعض الحلـوى، إلا أن الأم رفضت قائلة: لن أشتريها لك، لأنها مضرة لأسنانك، ردت إيمـان غاضـبة: أنـت لا تحبيننى، أنا أكرهك، علقت الأم بهدوء قائلة: تبدين غاضبة، فقالت إيمان: ولن أحبك بعد اليوم، أو أكون صديقتك، ردت الأم: أنـت غاضـبة إلى حـد أن تقـولى إنـك لـن تحبيننى مرة أخرى، وسكتت الأم وانصرفت إيمان، وبعـد مـرور عشـر دقـائق عـادت إيمان إلى أمها قائلة: أنا لست غاضبة الآن هل تلعبين لعبة معي؟ ردت الأم بترحيـب: طبعًا يا حبيبتى، لقد تعاملت الوالدة مع ابنتها بمهارة لأنها توقعـت أن رفضـها شـراء الحلوى لابنتها سوف يضايقها لذلك لم تهتم شخصيًا عندما قالت لها: أنا أكرهك، ولم تستسلم للشعور بالذنب غير الصحيح، ولم تكافئ ابنتها على سلوك خاطئ.[(١)]



(١) مجلة المجتمع عدد رقم ١٥٨١، بتاريخ ٢٠/١٢/٢٠٠٣، ومجلة النفس المطمئنة، العـدد ٦٩، ينـاير ٢٠٠٢ (بتصرف).

الاتفاق قد يُصلح الأخلاق

جرول بن مالك هو الحطيئة الشاعر المشهور، ولقب بالحطيئة لأنه كان قصير القامة، والحطيئة شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام، حيث أسلم فى عهد أبى بكر الصديق ﷺ وكان الحطيئة كثيرًا ما يهجو الناس ويؤذيهم وينسب لهم الرذائل عن طريق الشعر، وكان يتخذ الهجاء[1] وظيفة يتكسب منها، فالناس كانوا يكرهون هجاءه ويخافون منه، ولكى يتقوا شره يدفعون له المال حتى لا يهجوهم ويذمهم بأبيات شعرية يحفظها الناس وربما يعيرونه بها، ولقد بلغ فساد الحطيئة وسوء أخلاقه أنه هجا أمه وأباه وخاله وعمه، وكان مما هجا به أمه قوله مخاطبًا إياها:

تنحى فاقعدى عنى بعيدًا　　　أراح الله منك العالمينا
أغربالا إذا استودعت سرا　　　وكانونا على المتحدثينا
جزاك الله شرا من عجوز　　　ولقاك العقوق من البنينا

وبلغ من فظاعة الحطيئة أنه بحث يومًا عن إنسان يشتمه ويهجوه فلم يجد، فغضب لأنه لم يجد من يصب عليه شره فقال بيتًا من الشعر:

أبت شفتاى اليوم إلا تكلما　　　بشر فما أدرى لمن أنا قائله

وأخذ يردد هذا البيت وهو يبحث عن أى إنسان يهجوه، لكنه نظر فى إناء به ماء فرأى وجهه فانتهز الفرصة وقال يشتم ويهجو نفسه:

أرى لى وجها قبح الله خلقه　　　فقبح من وجه وقبح حامله

وفى عهد عمر بن الخطاب ﷺ كثر شر الحطيئة وكثر شتمه للناس بالشعر، فاشتكوا للخليفة من الحطيئة فقبض عليه عمر وحبسه فى السجن، لكن الحطيئة أخذ يعتذر ويستعطف أمير المؤمنين إلى أن أخرجه من السجن واستتابه، وقال له: إياك

(١) الهجاء نوع من السب والتعيير والإيذاء عن طريق الشعر.

وهجاء الناس، فقال الحطيئة: إذًا تموت عيالى جوعًا، فالهجاء مكسبى ومنه معاشي، فقال عمر: بكم تبيع أعراض المسلمين فلا تهجوها ولا تشتمها؟ فقال الحطيئة: بثلاثة آلاف درهم، فوافق عمر وأعطاه الثلاثة آلاف درهم ليشتري بها أعراض المسلمين، ووافق الحطيئة ألا يهجو أحدًا بعد اليوم، ولقد صدق الحطيئة فى وعده لعمر فلم يهجُ أحدًا من المسلمين طوال حياة عمر بن الخطاب ﷺ، وبهذه الطريقة وعن طريق هذا الاتفاق تحسنت أخلاق الحطيئة مؤقتًا، ورحم الله المسلمين من شره طوال خلافة عمر بن الخطاب[(١)].

بعض الآباء قد يقول: وما علاقة هذه القصة بتربية أبنائنا؟ والحقيقة أن الصلة وثيقة بين هذه القصة والموضوع الذى نتحدث عنه، إننا نتحدث عن علاج أخطاء الأبناء وإصلاح عيوبهم، وفى هذه القصة استخدم عمر بن الخطاب ﷺ أسلوبًا رائعًا فى علاج المشكلة وهو الاتفاق، وعن طريقه نجح فى علاج المشكلة ومنع الحطيئة من إيذاء المسلمين، وهذا معناه أننا بعون الله نستطيع أن نحل بعض مشاكل أبنائنا ونصلح بعض عيوبهم عن طريق الحوار معهم والتوصل إلى اتفاق مشترك يرضينا ويرضيهم.

عقد مكتوب بقلب مفتوح:

حكى لى أحد الأطباء المهتمين بتربية الأبناء، أنه ذهب يومًا لزيارة أخته فى بيتها، فوجدها على خلاف شديد مع ابنها البالغ من العمر عشر سنوات بسبب كثرة مشاهدته للتلفاز، فهو يجلس الساعات الطوال أمام البرامج والأفلام والمسلسلات، ولا يسمع كلام والدته عندما يكون جالسًا للمشاهدة، وربما يرفع صوته عليها، وعندما تكلم صديقى الطبيب مع الأم، وجد أنها -حسب كلامها- استخدمت كل الوسائل والحلول الممكنة لحل هذه المشكلة، فرفعت صوتها وعنفت وربما ضربت لكن دون فائدة، فقال لها أخوها: ما رأيك أن أحاول مساعدتك فى حل هذه المشكلة؟ فقالت بفرح شديد: ليتك تستطيع، فقال: سأحاول لكن بشرط أن تسمعى

(١) الوافى بالوفيات ١١/ ٤٥، ٥٥، ٥٦، وفوات الوفيات ١/ ٢٧٩، والبداية والنهاية ٨/ ٩٧، ٩٨.

نصيحتى وتجربى فكرتى حتى النهاية فوافقت الأم وهى تأمل أن يهدى الله ولدها الحبيب.

لقد فكر صديقى الطبيب أن يوجد حوارًا وتواصلاً بين الابن وأمه لأن الحوار بينهما سيحل الكثير من المشاكل، وليست هذه المشكلة فقط فنادى على الابن وقال له: أمك قد حكت لى أنك تجلس كثيرًا أمام التلفاز وأنا متأكد أنك تشاهد أشياء جيدة وتروح عن نفسك، لكن أمك تقول: إن مشاهدتك الكثيرة للتلفاز تتعب عينيك وتمنعك من الاستجابة لطلباتها، فقال الابن: يا خالى هم الذين يستفزوننى، فما أن أجلس للمشاهدة وأندمج مع ما أراه حتى تكثر الطلبات حتى ولو لم توجد طلبات تكثر الطلبات بالقيام من أمام التلفاز بدون سبب واضح، مما يجعلنى أعاندهم وأجلس فترات أطول وأشاهد برامج أكثر، وهنا قالت الأم: أنا أخاف على عينيك وأريدك أن تقضى وقتك بصورة أفضل، وأحيانًا أحتاج لطلبات مهمة من خارج المنزل، لذلك أطلب منك أن تقطع مشاهدتك وتحضرها لى، فقال صديقى الطبيب: وجهتا نظريكما تحترم فما رأيكما أن تتفقا على نظام محدد لمشاهدة التلفاز؟ فقالا: نحاول، فطلب صديقى من الولد أن يحضر ورقة وقلمًا ليكتب بنود الاتفاق.

لقد اتفقت الأم مع ابنها فعلاً على بعض القواعد الخاصة بمشاهدة التلفاز، والحقيقة أن التوصل لقواعد يرضى عنها الجميع لم يكن سهلاً، لكن بشيء من توفيق الله تعالى والصبر والحوار الهادئ حدث الاتفاق، وكان قريبًا من الصورة التالية:

اتفق عبد الله مع أمه الحبيبة على ما يلي:

١- يحق لعبد الله مشاهدة التلفاز لمدة ٤ ساعات فى الإجازات و٢ فى أيام الدراسة، وله حرية اختيار توقيت تلك الساعات، وتمنع المشاهدة بعد الساعة العاشرة ليلا شتاء والثانية عشرة صيفًا.

٢- على عبد الله أن يراعى الله فيما يشاهد، ولا يكون سببًا فى مشاهدة أخوته الصغار للرذائل، وإن حدث منه ذلك فشاهد أغنية خليعة أو فيلمًا سيئًا، تغلق أمه الجهاز فورًا ويمنع من المشاهدة بقية اليوم.

٣- يغلق التلفاز فورًا عند سماع الأذان ويذهب للصلاة فى المسجد، وفى هذه الحالة يكافأ بربع ساعة يضاف لوقت المشاهدة فى ذلك اليوم، أما إذا أغلق الجهاز وصلى فى المنزل يخصم من وقته نصف ساعة وفى حالة عدم إغلاقه للجهاز وتأخيره للصلاة فإنه يعاقب بالحرمان من المشاهدة بقية اليوم.

٤- إذا طلبت منه والدته عمل شيء فى فترات المشاهدة المحددة له عليه أن يطيعها فورًا ويكافأ على ذلك بأن يشاهد التلفاز ضعف الوقت الذى اقتطعه لينجز ما طلبته منه والدته.

٥- إذا رغب عبد الله فى زيادة عدد ساعات مشاهدته فى يوم ما يطلب من والدته ذلك، وفى حال موافقتها تخصم مدة المشاهدة من الوقت المخصص لذلك من اليوم التالى. تتم جلسة أسبوعية بين الابن وأمه لمناقشة ما يستجد من بنود فى الاتفاق، ولا يضاف شرط جديد إلا بعد موافقة الطرفين.

٦- كل شهر تعقد محكمة أسرية ودية لمناقشة وضع العقد، ويكون الأب القاضى ورئيس المحكمة، ويناقش فى هذه الجلسة أحوال البيت بما فى ذلك العقد المبرم بين الابن وأمه، وفى حال التزام عبد الله بهذا الاتفاق لمدة شهر بنسبة ٧٥٪ فله مكافأة خاصة من والده ووالدته، أما إذا قل الالتزام بالاتفاق عن ٥٠٪ فيحق للأب اختيار عقاب مناسب لعبد الله.

وبعد أن تم الاتفاق بين الابن وأمه، قال صديقى الطبيب: هيا بنا نرفع أيدينا وندعو الله أن يوفقنا فى تطبيق هذا الاتفاق، ثم طلب منهما أن يعلقا الاتفاق فى صالة المنزل ليراه الجميع فيحرصوا على التطبيق، وبدأت التجربة يقول صديقى الطبيب: لقد فوجئت بأختى تتصل بى بعد عدة أيام وتقول لى: شكرًا جزيلاً لك، لم أكن أتخيل أن تنجح تلك الفكرة الصبيانية، لكنها نفعت مع ابنى وتغير حاله إلى الأفضل، ويكفى أنه أصبح يتكلم معى ويفتح لى قلبه ويقول لى ما يدور فى نفسه، فالحمد لله رب العالمين.

أيها الوالد الكريم، أيتها الأم الحنون

«الأطفال مثلهم مثل أى شخص آخر يميلون للالتزام بالبنود المكتوبة أكثر من العقود الشفهية، لأنه لو كانت هذه العقود بسيطة وواضحة وخالية من الغموض، يصبح من الصعب على المراهقين من الأبناء أن يتملصوا منها، وحتمًا سيحاولون فعل ذلك، إن وضوح العقود هو سر نجاحها وفاعليتها، ولن تفيدك هذه العقود فى شيء إذا تركتها مهملة فى درج مهمل، عليك بلصق صور منها فى أماكن واضحة كى ترجع لها عند الضرورة، فعندما تحدث مخالفة وينشأ خلاف يكون هناك عقد ملزم فى حوزتك مثلك فى ذلك مثل المحامى الماهر الذى يدخل إلى ساحة المحكمة وهو مستعد تمامًا، وفى يده العقد وقانون العقوبات كل موقع بمداد لا يمحى، وهنا يقول أحد الآباء: لقد جعلت أبنائى يوقعون بمداد أحمر، وأخبرتهم أنهم قد وقعوا بالدم، وفيما يلى نقدم نموذجًا لعقد بسيط ومحكم والذى استخدمته إحدى الأمهات مع ابنتها المراهقة التى كانت تجد صعوبة فى جعلها تعود للمنزل فى الوقت المتفق عليه..

* * *

عقد

أوافق أنا........ على جميع البنود والشروط الواردة بهذا العقد، كما إننى أوافق على الالتزام بكل هذه القواعد والقوانين، وأقر بأننى قد ناقشتها مع والدتى، وقد اتفقنا على أنها معقولة ومتفهمة وفى صالحى، كما أقر بأننى أفهمها فهمًا جيدًا لا لبس فيه، وأنه إذا حدث وخالفت أى بند من بنود هذه القواعد والقوانين، سوف ينزل بى العقاب المنصوص عليه فى قائمة الجزاءات، والتى أرى أنها عادلة ومنصفة، لن أجادل أو أشكو بأى طريقة من الطرق إذا خالفت البنود التالية فى هذا الاتفاق:

١- الموعد المحدد لعودتى للمنزل ليلة الجمعة والسبت هو تمام العاشرة مساء.

٢- أعلم تماما أننى إذا عدت للمنزل بعد العاشرة وخمس دقائق، فأنا بذلك أكون قد خالفت بنود العقد إلا إذا كنت قد اتصلت بوالدتى وأخبرتها عن سبب التأخير

٣- لن أتصل بأمى كى أستأذنها فى البقاء بالخارج بعد الموعد المحدد للعودة ما لم يكن هناك شيء طارئ يمنعنى من العودة للمنزل فى الموعد المحدد.

٤- أعلم أن العقاب الذى سوف أناله إذا عدت للبيت بعد الموعد المحدد هو حرمانى من الخروج فى عطلة نهاية الأسبوع لمدة أسبوعين متتاليين كما سوف يحدد موعد جديد للعودة للمنزل وهو التاسعة مساء بدلا من العاشرة ولمدة شهر.

التوقيع............... التاريخ.....................

وهناك أم قد وضعت فى العقد الذى وقعته مع ابنتها بندًا يقول: إنها سوف تتصل بالشرطة إذا هى تأخرت عن موعد العودة للمنزل أكثر من ثلاثين دقيقة، لذلك عندما حاولت ابنتها أن تختبر السياسة المتفق عليها وتأخرت فى نزهتها، وجدت مطبخ المنزل -عندما عادت- وقد تحول إلى مركز قيادة للبحث عن المفقودين، وعن

هذا الموقف تقول الأم: عندما تأخرت ابنتى فى نزهتها ساعة كاملة بعد الموعد المحدد للمنزل، كنت أجلس على مائدة القيادة يحيط بى من كل جانب مفكرات وكتيبات التليفونات، هذا هو الكتيب الأحمر الصغير الذى تحتفظ فيه ابنتى بالعناوين، وتلك المفكرة الصفراء المليئة بأرقام تليفونات مشطوبة وغيرها من التى تحمل كتابات غير مفهومة، دخلت ابنتى إلى المطبخ عند عودتها فى اللحظة التى كنت أقول فيها للضابط: «آه انتظر لحظة أيها الضابط، أعتقد أنها التى تدخل الآن» كانت هذه هى المكالمة الأخيرة بعد أن كنت قد اتصلت بشرطة الطريق السريع، وكثير من آباء وأمهات أصدقائها وبمكانها المفضل لتناول البيتزا، لم أقتصر على هذا بل طرأت لى فكرة جيدة، وقلت لها: المرة القادمة سوف أبدأ فى الاتصال بالشرطة بعد عشرين دقيقة فقط من الموعد المحدد للعودة، كما أنك سوف تتصلين مرة أخرى بمن اتصلت بهم كى تعتذرى لما سببناه لهم من إزعاج، لأننى لن أفعل هذا، تقول الأم: لست فى حاجة لأن أذكر أن موعد العودة للمنزل لم يعد موضع نزاع بعد ذلك.

إن العقود تصلح لتعديل سلوك الأبناء فى البيوت والمدارس، وهذا ما يؤكده لنا أحد التلاميذ بقوله: «كان معلمنا يطلب من كل واحد منا على حده أن يكتب عقدًا لواجبات يوم الجمعة، ويجعلنا نفعل ذلك يوم الاثنين ثم لا يطرق هذا الموضوع مرة أخرى، كنا نكتب العقود ونوقعها ونسلمها له، وكان كل منا ينتهى من واجباته ويسلمها فى الوقت المحدد، لقد نجح هذا الأسلوب معنا والسبب فى ذلك كما أعتقد هو أن أيًا منا لم يرغب فى أن يخذل المعلم الذى وثق فينا وفى قدرتنا على الالتزام بالعقد حتى النهاية، ولم يكن يلح علينا فى هذا»[(١)].

يضعها الكبار ويحترمها الصغار:

إن الولد يحتاج لمن يضع له حدودًا فى كل مجالات حياته اليومية: فهو يحتاج إلى أن يعرف متى سوف يأكل ومتى سوف يستحم، ومتى سوف يذهب إلى السرير، هذه الحدود التى يضعها الوالدان تعطى شيئًا من الانضباط داخل العائلة، وهذا الانضباط

(١) كيف ينشئ الآباء الأكفاء أبناء عظامًا، ص١٦٧-١٧٠، بتصرف.

يعطى الولد شعورًا بأن هناك من يحميه ويهتم به ويرعاه بانتظام، ومعظم الأولاد الذين يعانون من مشاكل سلوكية يأتون من بيوت تسود فيها الفوضى، بمعنى أنه لا توجد قوانين ثابتة فى حياة هذه الأسر لتنظيم مجرى الأمور بشكل يمنح الأولاد الشعور بالأمان، وإلى جانب هذه القوانين التى تنظم الحياة اليومية، هناك مجموعة قوانين من نوع آخر يجب أن تترسخ فى ذهن الأطفال منذ الصغر، وهى قوانين العبادات والمعاملات داخل وخارج المنزل، وطبعًا لكى تكون هذه القوانين فعالة وواضحة للولد يجب على الأهل أن يطبقوها على أنفسهم، وأن يحترموها فيما بينهم وأمام الأولاد، فمثلاً إذا افترضنا أن هناك قاعدة فى البيت وهى: «فى هذا المنزل لا نضرب» فعلى الوالدين أولاً أن ينفذا هذه القاعدة فى تعامل أحدهما مع الآخر وطبعًا فى تعاملهما مع الأولاد، وهذا يشجع الأبناء على الالتزام بهذا القانون فيما بينهم فلا يضرب أحدهم الآخر.

ويجب علينا أن نشجع الطفل على احترام القوانين الخاصة ببيوتنا، وذلك بأن نشرح له أهمية تلك القوانين ونمنحه بعض المكافآت إذا التزم بتلك القواعد، فنقول له مثلاً: «إذا استيقظت وجهزت نفسك باكرًا للمدرسة، تستطيع اللعب قليلاً قبل الذهاب إلى المدرسة» كذلك يجب على كلا الوالدين أن يتفقا على نفس القوانين، فلا يجوز أن تتسامح الأم بموضوع معين وأن يأتى الأب ويعاكسها كليًا فى نفس الموضوع، إن مثل هذا التناقض فى الأساليب التربوية فى البيت الواحد يؤدى إلى البلبلة والحيرة والضياع عند الولد، وهذه المشاعر غالبًا ما تكون هى المسئولة عن المشاكل السلوكية الشائعة عند أولادنا.

إن الالتزام بالقوانين أمر يجب أن نركز عليه، فالتزام الأهل بالقوانين أمام الأولاد تزيد ثقة الولد بأهله واعتبارهما كمرجعية صلبة فى حياته، وتمنحه شعورًا كبيرًا بالأمان، والموقف التالى يوضح معنى هذا الالتزام، عندما تضعين قاعدة تقول: «عندما نذهب للتسوق لا تطلب شيئًا بصوت مرتفع، واطلب بصوت منخفض، ولا يشترط أن ألبى كل ما تطلبه» فقد تحدث مشاجرة كبيرة مع ابنك وسط متجر كبير للتسوق فهو يريد أن تشترى له شيئًا معينًا وأنت ترفضين ذلك لأنه لا يستحقه أو لأنه ليس

لديك المال الكافى لشراء مثل هذا الشيء فى الوقت الحالى، فلا تضيعى وقتك بالتفسير له لماذا لا تستطيعين الشراء، فلا الوقت ولا المكان ملائمان للحوار والإقناع، انتهى من تسوقك بسرعة واحمليه بقوة إلى الخارج من دون صراخ أو توبيخ، وفى البيت اشرحى له ما حدث وذكريه بالقاعدة التى وضعتموها من قبل، وهكذا يتعلم الطفل أن لا مجال للتهاون فى تطبيق ما اتفقنا عليه.

وعندما نتحدث عن القوانين المنزلية وعن ضرورة الالتزام بها، لا يعنى ذلك أن نطبق نظامًا ديكتاتوريًا داخل البيت، فالمرونة فى تطبيق هذه القوانين هى أيضا من أسرار الحياة السعيدة، فمثلاً هناك قاعدة فى المنزل تفرض على الأولاد أن يذهبوا إلى الفراش عند الساعة السابعة والنصف مساء، ولكن هذه الليلة سوف يأتى الجد والجدة لزيارة العائلة، فبإمكانك تعديل هذه القاعدة بعض الشيء، استثناءً لهذه الليلة يسمح للأولاد أن يتمتعوا بجدهم وجدتهم بعض الوقت قبل الذهاب إلى النوم، على أن تشرحى للأولاد أنك سوف تقومين بهذا التعديل وسببه (نلاحظ أنه فى حال عدم توفير الشرح للولد قد يسأل هو عنه) ومن المهم جدًا أن نشرح للولد التغيرات الحاصلة فى النظام اليومى، فمثلا نقول له: «فى الصيف عندما يكون الطقس حارًا تستطيع أن تبقى وقتًا أطول فى المغطس (البانيو) للعب، أما فى الشتاء فالطقس بارد وقد تمرض إذا بقيت طويلا فى المغطس» وفى الإطار نفسه يجب أن نذكر أن القوانين المنزلية تتعدل مع نمو الأولاد فى العائلة الواحدة، وتواكب احتياجاتهم حسب مراحل تطورهم فلا يجوز مثلاً أن تفرضى على ابنتك فى الرابعة عشر من عمرها أن تذهب إلى الفراش عند السابعة والنصف مثل أخيها فى الثامنة من عمره.[١]

قوانين البيت وتعديل السلوك:

أول خطوة فى تعديل السلوك هو وضع قوانين يلتزم بها الجميع، وأفضل طريقة لوضع تلك القوانين هى اشتراك الآباء مع الأبناء فى وضعها، والمثال التالى يوضح كيفية المشاركة فى وضع قواعد السلوك.

---

(١) مجلة فلسطين، الأحد ١٩ تشرين الأول ٢٠٠٣، نقلًا عن كتاب (أولادنا) للدكتورة ريتا مرهج (بتصرف)
http://www.falasteen.com/article.php3?id_article=356

«هشام ومحمد طفلان توأم يحبان أن يتصارعا دومًا ويلعبا فى المنزل، وهذه المصارعة كانت مقبولة من قبل الوالدين عندما كانا أصغر سنًا (أى فى عمر السنتين) أما فى عمر أربعة أعوام فإن هذا اللعب أصبح مزعجًا بالنسبة للوالدين، لذلك جلس الوالدان مع الطفلين وأخذا يشرحان لهما أن سنهما الآن يمكنهما من أن يفهما القول، ولابد من وجود قواعد سلوكية جديدة تنظم تصرفاتهما وعلاقاتهما ببعضهما، بادر الولدان بالسؤال هل يمكننا التصارع فى غرفة الجلوس بدلا من غرفة النوم؟ وهنا وافق الأبوان على النظام التالى: المصارعة ممنوعة فى أى مكان من المنزل عدا غرفة الجلوس، ومن يؤذى أخاه ويصارعه بعنف شديد يعاقب، وعند التزامكما بالمصارعة واللعب فى غرفة الجلوس فقط لمدة أسبوع فلكما جائزة. وعلينا أن نلاحظ أنه عندما نضع نظامًا نتفق عليه مع أبنائنا لابد من تكرار تذكيرهم به بل ونطلب منهم فى بعض الأحيان تكراره بصوت مسموع» (١)

أيها الوالد الكريم، أيتها الأم الحنون

هيا بنا نجتمع بأفراد أسرتنا ونضع معهم قانونًا خاصًا ببيوتنا، وييسر هذه العملية أن نجريها على عدة جلسات، وأن نلخص تلك القوانين فى قائمتين، الأولى: تكون بعنوان نعم وهى للأفعال والسلوكيات المسموح بها فى بيتنا، والقائمة الثانية بعنوان لا وهى للسلوكيات المرفوضة داخل البيت، وفيما يلى نقدم نموذجًا لتلك القوانين..

أولاً: قائمة «لا»:

١- لن أقوم بدفع غرامات المرور.

٢- لن أهاجم المسئولين فى المدرسة فى الدفاع عن السلوك الخاطئ.

٣- لن أسامح فى العنف وعدم الاحترام فى المنزل.

٤- لن أعطى نقودًا للذهاب إلى السينما.

(١) http://bafree.net/hisn/trbwf.shtml#top بتصرف

٥- لا للعب بالكرة داخل المنزل.

٦- لا لإيذاء الجيران.

٧- لا للخروج ليلاً مع الأصدقاء.

٨- لا للتخلف عن صلاة الفجر.

٩- لن أدفع نقودًا للتدخين.

١٠- لا يسمح فى بيتنا بفتح أدراج وخزائن الآخرين.



ثانيا: قائمة «نعم»:

١- نعم لإحضار الضيوف إلى المنزل فى الأوقات التالية.........

٢- نعم للسهر حتى الساعة ١١ مساء صيفًا، و١٠ مساء شتاء.

٣- نعم لمشاهدة مباريات كرة القدم.

٤- نعم للاشتراك فى رحلات المدرسة.

٥- فى يوم الإجازة نشترك معًا فى تنظيف المنزل وطهى الطعام.

٦- لكل ابن مصروف يومى أو شهرى مقداره (.......) حسب مرحلته العمرية.

٧- نعم لاستخدام الكمبيوتر والإنترنت داخل المنزل.

٨- نعم للعب مع أبناء الجيران.

٩- يسمح بشراء الطعام الجاهز من خارج المنزل مرة أسبوعيًا.

١٠- يسمح بتربية حيوان أليف كالقطة أو غيرها.



ثلاث مرات أخرى فقط:

تقول الخبيرة التربوية (كات كيلي): عندما كانت ابنتى طفلة وشرعت فى الحركة هنا وهناك كما يحلو لها، أدركت سريعًا أهمية وضع نظام أستطيع أن أحكم به السيطرة عليها، وهنا اخترت أحد الأساليب القديمة وهو أسلوب (ثلاث مرات أخرى فقط) بمعنى أمامك ثلاث مرات على المرجيحة فقط ثم تنزلين، وأمامك ثلاث مرات أخرى للتزلج وتعودين، وكنت أصر بشكل تلقائى على أن تتوقف بالفعل بعد المرة الثالثة، وبينما كنت بصحبة الأصدقاء فى مرات عديدة، راقبت الكثير من الأمهات وهن يتبعن قواعد مشابهة، ولكن فى الوقت الذى كانت تواصل فيه الأم حديثها مع أصدقائها، كان الأبناء بدورهم يواصلون اللعب على العارضة لمدة خمس مرات إضافية عما قالته والدتهم، وقد تصل المدة الإضافية لعشر وربما خمس عشرة دقيقة قبل أن تقوم الأم بالفعل لتجذب طفلها من فوق العارضة وتشرع فى رحلة العودة إلى المنزل.

ولم أدرك أهمية الالتزام بما أقوله لابنتى من قواعد إلا عندما وصلت ابنتى الكبرى لمرحلة المراهقة، حيث لاحظت كيف يصبح الأبناء فى هذه المرحلة دائمى الجدل فيما يخص أوقات العودة إلى المنزل، وكيف أنهم لا يلتزمون بوجوب الاتصال بأهلهم عند التأخير، على الرغم من أنهم وعدوا بذلك، وما إلى ذلك من الكثير من القضايا التى كانت تبدو جميعها بالنسبة للأطفال قابلة للتفاوض، لم أكن أدرك فى حينها مدى أهمية مبدأ (ثلاث مرات أخرى فقط، ومدى تأثيره فى العلاقة التى سوف تجمعنى ببناتى فى المستقبل، فأنا عندما كنت أعقد اتفاقًا مع إحدى بناتى سواء كان ثلاث مرات أخيرة على الزلاجة أو العودة إلى المنزل فى الحادية عشرة مساء) يجب الالتزام به، وبهذا كان الدرس الأول الذى تعلمته من ابنتى الأولى هو قوة الثبات على المبدأ، كما أننى أدركت أيضًا أن الثبات على المبدأ هو درس هام بالنسبة لكلا الجانبين، فإذا وعدت ابنتى بشيء ما فيجب أن ألتزم به وهو ما أتوقعه بدورى منها هى الأخرى[1].

(١) دليل الآباء الحائرين لإيقاف سلوكيات الطفل السيئة ص٢، ٣.

التنبيه التنازلى والقانون المنزلي:

إن الأوقات الانتقالية تكون عصيبة بالنسبة لنا جميعًا، فالشخص البالغ لا يحب أن يترك الرواية التى يقرؤها لكى يعد العشاء، كما أنه لا يحب أيضًا أن ينهى المكالمة الهاتفية الممتعة لأداء عمل آخر، أما بالنسبة للطفل فإن الوقت الانتقالى يشكل له مشكلة كبرى، فتراه يقول: لماذا يجب أن أغادر الملعب الآن؟ هل يتوجب علينا حقًا أن نتوقف عن اللعب للذهاب إلى جدتى الآن؟ هل يستطيع أحد أن يلقى باللوم على الطفل عندما يقول ذلك؟ بالطبع لا، فبالفعل يصعب أن تتوقف عن أداء شيء ممتع من أجل شيء آخر لا يحقق لك نفس المتعة.

الكثير من الآباء ينجحون فى تطبيق نظام تحذيرى تنازلى لعلاج تلك المشكلة، إليك ما يفعلون:

١- سوف نغادر المنزل خلال عشر دقائق للذهاب للمتجر، لذا يجب أن تنهى ما تقوم به.

٢- سوف نغادر خلال خمس دقائق، أرجوك اذهب إلى دورة المياه.

٣- سوف نغادر فى غضون دقيقة، انزل فورا وارتدى معطفك.

يمكنك أن تزيد أو تقلل من المهلة التى تمنحها لطفلك كما تشاء، ولكن عندما تشرع فى استخدام هذه الطريقة يجب أن تدرب ابنك عليها، فمع النداء الأول الذى تطلب فيه من ابنك أن يفرغ مما يقوم به، يجب أن تذهب إليه للتأكد أنه قد سمعك، ومع نداء الخمس دقائق المتبقية، يجب أن تصحبه إلى دورة المياه ثم تسير معه إلى خزانة حفظ الملابس لكى يرتدى المعطف وأنت توجه إليه آخر نداء تحذيرى.

أثناء استمتاع الأطفال باللعب أو السباحة أو أى نشاط آخر سوف يبقى هذا النظام التحذيرى فعالاً لتحقيق التعاون، فى البداية قد تكون بحاجة لأن

تمسك بالطفل وتجذبه خارج أرض الملعب أو خارج حوض السباحة لكى يدرك أنك تعنى ما تقول، إن طفل العاشرة الذى اعتاد هذه الطريقة منذ نعومة أظفاره سوف يبدى استجابة سريعة، ولن يسمح لك أن تقترب من الحوض لكى تجذبه من داخله أمام أصدقائه، وذلك عندما تصدر آخر إنذار وهو: لقد آن وقت الرحيل، فإن كنت قد شرعت لتوك فى تطبيق هذا النظام داخل الأسرة، فيجب أن تثابر وبمرور الوقت يعى الطفل السلوك المتوقع منه.[١]

* * *

(١) المرجع السابق، ص٤١.

اصنع من أسـرتك فريقًا

الشيطان يهدف إلى تفكيك الأسرة وقطع ما بين أفرادها من ترابط وتراحم، وهذا ما أدركه يوسف -عليه السلام- فى نهاية رحلته مع والديه وإخوته فعندما رفع أبويه على العرش وخروا له سجدًا قال مخاطبا أباه: ﴿هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَاى مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِى إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِى إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾[يوسف: ١٠٠]، إن الشيطان يشعر أن وحدة البيت تهدده وتهدد باطله لذلك يحرص دائمًا على تفكيك الروابط الأسرية ويباعد بين أفراد البيت الواحد، روى الإمام مسلم عن جابر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن إبليس يضع عرشه على الماء، ثم يبعث سراياه (لإغواء الناس) فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة، يجيء أحدهم فيقول: فعلت كذا وكذا فيقول ما صنعت شيئا، قال: ثم يجيء أحدهم فيقول: ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته، قال: فيدنيه منه ويقول: نعم أنت، قال: فيلتزمه (فيحتضنه)**» [(١)].

هذا هو شأن الشيطان دائمًا تفكيك كل شيء متجمع؛ لأن بالجمع قوة وبالانفراد ضعفًا والشيطان يريد أن يقود الناس جميعًا إلى الهاوية[(٢)]، وهو يستطيع أن يؤثر بصورة أفضل على الأفراد بينما يقل تأثير على الأسر والتجمعات وخاصة إن كانت صالحة، روى الطبراني والنسائى (واللفظ له) عن عمر بن الخطاب ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من أحب الجنة فعليه بالجماعة، فإن الشيطان من الواحد قريب، ومن الاثنين أبعد**» [(٣)].

أيها الوالد الكريم، أيتها الأم الحنون	إننا بحاجة إلى مزيد من الترابط والتقارب مع أبنائنا حتى تتماسك بيوتنا وتقوى -بعون الله- أسرنا، وهذا بدوره سيقى أبناءنا شر الوقوع فى الكثير من الأخطاء، ويتحقق الترابط

(١) صحيح مسلم ٤/ ٢١٦٧.
(٢) البيان فى مداخل الشيطان، ص١٠١، بتصرف.
(٣) السنن الكبرى للنسائى ٥/ ٣٨٩، والمعجم الأوسط للطبرانى ٧/ ١٩٣.

الأسرى بأن نمارس بعض أنشطتنا اليومية مع أبنائنا بشكل جماعي، فلا يليق ببيت مسلم أن يلتقى أفراده فى المناسبات فقط، ومن الأنشطة اليومية التى توحد أفراد البيت وتجمعهم فى جو من الحب والمودة (تناول الطعام)؛ روى ابن ماجه عن عمر بن الخطاب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**كلوا جميعًا ولا تفرقوا، فإن البركة مع الجماعة**»[١]، ومن هنا حرص الصحابة الكرام على تناول الطعام مع أبنائهم، فقد روى الإمام مسلم عن أبى هريرة ﷺ قال: أعتم رجل ثم (عند) النبى ﷺ ثم رجع إلى أهله، فوجد الصبية قد ناموا، فأتاه أهله بطعامه فحلف لا يأكل من أجل صبيته، ثم بدا له فأكل، فأتى رسول الله ﷺ فذكر ذلك له، فقال رسول الله ﷺ: «**من حلف على يمين فرأى غيرها خيرًا منها فليأتها وليكفر عن يمينه**»،[٢] فهذا أحد الصحابة الذين يجالسون النبى ﷺ حتى عتمة الليل، ويقومون على شئون الأمة فى أشد أوقاتها خطورة، لا يمنعه ذلك كله من تعاهد أطفاله عند عودته للبيت فيأكل معهم ويجالسهم كما يجالس أمثاله هو خارج البيت، وفى اليوم والليلة التى تأخر فيها عن أطفاله حتى ناموا، ففاته وفاتهم تلك الجلسة العائلية المعتاد حزن ﷺ فحلف لا يأكل كأنه يعاقب نفسه على إهماله ذلك الواجب اليومي[٣]، وتمر السنون وبعد أربعة عشر قرنًا نقرأ الخبر التالى فى جريدة الأهرام المصرية: أكدت دراسة إسبانية أن جمع شمل الأسرة حول مائدة الطعام يعزز استقرار الصحة النفسية والعقلية لدى الأبناء، وتوصلت الدراسة التى نشرت فى دورية «علم الأوبئة وصحة المجتمع» إلى أن الأبناء فى سن المراهقة الذين يشاركون آباءهم فى تناول الطعام يتمتعون بحالة نفسية جيدة، وأن تناول الوجبات اليومية التى تضم جميع أفراد الأسرة ولأكثر من خمس مرات فى الأسبوع، له أثر جيد على الصحة النفسية للأبناء[٤].

١- فريق أسرى وهدف تربوي:

فى دراسة متخصصة قامت بها الـ (Gssw) المدرسة المتخصصة للدراسات

---

(١) سنن ابن ماجه ٢/ ١٠٩٣.
(٢) صحيح مسلم ٣/ ١٢٧١ .
(٣) العشرة الطيبة مع الأبناء وتربيتهم .
(٤) جريدة الأهرام المصرية فى عددها الصادر يوم الجمعة الموافق ١٨/ ١/ ٢٠٠٢ م.

الاجتماعية فى الولايات المتحدة على حوالى ٤٠٠ طفل، بداية من كونهم فى سن رياض الأطفال وحتى وصولهم سن ٢٤، وعلى لقاءات مختلفة فى سن ٥، ٩، ١٥، ١٨، ٢١ سنة، واشتملت على حوار مع مربيهم من مدرسين وآباء؛ لتجميع كل ما يلزم عن ظروف النشأة والضغوط والمشاكل واكتمال وظائف هؤلاء الأطفال وتفاعلهم مع الجو المحيط. وكانت نتيجة الدراسة أن المراهقين فى الأسرة المتماسكة ذات الروابط القوية التى يحظى أفرادها بالترابط واتخاذ القرارات المصيرية فى مجالس عائلية محببة يشارك فيها الجميع، ويهتم جميع أفرادها بشئون بعضهم البعض، هم الأقل (من بين الذين تمت عليهم الدراسة) ضغوطًا والأكثر إيجابية فى النظرة للحياة وشئونها ومشاكلها فى حين كان الآخرون أكثر عرضة للاكتئاب والضغوط النفسية، إذن فعمل الآباء مع الأبناء فى فريق واحد لتحقيق هدف مشترك هو خير طريق لتخطى مرحلة التكوين بكل نجاح وإيجابية، فتحمل الآباء جدال أبنائهم ومناقشاتهم المزعجة وحواراتهم ليس من قبيل إهدار الوقت أو العبء الزائد، الذى لا ينبغى إضافته على أعبائهم، بل هو الأساس لبناء ثقة متبادلة بين أطراف الفريق، وإشباعه بخبرات والديه اللذين هما خير ناصحيه فى تلك الفترة.(١)

ومن هنا علينا -كآباء وأمهات- أن نتفق مع أبنائنا على موعد ثابت كل أسبوع نجتمع فيه معا لنناقش شئون أسرتنا ونطمئن على بعضنا، واللقاء الأسرى الأسبوعى يساهم بصورة مباشرة فى علاج الكثير من أخطاء وعيوب أبنائنا حيث يساعد الآباء على اكتشاف تلك العيوب كما يساعدهم على علاجها بطرق متنوعة، والحقيقة أن الآباء الذين طبقوا هذه الفكرة وجدوا لها الكثير من النتائج الإيجابية، مما جعلهم يبدعون ويضيفون إلى هذا الملتقى الأسرى العديد من الفقرات الجذابة والأفكار الرائعة.

٢- هذا العيب أهديه لك:

قال تعالى: ﴿وَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[الحشر: ١٩]

تحمل هذه الآية تحذيرًا شديدًا لأولى الألباب والعقول، حتى لا يكونوا كالذين نسوا حق

(١) المراهقون: أيها الآباء أنصتوا، دعاء ممدوح ٥/ ١٢/ ٢٠٠٠ (بتصرف)
http://www.islamonline.net/arabic/adam/2000/12/article2.shtml

الله تعالى وأهملوا ذكره وشكره، لأن هؤلاء لما نسوه -سبحانه- أنساهم مصالح أنفسهم التى لا صلاح لهم إلا بها، فلم يطلبوها وأنساهم عيوبهم فلم يصلحوها، لقد نسوا الله عند الذنوب فأنساهم أنفسهم عن التوبة فلم يستغفروا ويعملوا لأنفسهم خيرًا»..[١] ومن هنا قال السرى بن المغلس[٢]: «من علامة الاستدراج العمى عن عيوب النفس»[٣] ، وقال أيضا: أحسن الأشياء خمسة: «البكاء على الذنوب، وإصلاح العيوب، وطاعة علام الغيوب، وجلاء الرين عن القلوب، وأن لا تكون لما تهوى ركوب»،[٤] وعن محمد بن كعب القرظي[٥] أنه قال: «إذا أراد الله بعبد خيرًا زهده فى الدنيا، وفقهه فى الدين، وبصره عيوبه، ومن أوتيهن أوتى خير الدنيا والآخرة»[٦].

ولأن من فضل الله على المسلم أن يعرف عيوب نفسه ويسعى فى علاجها، فقد كان للصالحين ساعات يتناصحون فيها ويرشدون بعضهم إلى عيوب نفوسهم، فعن وهب بن منبه[٧] قال: «إن فى حكمة آل داود: حق على العاقل أن لا يغفل عن أربع

(١) تفسير القرطبى ١٨/ ٤٣، ومدارج السالكين ٣/ ١٨٣ (بتصرف).

(٢) هو السرى بن المغلس السقطى أبو الحسن البغدادي، هو خال الجنيد وأستاذه وتلميذ معروف الكرخي، أحد العباد المجتهدين، توفى عام ٢٥٣ هـ وله نيف وتسعون سنة، انظر: العبر فى خبر من غبر ٢/ ١١، ١٢، والمنتظم ١٢/ ٦٦، وشذرات الذهب ٢/ ١٢٧.

(٣) طبقات الصوفية ويليه ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات ١/ ٥٧، وصفة الصفوة ٢/ ٣٧٦.

(٤) حلية الأولياء، ١٠/ ١٢٤، وطبقات الصوفية ويليه ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات ١/ ٥٧، وتاريخ مدينة دمشق ٢٠/ ١٨٩.

(٥) محمد بن كعب القرظى تابعى جليل، روى عن كبار الصحابة، وكان كبير القدر ثقة موصوفًا بالعلم والصلاح والورع، ولما ولى عمر بن عبد العزيز الخلافة، دعا سالم بن عبد الله ومحمد بن كعب القرظى ورجاء بن حيوة، فقال لهم: إنى قد ابتليت بهذا الأمر فأشيروا عليَّ، فقال محمد بن كعب: إن أردت النجاة من عذاب الله، فليكن كبير المسلمين، عندك أبًا، وأوسطهم أخًا، وأصغرهم عندك ولدًا، فوقر أباك وأكرم أخاك وتحنن على ولدك. وكان يومًا يقص على الناس أحسن القصص، فسقط عليه وعلى أصحابه مسجده فقتلهم، وذلك عام ١١٧، وقيل ١١٨ هـ، انظر: شذرات الذهب ١/ ١٣٦، والمنتظم ٩/ ١٥٠، والمعارف ١/ ٤٥٩.

(٦) تاريخ مدينة دمشق ٥٥/ ١٤٤، ومصنف ابن أبى شيبة ٧/ ١٩٣، وتهذيب الكمال ٢٦/ ٣٤٦، والبداية والنهاية ٩/ ٢٥٨، حلية الأولياء ٣/ ٢١٣، وصفة الصفوة ٢/ ١٣٢.

(٧) وهب بن منبه تابعى جليل، روى عن ابن عباس وأبى هريرة وغيرهما من الصحابة، وولى القضاء لعمر ابن عبد العزيز، وكان عالما عابدًا مكث يصلى الفجر بوضوء العشاء أربعين سنة، توفى عام ١١٤هـ، انظر: المنتظم ٧/ ١٤٠، وشذرات الذهب ١/ ١٥٠، والطبقات الكبرى ٥/ ٥٤٣، والمعارف ١/ ٤٥٩.

ساعات، ساعة يناجي فيها ربه، وساعة يحاسب فيه نفسه، وساعة يفضي فيها إلى إخوانه الذين يخبرونه بعيوبه ويصدقونه عن نفسه، وساعة يخلي بين نفسه وبين لذاتها فيما يحل ويجمل، فإن هذه الساعة عون على هذه الساعات وإجمام للقلوب»[١]. ولأن نيتهم كانت خالصة وقلوبهم صافية، فقد كانوا يفرحون بمن يدلهم على عيب من عيوبهم، ويأتي في مقدمة هؤلاء الصحابي الجليل عمر بن الخطاب ﷺ حيث كان يقول: رحم الله من أهدى إليَّ عيوبي،[٢] وفي رواية أخرى أنه كان يقول: أحب الناس إلى من رفع إلىَّ عيوبي[٣].

أيها الوالد الكريم، أيتها الأم الحنون

ما أجمل أن ننتهز فرصة اجتماعنا الأسرى الأسبوعي مع أبنائنا وبناتنا، ونرشدهم إلى عيوبهم بأسلوب تربوي لطيف، ولا ننسى أنهم ربما يعرفون من عيوبنا ما يخفى علينا، ويتم تهادى العيوب بيننا وبين أبنائنا بأن نجمعهم ونعرفهم أهمية تبادل العيوب، ثم نعطي لكل واحد من الحضور (فوق السبع سنوات) قلمًا ومجموعة من الأوراق بعدد أفراد الأسرة، ونطلب من كل واحد أن يخصص ورقة واحدة لكل فرد من البيت، ويكتب فيها اسمه وما فيه من عيوب، وذلك دون أن يكتب اسمه عليها لكي لا يعرف أحد من ذكر عيوبه، ولكي نشجع الأبناء أكثر على تطبيق هذه الفكرة، يمكننا أن نطلب منهم قبل لقاء الأسرة بيوم أن يكتبوا عيوب الجميع على الكمبيوتر حتى لا يتعرف أحد على خط الآخر، وفي الاجتماع الأسرى يتم تهادى العيوب بين أفراد الأسرة في جو من الحب والمودة، وعلى الآباء ألا يهملوا كلمات أطفالهم، ففي أغلب الأحيان تكون صادقة وواقعية، وليكن شعارنا في ملتقى تهادى العيوب ما قاله العابد

---

(١) البداية والنهاية ٢/ ١٥، تاريخ بغداد ٣/ ١٥٤، والزهد لهناد ٢/ ٥٨٠، والجامع لمعمر بن راشد ١١/ ٢٢.
(٢) الدارمي ١/ ١٦٩.
(٣) الخلفاء ١/ ١٣٠، والطبقات الكبرى ٣/ ٢٩٣.

الزاهد يحيى بن معاذ[١] إذ قال: «أخوك من عرَّفك العيوب، وصديقك من حذرك من الذنوب»[٢].

٣- حسِّن نفسك وساعد غيرك:

لابد من إيجاد فقرة في الجلسة الأسرية الأسبوعية تحت عنوان (تنمية الذات) أو (حسِّن نفسك)، وفيها يقول كل فرد عيبًا يشعر به في نفسه ويريد تحسينه، ويعرض مقترحاته لذلك ويطلب من والديه و إخوته أن يساعدوه ببعض الأفكار والمقترحات التي تساعده على إصلاح عيبه وحل مشكلته، وبعد سماعه لمقترحاتهم يستقر على خطوات عملية تدون في ورقة يعلقها على باب حجرته أو دولابه، والهدف من ذلك أن تكون الرغبة في التغيير نابعة من داخل كل فرد فيجتهد في تحقيقها، وعلى الآباء أن يبدؤوا بأنفسهم، فيقول الأب أو الأم خطأ يقعون فيه كعدم صلاة الفجر أو التأخير عن المواعيد أو الانفعال الدائم وكثرة ضرب الأبناء وغيرها، ويطلب من الأبناء المشاركة ببعض الحلول والمقترحات، ولنحرص كآباء على الصدق والموضوعية خلال الحوار والنقاش، فالمواقف المفتعلة والكلمات غير الصادقة يشعر بها أبناؤنا[٣].

أيها الوالد الكريم، أيتها الأم الحنون

إن بعض الأخطاء التي يرتكبها أبناؤنا قد تعلموها منا نحن الكبار دون أن نشعر؛ لذلك إذا أردنا علاج أخطائهم فلنبدأ نحن بعلاج عيوبنا، ولقد أوصى عتبة بن أبي سفيان[٤] ﷺ مؤدب ولده فقال: «ليكن أول إصلاحك بنيَّ إصلاحك لنفسك، فإن عيوبهم

---

(١) يحيى بن معاذ الرازي، كان حكيم زمانه وواعظ عصره، كان عابدًا صالحًا، توفي ٢٥٨هـ، انظر: مرآة الجنان ٢/ ١٧٠، وشذرات الذهب ٢/ ١٣٨، والكامل في التاريخ ٦/ ٢٣٩.

(٢) صفة الصفوة ٤/ ٩٤.

(٣) http://www.islamonline.net/Tarbia/Arabic/display.asp?hquestionID=4565 بتصرف.

(٤) عتبة بن أبي سفيان شقيق معاوية، ولد في عهد رسول الله ﷺ، وولاه عمر بن الخطاب الطائف، روى عن أخته أم حبيبة أم المؤمنين وكان خطيبًا بليغًا مفوهًا، وولاه أخوه معاوية مصر بعد وفاة عمرو بن العاص، وفي سنة أربع وأربعين توفي عتبة بن أبي سفيان مرابطًا في مدينة الإسكندرية، انظر: الإصابة في تمييز الصحابة ٥/ ٦٠ وتاريخ مدينة دمشق ٣٨/ ٢٧٢، والتحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة ٢/ ٢٣٨.

معقودة بعيبك، فالحسن عندهم ما فعلت، والقبيح ما تركت، وعلمهم كتاب الله، ولا تملهم فيتركوا، ولا تدعهم منه فيهجروا، وروِّهم من الحديث أشرفه، ومن الشعر أعفه، ولا تخرجهم من علم إلى علم حتى يحكموه، فإن ازدحام الكلام فى السمع مضلة للفهم، وهددهم بى وأدبهم دونى، وكن بهم كالطبيب الرفيق الذى لا يعجل بالدواء حتى يعرف الداء، وامنعهم من محادثة النساء، واشغلهم بسير الحكماء، واستزدنى بآدابهم أزدك، ولا تتكلن على عذر منى فقد اتكلت على كفاية منك»[1].

* * *

(١) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ١/ ١٢٣، وتاريخ مدينة دمشق ٣٨/ ٢٧١، ٢٧٢.

الفصل الثاني

طرق العقاب

تمهيد

التربية بالعقوبة أمر طبيعي بالنسبة للبشر عامة والطفل خاصة، فلا ينبغي أن نستنكر ذلك من باب التظاهر بالعطف على الطفل أو التظاهر بالعلم، فالتجربة العملية ذاتها تؤكد أن الأجيال التى نشأت فى ظل تحريم العقوبة ونبذ استخدامها أجيال مائعة لا تصلح لجديات الحياة ومهامها، والتجربة أولى بالإقناع من النظريات المجردة، فالعطف الحقيقى على الطفولة هو الذى يرعى مصالحها فى مستقبلها لا الذى يدمر كيانها ويفسد مستقبلها، فالعقوبة إذًا لابد منها، لكن ينبغي مراعاة ما يلى:

١- احترام كيان الطفل وتقديرنا له كإنسان بالعبارات اللائقة، كأن يقال له عند معاقبته: لم أتمنَّ أن أحرمك من كذا، ولا أن أعاقبك بكذا، لكن اضطررتنى لذلك، ولا يضرب بهمجية أو تطلق عليه الألفاظ البذيئة السوقية.

٢- أن ينصب العقاب على أسباب التصرف لا على نتائجه، يحدث أحيانا أن تكون نتيجة العمل الذى قام به الطفل سيئة رغم أن الدافع الذى ساقه إليه طيب وإيجابي؛ كالطفلة التى أرادت أن تمسح الغبار عن أثاث الغرفة قبل مجيء والدتها من زيارة جارتها، لتظهر مساعدتها لها، وأثناء التنظيف تكسر البنت زهرية عزيزة على والدتها، الطفلة هنا انقادت إلى العمل بدوافع طيبة لكنها وصلت إلى نتائج سيئة فلا تجوز معاقبتها.

٣- من المضر معاقبة الطفل باستمرار، إذ لابد من التغاضى عن بعض أخطائه والعفو عن بعضها، دون تساهل أو تسيب، ولنأخذ فى اعتبارنا أن الإدانة الدائمة لتصرفات الطفل وتضخيم الخطأ الذى يرتكبه، مهما كان عارضًا، ومعاقبته على ذلك باستمرار من أسوأ الطرق التى يلجأ إليها الأهل، إذ من الثابت أن طريقة القمع هذه لم تؤد إلى نتائج طيبة عادة، وأن تكرار العقوبة

يفقدها سمة الردع، بل يعتاد عليها الطفل فلا تعود تثير فيه أية محاولة أو سعى لتعديل سلوكه، ويقابلها بعدم الاكتراث كالأم التى تضرب ابنها كلما أخطأ دون النظر لحجم الخطأ والملابسات المحيطة به، فسيأتى الوقت الذى تنفعل فيه الأم على ابنها وتضربه لأنه أخطأ، وهو يضحك من ضربها ولا يتألم لأنه تعود عليه، بل ربما يقول لها: اضربى فأنا لا أشعر بضربك ولا أحس به.

٤- يجب أن تتنوع العقوبة التى نستخدمها مع أبنائنا؛ لأن تكرار العقوبة الواحدة يفقد أثرها بالنسبة للطفل، لذا لابد من التغيير فى طريقة العقاب الذى نستخدمه مع أبنائنا، والعقوبة قد تكون معنوية مثل الإعراض والمقاطعة من الوالدين فيهجرانه ويمتنعان عن التحدث معه أو سماع قصته أو حديثه لفترة زمنية محددة، أيضا الحرمان من الأشياء التى يحبها الطفل مثل: زيارة الأقارب والأصدقاء، اللعب ببعض الألعاب، وليس المقصود بالعقاب المعنوى إيذاء الطفل نفسيًا بالسب والشتم وغيرهما، حيث بينت الدراسات أن العقاب النفسى أكثر إيلامًا وإيذاء للطفل من العقاب الجسدي، وبالتالى فإن العقاب النفسى كحرمان الطفل من الحنان والحب ومن أشياء أساسية لحياته وسبه وشتمه لا ينبغى أن يمارس فى بيوتنا.

٥- علينا أن نستعمل العقوبة بالتدريج بدءًا من الأضعف فالأشد، وينبغى أن تكون العقوبة متناسبة مع الجرم، فلا يبالغ فى الجرم الصغير ولا يستهان بالعظيم، وعلينا أن نختار العقوبة المناسبة لكل طفل، إذ لعل الطفل أن يرتدع منذ البداية، ويتمشى هذا المبدأ مع الحكمة القديمة المأثورة «لا أستعمل سوطى ما دام ينفع معى صوتى، ولا أستعمل صوتى ما دام ينفع معى صمتي» وهكذا فلعل الصمت والتأنيب الصامت الوقور ينفع مع طفل حساس أكثر ما ينفعه الضرب والإيلام.

٦- لابد أن يكون العقاب مناسبًا لحجم الفعل المرتكب، فبعض الأمهات اللواتى أثقلتهن أعباء الحياة اليومية، أصبحن فى حالة توتر شديد، فإذا قام الطفل بأى سلوك لا يرضين عنه مهما كان بسيطًا انفجرن فى وجه الطفل

صارخات موبخات، لا لأن سلوك الطفل يستوجب ذلك، بل بسبب الإرهاق والتعب، فلا يجوز بحال من الأحوال أن نجعل الأطفال لعبًا لأمزجتنا، فمرة نواجه تصرفاتهم وأخطاءهم برضا وقبول، ومرة أخرى نضرب الأرض بأقدامنا لنخيفهم.

٧- ينبغى أن يكون العقاب عادلاً دائمًا، لكى يشعر الطفل أنه يستحقه لأن هذا الشعور بالذات هو الذى يدفع الطفل لتعديل سلوكه والعودة عن الخطأ، والعقاب غير العادل كالأم التى تغضب من إحدى بناتها فتضرب الجميع، ويلاحظ أن العقوبات التى تتخذ فى حالة الغيظ غالبًا ما تكون غير عادلة، لهذا من الأفضل العمل بالمثل (قس سبع مرات لتقص مرة).. ومن العدل فى العقاب الوفاء بالوعود، والمثال التالى يوضح ذلك: ارتكب طفل خطأ ما وعاقبه والداه ثم اشتد غضبهما فحرماه فى الوقت ذاته من تسلية كانا قد وعداه بها من زمن، إن تصرفًا كهذا يولد لدى الطفل عدم الثقة بما يقوله والداه وربما أفقده فيما بعد كل احترام لهما.

٨- علينا أن نعاقب الطفل عقب صدور الخطأ منه مباشرة، فإذا تأخر العقاب، فى بعض الأحيان عن وقته ولم ينفذ بعد حدوث الخطأ مباشرة فقد فعاليته وجدواه، ويمكن ان تؤجل بعض العقوبات لأسباب معتبرة، كما إذا كنتم زوارًا أو عندكم ضيوف، أو وقت الامتحانات، أو فى مواسم الأفراح أو الأحزان، وغيرها مما لا يخفى، لأن العقاب علاج وليس انتقامًا فإذا لم يصادف محله عاد بأسوأ مما أريد علاجه، ولذلك لابد أن يكون كما ينبغى فى الوقت الذى ينبغى. يخطئ الوالدان اللذان يعاقبان الطفل بعد عدة ذنوب مثلا: يسكت الأهل لأسباب كثيرة عن ذنوب متتابعة يقوم بها الطفل لينفجروا فجأة أمام ذنب بسيط، فيذكرون الطفل بكل ما فعل مسبقًا، بل بذنوب كان قد عوقب عليها، ولابد أن يعاقب الطفل على فعل ملموس وذلك بأن نخبره عن سبب عقابنا له، ليعرف على أى شيء عوقب، وماذا يراد منه نتيجة العقوبة، وماذا يجب أن يصلح فى نفسه، ولا يجوز تذكير الطفل بعمل سيئ كان قد عوقب عليه ذات مرة لأن مثل

هذا التذكير يؤذى شعوره ويصيب موضعًا موجعًا لديه، ومن الهام جدًا ألا ننسى أن الطفل ينبغى ألا يبتعد عن الخطأ خوفًا من العقاب بل يبتعد لأن الخطأ شيء سيئ يجب أن ينفر منه ويزدريه، والإنسان الجيد لا يسرق لأنه يخاف من العقاب، بل لأن السرقة فعل سيئ لا يرضاه الرحمن.

٩- أن يراعى عند معاقبة الطفل بالضرب قواعد الضرب، فالمطلوب الضرب المؤلم لا المضر، وللإفراط فى العقوبة الجسمية مضار كثيرة منها: أن يألفها الولد ويصبح بليدًا، أو أن يلجأ الطفل إلى الكذب والمكر والنفاق ليهرب من الضرب، وعندما يكبر يكون لذلك أثره السيئ فيجد فى نفسه حقدًا على والده أو والدته كما قد يجعله الضرب ذليلاً يخاف من ظله، أو ربما جبارًا قاسيًا لا يرحم من هو أضعف منه.

١٠-علينا ان نختار العقاب الذى يؤثر فيه فقد يتأثر الطفل بالحرمان من لعبة (كالبلاى ستيشن) أكثر من تأثير الضرب فيه، وقد يؤثر حرمان البنت من رحلة مع زميلاتها أكثر من توبيخها. ومن هنا علينا أن نفكر فيما يؤثر فى أبنائنا فنعاقبهم به على أخطائهم.

١١- علينا أن نقلل من العقاب ما استطعنا ونرفق بأبنائنا ونقبل اعتذارهم فى بعض الأوقات ولا نعاقبهم باستمرار، وليكن قدوتنا فى ذلك النبى الصالح والوالد الحانى يعقوب عليه السلام، فعندما اعتذر له أبناؤه عما فعلوه به وبيوسف طوال السنين وطلبوا منه أن يدعو الله لهم بالمغفرة، لم يتردد لحظة فى العفو عنهم ومسامحتهم، ووعدهم أن يدعو الله لهم بالمغفرة والرحمة، ثم اختار أفضل الأوقات التى تستجب فيها الدعوات، ورفع يديه إلى السماء طالبًا من الله تعالى أن يعفو عنهم ويسامحهم على ما فعلوه طوال السنين.(١)

---

(١) http://www.lahaonline.com/Feature/Dialogues/a2-30-03-2002.doc_cvt.htm#top

خمس خطوات لتعديل سلوك طفلك للدكتور / عادل رشاد غنيم.

http://www.islamtoday.net/consultant/show_articles_content.cfm? atid=44cartid=2560
http://www.marmarita.com/nuke/modules.php?name=News&file=article&sid=13

ومجلة الطفولة العربية، العدد السادس عشر – سبتمبر ٢٠٠٣، وإذا كنت مصرًا على العقاب أ.د. ناصر ابن سليمان العمر ١٠/ ١١/ ١٤٢٥ (بتصرف). http://www.almoslim.net/print.cfm?artid=597.

العتاب قبل العقاب

عبد الله عمرو بن قيس المعروف باسم ابن أم مكتوم صحابى جليل، كان مكفوف البصر، ولكنه كان مفتح البصيرة مشرق القلب، وفى يوم من الأيام فى مكة المكرمة قبل الهجرة جاء إلى رسول الله ﷺ يسأله فى أمر من أمور الدين، والرسول منشغل فى مناقشة عدد من زعماء قريش ودعوتهم إلى دين الله الخاتم، لعل الله تعالى أن ينصر بهم هذا الدين الذى كانوا يقفون منه موقف المعاداة والصد، وفى هذه المعمعة كان ابن أم مكتوم يلح فى توجيه أسئلته، والرسول ﷺ يتمنى لو انتظر قليلاً حتى يتمكن من الوصول إلى قناعة مع هؤلاء النفر من رؤوس قريش، ولكن ابن أم مكتوم استمر فى إلحاحه بالسؤال، فعبس وجه رسول الله ﷺ وتجهم وتولى عنه، فأنزل ربنا تبارك وتعالى وحيه يعاتب فيها سيد المرسلين عتابًا شديدًا بخطاب الغائب أولاً، ثم بتوجيه الخطاب إليه مباشرة،[1] فقال جل شأنه: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى ۞ أَن جَاءَهُ الأَعْمَى ۞ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى ۞ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَى ۞ أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى ۞ فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّى ۞ وَمَا عَلَيْكَ أَلاَّ يَزَّكَّى ۞ وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَى ۞ وَهُوَ يَخْشَى ۞ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّى ۞ كَلاَّ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ۞ فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ ۞ فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ۞ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ۞ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ۞ كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾[عبس: ١: ١٥].

ولقد أصاب العتاب قلبًا رقيقًا ونفسًا عظيمة، إذ أصلح النبى ﷺ الخطأ الذى وقع فيه عن غير قصد، علاجًا رائعًا، فبعد نزول هذه الآيات كان رسول الله ﷺ يكرم ابن أم مكتوم كلما رآه، قال سفيان الثورى: كان النبى ﷺ بعد ذلك إذا رأى ابن أم مكتوم يبسط له رداءه ويقول: «**مرحبا بمن عاتبنى فيه ربي**» ويقول: «**هل من حاجة؟**» واستخلفه النبى ﷺ على المدينة مرتين فى غزوتين غزاهما[2]، وعن الشعبى قال: دخل رجل على عائشة وعندها ابن أم مكتوم وهى تقطع له الأترج (نوع من

---

(١) الإشارات الكونية فى القرآن الكريم ومغزى دلالتها العلمية، د. زغلول النجار، جريدة الأهرام المصرية، العدد رقم ٤٢٦٠٢، الاثنين ٢٨ جمادى الأولى ١٤٢٤هـ، الموافق ٢٨ يوليو ٢٠٠٣م.
(٢) تفسير القرطبى ١٩/ ٢١٢، ٢١٣، وتفسير الجلالين ١/ ٧٩٢.

الفاكهة) يأكله بعسل، فقالت: مازال هذا له من آل محمد ﷺ منذ عاتب الله فيه نبيه ﷺ، وإنما أرادات أم المؤمنين رضى الله عنها نزول سورة عبس وتولى[١].

وكما استخدم الحق تبارك وتعالى العتاب مع حبيبه محمد ﷺ فى سورة عبس، فقد عاتب سبحانه وتعالى الصحابة الكرام فى قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلاَ يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [الحديد: ١٦] فالله تعالى عاتب الصحابة قائلاً لهم: ألم يحن للذين صدقوا الله ورسوله أن تلين قلوبهم لذكر الله، ولما نزل من الحق وهو القرآن، فيتعظون بآياته ويطيعون أحكامه؟. ولأن الصحابة الكرام على قدر كبير من الإيمان والأدب، فقد خافوا من هذا العتاب، وأقبلوا على بعضهم يبحثون سبب هذا العتاب، وكيفية معالجة ما وقعوا فيه من أخطاء، فقد روى الإمام مسلم وأبو يعلى (واللفظ له) عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: «ما كان بين إسلامنا وبين أن عوتبنا بهذه الآية إلا أربع سنين: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾ وأقبل بعضنا على بعض: أى شيء أحدثنا؟ أى شيء صنعنا»[٢].

العتاب هدية الأحباب:

إن العتاب دليل على الحب، والله تعالى لا يعاتب إلا من يحب، ولأن الأنبياء هم خير البشر وأعظمهم مكانة عند الله تعالى، نجده سبحانه يعاتبهم على أقل خطأ يصدر منهم[٣]، ولأن أحب الخلق إلى الله وأعلاهم منزلة عنده محمد ﷺ فقد عاتبه ربه لمجرد أنه عبس فى وجه ابن أم مكتوم، والحق تبارك وتعالى يحب المؤمنين الصادقين؛ لذلك عاتب جل شأنه الصحابة بقوله: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾. ولقد علق التابعى الجليل كعب الأحبار على هذه الآية قائلا: «هل ترون أن الله يعاتب إلا المؤمنين»[٤]، ولأن العتاب هو لغة

(١) الحاكم فى المستدرك على الصحيحين ٣/ ٧٣٥، وحلية الأولياء ٩/ ٢٣٣.
(٢) صحيح مسلم ٤/ ٢٣١٩، ومسند أبى يعلى ٩/ ١٦٧.
(٣) بدائع الصنائع ٣/ ١٦٩.
(٤) حلية الأولياء ٦/ ٢٠.

الأحباب، فإنه لما تخلف عن غزوة تبوك مع النبى ﷺ عدد كبير لم يعاتب ﷺ كل من لم يخرج للجهاد معه «بل اختص بالعتاب بعد عودته من يعز عليه ويكرم عليه فعاتب ثلاثة فقط دون سائر من تخلف عن الغزوة»(١)، والثلاثة هم: كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية، وكلهم من الأنصار وكانوا نفر صدق لا يتهمون فى إسلامهم، ولأن التخلف عن الغزو دون عذر خطأ كبير ولا ينبغى أن يقع من هؤلاء الثلاثة بالذات، ولأن هؤلاء الثلاثة لهم مكانة عند النبى ﷺ دون غيرهم، فقد أمر القائد العظيم ﷺ جميع المسلمين ألا يكلموهم، وبالفعل اعتزلهم المسلمون مدة وصلت خمسين ليلة ثم أنزل الله تعالى توبتهم،(٢) فقال جل شأنه: ﴿وَعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لاَّ مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلاَّ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [التوبة: ١١٨].

ولقد أحسن الشعراء بأن العتاب هو لغة الأحباب فقال أحدهم:

لولا محبتكم لما عاتبتكم ... ولكنتم عندى كبعض الناس(٣)

وقال شاعر آخر:

أعاتب ذا المودة من صديق ... إذا ما رابنى منه اجتناب

إذا ذهب العتاب فليس ود ... ويبقى الود ما بقى العتاب(٤)

أيها الوالد الكريم، أيتها الأم الحنون

إن العتاب وسيلة تربوية فعالة فى علاج أخطاء من نحب من تلامذتنا وأبنائنا وأصدقائنا، ولا يظن البعض أن العتاب يناسب الكبار فقط، لأن النبى ﷺ قد استخدمه فى علاج أخطاء الصغار والكبار، روى ابن ماجه عن النعمان بن

---

(١) زاد المعاد ٣/ ٥٧٦.
(٢) انظر: البداية والنهاية ٥/ ٦، والكامل فى التاريخ ٢/ ١٥٣، والإصابة فى تمييز الصحابة ٦/ ٦٥.
(٣) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ٣/ ٢١، والوافى بالوفيات ١٦/ ٣٦٥.
(٤) لسان العرب ١/ ٥٧٧.

بشير[١] ﷺ قال: أهدى للنبي ﷺ عنب من الطائف، فدعاني فقال: «**خذ هذا العنقود فأبلغه أمك**» فأكلته قبل أن أبلغه إياها، فلما كان بعد ليال قال لي: «**ما فعل العنقود؟ هل أبلغته أمك؟** قلت:لا، قال: فسماني غدر»،[٢] وروى الطبراني عن عبد الله بن بسر المازني[٣] ﷺ قال: بعثتني أمي إلى رسول الله ﷺ بقطف من عنب فأكلته، فقالت أمي لرسول الله ﷺ: هل أتاك عبد الله بقطف؟ قال: «**لا**»، فجعل رسول الله ﷺ إذا رآني قال:«**غدر غدر**»[٤]، وفي رواية أخرى قال عبد الله بن بسر: لما بعثتني أمي بقطف تناولت منه قبل أن أبلغه النبي ﷺ، فلما جئت به مسح رأسي وقال: «**أيا غدر**»[٥]، فما زاد ﷺ على التنبيه للصبي في شكل عتاب رقيق هو أشبه بالملاعبة منه من المعاتبة وتكرار ذلك من رسول الله ﷺ على سبيل التذكير والتفهيم حتى يدرك الصغير أنه ارتكب خطأ، ولأن الأمر يتعلق بالأمانة وهي أمر مبهم عند الصغير لا يدركه إلا بهذا التكرار، ولكن بلا إهانة لنفس الصغير أو تقليل من شأنه، ولا يفوتنا التنبيه من خلال هذه القصة على تعويد الطفل حمل الهدايا وتعويده الكرم عمليًا، وتدريبه على بعض الأعمال ذات الأهمية، وتفهيم الصغير معنى التكافل وتواصل البيوت عمليًا، وفي الحديث منتهى تواضع النبي ﷺ وتباسطه مع الصبي وتعليمه كيف تكون الأمانة.[٦]

---

(١) «النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة الأنصاري، وأمه عمرة بنت رواحة أخت عبد الله بن رواحة، ولد قبل وفاة النبي ﷺ بثماني سنين وقيل بست، والأول أصح لأن الأكثر على أنه ولد هو وعبد الله بن الزبير عام اثنتين من الهجرة في ربيع الآخر بعد أربعة عشر شهرًا من مقدم رسول الله ﷺ المدينة، وهو أول مولود ولد للأنصار بعد الهجرة» انظر: الوافي بالوفيات ٢٧/ ٨٦.

(٢) سنن ابن ماجه ٢/ ١١١٧.

(٣) عبد الله بن بسر المازني، صحابي جليل، روى عن النبي ﷺ نحوًا من ٢٠ حديثًا، وكان يقول للناس: انظروا ليدي هذه، لقد وضعتها في يد النبي ﷺ أبايعه، وهو آخر من مات بالشام من صحابة النبي ﷺ، توفي عام ٨٨ هـ، وعمره ٩٤ سنة، وقيل ١٠٠ سنة، وهذا معناه أنه كان صبيًا صغيرًا على عهد النبي ﷺ، انظر: تاريخ الطبري، ١/ ٤٩٥، وتاريخ مدينة دمشق ٢٢/ ١٢، ٢٧/ ١٤٣-١٦٢، والتاريخ الكبير ١/ ٣٢٣، وتقريب التهذيب ١/ ٢٩٧، والكاشف ١/ ٥٤٠.

(٤) رواه الطبراني في الكبير وفيه الحكم بن الوليد ذكره ابن عدي في الكامل وذكر له هذا الحديث وقال: لا أعرف هذا عن عبد الله بن بسر إلا الحكم هذا معنى كلامه وبقية رجاله ثقات، انظر: مجمع الزوائد ٤/ ١٤٧، والتاريخ الكبير ٢/ ٣٣٩.

(٥) رواه الطبراني وفيه عبد الله بن بسر الحيراني وثقه ابن حبان وضعفه الجمهور وبقية رجاله ثقات، انظر: مجمع الزوائد ٩/ ٤٠.

(٦) العشرة الطيبة مع الأولاد وتربيتهم ص١١٦، ١١٧ بتصرف.

متى نعاتب أبناءنا؟:

يقول بشار بن برد:

إذا كنت فى كل الأمور معاتبًا ... خليلك لم تلق الذى لا تعاتبه

فعش واحدًا أوصل أخاك فإنه ... مقارف ذنب مرة ومجانبه[١]

إن كثرة العتاب قد تفرق الأحباب، ونحن لا نريد أن يفرق الشيطان بيننا وبين من نحب من أبنائنا وتلامذتنا وأصدقائنا، لذلك علينا أن نستخدم العتاب فى وقته المناسب فقط، والحقيقة أن هناك ثلاثة أسئلة يتحدد من خلالها متى نعاتب أحبابنا، السؤال الأول: هل هناك ما يستحق العتاب؟ السؤال الثانى: هل تعمد من سأعاتبه أن يفعل ذلك أم حدث ذلك سهوًا؟ السؤال الثالث: هل أتوقع أن ينجح العتاب معه أم سيكون دون فائدة؟

أولاً: فعل يستحق العتاب:

العتاب بدون سبب لا يزيد الأدب، والعتاب يفقد معناه إذا كان سببه تافهًا وليس ذا قيمة فعلى كل من أراد أن يعاتب غيره أن يسأل نفسه، أولاً: هل ما فعله ابنى أو تلميذى أو صديقى يستحق العتاب؟ وتأتى المخالفات الشرعية والأخطاء الأخلاقية على رأس الأمور التى تستحق العتاب، فقد روى البخارى «أن عبد الله بن مسعود التفت إلى خباب وعليه خاتم من ذهب، فقال: ألم يأن لهذا الخاتم أن يلقى؟ قال: أما إنك لن تراه علىَّ بعد اليوم، فألقاه»[٢]. ومن الأمور التى يكون العتاب عليها مهمًا: إيذاء الغير والتعدى على حقوقهم «فقد مر عمر بن الخطاب ﷺ برجل قد قصر الشعر وحلقه فى السوق فعاتبه عمر على ذلك، وإنما كره عمر الحلاقة فى السوق، لأن الريح ربما حملت الشعر الواقع على الأرض فأوقعته على الأطعمة التى تباع».[٣]

(١) تاريخ بغداد ٧/ ١١٥.
(٢) صحيح البخارى ٤/ ١٥٩٥.
(٣) الفائق للزمخشرى ٣/ ٢٠٥، بتصرف.

ثانيًا: التعمد وسبق الإصرار:

إذا اجتهد ابنك فى دراسته فلم يوفق فلا عتاب عليه؛ لأنه على المرء أن يعمل وليس عليه إدراك النجاح، وإذا حاول ابنك فعل الصواب فى مسألة ما (كحمل الطعام أو الرد على التليفون أو شراء الحاجات من خارج البيت) لكنه أخطأ فلا تستخدم العتاب معه، وذلك لما رواه ابن حبان والترمذى وغيرهما عن عمرو بن العاص ﷺ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد فأخطأ فله أجر**»[1]، وإذا وقع ابنك فيما يستحق العتاب لكنه لم يكن يعرف أنه خطأ، فلا تعاتبه ولكن عرفه أن ما فعله ليس صوابًا من ناحية كذا وكذا، وهذا بالضبط ما فعله رسول الله ﷺ، فها هوصحابى جليل يصلى ذات يوم مع النبى ﷺ وهو لا يعرف أن الكلام أثناء الصلاة خطأ، فيعطس أحد الصحابة وهم يصلون، فيقول له هذا الرجل وهو يصلى: يرحمك الله، فيغضب الصحابة منه وجعلوا يرمونه بأبصارهم فقال: واثكل أماه ما لكم تنظرون إلى هكذا، فضرب الصحابة بأيديهم على أفخاذهم، فلما وجدهم يريدون سكوته سكت، وبعد الصلاة قام النبى ﷺ بعلاج الخطأ الضخم الذى وقع فيه الرجل، لكن النبى ﷺ لم يضربه ولم يشتمه إنما عالج الخطأ بالعلاج الأول وهو التعريف، فقال له ﷺ: «**إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن**»، روى الإمام مسلم وأحمد وأبو داود عن معاوية بن الحكم السلمى قال: بينا أنا أصلى مع رسول الله ﷺ إذا عطس رجل من القوم، فقلت: يرحمك الله، فرمانى القوم بأبصارهم، فقلت: واثكل أماه ما شأنكم تنظرون إلَىَّ، فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم، فلما رأيتهم يصمتوننى لكنى سكت، فلما صلى رسول الله ﷺ، فبأبى هو وأمى ما رأيت معلمًا قبله ولا بعده أحسن تعليمًا منه، فوالله ما كهرني[2] ولا ضربنى ولا

---

(١) سنن ابن ماجه ٢/ ٧٧٦، والسنن الكبرى للنسائى ٣/ ٤٦١، وسنن أبى داود ٣/ ٢٩٩، وصحيح ابن حبان ١١/ ٤٤٦، وسنن الترمذى ٣/ ٦١٥.

(٢) الكهر: هو الانتهار والعبوس فى الوجه.

شتمني، قـال: «**إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس إنمـا هـو التسـبيح والتكبير وقراءة القرآن**»[١].

وإذا ارتكب ابنك أو تلميذك خطأ ما نتيجة نسيانه أو لظروف خارجة عن إرادته فإنه فى هذه الحالة لا يستحق العتاب، والسبب فى ذلك ما رواه ابن حبان والحاكم وابن ماجه عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قـال: «**إن الله تجاوز عن أمتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه**»[٢]. ولقد قال بعض العلماء: «ينبغى أن يعد هذا الحديث نصف الإسلام، لأن الفعل نوعان: الأول: عن قصد واختيار، والثانى: ما يقع عن خطأ أو نسيان أو إكراه، فهذا القسم معفو عنه باتفاق»[٣].

ولقد قال الوزير عبيد الله بن سليمان بن وهب: كنت يومًا عند المعتضد[٤]، وخادم واقف على رأسه يذب عنه بمذبة فى يده (والمذبة بكسر الميم ما يذب به الذباب كالمروحة وغيرها)، إذ حركها فجاءت فى قلنسوة (عمامة) الخليفة، فسقطت عن رأسه، فأعظمت أنا ذلك جدًا، وخفت من هول ما وقع، وظننت أن المعتضد سيفعل به ويفعل، لكن الخليفة لم يكترث لذلك، بل أخذ قلنسوته فوضعها على رأسه، ثم قال لبعض الخدم: مُرْ هذا البائس (الذى يبعد الذباب عن الخليفة) ليذهب لراحته فإنه قد نعس، وزيدوا فى عدة من يذب بالنوبة، قال الوزير: فأخذنا فى الثناء على الخليفة والشكر له على حلمه، فقال: إن هذا البائس لم يتعمد ما وقع منه وإنما نعس، وليس العتاب والمعاتبة إلا على المتعمد، لا على المخطئ والساهي[٥].

---

(١) صحيح مسلم ١/ ٣٨١، وسنن أبى داود ١/ ٢٤٤، ومسند أحمد ٥/ ٤٤٧

(٢) صحيح ابن حبان ١٦/ ٢٠٢، المستدرك على الصحيحين ٢/ ٢١٦، وسنن ابن ماجه ١/ ٦٥٩.

(٣) فتح البارى ٥/ ١٦١ (بتصرف).

(٤) «المعتضد بالله خليفة عباسي، أبوه المتوكل بن المعتصم بن الرشيد، ولد فى سنة ٢٤٢ هـ، كان مؤدبه ابن أبى الدنيا الذى عمل مؤدبًا لعدد من أبناء الخلفاء، وكان المعتضد شجاعًا مهيبًا، وكانت أيامه طيبة كثيرة الأمن والرخاء، وأسقط الضرائب ونشر العدل ورفع المظالم عن الرعية، وتوفى فى سنة ٢٨٩ هـ» انظر سير أعلام النبلاء ١٣/ ٤٠٠، ٤٦٣، ٤٦٤، والوافى بالوفيات، ٦/ ٢٦٤، وفوات الوفيات ١/ ١٢٢.

(٥) البداية والنهاية ١١/ ٩١.

ثالثًا: أتوقع استجابة جيدة:

إن الهدف من العتاب هو تصحيح الخطأ والرجوع عن الذنب، لذلك علينا ألا نعاتب إلا من نتوقع أن يجدى معه العتاب، وهذا المعنى نجده فى قوله ﷺ فيما رواه الطبرانى «**عاتبوا الخيل، فإنها تعتب**»(١) ، أى: أدِّبوها وروِّضوها للحرب والركوب، فإنها تتأدب وتقبل العتاب(٢) ، ومن هذا المنطلق تصرف التابعى الجليل الأحنف بن قيس مع حارثة بن بدر الشاعر، إذ كان حارثة من شاربى الخمر، فعابه الأحنف على ذلك وأوجعه عتابًا وقال: فضحت نفسك وأسقطت قدرك، فقال له: إنى سأعتبك (يعنى: سأفعل ما يرضيك) فانصرف الأحنف طامعًا فى صلاحه، فلما حل مساء نفس اليوم جاء حارثة إلى الأحنف فقال له: اسمع أبا بحر ما قلت من الشعر، قال الأحنف: هات، فأنشده حارثة:

يذم أبو بحر أمورًا أريدها ... ويكرهها للأريحى المسود
فإن كنت عرابًا فقل ما أريده ... ودع عنك توبيخى فلست بأوحد
سأشربها صهباء كالمسك ريحها ... أسر بها فى كل ناد ومشهد

فقال الأحنف: حسبك، فإنى لا أراك مقلعًا عن غيك، ولن أعاتبك بعدها أبدًا(٣).

أيها الوالد الكريم، أيتها الأم الحنون

علينا ألا نتسرع فى العتاب، لأننا قد نعاتب أبناءنا على شيء لا يستحق العتاب، وربما نعاتبهم على شيء نظنه شرًا فيتضح بعد ذلك أنه كان خيرًا، والقصة التالية توضح ذلك، روى البخارى ومسلم عن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها قالت: خرجنا مع رسول الله ﷺ فى بعض أسفاره حتى إذا كنا بالبيداء أو بذات الجيش، انقطع عقد لى، فأقام رسول الله ﷺ على التماسه وأقام

(١) المعجم الكبير ٨/ ١١٢.
(٢) النهاية فى غريب الحديث ٣/ ١٧٥، ولسان العرب ١/ ٥٧٨.
(٣) الوافى بالوفيات ١١/ ٢٠٥.

الناس معه، وليسوا على ماء، فأتى الناس إلى أبى بكر الصديق فقالوا: ألا ترى ما صنعت عائشة، أقامت برسول الله ﷺ والناس وليسوا على ماء وليس معهم ماء، فجاء أبو بكر ورسول الله ﷺ واضع رأسه على فخذى قد نام، فقال: حسبت رسول الله ﷺ والناس وليسوا على ماء وليس معهم ماء، فقالت عائشة: فعاتبنى أبو بكر وقال ما شاء الله أن يقول، وجعل يطعننى بيده فى خاصرتى فلا يمنعنى من التحرك إلا مكان رسول الله ﷺ على فخذى، فقام رسول الله ﷺ حين أصبح على غير ماء، فأنزل الله آية التيمم فتيمموا، فقال أسيد بن الحضير: ما هى بأول بركتكم يا آل أبى بكر، قالت: فبعثنا البعير الذى كنت عليه فأصبنا العقد تحته»[(١)].

كيف نعاتب أحبابنا؟

بالعتاب تصفو النفوس وتتحسن الأخلاق، ومن هنا قال أبو الدرداء ؓ: معاتبة الأخ خير لك من فقده،[(٢)] لكن العتاب لا يكون أسلوبًا فعالاً إلا إذا استخدم فى الوقت المناسب مع الشخص المناسب وبالطريقة المناسبة، وحتى لا تخسر أبناءك أو أصدقاءك نتيجة عتابك لهم، فإننا نقدم لك فيما يلى بعض النصائح فى هذا الشأن، والتى نسأل الله عز وجل أن يجعل فيها النفع.

١- عاتب بحب:

عندما تعاتب ابنك أو صديقك حدد بدقة الأشياء التى ضايقتك منه، مع ضرورة التأكيد عند عتابك أنك باق على محبته واحترامه، ولقد ضرب لنا حبيبنا محمد ﷺ مثالاً رائعًا فى الجمع بين العتاب والتعبير عن الحب؛ فقد عاتب النبى ﷺ صبيًا صغيرًا لأكله العنب الذى كان أمانة، وفى نفس الوقت مسح النبى ﷺ على رأسه تعبيرًا عن الحب، كما جاءت كلمات العتاب رقيقة عذبة لتجمع فى داخلها بين العتاب والحب، روى الطبرانى عن عبد الله بن بسر المازنى، ؓ قال: بعثتنى أمى إلى رسول الله ﷺ بقطف من عنب فأكلته، فقالت أمى لرسول الله ﷺ: هل أتاك عبد الله

---

(١) صحيح البخارى ١/ ١٢٧، وصحيح مسلم ١/ ٢٧٩.
(٢) حلية الأولياء ١/ ٢١٥.

بقطف؟ قال: لا، فجعل رسول الله ﷺ إذا رآني قال: «**غدر غدر**»[1]، وفي رواية أخرى قال عبد الله بن بسر: لما بعثتني أمي بقطف، تناولت منه قبل أن أبلغه النبي ﷺ فلما جئت به مسح رأسي وقال: «**أيا غدر**»[2].

٢- حدد عتابك:

العتاب هو نوع من اللوم والتأنيب اللطيف الذى يهدف إلى تعديل السلوك وتصحيح الأخطاء، والعتاب يكون بكلمات موجزة ومحددة، ولكى يكون عتابك محددًا ركز على الخطأ وتحدث عنه في عبارات موجزة، ولا تكرر ما تقوله ولا تلح عليه كثيرًا، حتى لا يتحول كلامك إلى نوع من الهجوم غير المفضل، واعلم أن العتاب إذا زاد عن حده انقلب إلى نوع من التوبيخ، والتوبيخ تكرهه النفوس، وتمل منه القلوب، «وإياك أن تعاتب ابنك قائلاً: كم مرة قلت لك أن تقلع عن هذه العادة السيئة أتسمعنى أم لا؟» فهذه طبيعة الأطفال فإن كنت تظن أنك طلبت منه مائة مرة غسل يديه قبل الطعام فلابد أن تذكره بذلك مرة أخرى وثانية وثالثة وعاشرة وهكذا».[3]

٣- لا توجه اتهامًا مباشرًا:

يجب ألا تضع ابنك أو صديقك موضع المتهم فتجعله يدافع عن نفسه بطريقة تبدو وكأنه يبرئ نفسه من تهمة مؤكدة، فذلك يوغر صدره تجاهك، وربما تخسره جزئيًا أو كليًا،[4] وعليك أن تتفهم ظروف من تعاتبه وترفق به فلا تتصادم معه، روى البخارى عن أيمن بن أم أيمن حاضنة النبى ﷺ قال: «دخلت على عائشة رضى الله عنها وعليها درع قطر[5] ثمن خمسة دراهم، فقالت: ارفع بصرك إلى جاريتى انظر

---

(١) مجمع الزوائد ٤/ ١٤٧، والتاريخ الكبير ٢/ ٣٣٩.
(٢) انظر: مجمع الزوائد ٩/ ٤٠.
(٣) مجلة ولدى عدد ٥٥ -يونيو ٢٠٠٣.
(٤) فن العتاب وفن التعامل
http://www.sudaneseonline.com/cgi-bin/stories/story.cgi?id=1229
(٥) الدرع قميص المرأة، والقطر ثياب من غليظ القطن.

إليها، فإنها تزهى (تأنف وتتكبر) أن تلبسه فى البيت، وقد كان لى منهن درع (ثوب) على عهد رسول الله ﷺ، فما كانت امرأة تقين (تتزين) بالمدينة إلا أرسلت إلىّ تستعيره»،[(١)] وقال ابن الجوزى رحمه الله معلقًا على هذا الموقف: أرادت عائشة رضى الله عنها أنهم كانوا أولاً فى حال ضيق، وكان الشيء المحتقر عندهم إذ ذاك عظيم القدر، وفى الحديث تواضع عائشة وأمرها فى ذلك مشهور، وفيه حلم عائشة على خدمها ورفقها فى المعاتبة، وإيثارها بما عندها مع الحاجة إليه، وتواضعها بأخذها السلفة فى حال اليسار مع ما كان مشهورًا عنها من الجود رضى الله عنها[(٢)]. وفى هذا الموقف نلاحظ أن السيدة عائشة رضى الله عنها، لم ترغم جاريتها على لبس ما لا تحب، واحترمت اختيار الجارية مع أنها جارية، كما تفهمت اختلاف العصور والأزمان فلم تتشنج وتنفعل بل عاتبت برفق ورحمة ولين..

٤- كن هادئًا ومهذبًا:

الشيطان قد ينزغ بين الأحبة والأخوة وأفراد الأسرة فيفسد علاقتهم ويمزق وحدتهم، ومن أسلحته التى يستخدمها لتحقيق هذا الغرض: الكلمات النابية والعبارات الخارجة، قال تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا الَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ [الإسراء: ٥٣] فالله تعالى فى هذه الآية يخاطب نبيه ﷺ قائلاً: قل يا محمد لعبادى يقل بعضهم لبعض التى هى أحسن من المحاورة والمخاطبة، قال الحسن: يقول الواحد التى هى أحسن كقوله: يرحمك الله، يغفر الله لك....، وقول التى هى أحسن مهمة جدًا بين الأصدقاء والأحباب ذلك لأن الشيطان ينزغ بينهم ويهيج بينهم الشر، فتسوء محاورة بعضهم بعضًا، ومن ثم تنقطع المودة وتسوء العلاقة ويهجر بعضهم بعضًا»..[(٣)] ومن هنا عليك أن تراعى أثناء العتاب ألا ترفع صوتك وحاول أن تتكلم بهدوء ودون انفعال، وتذكر أنك تعاتب ولا تتشاجر وعليك أيضا ألا تستخدم أبدًا كلمات خارجة عن الأدب، وانتق ألفاظك

---

(١) صحيح البخارى ٢/ ٩٢٦.
(٢) فتح البارى ٥/ ٢٤١، ٢٤٢.
(٣) تفسير الطبرى ١٥/ ١٠٢ (بتصرف).

بعناية، ولتكن كلمات العتاب رقيقة وحنونة حتى يزيد الحب وينشر الخير، وإذا أردت أن تعلم ابنك حسن الأدب فعليك أن تعاتبه بكل ذوق وأدب.

٥- استخدم أسلوبًا خاصًا:

ما أجمل أن يكون للآباء أسلوب مميز في عتاب أبنائهم كأن تكون هناك عبارة معينة يستخدمونها فقط أثناء العتاب، وتبدو هذه الفكرة فيما رواه البخارى عن أنس ابن مالك ﷺ «لم يكن النبى ﷺ سبابًا ولا فحاشًا ولا لعانًا، كان يقول لأحدنا ثم المعتبة (عند المعاتبة): **ما له ترب جبينه**»[(١)]، وقوله ﷺ: «**ما له ترب جبينه**» يحتمل أن يكون المعنى خر لوجهه فأصاب التراب جبينه، وترب جبينه كلمة تقولها العرب جرت على ألسنتهم، وهذا يعنى أنها كلمة تجرى على اللسان للعتاب ولا يراد حقيقتها، ويحتمل أن يكون معنى قوله ﷺ: «**ترب جبينه**» دعاء له بالعبادة كأن يصلى ويسجد لله كثيرًا فيترب جبينه»[(٢)].

ولقد كان للسيدة عائشة أسلوبها الخاص فى العتاب والغضب، فقد روى البخارى عن عائشة رضى الله عنها قالت: «قال لى رسول الله ﷺ: «**إنى لأعلم إذا كنت عنى راضية وإذا كنت على غضبى**»، قالت: فقلت من أين تعرف ذلك؟ فقال: «**أما إذا كنت عنى راضية فإنك تقولين: لا ورب محمد، وإذا كنت غضبى قلت: لا ورب إبراهيم**»، قالت: قلت أجل والله يا رسول الله ما أهجر إلا اسمك»[(٣)].

وروى أنه كان خدم الوزير التركى نظام الملك[(٤)] -رحمه الله- فتى يختصه بتعامل

---

(١) صحيح البخارى ٥/ ٢٢٤٣.

(٢) فتح البارى ١٠/ ٤٥٣، والنهاية فى غريب الحديث ١/ ١٨٥ (بتصرف).

(٣) صحيح البخارى ٥/ ٢٠٠٤.

(٤) ولد نظام الملك سنة ٤٠٨هـ، وكان من أولاد الدهاقين الذين يعملون فى البساتين بنواحى طوس، فحفظه أبوه القرآن وشغله فى التفقه على مذهب الشافعي، ثم خرج من عند أبيه إلى غزنة وخدم فى الديوان السلطانى وعمل وزيرًا للسلطان ألب أرسلان وابنه السلطان ملكشاه، فخفف المظالم ورفق بالرعايا، وأمر ببناء المدارس فى الأمصار ورغب فى العلم كل أحد، وكان من أخلاقه أنه ما جلس قط إلا على وضوء، ولا توضأ إلا وتنفل، ويقرأ القرآن ولا يتلوه مستندًا إعظامًا له ويستصحب المصحف معه أينما توجه، وإذا أذن المؤذن أمسك عن كل شغل هو فيه وأجابه، ويصوم يوم الاثنين والخميس ولا يمنع أحد من الدخول عليه لا وقت الطعام ولا غيره، وكان قد سمع الحديث النبوى الشريف من علماء أجلاء كالقشيرى وغيره، وجلس يومًا يملى الحديث فقال: إنى لست أهلا =

مميز اسمه محمد وكان يناديه باسمه عند الاستخدام إذا كان راضيًا عنه، وإذا بـدا منـه سوء أدب لم يخاطبه باسمه وقال: يا غلام افعل كذا، فخرج الـوزير نظـام الملـك ذات يوم فى الصباح الباكر فنادى على خادمه محمد قائلاً: يا غلام، فحاسب الفتـى نفسـه ولم يعرف ما يستحق به العتاب، فكلم الوزير فـى ذلـك ليعـرف سـبب عتابـه، فقـال الوزير: كنت جنبًا فلم أرد أن يجرى على لسانى اسم محمد ﷺ[1].

٦- العتاب الجماعى ينفع أحيانًا:

دخل النبى ﷺ المسجد يومًا فرأى بصاقًا (مخاطًا مـن الأنـف أو مـا يشـبهه) فـى الحائط من جهة القبلة، فعلم أن أحد المسلمين قد بصق فى القبلة، فغضب النبـى ﷺ لكنه لم يبحث عن صاحب هذا الفعل ليعاتبه، ولم يسأل عن الفاعل، ولو سـأل لعلـم من هو، لكنه ﷺ استخدم أسلوبًا تربويًا رائعًا، فانتقل من العتاب الفردى إلى العتـاب الجماعى الذى يحافظ على شعور المخطئ، وفى نفس الوقت يحذر الجميع من الوقوع فى هذا الخطأ؛ روى البخارى عن أنس ابن مالك ﷺ «أن النبى ﷺ رأى نخامة[2] فـى القبلة، فشق ذلك عليه حتى رُئى فى وجهه، فقام فحكه بيده، فقال: **إن أحدكم إذا قام فى صلاته فإنه يناجى ربه أو إن ربه بينه وبين القبلة، فلا يبزقن (يبصـقن) أحدكم قبل قبلتـه ولكن عن يساره أو تحت قدميه، ثم أخذ طرف ردائه فبصق فيه، ثم رد بعضه على بعض، فقال: أو يفعل هكذا**»،[3] وروى البخـارى عـن عبـد الله بـن عمـر رضـى الله عنهمـا «أن النبى ﷺ رأى نخامة فى قبلة المسجد، فتغـيظ (غضـب وعاتـب وانفعـل) علـى أهـل

=لما أتولاه من الإملاء، لكنى أريد أن أربط نفسى على قطار نقلـة حـديث رسـول الله ﷺ، وظـل نظـام الملك وزيرًا حوالى ٣٠ سنة فى الوزارة حتى قتل سنة ٤٨٥ هـ فحزن الناس عليه حتى إن أحد الشـعراء قال:

نظـام الملـك مـذ قتلـوك عـادوا … حيـارى مـا لملكهـم نظـام
نظـــام الملـــك لا يرجـــى نظـــام … لملك الترك بعـدك والسـلام

انظر: الوافى بالوفيات ١٢/ ٧٧-٧٩، وسير أعلام النـبلاء ١٩/ ٩٤-٩٦، وطبقـات الشـافعية الكـبرى ٤/ ٣٠٩-٣٢٢.

(١) التدوين فى أخبار قزوين ١/ ٣٩٦ (بتصرف).
(٢) النخامة: ما يتفله الإنسان ويكون خارجًا من الأنف أو الصدر.
(٣) صحيح البخارى ١/ ١٥٩.

المسجد وقال: **إن الله قِبَلَ** (مواجهة) **أحدكم، فإذا كان فى صلاته فلا يبزقن** (يبصقن) أو قال: **لا يتنخمن ثم نزل فحتها** (حكها وأزالها) بيده وفى رواية: **فتناول حصاة فحكها**»[١] ، ولقد علق ابن حجر العسقلانى رحمه الله على هذا الحديث قائلاً: تغيظ رسول الله ﷺ على أهل المسجد وعاتبهم كلهم، ولم يختص الفاعل باللوم والتأنيب والعتاب، وفى ذلك دليل على جواز معاتبة المجموع على الخطأ الذى ارتكبه واحد منهم، وذلك لأجل التحذير من معاودة ارتكاب هذا الخطأ.[٢]



(١) صحيح البخارى ١/ ٤٠٦.
(٢) فتح البارى ٣/ ٨٤ (بتصرف).

أخطاء تعالج بمثلهـا

قال تعـالى: ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَـدَى عَلَـيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [البقـرة: ١٩٤]، وقال جل شأنه: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنْفَ بِالأَنْفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ وَمَن لَّمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [المائدة: ٥٤]، وقال سبحانه: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَـيِّئَةٌ مِّثْلُهَـا فَمَـنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [الشورى: ٤٠]، وقال تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ﴾[النحل: ١٢٦].

عندما نتأمل هذه الباقة من الآيات الكريمات، نجد أنها تتحد فى معنى واحد وهـو مقابلـة الأخطاء بمثلها، وللفقهاء فى هـذه المسـألة شـروحات وتفسـيرات حتـى إنهـم قـالوا إن هـذه القاعدة لا تطبق فى كل الحالات، فهناك أخطاء لا تقابل بمثلها كالخيانة مثلا، واسـتدلوا بقولـه ﷺ: «أدِّ الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك»[(1)]، والسـؤال الـذى يطـرح نفسـه الآن: هـل يمكن استخدام قاعدة مقابلة بعض الأخطاء بمثلها فى مجال التربية؟ وهل تصلح هـذه القاعـدة فى علاج بعض أخطاء أبنائنا؟ والحقيقة أن من يتأمل منهج التربية الإسلامية، يدرك أن قاعـدة مقابلة الأخطاء بمثلها يمكن أن تطبق فى مجال التربية والتعليـم، ومـن خلالهـا يمكننـا أن نعـالج الكثير من أخطاء أبنائنا بنجاح، ويتحقق ذلك من خلال ثلاث طرق.

أولاً: العلاج بالتصحيح الذاتي:

ليس العيب فى أن يخطئ الطفل فى تصرفاته فهذا أمر طبيعـى، ولكـن المهـم أن يتعلم من أخطائه ويستفيد من تجاربه، ولقد بدأ علماء النفس حديثًا فى ميـدان تربيـة الطفل يؤكدون على أسلوب مؤثر من أساليب عـلاج الأخطـاء ألا وهـو التصـحيح الذاتى للأخطاء؛ حيث يطلب الآباء أو المعلمون ممن يخطئ أن يقوم بنفسه بتعـديل أو

(١) رواه الحاكم وقال صحيح على شرط مسلم وأبو داود والترمذي، انظر: المستدرك على الصحيحين ٢/ ٥٣، وسنن أبى داود ٣/ ٢٩٠، وسنن الترمذى ٣/ ٥٦٤.

تقويم الاعوجاج الذى حصل منه، ويطلق على هذا المفهوم فى ميدان علم النفس (Over correction) أى تصويب الخطأ. والتصويب الذاتى للخطأ يمكن فهمه من خلال الأمثلة التالية:

المعلمة تطالب الطفل بإعادة كتابة الكلمة التى لم يكتبها بالشكل الصحيح مع شيء من المساعدة والتوضيح، يطلب المعلم من التلميذ أن يعتذر لصديقه ويستقبله بعبارات مهذبة فى حال تلفظه بعبارات نابية، وكذلك تطلب الأم من ولدها أو ابنتها تنظيف الطاولة إذا قام أحد ما بتوسيخها مع التأكيد على أن يفهم الطفل أن الغرض الحقيقى من التصويب الذاتى هو التربية والتعليم لا الانتقام والعقاب.

وهكذا يكون العقاب من جنس العمل، وهذه قاعدة هامة أشار إليها العلماء ويحتاج المربى إلى تطبيقها فى ميدان التربية بحكمة شديدة، والدراسات النفسية تؤكد على أن هذه الطريقة من أفضل طرق العقاب لأنها لا تقلل من السلوك السلبى فحسب بل أيضا تساهم فى تعزيز السلوك الإيجابي، فمن خلال تصويب الخطأ كأسلوب تربوى فى العقاب يتعلم الطفل المحافظة على النظافة عمليًا، وفى نفس اللحظة يصحح سلوكه السلبى أى أن هذه الوسيلة تعزز السلوك الإيجابى وتعالج التصرف السلبى فى آن واحد. ولقد استخدم التصويب الذاتى للخطأ فى مستشفى من المستشفيات الخاصة بالتخلف العقلى لأن بعض المرضى كانوا يسرقون من بعضهم البعض المشروبات ووجبات الطعام الخفيفة أثناء الشراء من بقالة المستشفى، فأصدر المدير قرارًا يقضى بأن كل من يشاهد متلبسًا بسرقة المواد الغذائية فعليه أن يرد المواد المسروقة، ولكى يصِّوب السارق خطأه فعليه أن يعتذر ثم يشترى من ماله بعض الطعام ويعطيه لمن سرق منه، وبهذا العقاب الذى كان من جنس العمل قل عدد السارقين خلال أيام قليلة.

أيها الوالد الكريم، أيتها الأم الحنون

لاشك أن النصائح العامة والمواعظ الهامة التى نوجهها لأبنائنا كثيرًا ما تتبعثر مع رياح النسيان، فى حين أن التجارب الذاتية والخبرات الحية عادة تظل أكثر رسوخًا وأعمق تأثيرًا فى نفس وذهن الإنسان، ومن هنا فإن أسلوب التصويب الذاتى للأخطاء فى ميدان التربية له تأثير عظيم فى تنمية وتهذيب سلوك الطفل لأنه

يقوم على أساس الممارسة والعمل على تغيير التصرفات السلبية وتنمية الاتجاهات الإيجابية، ومن جوانب العظمة التربوية فى سيرة نبينا محمد ﷺ أنه قد استخدم أسلوب تصحيح الخطأ مع صحابته الكرام[١] ؛ روى النسائى وأبو داود والترمذى وأحمد عن كلدة بن الحنبل[٢] أن صفوان بن أمية بعثه فى الفتح (فتح مكة) إلى النبى ﷺ بلبن وجداية وضغابيس[٣] والنبى ﷺ بالوادى، قال: فدخلت عليه ولم أسلم ولم أستأذن، فقال النبى ﷺ: «**ارجع فقل السلام عليكم أأدخل**» وذلك بعدما أسلم صفوان[٤].

أيها الوالد الكريم، أيتها الأم الحنون

إن العقاب البدنى وفق ضوابط تربوية، والتأنيب اللفظى والحبس لمدة زمنية محددة فى غرفة آمنة، وحرمان الطفل من أشياء معينة كلها وسائل للعقاب ولكن لها فى بعض الأحيان سلبيات كبيرة، فى حين أن تصويب الخطأ كلون من ألوان العقاب من أكثر الوسائل التربوية تأثيرًا كما تؤكد الدراسات الميدانية فى علم النفس، كما أن التصويب الذاتى يمكن تطبيقه مع الطفل العدوانى، حيث يمكن أن يطلب من المعتدى أن يعتذر من المعتدى عليه وأن يقوم بتعويض ما أتلفه، وإذا كان العدوان لفظيًا فالمطلوب أن يكون الاعتذار فيه رد اعتبار، وكثير من أعمال الشغب والفوضى والسلوكيات غير المرغوب فيها فى المنزل والمدرسة يمكن مواجهتها بالتصويب الذاتى، وهذا الأمر لا يعنى أبدًا أن تصويب الأخطاء

(١) تعديل السلوك لدى الأطفال، د. لطيفة الكندرى (بتصرف)
http://www.geocities.com/alkanderil/changingchildrenbehavior.html

(٢) كلدة بن الحنبل صحابى جليل، وهو أخو صفوان بن أمية لأمه، أمهما صفية بنت معمر ابن حبيب بن وهب، وشهد كلدة مع صفوان يوم حنين مع المشركين، ثم أسلم بإسلام صفوان، ولم يزل مقيمًا بمكة إلى أن توفى بها، انظر: الوافى بالوفيات ٢٤/ ٢٧٣.

(٣) «الجداية: الذكر والأنثى من أولاد الظباء إذا بلغ ستة أشهر أو سبعة وعَدَا وتشدَّد، والضغابيس صغار القثاء» لسان العرب ١٤/ ١٣٥، ومختار الصحاح ١/ ١٦٠.

(٤) السنن الكبرى للنسائى ٤/ ١٦٩، وسنن أبو داود ٤/ ٣٤٤، وسنن الترمذى ٥/ ٦٤، ومسند أحمد ٣/ ٤١٤.

كأسلوب تربوى يصلح لكل موقف، فعلى المربى دائمًا أن يقدر العقوبة بقدرها ويبحث عن الوسيلة التربوية الرادعة والنافعة حسب شخصية الطفل الذى يتعامل معه، وظروفه النفسية والاجتماعية، وطبيعة المشكلة وتظل بعض الحالات التى يتعذر فيها استخدام طريقة التصحيح الذاتى، كأن يكون الطفل صغيرًا ولا يستطيع إزالة قطع الزجاج المتهشم، وإذا طلبنا منه تنظيف ما كسره فإنه قد يصاب بالضرر لقلة خبرته[1]. لذلك نؤكد أن طريقة التصحيح الذاتى للأخطاء يجب أن تكون واقعية بمعنى أن تكون متلائمة مع قدرات الابن الفكرية (أن يفهمها بوضوح) والجسدية (هل يستطيع الولد تنفيذ أو تحمل العقاب الذى اخترته) فمثلاً: طفل فى الثالثة من عمره أخذ يرسم على الحائط بواسطة أقلام الحبر الملونة، تأتى الأم وهى غاضبة جدًا منه وتوبخه وتفرض عليه كعقاب (تصحيح ذاتي) أن ينظف الحائط، ويحاول الطفل فعليًا تنظيف الحائط، ولكن كلنا نعلم كم هو من الصعب تنظيف آثار الحبر الملون من على الحائط، فلا يستطيع تصحيح خطئه ويتعب ويحس بالقهر ويبكى، إن مثل هذا العقاب غير متلائم مع قدرات ابن الثالثة، ومن الأفضل -فى مثل هذه الحالة- أن تقول الأم للطفل «تعال، سوف أساعدك على تنظيف الحائط» وأن تحرمه من أقلام الحبر لبقية النهار، فما يهمنا هو تعليم القيم للأولاد وليس قهرهم من خلال العقاب، وهذا ما يجب أن يدركه الولد: إن العقاب ليس للقهر بل لتعلم طرق أفضل للتصرف[2].

المبادئ العامة لتطبيق التصويب الذاتي:

١- الهدف من التصويب الذاتى هو تقليل أو إزالة السلوك غير المقبول من خلال إصلاح ما تم إفساده، كما يهدف التصويب الذاتى إلى تمرين الابن أو الطالب على الفعل الصحيح.

٢- من الأفضل أن يقتنع الشخص المعاقب أن السلوك الذى صدر منه غير

(١) تعديل السلوك لدى الأطفال، د. لطيفة الكندرى (بتصرف)
http://www.geocities.com/alkanderil/changingchildrenbehavior.html
(٢) مجلة فلسطين الأحد ١٩ تشرين الأول ٢٠٠٣، نقلا عن كتاب «أولادنا» للدكتورة ريتا مرهج.
http:www.falasteen.com/article.php3?id_article=356

مرغوب، وعليه أن يتراجع عنه ويصححه بعمل إجرائى.

٣- التصويب الذاتى يكون من جنس العمل، فإذا بعثر الطفل أثاث المنزل فعليه أن يعيد ترتيبه وهكذا.

٤- يجب أن يكون التصويب محددًا زمانًا ومكانًا، كأن نطلب من الابنة أن تشترى لأختها كراسة بدل التى أتلفتها لها، وذلك بأن تدفع ثمنها من مصروفها، وتسلمها الكراسة بعد أسبوع على الغداء أمام أفراد الأسرة.

٥- يجب أن يكون التصويب مناسبًا لعمر الطفل وشخصيته والموقف الذى وقع فيه، فلكل مقام مقال، فلا نطلب مثلا من الطفل ذى الأربع سنوات أن يجمع من مصروفه ثمن الكمبيوتر الذى أفسده.

٦- لا نستخدم التصويب فى كل الحالات بل هى مبنية على تقدير واجتهاد المربى فهناك أخطاء لا تستدعى الوقوف عندها لأنها عفوية غير مقصودة، وهناك حالات قد لا ينفع هذا الأسلوب فى علاجه وقد ينفع أسلوب آخر.

٧- يجب أن يكون التصويب الذاتى فوريًا أى بعد حدوث السلوك غير المرغوب فيه مباشرة.

٨- يجب أن يعلم المخطئ بأن الفعل الخاطئ الذى صدر منه غير مرغوب فيه، وأن المربى يكره فعله الخاطئ لا الفاعل نفسه، أى أنه كشخص يحبه الجميع.

٩- إذا قام المخطئ بتصويب خطئه فإنه يستحق كلمة ثناء أو تعزيز وثواب.[١]

ثانيًا: العلاج بالتعويض عن الخطأ:

أورد أبو داود رحمه الله فى سننه بابًا سماه «باب فيمن أفسد شيئًا يغرم مثله» وأورد فى هذا الباب عن السيدة عائشة رضى الله عنها قالت: ما رأيت صانعًا طعامًا

(١) تعديل السلوك لدى الأطفال، د. لطيفة الكندرى (بتصرف)
http://www.geocities.com/alkanderil/changingchildrenbehavior.html

مثل صفية، صنعت لرسول الله ﷺ طعامًا، فبعثت به، فأخذنى أفْكَل[١] فكسرت الإناء (وفى رواية النسائى، فضربت يد الرسول -الخادم الذى يحمل فى يده طبق الطعام- فسقطت القصعة فانكسرت، فأخذ النبى ﷺ الكسرتين فضم إحداهما إلى الأخرى، فجعل يجمع فيها الطعام ويقول: «**غارت أمكم، كلوا**» فأكلوا) فقلت: يا رسول الله ما كفارة ما صنعت؟ قال: «**إناء مثل إناء، وطعام مثل طعام**»، وفى رواية البخارى: ثم حبس ﷺ الخادم (جعله ينتظر) حتى أتى بصحفة التى هو فى بيتها، فدفع الصحفة الصحيحة إلى التى كسرت صحفتها (السيدة صفية) وأمسك المكسورة فى بيت التى كسرت (السيدة عائشة)[٢] . وبهذه الطريقة الحكيمة عالج النبى ﷺ خطأ السيدة عائشة رضى الله عنها، وألزمها بتقديم طبقها السليم للسيدة صفية رضى الله عنها، وذلك تعويضًا لها عن الطبق الذى ضربته بيدها فكسرته، وانطلاقًا من هذا الحكم النبوى الكريم قال الإمام الشافعى رحمه الله: «كل من أفسد شيئًا ضمن قيمة ما أفسد، تعمد الفساد أو لم يتعمده»[٣] .

أيها الوالد الكريم، أيتها الأم الحنون

إن هذه القاعدة الفقهية العظيمة يمكنها -بمشيئة الله- أن تعالج الكثير من أخطاء أبنائنا «فعلى سبيل المثال إذا قام الطفل بكسر أو بإفساد لعبة طفل آخر فإنه يجب إلزامه بتقديم لعبة من ألعابه لهذا الطفل، أو يدفع من مصروفه ما يكفى لشراء اللعبة، ولو لعب بالحبر على السرير فانسكب على الملاءة وخربها، يغرم بالخصم من مصروفه قيمة شراء ملاءة جديدة، أما إذا كانت الملاءة ليست جديدة فنقدر ثمنها ويسدده من مصروفه، وإذا استعار دراجة أخيه أو صديقه ليلعب بها، ثم فسد فيها شيء، فإن عليه أن يتحمل كل النفقات حتى تعود كما كانت، وهكذا.. والطفل عندما يدرك عمليًا أن من أفسد شيئًا فعليه إصلاحه، فإنه سيحرص دائمًا على ألا

---

(١) فأخذنى أفكل: ارتعدت وارتعش جسدها من شدة الغيرة، النهاية فى غريب الحديث ١/ ٦.

(٢) انظر: صحيح البخارى ٥/ ٢٠٠٣، وسنن أبى داود ٣/ ٢٩٧، وسنن النسائى (المجتبي) ٧/ ٧٠.

(٣) الأم للشافعى ٥/ ٣٢.

يفسد أشياء الآخرين، وسيتحكم فى غضبه وانفعاله حتى لا يتعرض لقاعدة إصلاح ما أفسدته يداه.

ثالثًا: العقاب من جنس العمل:

عندما يحتد النقاش بين أبنائك، ويتعدى أحدهم بالضرب على أخيه، فإن المضروب منهما يأتى مسرعًا إليك ليشكو ما حل به، وهنا ستحضر الضارب والمضروب لتسمع من الطرفين ما حدث ولتتبين أيهما ظالم وأيهما مظلوم، وبعد أن تعرف من الضارب ومن المضروب فإن أمامك خطوتين حتى تنجح فى علاج مثل هذه القضية.

الخطوة الأولى: العلاج الإيمانى للضارب:

وفى تحدث المعتدى أن هناك قصاصًا فى الآخرة للمظلوم من الظالم، وقصاص الآخرة تكون العملة المستخدمة فيه هى الحسنات والسيئات، فقد روى الإمام أحمد عن عبد الله بن أنيس ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يحشر الله العباد يوم القيامة -أو قال الناس يوم القيامة- حفاة عراة غرلاً بهما**، قال: قلنا: وما بُهمًا؟ قال: **ليس معهم شيء ثم يناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب: أنا الديان، أنا الملك، لا ينبغى لأحد من أهل النار أن يدخل النار وله عند أحد من أهل الجنة حق حتى أقصه منه، ولا ينبغى لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة ولأحد من أهل النار عنده حق حتى أقصه منه، حتى اللطمة**، قال: قلنا: كيف وإنما نأتى عراة غرلاً بُهمًا؟ قال: **الحسنات والسيئات**»[(١)].

ولأن القصاص يوم القيامة صعب جدًا، فقد دعانا نبينا الكريم ﷺ أن نعمل جاهدين لإصلاح الأخطاء ورد المظالم فى الدنيا، فمن شتمناه أو ضربناه نذهب إليه ونطلب منه أن يسامحنا، ومن حقه أن يقتص منا، وقصاص الدنيا خير لنا من الآخرة، روى البخارى عن أبى هريرة ﷺ عن النبى ﷺ قال: «**من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرض أو من شيء فليتحلله منه اليوم،**[(٢)] **من قبل أن لا يكون دينار ولا درهم** (يعنى يوم

---

(١) مسند أحمد ٣/ ٤٥٩.

(٢) «يدخل فى هذه المظالم المال بأصنافه والجراحات حتى اللطمة ونحوها» انظر فتح البارى ٥/ ١٠١، ونيل الأوطار ٥/ ٣٨٢، ٣٨٣.

القيامة)، **إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم تكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه** (صاحب المظلمة) **فحمل عليه** (على الظالم)»[(١)].

فاذهب يا بنى واستسمح أخاك، واطلب منه أن يعفو عنك لأنك ضربته ظلمًا، واعلم أنه من حقه أن يقتص منك حتى إن كنت قد خدشته فقط، فلقد قال الإمام البخارى رحمه الله: أقاد أبو بكر وابن الزبير وعلى وسويد بن مقرن (طبقوا القصاص) من لطمة، وأقاد عمر (طبق القصاص) من حصول بالدرة (من ضربة بالعصا)، وأقاد علىّ من ثلاثة أسواط، واقتص (التابعى الجليل)شريح من سوط وخموش (خدوش بالأظافر وغيرها)..[(٢)] ولقد روى الحاكم والبيهقى عن عبد الرحمن ابن أبى ليلى عن أبيه قال: كان أسيد بن حضير رجلاً صالحًا، ضاحكًا مليحًا فبينما هو ثم (عند) رسول الله ﷺ يحدث القوم ويضحكهم فطعن رسول الله ﷺ فى خاصرته، فقال أسيد: أوجعتنى، قال ﷺ: «**اقتص**»، قال أسيد: يا رسول الله إن عليك قميصًا ولم يكن علىَّ قميص، قال: فرفع رسول الله ﷺ قميصه (حتى يقتص منه أسيد) فاحتضنه ثم جعل يقبل كشحه فقال: بأبى أنت وأمى يا رسول الله أردت هذا..[(٣)] وروى الحاكم عن حبيب بن مسلمة ﷺ أن رسول الله ﷺ دعا إلى القصاص من نفسه فى خدشة خدشها أعرابيًا لم يتعمده فأتاه جبريل فقال: يا محمد إن الله لم يبعثك جبارًا ولا متكبرًا، فدعا النبى ﷺ الأعرابى فقال: «**اقتص منى**»، فقال الأعرابى: قد أحللتك بأبى أنت وأمى، وما كنت لأفعل ذلك أبدًا ولو أتيت على نفسى، فدعا له بخير[(٤)]، وروى الطبرانى عن سعيد بن المسيب قال: «خرجت جارية لسعد يقال لها زيرا، وعليها قميص جديد، فكشفتها الريح، فشد عليها عمر ﷺ بالدرة (ضربها لانكشاف عورتها) وجاء سعد ليمنعه فتناوله بالدرة (ضرب سعد أيضًا) فذهب سعد يدعو على عمر، فناوله عمر الدرة وقال: اقتص فعفا عن عمر رضى الله عنهما»[(٥)] .

---

(١) صحيح البخارى ٥/ ٢٣٩٤ .

(٢) صحيح البخارى ٦/ ٢٥٢٧ .

(٣) المستدرك على الصحيحين ٣/ ٢٢٧، وسنن البيهقى الكبرى ٨/ ٤٩.

(٤) المستدرك على الصحيحين ٤/ ٣٦٧، وحلية الأولياء ٦/ ١٣٧.

(٥) المعجم الكبير للطبرانى ١/ ١٤١.

الخطوة الثانية: أَنْصِف المظلوم ورَضِّه ماديًا:

هناك ثلاثة حلول يمكنك أن تتبعها مع المضروب ظلمًا، **الحل الأول:** أن تطلب منه أن يعفو عن أخيه، وأخبره بما رواه البيهقى وأحمد عن أبى هريرة أن رجلاً شتم أبا بكر، والنبى ﷺ جالس، فجعل النبى ﷺ يعجب ويتبسم (من عدم رد أبى بكر) فلما أكثر (الرجل من شتم أبى بكر) رد عليه بعض قوله، فغضب النبى ﷺ وقام، فلحقه أبو بكر فقال: يا رسول الله كان يشتمنى وأنت جالس فلما رددت عليه بعض قوله غضبت وقمت، قال ﷺ: «**إنه كان معك ملك يرد عنك، فلما رددت عليه بعض قوله وقع (حضر) الشيطان، فلم أكن لأقعد مع الشيطان، ثم قال: يا أبا بكر، ثلاث كلهن حق، ما من عبد ظلم بمظلمة فيغضى عنها لله عز وجل إلا أعز الله بها نصره، وما فتح رجل باب عطية يريد بها صلة إلا زاده الله بها كثرة، وما فتح رجل باب مسألة يريد بها كثرة إلا زاده الله عز وجل بها قلة**»[(١)].

الحل الثانى: الذى يصلح استخدامه مع المضروب ظلمًا، إذا رفض العفو لإحساسه الشديد بالظلم، نطبق القصاص بالعدل ممن ضربه فنحضر الظالم ويقف ليقتص منه المظلوم، فإذا تأهب المضروب بالقصاص وهم بأخذ حقه، نطلب منه أن يعفو لله ويترك أخاه، روى الطبرانى عن طارق بن شهاب قال: لطم ابن عم خالد بن الوليد رجلاً منا، فخاصمه عمه إلى خالد بن الوليد، فقال: يا معشر قريش، إن الله تعالى لم يجعل لوجوهكم فضلاً على وجوهنا، إلا ما فضل الله نبيه ﷺ، فقال خالد: اقتص، فقال الرجل لابن أخيه: الطم، فلما رفع يده قال: دعها لله عز وجل[(٢)].

والحل الثالث: الذى يحل مشكلة الابن المضروب ويشجعه على التنازل عن حقه، هو أن نعوضه ماديًا حتى يعفو عمن ظلمه، ودليلنا على فاعلية هذه الفكرة ما رواه أبو داود والبيهقى وابن ماجه وابن حبان (واللفظ له) عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ بعث أبا جهم بن حذيفة مصدقا (موزعا للصدقة) فلاجَّه رجل (من بنى ليث) فى صدقة فضربه أبو جهم فشجه، فأتوا (يعنى قبيلة المضروب وهم

---

(١) مسند أحمد ٢/ ٤٣٦، وسنن البيهقى الكبرى ١٠/ ٢٣٦.

(٢) المعجم الكبير ٤/ ١٠٥.

بنو ليث) النبى ﷺ فقالوا: القود (القصاص) يا رسول الله، فقال النبى ﷺ: **لكم كذا وكذا** (حتى يعفوا) فلم يرضوا، فقال **لكم كذا وكذا** فلم يرضوا، فقال: **لكم كذا وكذا** فرضوا، وقال: أرضيتم؟ قالوا: نعم[(١)] .. وروى البيهقى عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن أبا بكر الصديق ؓ قام يوم جمعة فقال: إذا كان بالغداة، فاحضروا صدقات الإبل تقسم، ولا يدخل عليها أحد إلا بإذن، فقالت امرأة لزوجها: خذ هذا الخطام (الحبل الذى يربط به الجمل) لعل الله يرزقنا جملاً، فأبى الرجل، فوجد أبا بكر وعمر رضى الله عنهما قد دخلوا إلى الإبل فدخل فالتفت أبو بكر ؓ فقال: ما أدخلك علينا، ثم أخذ منه الخطام (الحبل) فضربه، فلما فرغ أبو بكر من قسم الإبل دعا بالرجل، فأعطاه الخطام وقال: استقد (اقتص)، فقال له عمر: والله لا يستقيد، لا تجعلها سنة (لأنك قلت لا يدخل أحد وهو قد دخل، ولو علم الناس أنك ضربته لمخالفته الأوامر ثم أعطيته القصاص من نفسك، فهذا سيشجع الناس بعد ذلك على عصيان الأوامر، لأنهم وجدوا من عصاها فلم يعاقبه أحد) قال أبو بكر: فمن لى من الله يوم القيامة؟ فقال عمر ؓ: أرضه، فأمر أبو بكر الصديق ؓ غلامه أن يأتيه راحلته ورحلها وقطيفة وخمسة دنانير، فأرضاه بها.[(٢)]



(١) صحيح ابن حبان ١٠/ ٣٣٩، وسنن ابن ماجه ٢/ ٨٨١، وسنن أبى داود ٤/ ١٨١، وسنن البيهقى الكبرى ٨/ ٤٩.
(٢) سنن البيهقى الكبرى ٨/ ٤٩.

يا بني.. حاسب وعاتب وعاقب

النفس البشرية لها ثلاث حالات:

أمَّارة ولوَّامة ومطمئنة، فالنفس الأمَّارة بالسوء هى التى تأمر صاحبها بالسوء والمنكرات، فيغلب عليها اتباع هواها بفعل الذنوب والمعاصى، وهذه الحال وللأسف تغلب على كثير من الناس، قال تعالى على لسان سيدنا يوسف: ﴿**وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾ [يوسف: ٥٣]. والنفس اللوَّامة هى التى تذنب وتتوب، وتشجع صاحبها على الخير والشر، لكن إذا فعلت الشر تابت وأنابت ولامت صاحبها على الوقوع فى الذنوب، والنفس اللوَّامة هى نفس المؤمن الذى لا تراه إلا يلوم نفسه يقول: ما أردت بكلامي؟ ما أردت بأكلي؟ ما أردت بحديث نفسي؟ وتراه يلوم نفسه على الشر لِمَ فعله وعلى الخير لِمَ لم يستكثر منه، فلا تراه إلا وهو يلوم نفسه قال تعالى: ﴿**لاَ أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ۞ وَلاَ أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ**﴾ [القيامة: ١، ٢]. والنفس المطمئنة هى التى تحب الخير والحسنات وتريد فعلهما، وتبغض الشر والسيئات وتكره الوقوع فيهما، وقد صار ذلك لها خلقًا وعادة وملكة، قال تعالى: ﴿**يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ۞ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ۞ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ۞ وَادْخُلِي جَنَّتِي**﴾ [الفجر: ٢٧: ٣٠][(١)].

أيها الوالد الكريم، أيتها الأم الحنون

«إن النفس البشرية قد تمر بالحالات الثلاث: فهى أمارة بالسوء فى حال الضلال، فإذا دخلها الإيمان صارت تفعل الذنب ثم تلوم صاحبها عليه فهى لوَّامة، فإذا قوى الإيمان فى النفس اللوَّامة صارت مطمئنة»[(٢)]، ولأن نفوس أبنائنا أمانة فى أعناقنا وسنُسأل عنها يوم القيامة، فعلينا أن نغمرهم بالإيمان ونربطهم بطاعة الله تعالى، حتى تتحول نفوسهم من أمارة بالسوء إلى نفوس

(١) مجموع الفتاوى ٩/ ٢٩٤، والاستقامة ٢/ ٢٥٠، ٢٥١، تفسير القرطبى ١٩/ ٩٢، ٩٣، وتفسير ابن كثير ٤/ ٤٤٨، ٤٤٩، والدر المنثور ٨/ ٣٤٣ (بتصرف).

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ١/ ٢٤٥، ٢٤٦.

مؤمنة لوَّامة، قد تقع فى الشر وترتكب الأخطاء، لكنها سريعًا ما تلوم صاحبها وتسارع بالتوبة وتعود للحق، فصاحب النفس اللوَّامة ينتبه دائمًا لما يرتكبه من أخطاء، ويحاول علاجها وتصحيحها، مما يساعده على الارتقاء بنفسه إلى درجة النفس المطمئنة، ولكى يمتلك أبناؤنا نفوسًا لوَّامة علينا -كآباء ومربين- أن نربيهم على ثلاثة معان إيمانية وعملية مهمة هى: محاسبة النفس الدائمة، ومعاتبتها على ما ترتكبه من أخطاء، ثم عقابها على ما تقع فيه من سيئات.

أولاً: المحاسبة الدائمة:

إن الخطوة الأولى فى حياة صاحب النفس اللوَّامة هى محاسبتها باستمرار، وعند المحاسبة تظهر أعمال الخير فيشكر عليها، وتتضح الأخطاء فيتوب منها ويعزم على تصحيحها، وهكذا يتحقق لصاحب النفس اللوَّامة التوبة المتجددة والعزيمة الدائمة على فعل الخيرات، ومن هنا قال عمر بن الخطاب ﷺ: «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزنوا، فإنه أهون عليكم فى الحساب غدًا أن تحاسبوا أنفسكم اليوم، تزينوا للعرض الأكبر يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية».[1] وكتب عمر بن الخطاب إلى بعض عماله فكان فى آخر كتابه: «أن حاسب نفسك فى الرخاء قبل حساب الشدة (يقصد يوم القيامة) فإن من حاسب نفسه فى الرخاء قبل حساب الشدة، عاد مرجعه إلى الرضا والغبطة، ومن ألهته حياته وشغلته شهواته، عاد مرجعه إلى الندامة والحسرة»[2]. وقال مالك بن دينار: سمعت الحجاج وهو يقول: «رحم الله امرًا حاسب نفسه قبل أن يكون الحساب إلى غيره، امرؤ فكر فيما يقرأه فى صحيفته ويراه فى ميزانه، وكان عند قلبه زاجرًا وعند همه آمرًا، امرؤ أخذ بعنان عمله كما يأخذ بخطام (الحبل الذى يربط به) جمله، فإن قاده إلى طاعة الله تعالى تبعه، وإن قاده إلى معصية الله كفه»[3].

ومحاسبة النفس يستحسن أن تتم يوميًا قبيل النوم، بحيث يخصص الواحد منا

(١) صفة الصفوة ١/ ٢٨٦، تاريخ مدينة دمشق ٤٤/ ٣١٤، ٣٥٧.
(٢) تاريخ مدينة دمشق ٤٤/ ٣٢١.
(٣) البداية والنهاية ٩/ ١٢٣، وبغية الطلب فى تاريخ حلب ٥/ ٢٠٨٢، وتاريخ مدينة دمشق ١٢/ ١٤١.

دقائق معدودة يراجع فيها شريط أعماله اليومية، ويحمد الله على ما فيه من خير، ويتوب عما فيه من أخطاء وشر، ولكى نشجع أبناءنا على تطبيق ورد المحاسبة اليومى، يمكننا أن نصمم لهم جدولاً مبسطًا يحتوى بعض الأعمال اليومية كالصلاة والصيام وغيرهما وذلك حسب مرحلتهم العمرية، ويستحسن أن يبدأ الأمر كمسابقة بين الأبناء فى عدة نواح عبادية، والحكم فى المسابقة يتم عن طريق هذه الجداول، والتى يملأها الجميع قبيل نومهم، ومع تعدد المسابقات وتنويعها سيتعود الأبناء على محاسبة أنفسهم بطريقة غير مباشرة، وهنا نخبرهم بأهمية محاسبة النفس دائمًا وأبدًا، ونطلب من كل منهم أن يصمم لنفسه جدولاً يرينا إياه، ونكافئ الجميع عند تنفيذهم لهذه المهمة وتصميمهم لجداولهم الشخصية، ثم نناقشهم فيها ونرشدهم لبعض التعديلات إن كانت ضرورية ثم نتركهم يطبقون، ونتابعهم عن بعد ونشجعهم على المداومة على المحاسبة اليومية، وعلينا ألا نطلع على جداولهم بعد ذلك، ونخبرهم أن هذا الأمر بينهم وبين الله تعالى، هو عليهم رقيب حسيب، وحسبنا أن تأتى جداول المحاسبة هذه شاهدة لنا بين يدى الله تعالى.

ثانيًا: المعاتبة الحازمة:

بعث النبى ﷺ جيشًا لمحاربة الروم فى مؤتة، ووضع على الجيش ثلاثة من القادة إن قتل أولهم تولى الثانى ثم الثالث، هؤلاء القادة على الترتيب هم: زيد بن حارثة، وجعفر بن أبى طالب، وعبد الله بن رواحة، وفى المعركة استشهد زيد ثم جعفر وجاء دور عبد الله بن رواحة ليتولى القيادة، فترددت نفسه لحظات خاف فيها من الموت، لكنه تداركها سريعًا وعاتبها عتابًا شديدًا، فكان مما قال لها:

أقسمت يا نفس لتنزلنه ... لتنزلنه أو لتكرهنه
إذا جلب الناس وشدوا الرنه ... مالى أراك تكرهين الجنة
لطالما قد كنت مطمئنة ... هل أنت إلا نطفة فى شنه
يا نفس إلا تقتلى تموتى ... هذا حمام الموت قد صليت

ومـــا تمنيـــت فقـــد أعطيـــت إن تفعلـــى فعلـــهما هُـــديت

يعنى صاحبيه زيدًا وجعفرًا، وبعد العتاب الشديد أفاقت نفسه فنزل إلى ميدان المعركة، وهنا أتاه ابن عمه بقطعة لحم وقال: شد بهذا صلبك فإنك قد لاقيت من أيامك هذه ما قد لقيت، فأخذه عبد الله من يده ثم أخذ منه قطعة ثم سمع صوتًا شديدًا للقتال فى ناحية من نواحى المعركة، فقال: يحدث هذا وأنت فى الدنيا، ثم ألقى اللحم من يده، ثم أخذ سيفه فتقدم فقاتل حتى قُتل رضى الله تعالى عنه[1].

إن محاسبته السريعة لنفسه ومعاتبته الشديدة لها هى التى أنقذته فى هذه اللحظات العصيبة، ومنعته بفضل الله من التراجع عن شرف الجهاد فى سبيل الله، وألحقته بركب الشهداء المبارك الذى سبقه فيه صاحباه زيد وجعفر، فلحقهما ليدخل الجنة معهما، لكن لأنه تأخر لحظات فإنه نزل منزلة أقل بعض الشيء من منزلة صاحبيه اللذين لم يترددا لحظة، فقد قال رسول الله ﷺ: «**لقد رُفعوا لى فى الجنة** (يعنى زيدًا وجعفرًا وعبد الله) **فيما يرى النائم على سُرر من ذهب فرأيت فى سرير عبد الله ازورارًا عن سرير صاحبيه، فقلت: عم هذا؟ فقيل لى: مضيا وتردد عبد الله بن رواحة بعض التردد**»[2].

إن العتاب رفيق الحساب، فمن حاسب نفسه اكتشف تقصيرها، ولومها وعتابها، وتاب إلى الله تعالى من عصيانها، وحاول إصلاح خطئها، وكلما تكرر الحساب والعتاب، تولد فى النفس إحساس مرهف بالأخطاء الصغيرة قبل الكبيرة، وارتقت بصاحبها نحو منازل الصالحين من الصحابة والتابعين، فقد تميزوا بالدقة فى حساب نفوسهم وأبدعوا فى عتابها على قليل الخطأ وصغير الزلل، فوفقهم الله تعالى لحسن القول وصالح العمل، روى أن عمر بن الخطاب كان يسير يومًا فى طرقات المدينة، فلقيه رجل فقال: يا أمير المؤمنين انطلق معى فأعدنى على فلان فإنه قد ظلمنى، فرفع عمر الدرة فخفق بها رأسه فقال: تدعون أمير المؤمنين وهو معرّض لكم حتى إذا

---

(١) تفسير القرطبى ١٩/ ١٢٠، وحلية الأولياء ١/ ١٢٠.

(٢) تفسير القرطبى ١٠/ ٣٦٨، وحلية الأولياء ١/ ١٢٠، والسيرة النبوية ٥/ ٣١، ٣٢، والسيرة الحلبية ٢/ ٧٩١، وزاد المعاد ٣/ ٣٨١.

شغل فى أمر من أمور المسلمين أتيتموه أعدنى أعدنى، فانصرف الرجل وهو يتـذمر، فقال عمر: علىّ الرجل، فألقى إليه المخفقة (العصا المسماة الدرة) فقال: امتثل (اقتص من الضربة بمثلها) فقال الرجل: لا والله، ولكـن أدعهـا لله ولـك، قـال عمـر: لـيس هكذا، إما أن تدعها لله إرادة ما عنده، أو تدعها لى فأعلم ذلك، قـال الرجـل: أدعهـا لله، فقال عمر: فانصرف، ثم جاء يمشى حتـى دخـل منزلـه، فـافتتح الصـلاة فصـلى ركعتين وجلس فقال: يا ابن الخطاب، كنت وضيعًا فرفعك الله، وكنت ضالاً فهـداك الله، وكنت ذليلاً فأعزك الله، ثم حملك على رقاب المسـلمين، فجـاءك رجـل يسـتعيذ بك فضربته، ما تقول لربك غدا إذا أتيته؟ فجعل يعاتب نفسه فى ذلك معاتبة ظننا أنه من خير أهل الأرض[١].

وعن حماد بن أبى حنيفة النعمان قال: جئت داود الطائي[٢] والباب عليه مصـفق (مغلق) فسمعته يقول: اشتهيت جزرًا فأطعمتك، ثم اشتهيت جزرًا وتمرًا ليـت أن لا تأكليه أبدًا، فاستأذنت وسلمت ودخلت، فإذا هو يعاتـب نفسـه[٣]، وعـن مالـك بـن ضيغم قال: جاء رياح القيسي[٤] يسأل عن أبى بعد العصر فقلنا: هو نائم، فقال: أنوم فى هذه الساعة، أهذا وقت نوم؟ ثم ولى منصرفًا، فأتبعناه رسـولاً فقلنـا قـل لـه: ألا نوقظه لك؟ قال: فأبطأ علينا الرسول، ثم جاء وقد غربت الشمس، فقلنا: أبطأت جدا فهل قلت له؟ قال الخادم: هو كان أشغل من أن يفهم عنى شيئًا، أدركته وهو يـدخل المقابر وهو يعاتب نفسه ويقول: قلت نوم هذه الساعة، أفكان هذا عليك؟ ينام الرجل متى شاء، وقلت: هذا وقت نوم، وما يدريك أن هذا ليس بوقت نوم، تسألين عما لا يعنيك وتتكلمين بما لا يعنيك، أما إن لله علىَّ عهدًا لا أنقضه أبدًا ألا أوسدك الأرض لنوم حولاً إلا لمرض حائل أو لذهاب عقل زائل، سوءة لك سوءة لك، أما تستحيين؟

---

(١) تاريخ مدينة دمشق ٤٤/ ٢٩٢.

(٢) داود الطائي: من فقهاء المذهب الحنفى المعدودين، تتلمذ على يدى الإمام أبى حنيفة النعمان، أصله مـن خراسان، وأقام بالكوفة، مـات سـنة خمـس وستين ومائـة فـى خلافـة المهـدي، انظـر طبقـات الحنفيـة ١/ ٥٣٦-٥٤٠.

(٣) حلية الأولياء ٧/ ٣٥٠، وصفة الصفوة، ٣/ ١٣٤، وأخبار أبى حنيفة ١/ ١١٨.

(٤) رياح بن عمرو القيسي: من زهاد البصرة وعبادها الذين عاشوا فى القرن الثانى الهجري.

كم توبخين وعن غيك لا تنهين؟ قال الخادم: وجعل يبكى وهو لا يشعر بمكانى، فلما رأيت ذلك انصرفت وتركته(١).

وكان ابن السماك(٢) يعاتب نفسه ويقول فيما يعاتبها به: تقولين قول الزاهدين، وتعملين عمل المنافقين، والجنة تطمعين تدخلين، هيهات إن للجنة قومًا آخرين(٣).

أيها الوالد الكريم، أيتها الأم الحنون

إن محاسبة النفس اليومية ستساعد أبناءنا على متابعة حال أنفسهم باستمرار، واكتشاف ما ترتكبه من خطأ وعصيان، مما يساعدهم على معاتبة أنفسهم ولومها على تقصيرها، ويدفعهم نحو استدراك ما يرتكبونه من تقصير، ويشجعهم على إصلاح ما يقعون فيه من آثام، ولن يتحقق هذا فى يوم أو يومين، بل يلزمه تربية أيام وشهور، وبذل أموال ومجهود، لكن من يوفقه الله من أبنائنا ويصل إلى مرحلة من المحاسبة الفورية والعاجلة لنفسه فإنه سيقل خطؤه ويحسن عمله، فتراه صالحًا فى خلقه وسلوكه، نافعًا لدينه ووطنه، بارًا بوالديه وإخوته، رحيمًا بالفقراء والضعفاء، وإن مما يساعد أبناءنا على عتاب أنفسهم على الخطأ والعصيان، أن يحفظوا بعض الأشعار التى يعاتب فيها الشعراء أنفسهم، ويمكن أن نكتب هذه الأبيات بخط جميل على ورق جذاب، و نهديها لهم ليعلقوها فى غرفهم أو ليضعوها على مكاتبهم ومن هذه الأبيات قول الشاعر:

يا نفس ما الدنيا بدار مقام ... أبدًا ولا فيها محل دوام

وتيقنى أن الرحيل وإن نأى ... متقارب واليوم مثل العام(٤)

(١) صفة الصفوة ٣/ ٣٦٨.

(٢) محمد بن صبيح بن السماك، عابد زاهد من أهل الكوفة الكرام، كان صدوقًا له مقام وعظ بين يدى هارون الرشيد، توفى سنة ١٨٣ هـ، انظر: تاريخ بغداد، ٥/ ٣٧٢، والوافى بالوفيات ٣/ ١٣١.

(٣) تاريخ بغداد ٥/ ٣٧٠.

(٤) الوافى بالوفيات١٠/ ١١٤.

ثالثًا: المعاقبة الحكيمة:

النفس البشرية عندما تقع فى الخطأ والزلل قد يكفيها اللوم، ويصلحها العتاب، فلا تعود لمثل هذا السلوك الخاطئ مرة أخرى، لكن هناك بعض الحالات التى يحتاج فيها الواحد منا إلى نوع من العقاب الذاتى لنفسه، ليصلح خطأ معينًا وقع فيه، وليعطى نفسه درسًا شديدًا حتى لا تعود لمثل هذا السلوك القبيح، ويعتبر أسلوب معاقبة النفس سلوكًا تربويًا ذاتيًا نافعًا جدًا، ولقد جربه قبلنا الأنبياء والصحابة والصالحون وكان له أعظم الأثر فى سلوكياتهم وأخلاقهم، ويأتى على رأس هؤلاء النبى الكريم سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام، إذ كان يحب الخيول وتقام له عروض الخيول فيستمتع بمشاهدتها، لكنه فى يوم من الأيام تشاغل بأحد عروض الخيول حتى غابت الشمس وفاتته الصلاة، ففزع لهذا الأمر وعاتب نفسه قائلاً: كيف أحببت عرض الخيل ونسيت ذكر ربى ففاتتنى الصلاة، ثم قرر معاقبة نفسه وأمر برد الخيول إليه وأمر بتقطيع سوقها وأعناقها، حتى لا تشغله الخيل بعد ذلك عن الصلاة، فأثنى الله تعالى عليه بهذا وبيَّن أنه أثابه بأن سخر له الريح فكان يقطع عليها من المسافة فى يوم ما يقطع مثله على الخيل فى شهرين غدوًا ورواحًا[(١)]، قال جل شأنه: ﴿**وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ۞ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ ۞ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ۞ رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ**﴾[ص: ٣٠- ٣٣].

ولقد تعلم الصحابة الكرام الدرس جيدًا فانطلقوا يحاسبون أنفسهم ويعاقبونها إن ارتكبت ما يستحق العقاب، روى الإمام مالك عن عبد الله بن أبى بكر رضى الله عنهما أن أبا طلحة الأنصارى كان يصلى فى حائطه (حديقته) فطار دبسي[(٢)] فطفق يتردد يلتمس مخرجًا فأعجبه ذلك فجعل يتبعه بصره ساعة، ثم رجع إلى صلاته فإذا هو لا يدرى كم صلى فقال: لقد أصابتنى فى مالى هذا فتنة، فجاء إلى

---

(١) أمر سليمان عليه السلام بتقطيع أرجل الخيل وأعناقها، ولم يكن ذلك معاقبة للأفراس، إذ ذبح البهائم جائز إذا كانت مأكولة، بل عاقب نفسه حتى لا تشغله الخيل بعد ذلك عن الصلاة، ولعله قطع سوقها ليذبحها فحبسها بقطع الأرجل عن النفار، ثم ذبحها فى الحال ليتصدق بلحمها، أو لأن ذلك كان مباحًا فى شرعه فأتلفها لما شغله عن ذكر الله حتى يقطع نفسه عما يشغله عن الله (تفسير القرطبي) ١٥/ ١٩٦ (بتصرف).

(٢) (الدبسي): طائر صغير قيل هو ذكر اليمام، النهاية فى غريب الحديث ٢/ ٩٩، ولسان العرب ٦/ ٧٦.

رسول الله ﷺ فذكر له الذى أصابه فى حائطه من الفتنة، وقال: يا رسول الله هو صدقة لله، فضعه حيث شئت)[١]. وكان عبد الله بن عمر رضى الله عنهما، إذا فاتته العشاء فى جماعة أحيا بقية ليلته.[٢] وعلى طريق المحاسبة والمعاقبة الذاتية للنفس سار الصالحون، فالمزنى كان إذا فاتته صلاة الجماعة، صلى تلك الصلاة خمسًا وعشرين مرة[٣]، مر حسان بن أبى سنان بغرفة، فقال: مذ كم بنيت هذه؟ ثم رجع إلى نفسه فقال: وما عليك مذ كم بنيت، تسألين عما لا يعنيك فعاقبها بصوم سنة[٤].

أيها الوالد الكريم، أيتها الأم الحنون

إن أفضل طريقة لعلاج أخطاء الأبناء هى تعويدهم على محاسبة أنفسهم ومعاقبتها فى الوقت المناسب وبطريقة حكيمة، قال ذو النون المصرى لأحد الصالحين: أوصنى، فقال له: عليك بمعاقبة نفسك إذا دعتك إلى بلية، ومنابذتها إذا دعتك إلى الفترة (الكسل) فإن لها مكرًا وخداعًا فإذا فعلت هذا الفعل أغناك عن المخلوقين، وسلاك عن مجالسة الفاسقين»[٥]، فمن حاسب نفسه وعاقبها على أخطائها تحسنت أخلاقه، والدليل العملى على ذلك ما روى عن عبد الله بن وهب أنه قال: «نذرت أنى كلما اغتبت إنسانًا أن أصوم يومًا، فأجهدنى فكنت أغتاب وأصوم، فنويت أنى كلما اغتبت إنسانًا أن أتصدق بدرهم، فمن حب الدراهم تركت الغيبة»[٦].

ومن عاقب نفسه بصدق وإخلاص وفى نطاق المسموح به شرعًا استجاب الله دعاءه، والدليل على ذلك ما رواه الطبرانى عن سليمان بن بريدة عن أبيه قال: بينما النبى ﷺ فى مسير له، إذ أتى على رجل يتقلب فى الرمضاء ظهرًا لبطن ويقول: يا نفس، نوم بالليل وباطل بالنهار، وترجين أن تدخلى الجنة؟ فلما قضى ذات (عقاب

(١) موطأ مالك ١/ ٩٨، وسنن البيهقى الكبرى ٢/ ٣٤٩.
(٢) سير أعلام النبلاء ٣/ ٣١٥، والبداية والنهاية ٩/ ٥.
(٣) سير أعلام النبلاء ١٢/ ٤٩٥.
(٤) حلية الأولياء ٣/ ١١٥، وصفة الصفوة ٣/ ٣٣٩.
(٥) حلية الأولياء ٩/ ٣٨١.
(٦) سير أعلام النبلاء ٩/ ٢٢٨.

وإتعاب) نفسه أقبل إلينا فقال ﷺ: «**دونكم أخوكم**»، قلنا: ادع الله لنا يرحمك الله، قال: «**اللهم اجمع على الهدى أمرهم**»، قلنا: زدنا، قال: «**اللهم اجعل التقوى زادهم**»، قلنا: زدنا، فقال النبى ﷺ «**زدهم اللهم وفقه**» قال: «**اللهم اجعل الجنة مآبهم**»(١).

فهيا بنا نغرس هذا السلوك التربوى فى نفوس أبنائنا والطريقة الأولى فى هذا الطريق هى القدوة العملية(٢)، وذلك بأن نطبق أسلوب المعاقبة الذاتية مع أنفسنا بحيث يشاهدنا أبناؤنا فيقلدوننا ويقتدون بنا، كأن يرانا أبناؤنا نصوم اليوم الذى لا نصلى فيه الفجر، أو يجلس الآباء على الغداء ولا يأكل ويخبر أبناءه أنه يعاقب نفسه لأنه تأخر اليوم عن عمله تكاسلاً وبهذه الطريقة يتعلم أبناؤنا بالقدوة العملية أهمية المحاسبة والمعاقبة الذاتية، والطريقة الثانية التى نغرس من خلالها المعاقبة الذاتية فى نفوس أبنائنا: أن نطلب منهم إذا أخطأوا أن يختاروا عقابًا مناسبًا لأنفسهم ويخبرونا به ثم يطبقوه، ومن العقوبات الذاتية المناسبة لأبنائنا:

١- الذهاب للمدرسة سيرًا بدل السيارة.

٢- عدم تناول الغداء أو صيام يوم.

٣- النوم على الأرض مع مراعاة عوامل الصحة والسلامة.

٤- التبرع بمبلغ من مصروفه.

٥- عدم مشاهدة التلفاز لمدة محددة.. والله الموفق والهادى إلى سواء السبيل.

* * *

---

(١) المعجم الكبير للطبرانى ٢/ ٢٢، ومجمع الزوائد ١٠/ ١٨٥.

(٢) إن مما يؤكد أهمية القدوة العملية فى حياة أطفالنا (أن الإمام الشافعى دخل يومًا إلى بعض حجر هارون الرشيد، استأذن له عليه فأقعده الخادم عند أبى عبد الصمد مؤدب أولاد الرشيد، فقال الخادم للشافعي: يا أبا عبد الله، هؤلاء أولاد أمير المؤمنين وهذا مؤدبهم فلو أوصيته، فأقبل الشافعى على أبى عبد الصمد فقال له: ليكن أول ما تبدأ به من إصلاح أولاد أمير المؤمنين إصلاحك نفسك، فإن أعينهم معقودة بعينك، فالحسن عندهم ما تستحسنه، والقبيح عندهم ما تستقبحه، علمهم كتاب الله، ولا تكرههم عليه فيملوه، ولا تتركهم فيهجروه، ثم زدهم من الشعر أعفه، ومن الحديث أشرفه، ولا تخرجنهم من علم إلى غيره حتى يتقنوه، فإن ازدحام الكلام فى المسمع مصد للفهم). المنتظم ١٠/ ١٣٩، ١٤٠.

عقاب جميل وفاعله قليـــل

هناك نوعان من العقاب يمكن للمربى من خلالهما إن شاء الله أن يعـالج أخطـاء أبنائه وتلامذته بفاعلية ونجاح دون اللجـوء إلى رفـع الصـوت والصـراخ واسـتخدام الأيدى والعصى، ومع الحفاظ على رباط الحـب والـود بـين المربـى وأبنائـه، وهـذان العقابان هما:

أولاً: العقاب بالتكليف الإيجابي:

الهدف من العقاب هو تعديل السلوك وإصلاح العيوب والأخطـاء، ومـن أجمـل العقوبات التى تحقق ذلك هو تكليف المخطئ ببعض الأعمال شبه الشاقة، والتى يقوم بها عقابًا له على ما فعل، كأن تطلب من ابنك إذا شتم أخاه أن يدخل المطبخ ليغسـل الأطباق لمدة ثلاثة أيام، وهذا يسمى العقـاب بـالتكليف الإيجـابى، ولهـذا النـوع مـن العقاب ثلاث فوائد، الفائدة الأولى: هى مجازاة المخطئ وإشعاره بالـذنب مـع الحفـاظ على روح الحب والمودة بينه وبين من يعاقبه، الفائدة الثانية: هى حـث المخطـئ علـى فعل الخير تكفيرًا عما فعل، وإذا فعل الخير شعر بلذته مما يشجعه بعد ذلـك إلى بـذل الخير للناس، ويدفعه نحو علاج أخطائه الشخصية فيما بعد، عن طريق فعل المعروف، فتراه كلما فعل شرًا أتبعه بفعل الخير، وذلك ما أوصى به رسـولنا الكـريم ﷺ، روى الترمذى عن أبى ذر قال: قال لى رسول الله ﷺ: «**اتق الله حيثما كنت، وأتبـع السـيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن**»[1]. الفائدة الثالثة: هى انتفـاع الأسـرة والمجتمـع من المخطئ لأنه سيكلف بعمل إيجابى يخدم من حوله وينفعهم.

ولأن العقـاب بـالتكليف الإيجـابى جيـد ومـؤثر ونـافع فقـد اسـتخدمه قـانون العقوبات الإسلامى فى علاج بعض الأخطاء التـى قـد يرتكبهـا المسلمون، فعنـدما يخطئ أحدهم ويقتل مسلمًا آخر عن طريق الخطأ ودون قصـد، فـإن العقـاب يكـون بإلزامه ببعض الأعمال التى يؤدبه أداؤها، وفى نفس الوقت تنفع أهل الميـت وتخـدم

(١) سنن الترمذى ٤/ ٣٥٥، قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

المسلمين، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلاَّ خَطًَا وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطًَا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلاَّ أَن يَصَّدَّقُوا فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللهِ وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ٩٢] وفى قانون العقوبات الإسلامى من يحلف على شيء قاصدًا أن يفعله (كأن يقول لأولاده: والله لنذهب إلى الحديقة، والله لن أضربك لو قلت الحقيقة) ثم لا ينفذ ما حلف عليه فعليه عقاب لابد وأن ينفذه حتى يكفر عن هذا الذنب، روى الإمام مسلم عن أبى هريرة ﷺ قال: أعتم رجل ثم (عند) النبى ﷺ، ثم رجع إلى أهله، فوجد الصبية قد ناموا، فأتاه أهله بطعامه، فحلف لا يأكل من أجل صبيته، ثم بدا له فأكل، فأتى رسول الله ﷺ فذكر ذلك له، فقال رسول الله: «**من حلف على يمين فرأى غيرها خيرًا منها فليأتها، وليكفر عن يمينه**».[1] وكفارة عدم تنفيذ ما حلفنا عليه حددها الله تعالى بعقاب إيجابى ينفذه من أخطأ، فقال جل شأنه: ﴿لاَ يُؤَاخِذُكُمُ اللهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة: ٨٩].. وعندما يصوم المسلم يحرم عليه الطعام والشراب وجماع زوجته، لكن من أخطأ وجامع زوجته فى نهار رمضان عامدًا وعالمًا أنه ممنوع؛ فإن عليه أن يكفر عن خطئه بعمل إيجابى يقوم به، روى البخارى عن أبى هريرة ﷺ قال: بينما نحن جلوس ثم (عند) النبى ﷺ إذ جاءه رجل فقال: «يا رسول الله هلكت، قال: **ما لك؟**قال: وقعت على امرأتى وأنا صائم، فقال رسول الله ﷺ: **هل تجد رقبة تعتقها؟** قال: لا، قال: **فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين**، قال: لا، فقال: **فهل تجد سنان (طعام) ستين مسكينًا**، قال: لا، قال: فمكث النبى ﷺ، فَبَيْنَا نحن على ذلك أتى النبى ﷺ بعَرَق فيه تمر-والعرق المكتل[2]-

(١) صحيح مسلم ٣/ ١٢٧١.

(٢) «المكتل بكسر الميم: إناء كبير مصنوع من الخوص يحمل فيه التمر أو العنب يشبه القفة التى يستخدمها الفلاحون اليوم، وقيل إنه يسع خمسة عشر صاعًا من التمر أى قطعًا» لسان العرب ١١/ ٥٨٣، والنهاية فى غريب الحديث ٤/ ١٥٠، (بتصرف).

قال: **أين السائل؟** فقال: أنا، قال: **خذ هذا فتصدق به**، فقال الرجل: أعلى أفقر منى يا رسول الله فوالله ما بين لابتيها -يريد الحرتين (يعنى ما بين طرفى المدينة المنورة)- أهل بيت أفقر من أهل بيتى، فضحك النبى ﷺ حتى بدت أنيابه، ثم قال: **أطعمه أهلك**»[(١)].

أيها الوالد الكريم، أيتها الأم الحنون

العقاب بالتكليف الإيجابى هو إعطاء الطفل مهام غيرمريحة كعقاب له على تصرف خاطئ قد وقع فيه عامدًا وعالمًا أنه ممنوع، وهذا العقاب يشمل فى داخله نوعين من أنواع العقاب وهما الحرمان وتأدية الواجب، فعندما يقوم الطفل بتأدية الواجب فإنه يحرم من اللعب أو مشاهدة التليفزيون، لأن تأدية الواجب تكون فى الفترة الزمنية المخصصة للعب أو لمشاهدة التليفزيون أو استعمال الكمبيوتر وغيرها من الأمور التى يحبها الأطفال، ومن الأمور التى يمكن أن نستعملها مع أبنائنا كواجبات عقابية يؤدونها: تنظيف حديقة البيت، ترتيب وتنظيف المكتبة فى البيت، إلقاء النفايات لمدة أسبوع، شراء مستلزمات المنزل من خبز وخضراوات وغيرها لمدة ثلاثة أيام، وغيرها من الواجبات الخفيفة التى باستطاعة الأطفال أن يقوموا بها، يمكن استعمال العقاب بالتكليف الإيجابى مع الأطفال فوق الأربع سنوات مع مراعاة المرحلة العمرية لأبنائنا، فلا نكلف أطفالنا بواجبات صعبة لا يستطيعون القيام بها، ومن الضرورى ألا تتعدى المدة الزمنية لتأدية الواجب الساعة فى اليوم ولمدة سبعة أيام فقط لا تزيد عنها، وعلينا فى هذه الحالة تذكير الطفل وإفهامه لماذا يقوم هو بتأدية الواجب، وما هو التصرف الخاطئ الذى قام به، وبماذا سنكلفه إن تكرر منه هذا السلوك الخاطئ مرة أخرى[(٢)].

---

(١) صحيح البخارى ٢/ ٦٨٤.

(٢) هل العقاب سلبى أم إيجابى فى حياة الأطفال، ريم أبو لبن، الخميس ٩/ ٨/ ١٤٢٥هـ (بتصرف)
http://www.sawt-alhaq.com/ar/modules.php?name=News&file=article&sid=771

 ثانيًا: العقاب بالحرمان السلبي:

فى العام الثالث للهجرة تجمع المشركون وساروا إلى المدينة لقتال المسلمين، فعلم النبى ﷺ بالخبر فخرج فى ألف من أصحابه لملاقاة المشركين خارج المدينة عند جبل أحد، وفى منتصف الطريق بين المدينة وأحد حدث عصيان كبير فى صفوف المسلمين قاده عبد الله بن أبىّ ابن سلول، واستطاع أن يقنع عددًا من المسلمين بالعودة إلى المدينة وعدم المسير مع النبى ﷺ لقتال المشركين، وارتكب عبد الله ابن سلول خطأ فادحًا ورجع المدينة ومعه ثلث الجيش، كلهم ارتكبوا نفس الخطأ وتركوا الجهاد مع النبى ﷺ، والتقى الجمعان فى أحد، وأصاب المسلمين ما أصابهم بعد انتصارهم فى بداية المعركة، وتفرق الجيشان بعد انتهاء المعركة، وعاد المسلمون بجراحاتهم وآلامهم إلى المدينة، وبلغ النبى ﷺ أن المشركين يفكرون فى الإغارة على المدينة ليقضوا على المسلمين، فقرر النبى ﷺ أن يخرج بالمسلمين ثانية خارج المدينة، وفى الصباح التالى مباشرة لعودة المسلمين من أحد نادى منادى الجهاد: أن اخرجوا مع النبى ﷺ لملاحقة المشركين، لكن المنادى قال: لا يخرج مع النبى ﷺ إلا من خرج معنا أمس، فالنبى ﷺ لم ينس الخطأ الفادح الذى ارتكبه عبد الله ابن سلول ومن معه، فعاقبهم بالحرمان من شرف الجهاد مع النبى ﷺ، وهذا عقاب قاسٍ جدا لمن كان له قلب يعى وعقل يفهم، ولأن العقاب بالحرمان من شرف الجهاد فى سبيل الله أليم، فقد جاء جابر بن عبد الله ابن حرام فقال: يا رسول الله إن أبى كان خلفنى على أخوات لى سبع وقال: يا بنى إنه لا ينبغى لى ولا لك أن تترك هؤلاء النسوة لا رجل فيهن، ولست بالذى أؤثرك بالجهاد مع رسول الله ﷺ علىَّ نفسى، فتخلف على أخواتك، فاستخلفت عليهن واستأثر علىَّ بالشهادة، فائذن لى يا رسول الله معك، فأذن له رسول الله ﷺ فخرج معه، يقول جابر: لم يخرج معه أحد لم يشهد القتال بالأمس غيرى، واستأذنه رجال لم يحضروا القتال منهم عبد الله ابن سلول قال له: أنا راكب معك، فأبى ذلك عليهم رسول الله ﷺ[1].

---

(١) السيرة النبوية ٤/ ٥٢، والسيرة الحلبية ٢/ ٥٥٠، وزاد المعاد ٣/ ٢٤٢.

ولأن العقاب بالحرمان من شرف الجهاد قوى ومؤثر فقد استخدمه الصحابى الجليل سعد بن أبى وقاص مع أبى محجن الثقفى رضى الله عنهما، فأبو محجن صحابى جليل أسلم حين أسلمت ثقيف وسمع من النبى ﷺ وروى عنه، لكنه كان يقع فى خطأ شرب الخمر، حتى أن ياقوت الحموى فى كتاب معجم الأدباء يروى أن أبا محجن قال:

إذا مت فادفنى إلى جنب كرمة ... تروى عظامى بعد موتى

ولا تدفننى بالفلاة فإننى ... إذا ما مت أن لا أذوقها

ولقد عوقب أبو محجن الثقفى أكثر من مرة بإقامة الحد عليه لشرب الخمر، لكنه لم يترك الخمر ولم يقلع عن الشرب، وجاء يوم القادسية وانضم أبو محجن إلى قافلة المجاهدين، ومع تكرار شربه للخمر قرر سعد بصفته قائدًا للجيش، أن يعاقبه بالحرمان من شرف الجهاد فى سبيل الله فأمر بتقييده وحبسه فى قصر يطل على أرض المعركة، والتقى الجمعان، وبدأ القتال وأبو محجن فى قيده يندم على ما فعل، ويتمنى لو كان بين صفوف المجاهدين، ومع مرور الوقت ازداد القتال شدة كما ازداد ندم أبى محجن قوة، وجاء المساء فصعد أبو محجن إلى سعد وأخذ يسترضيه ويطلب منه العفو راجيًا أن يشركه فى اليوم التالى فى الجهاد، لكن سعد رفض طلبه فنزل أبو محجن آسفًا حزينًا، لكنه لم ييأس فذهب يستعطف سلمى بنت خصفة زوجة سعد فقال لها: يا سلمى هل لك إلى خير؟ قالت: وما ذاك؟ قال: تحلين قيدى وتعطينى البلقاء فرس سعد لأقاتل مع المسلمين، فلله على إن سلمنى الله أن أرجع إليك حتى أضع رجلى فى قيدى، فرفضت طلبه وخيبت ظنه، فرجع يرسف فى قيوده ويقول:

وأُغلقت كفى حزنًا أن تردى ... وأترك مشدودًا علىَّ وثاقيا

إذا قمت عنانى الحديد وأغلقت ... مصاريع دونى قد تصم المناديا

وقد كنت ذا مال كثير وإخوة ... فقد تركونى واحدًا لا أخا لى

ولله عهد لا أخيس بعهده ... لئن فرجت ألا أزور الحوانيا

فرقت له سلمى وأطلقته وأعطته البلقاء فرس سعد، فركب الفرس وخرج فقاتل فحطم المشركين، وجعل لا يحمل على ناحية من العدو إلا هزمهم، وسعد يراقب المشهد من فوق القلعة ويتعجب قائلاً: الضبر (الوثب) ضبر البلقاء، والطعن طعن أبى محجن، ولولا أن أبا محجن فى الحبس لقلت هو، وانتهى اليوم وانتصر المسلمون، وكان قتال أبى محجن أحد أسباب النصر، ولما انتصف الليل وفى أبو محجن بوعده ودخل القصر من حيث خرج، وأعاد رجليه فى القيد كما كان، وجاء سعد إلى زوجته فقالت له: كيف كان قتالكم؟ فجعل يخبرها ويقول: لقينا ولقينا حتى بعث الله رجلاً على فرس أبلق، لولا أنى تركت أبا محجن فى القيود لقلت إنها بعض شمائل أبى محجن، فقالت: والله إنه لأبو محجن، كان من أمره كذا وكذا فقصت عليه قصته، فدعا به، فحل قيوده، وقال: لا نجلدك على الخمر أبدًا، قال أبو محجن: وأنا والله لا أشربها أبدًا، فلم يشربها أبو محجن بعد ذلك[(١)]

أيها الوالد الكريم، أيتها الأم الحنون

إن العقاب بالحرمان أسلوب تربوى هادئ ومؤثر لذلك استخدمه المربى الأعظم والنبى الأكرم محمد ﷺ مع من تخلف عن غزوة أحد، وعلى نفس النهج التربوى سار سعد بن أبى وقاص، فعاقب أبا محجن بالحرمان مما يحب وهو الجهاد فى سبيل الله، ولأن علاج الأخطاء بالحرمان لا يقتصر على الجنود فى ساحات المعارك، فقد استخدمه الخليفة الأموى هشام بن عبد الملك مع أبنائه: «فلقد تفقد هشام يومًا أبناءه فوجد أن أحدهم قد تخلف عن صلاة الجمعة، فأحضره وقال له: يا بنى ما منعك من الصلاة؟ قال ابنه: نفقت (ماتت) دابتى، فقال هشام: أفعجزت عن المشى إلى الجمعة، ثم قرر عقابه بالحرمان، فقال: والله لا تركب الدابة سنة كاملة».[(٢)]

---

(١) تاريخ الطبرى ٢/ ٤١٦، والتوابين ١/ ١٢٩- ١٣٢ ، والكامل فى التاريخ ٢/ ٣٢٤-٣٢٦، والإصابة فى تمييز الصحابة ٧/ ٣٦٠-٣٦٢، والوافى بالوفيات ١٧/ ٦٣، ٦٤، طبقات فحول الشعراء ١/ ٢٦٨، ٢٦٩، و الفائق للزمخشرى ٢/ ٣٢٩، ومعجم البلدان ٢/ ٢٦٣.

(٢) الكامل فى التاريخ ٤/ ٤٦٦، والمنتظم ٧/ ٩٨، وتاريخ مدينة دمشق ١٠/ ٣١٧، وتاريخ الطبرى ٤/ ٢١٩ (بتصرف).

ومع مرور الأيام جاء الحكيم الألمانى (كانت) ليؤكد أن العقاب بالحرمان مؤثر وفاعل فقال: «العقاب على الذنب ثلاثة أقسام: الأول العقاب الأدبى، كأن تعامله معاملة جافة نوعًا ما، فتنظر إليه نظرة احتقار إذا كذب، والعقاب الثانى: العقاب الطبيعى السلبى، كأن تمنع عنه ما يطلبه ويحبه، وهذا أيضا ينحو نحو العقاب الأدبى، أما العقاب الثالث: فهو العقاب بما يؤلمه وهنا يجب الاحتراس من أن نستذله فيعيش عبدًا أمد الحياة»(١)

ولكى ينجح العقاب بالحرمان فى علاج أخطاء أبنائنا وتلامذتنا، فعلينا أولاً أن نعرف ما يحبه كل واحد منهم ثم نسأل أنفسنا: هل يمكن حرمانه منه عند العقاب، حيث إن هناك أشياء يحبها الطفل ولا يجوز حرمانه منها مثل محبة والديه له واحترامهما له ووجبات الطعام الأساسية والذهاب للمدرسة أو حضور درس إيمانى فى المسجد وغيرها، ومن الأشياء التى يمكن حرمان الأبناء منها عند معاقبتهم.

١- الحرمان من مشاهدة التليفزيون واللعب بالبلاى ستيشن والكمبيوتر: فالأبناء عادة مولعون بهذه الأجهزة ويحبون الجلوس أمامها، وسيكون عقابهم بالحرمان منها لفترة محددة ذا نتيجة جيدة، لكن مع إفهام الطفل السبب الحقيقى لمنعه وهو الفعل الخاطئ الذى ارتكبه، وعلى الوالدين ألا يحرما الطفل من هذه المتع ويجلسون هم لمشاهدة برنامج أو للعب لعبة بواسطة الكمبيوتر، أو البلاى ستيشن، فهذا من شأنه أن يذهب بفائدة العقاب، لأن الطفل سيتوصل إلى أنهما منعاه من أجل متعهم الخاصة وليشاهدوا هم ويمارسوا ما يحبون.

٢- الحرمان من الحلويات الشوكولاته: فالابن الذى يتعلق بالحلوى والأشياء التى تشترى من السوق يؤثر فيه هذا النوع من الحرمان، ومن المفيد يكون الحرمان لفترة قصيرة ثم نكافئه بالحلويات إذا قوَّم سلوكه.

٣- الحرمان من الخروج للنزهة: آثاره رائعة وكبيرة جدًا، فحرمان ابنك من

---

(١) التربية: كانت، ترجمة: طنطاوى جوهرى المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٥٥هـ، ص٥٦ (بتصرف).

الخروج معك عند إقدامه على أى فعل خطأ سيشجعه على تحسين سلوكه فيما بعد، على ألا يترك فى البيت منفردًا فنتركه مثلاً عند جدته أو مع إخوته، ويمكن حرمان الطفل من بعض الرحلات المدرسية مع زملائه إن كان هناك أكثر من رحلة طوال العام، أما إذا كانت هناك رحلة سنوية واحدة، فيستحسن ألا نحرمه منها، إلا إذا كان قد ارتكب خطأ كبيرًا يستحق ذلك.

٤- الحرمان من النقود: ويستحسن أن نحرمه من الجزء وليس من الكل، فمثلا نحرمه من نصف المصروف أو ربعه وهكذا؛ لأن الحرمان الكلى من النقود قد يشجع الطفل على السرقة وأخذ النقود بأى طريقة، لأنه يرى أن المصروف حق نزعه منه والداه دون حق، ويحاول استرجاعه بأى طريقة.

٥- الحرمان من بعض الامتيازات: وهو عقاب مناسب لعمر سنتين ونصف وما فوق، والامتياز هو حق تم إعطاؤه للطفل من خلال الوالدين، وقد يكون عبارة عن مشاهدة التلفاز أو ممارسة ألعاب معينة داخل المنزل أو الخروج مع الأصدقاء والتأخر خارج المنزل لساعة متأخرة أو غيرها، وإذا أساء طفلك اسحب منه هذا الامتياز لفترة معينة ومحددة[(١)].

ثالثًا: اختر العقاب بنفسك:

ما أجمل أن نترك الطفل يختار العقوبة المناسبة، وذلك قبل الخطأ أو بعده، فقبل الخطأ نقوم بالمشارطة (أو الاتفاق المسبق) مع الطفل فنقول له: يا بنى إن خرجت بدون إذن أو تأخرت أو إذا لم تنظف حجرتك أو لم تساعد والدتك، فما هى عقوبتك؟ واجعله يختار العقاب بنفسه وعندها سيراقب نفسه جيدًا حتى لا يقع فى هذا الخطأ، وسيكون مقتنعًا تمامًا بضرورة العقاب فلا يتمرد على العقوبة وينفر منها، كما أن هذا الأسلوب سيحافظ على رباط الحب بينه وبين والديه، كما أن الطفل لو أخطأ قل له: إنك حزين ويجب أن تعاقبه بشيء لأن هذا الفعل تكرر منه أكثر من

---

(١) مجلة ولدى العدد (٢) يناير ١٩٩٩، ص٥٦.

مرة، واتركه ٥ دقائق ليختار العقوبة المناسبة، أو قل له إذا أخطأ: ماذا تفعل لو كنت مكانى، بماذا كنت ستعاقب ابنك، واستمع لكلامه وتحليلاته، ثم ناقشه فى العقاب الذى سيختاره، والأفضل أن ينتهى هذا الموقف بالعفو الكامل عنه.. واختيار الطفل بنفسه للعقاب بعد أن يخطئ يمكن أن يتم فى إطار العقاب بالتكليف والحرمان، وذلك بأن نخبره بعدة عقوبات تجمع بين التكليفات الإيجابية والحرمان من بعض الأشياء التى يحبها، ثم نتركه خمس دقائق ليختار منها ما يفضله، ويمكن أن نكتب عدة عقوبات فى مجموعة من الأوراق مثل: تنظيف المطبخ لمدة ٣ أيام، غسل الأطباق لمدة أسبوع، إلقاء القمامة ٤ أيام، تنظيف السيارة لمدة شهر، الحرمان من نصف المصروف لمدة أسبوع، عدم استخدام الكمبيوتر لمدة ١٥ يومًا. وعلى المخطئ أن يختار ورقة عشوائيًا، والعقاب المكتوب فيها ملزم بأن ينفذه.[١]

* * *

---

(١) http://www.lahaonline.com/Feature/Dialogues/a2-30-03-2002.doc_cvt.htm#top
http://saaid.net/tarbiah/29.htm (بتصرف).

عاقب اللعبة ولا تعاقب من يلعب بها[١]

عندما يتشاجر ولدان من أجل حيازة اللعبة أو الدمية، فلا تشغل نفسك فى التفتيش عن المسبب للشجار، أو من يجب أن يلام، ثم عليك أن تتحيز لأى واحد منهما، وكل ما فى الأمر أنك تستطيع السيطرة على الموقف بإجراء بسيط وهو نزع اللعبة من بين أيديهما ومصادرتها، وبهذه الطريقة يكون الاثنان خاسرين من وراء الشجار والخصام والتزاحم على اللعبة، وهذه الخسارة تعلمهما مستقبلا التعامل مع تخاصمهما بصورة أفضل، ويمكنك عزيزى المربى عند مصادرتك للعبة المتنازع عليها أن تخبر المتخاصمين أن هذه المصادرة يمكن أن تكون مؤقتة وهذا فى حالة جلوسهما مع بعضهما وتصفية الخلاف ثم الاتفاق على طريقة استخدام اللعبة فيما بينهما.

ومن أطرف المواقف التى سمعتها حول هذا النوع من العقاب أن إحدى الأمهات كان عندها ثلاثة أبناء، وكان الجميع يحب أن يجلس بجوارها فى المقعد الأمامى للسيارة عند السفر بها، فقالت: لن يجلس بجوارى أحد وسنترك المقعد الأمامى فارغًا، لكن إن اتفقتم فيما بينكم على طريقة للجلوس فيه فأهلاً بهذا الحل، وجلس الأبناء الثلاثة مع بعضهم يتشاورون وجاءوا أمهم يحملون معهم حلاً أعجبهم، فقال الابن الأكبر: لقد اتفقنا على أن يكون نظام الجلوس فى المقعد الأمامى كالتالى: أخى الصغير يجلس فيه ونحن ذاهبون لأى مكان، وفى العودة يجلس مكانه أخى الأوسط، وأنا متنازل لهما عن الجلوس فيه، فسرت الأم وفرحت بما فعله أبناؤها لكنها فوجئت بهم فى يوم من الأيام يتهامسون، فأحست أن هناك أمرًا يخفونه عنها فطلبت من أصغرهم أن يخبرها بما يحدث؟ فقال: إن أخى الأكبر يؤجر لنا المقعد الأمامى، ونحن ندفع له مبلغًا من المال كلما جلسنا فيه، وهذا ما اتفقنا عليه فيما بيننا.

(١) كيف تغير سلوك طفلك؟، ص٨١- ٨٥، نقلا عن: تعديل سلوك الأطفال، ص ١٥٨- ١٦٠، بتصرف.

الخطوات الست لمعاقبة اللعبة:

لمعاقبة اللعبة عدة خطوات ننصح باتباعها وهذه الخطوات هى:

١- عندما يسئ طفلك استعمال اللعبة التى بين يديه، عليك على الفور تنبيهه وتحذيره من التعريض لعقوبة مصادرة اللعبة فى حال استمراره فى إساءته.

٢- إذا لم يستجب للتعليمات فإن عليك أخذ هذه اللعبة منه ووضعها فى مكان الحجز، ثم أخبره بالمدة التى سيحرم خلالها من لعبته، والمدة تختلف باختلاف الموقف والطفل ونوع الخطأ.

٣- بعد حجز اللعبة، لا بأس أن تشرح لطفلك أسباب هذا الإجراء، ومن ثم ناقشه فى الخطأ وأسبابه واستمع جيدًا لوجهة نظره.

٤- يمكن فى بعض الحالات أن يقوم الطفل بوضع اللعبة فى مكان الحجز بنفسه، أو افعل هذا بنفسك، ثم اضبط المنبه على المدة الزمنية التى تبقى فيها اللعبة محجوبة عن الطفل، حتى إذا انتهت مدة الحجز عادت اللعبة إلى الطفل.

٥- بالنسبة للأطفال الذين هم فى سن الثانية أو الثالثة من العمر، ضع اللعبة بعيدًا عن متناول أيديهم، بحيث يمكنهم مشاهدتها، ومن ثم حدد مدة الحجز بدقيقتين إلى خمس دقائق.

٦- الأبناء فى عمر الرابعة وما فوق لا ضرورة لوضع اللعبة المحجوزة بعيدًا عن متناول أيديهم، وكل ما هنالك يمكنك الطلب منهم عدم مسها إلا بعد انتهاء فترة حجزها، والتى تختلف باختلاف الخطأ وعمر الطفل وملابسات المشكلة.

تعددت الأسباب والحجز واحد:

هناك العديد من الأخطاء التى يمكن علاجها بطريقة الحجز والمصادرة، والجدول التالى يظهر ذلك بوضوح:

المشكلة ونوع الخطأ	طريقة الحجز والمصادرة
• أختـان (١٠ سـنوات و١٣سـنة)، تخاصمتا حيال البرنامج التلفازى، فكل واحدة منهما ترغب بفتح التلفاز على قناة ترغب بمشاهدة برنامج مختلف، وفى هذا الموقف لم تستطع الأم أن تنتصر لأى واحدة منهما ولم تتفق الأختان على تسوية الأمر بينهما، وتكرر هذا الموقف أكثر من مرة.	• عمدت الوالدة إلى إقفال التليفزيون وحرمانهما من المشاهدة، وحددت ١٥ دقيقة على ساعة المنبة عقوبة لهما، وأنذرتهما أنها ستعاود مرة أخرى بحرمانهما من التلفاز إذا ما عادتا إلى التخاصم والشجار حول ما يشاهدون فيه.
• أحمد ولد عمره أربع سنوات، تكررت مخالفة تعليمات والدته بعدم ركوب دراجته فى وسط الشارع وفى خضم زحمة السيارات.	• حجز والده الدراجة وحرمه منها لمدة يوم كامل، وذلك حتى يتعلم كيف يحسن استخدامها.
• زهير وأمجد صديقان عمرهما أربع سنوات هددا بعضهما أكثر من مرة بالضرب بالمكعبات خلال تصاعد الشجار.	• والدة (أمجد) عمدت إلى حجز المكعبات وحرمانهما منها لمدة ٢٠ دقيقة، وفسرت الأسباب لصديقه، والذى اندهش من هذه المفاجأة.
• فاتن تكرارًا ومرارًا تمنع أخاها من استخدام الفيديو لمشاهدة شريط ألعاب يحبه.	• حجز الأب الفيديو لمدة ربع ساعة، وهدد بالعودة إلى هذا الإجراء إذا ما عادا للخصام.
• تعودت (ميس) رفع مستوى صوت الكاسيت لدرجة أنها ملأت المنزل ضوضاء وصخبًا.	• حجزت الأم الكاسيت لمدة عشر دقائق وهددت بالعودة إلى هذا الإجراء إذا ما تكرر ذلك.

العواقب المنطقية عقوبة تربوية

«فى بعض المواقف يمكن للوالدين أن يدعا الطفل يقطف ثمار سلوكه السيئ ويتحمل نتائجه، والهدف من ذلك أن تكون هذه النتائج المؤلمة رادعة له فلا يعود إلى ذلك السلوك ثانية، ولنوضح ما نهدف إليه من حديثنا سنطرح هذا المثال الذى قد يمر بأى والدين:

ليلى طفلة فى الخامسة من العمر، كانت تستعد للذهاب إلى بيت صديقتها لتلعب معها فى حديقة بيتها، وكان الطقس يميل إلى الدفء، إلا أنها أصرت على أن ترتدى جاكيت صوف تحب ألوانه وتصر على ارتدائه دائمًا فى فصل الشتاء، قالت لها أمها وهى تحاول إقناعها لكى تبدل رأيها: ستشعرين بالحر إذا ارتديت هذا الجاكيت، ردت ليلى بعناد: لا لن أشعر بالحر، أريد أن ألبس هذا الجاكيت، و بعد حوار طويل امتلأ بعناد البنت وشرح الأم لحالة الجو، انتهى الموقف بمزيد من إصرار البنت على ارتداء جاكيت الصوف، وهنا قالت الأم فى نفسها: لماذا لا أدعها ترتدى ما تريد، فسوف تشعر بالحر، وعند ذلك ستدرك خطأ عنادها، ويكون درسًا لها تتعلم منه كيف تختار ملابس مناسبة لحرارة الجو، وارتدت ليلى ما أرادت من ملابس لكنها سرعان ما شعرت بالحر عندما لعبت مع صديقتها فى الحديقة فذهبت إلى أمها تشكو قائلة: أمى أشعر بالحر ولا أستطيع أن أواصل بهذه الملابس، أجابت الأم:ألم أقل لك فى البيت إن الجاكيت لا يناسب طقس اليوم لكنك اخترته وعاندت فى اختيارك، والآن تحملى حرارة الجو إلى أن نعود إلى البيت، أجابت ليلى بتأفف: لكنى لا أستطيع اللعب هكذا، أشعر بحرارة شديدة، ردت الأم بحزم: وأنا لا أستطيع أن أعود إلى البيت الآن، انتظرى إلى أن يحين وقت عودتنا، لقد كان هذا اختيارك وعليك تحمل نتائجه، وجلست الابنة جانبًا تنتظر عودة أمها إلى المنزل لأنها لم تكن قادرة على مواصلة اللعب بسبب ما تشعر به من حرارة، لكنها تعلمت أن تستمع إلى نصيحة والدتها، وتختار الملابس المناسبة للطقس».[١]

---

(١) كيف تغير سلوك طفلك، ص٦٠- ٦٣، نقلاعن ابنى لا يكفى أن أحبك، ص٦٥-٧٠، بتصرف.

إن خير علاج لعناد الأبناء هو أن ندعهم يتحملون نتيجة عنادهم، وعندها سيتعلمون عمليًا ضرورة التفكير فى نصائح الآباء والأمهات، ووضعها فى موضع التنفيذ، والموقف التالى يزيد هذه المسألة وضوحًا، تقول إحدى الأمهات: «مر ابنى بفترة كان يرفض فيها ارتداء ملابسه للذهاب إلى روضة الأطفال، كنت ألبسه ملابسه فيخلعها عنه، أكرر نفس المسألة ويكرر نفس رد الفعل، و هكذا لم أكن أعرف من أين استقى هذا السلوك. لم يُجدِ معه أى شيء كان يتحكم فىَّ، ويفعل هذا دائمًا عندما أكون فى عجلة من أمرى وأريد أن اصطحبه للروضة وأسرع لعملى ثم اتضح لى شيئ ما، وقلت لنفسى: حسنًا، إذا لم يكن يريد أن يرتدى ملابسه فلا تدخلى معه فى معركة، خذيه للروضة عاريًا، وهذا ما فعلته بالضبط فعندما حاول ابنى فى المرة التالية أن يجرب حيلة الانهيار والبكاء، تفوقت عليه فى هذا وببساطة أخذته من يده ومشيت به إلى السيارة، ومعى حقيبة ملابسه، وهو عارٍ تمامًا، وركبنا السيارة واتجهنا نحو الروضة وهناك قلت له: مع السلامة يا بنى، أراك عندما أعود لأخذك للبيت، اخرج من السيارة الآن واستمتع بوقتك فى الروضة، ولم ينبس ببنت شفة.. ولم يفعل أى شيء ولم يفتح باب السيارة، فقلت له: لابد أن أسرع إلى عملى، وأنت أيضا يجب أن تذهب وإلا تأخرت، فما رأيت إلا وهو يغطس داخل حقيبة الملابس فى المقعد الخلفى، وهكذا بأسلوب تربية وتأديب يسمى النتائج المنطقية ثم حل المشكلة، وتحقق النصر، ولم يعد هناك رحلات بالسيارة داخلها طفل عار، وحققت الأم نصرًا جديدًا وهى تلقن ابنها درسًا جديدًا» (١).

وتحكى لنا أم أخرى تجربتها فتقول: أصابنى الملل من كثرة تكرار طلبى من ابنتى أن تظل بجوارى ونحن بالمتجر، كانت فى الثالثة من عمرها آنذاك، وكانت دائمة التمرد وغير مطيعة، لذلك قررت أخيرًا أن أجرب شيئًا آخر وهو أن أتركها تفعل ما تريد بدلاً من أن أظل أردد: «ابقى هنا، ابقى بالقرب مني»، أعتقد أنها الطريقة الوحيدة التى جعلتها تدرك لماذا أريدها دائمًا بالقرب منى، كل ما فعلته هو أننى تركتها تضل طريقها وتتوه عني، نعم فعلت ذلك، وإننى أرشح هذه الطريقة لكل الآباء والأمهات لأنها الطريقة الوحيدة التى تجدى فى مثل هذا الموقف فبعد أن

(١) كيف ينشئ الآباء الأكفاء أبناء عظامًا، ص١٤١، ١٤٢، بتصرف.

أخبرتها للمرة الأخيرة أن تظل بالقرب منى، تركتها تتوه لم تستغرق وقتًا طويلاً لتدرك أنها قد تاهت، كنت أراها لكنها لا ترانى، فجأة شعرت أن ماما غير موجودة فى أى مكان، ثم صراخ وعويل، ولكنى لم أسرع إليها فى الحال، تركتها تائهة وغارقة هكذا لعدة دقائق، ثم ذهبت إليها، ما كان علىّ إلا أن أقول: «أرأيت»[(١)].

علينا أن نترك أبناءنا يتحملون النتائج الطبيعية الناتجة عن مخالفتهم قانونًا من قوانين الكون أو المجتمع أو المدرسة، والقصة التالية تظهر ذلك بوضوح: تلقى الأب للمرة الأولى مكالمة هاتفية من مدير مدرسة ابنه، والذى لم يكن قد ارتكب أى مخالفات فى المدرسة من قبل، والتقى الأب بمدير المدرسة فى حضور الابن، وبعد حوار طويل قال مدير المدرسة: لو كان كل الآباء والأمهات بهذه الطريقة، كان عدد المشاكل التى أواجهها هنا قد انخفض كثيرًا وهنا سأل الابن: ماذا تقصد؟ فأجابه المدير قائلاً: لقد قال والدك أنه يمكننى أن أتخذ الأسلوب الذى أجده مناسبًا، وأن أفرض العقوبة الضرورية، هذا هو طراز الآباء الذى أحبه، فكثير من الآباء يرفضون التسليم بأن أبناءهم قد فعلوا أى خطأ ويحاولون حمايتهم» يقول الابن: وهنا ناولنى المدير واحدة من العصى المعروفة باسم عصا فيكتور (كان اسم المدير فيكتور مانسيني) وهذه العصا فى نهايتها مسمار، ومن يمسكها يعرف بأنه ينفذ عقوبة، وأعطانى صندوقًا وجعلنى أجمع الأوراق أثناء ساعة الغداء، وبالطبع جعلنى أفعل هذا فى منطقة مكشوفة حيث يجلس الجميع فيها لتناول الطعام، وفيها تشعر أنك مجرم ينفذ عقوبة، وكل أصدقائك يرونك هكذا، والأسوأ أن المعلمين والمدربين يرونك فى هذه الحالة، إنه وضع محرج تمامًا»[(٢)].

أيها الوالد الكريم، أيتها الأم الحنون

لا نستطيع ترك الأطفال يتحملون نتيجة أفعالهم فى كل الأحيان لأن هناك بعض الأنشطة التى قد تضرهم وتهدد حياتهم، لذلك يجب منعهم من ممارستها مهما كانت النتيجة، وهناك أنشطة أخرى يمكننا أن نترك الأبناء يمارسونها إن أرادوا بشرط أن نتركهم يتحملون نتيجة اختيارهم، وهذا فى حد ذاته يعتبر عقابًا وتربية عملية لهم، ولكى تعم

---

(١) المرجع السابق، ص١٤٨، بتصرف.
(٢) المرجع السابق، ص١٧٤، ١٧٥، بتصرف.

الفائدة نذكر هنا أنواع النشاطات السلوكية المنافية غير المرغوبـة التـى يسـمح للطفـل بممارستها ويتحمل نتائجها السلبية الرادعة[١] :

السلوك السيئ	النتائج الطبيعية
١- الإمساك بالقطة إمساكًا عنيفًا مؤذيًا لها.	١- التعرض لخربشتها المؤلمة.
٢- كسر اللعبة عن قصد وعمد.	٢- عدم التعويض له بلعبة جديدة.
٣- مكايدة أولاد الجيران.	٣- حرمانه من صحبتهم واللعب معهم.
٤- عدم إنجاز الواجبات المدرسية.	٤- التعرض لعقوبة المعلم.
٥- عدم ارتداء القفازات شتاء.	٥- التعرض للبرودة المؤلمة.
٦- عدم تمشيط الشعر.	٦- التعرض لاستهزاء الأصدقاء.
٧- الكسل عند الاستيقاظ صباحًا، والبطء فى الذهاب إلى المدرسة.	٧- التأخر عن المدرسة، والتعرض إلى ضرورة تبرير هذا التأخير، وربما يعاقب على ذلك فى المدرسة.
٨- دفع ورفس رفاقه ومن هم فى عمره.	٨- التعرض للسلوك نفسه من قبل رفاقه.
٩- يصب الماء الموجود فى الكأس بسفاهة وبلا اكتراث.	٩- لا يعطى بديله ولا يملأ كأسه.
١٠- يمسك بالكوب الساخن.	١٠- يتعرض للسع المؤلم.

(١) كيف تغير سلوك طفلك؟ ص٦٣، ٦٤، نقلا عن كيف تعالج متاعبك من سلوك ولدك، ص٨١.

الهجر التربوى والحبس الانفرادي

حكى لى أحد الآباء أنه غضب يومًا من ابنه البالغ من العمر عشر سنوات، وذلك لأنه كذب عليه أكثر من مرة، وقرر الأب أن يعاقبه بالهجر والمخاصمة، فقال له: أنا حزين جدًا أن أراك تكذب، وأنا ما ربيتك إلا على الصدق، ولقد حذرتك أكثر من مرة من الوقوع فى الكذب، لكنك خيبت ظني، لذلك سوف أمتنع عن الكلام معك اليوم من العصر وحتى صلاة العشاء، فاستغرب الابن مما قاله أبوه، إنها المرة الأولى التى يخاصمه فيها ويمتنع عن الحوار معه، وما كان منه إلا ان استسلم للعقاب الذى قرره أبوه، يقول الأب: لقد حدث ما كنت أتوقعه، لقد تأثر ابنى كثيرًا بهجرى له هذه المدة القصيرة، ففى البداية جلس بمفرده لا يكلم أحدًا، وبعد مرور ساعة تقريبًا بدأ يتحرك أمامى كثيرًا لعلى أكلمه، وأخذ يجلس أمامى ويسأل أمه عن الساعة وعما تبقى من الوقت على أذان المغرب، كل هذا وأنا أرغم نفسى إرغامًا على عدم الحديث معه أو التبسم فى وجهه، وصلينا المغرب، وجلس الابن الحزين ينتظر أذان العشاء، حتى يتكلم مع والده الحبيب وبعد دقائق قال لوالدته: لقد تأخر أذان العشاء اليوم عن كل يوم، وتأثرت كثيرًا بهذه الكلمات البريئة، وكدت احتضنه وأضمه إلى صدرى، لكننى تمالكت نفسى فى اللحظة الأخيرة، وأخيرًا حان موعد الأذان ليروى ظمأ الابن العطشان للكلام مع والده وانتهت فترة المقاطعة والخصام، وعاد جو الحب والوئام وتعلم الابن درسًا لن ينساه ولسان حاله يقول:

ما كنت أعرف مقدار حبكم   حتى هُجرتُ وبعض الهجر تأديب(١)

لقد تأثرت كثيرًا بهذا الموقف، وأدركت أن الهجر عقوبة قد تفيد أحيانًا فى علاج أخطاء الأبناء وتقويم اعوجاجهم، لكنها لا تنجح إلا إذا كان هناك حب حقيقى وحوار متواصل بين الآباء وأبنائهم، والسؤال الذى يطرح نفسه الآن: متى نستخدم عقوبة الهجر والمقاطعة مع أبنائنا؟ وكيف ننجح فى تفعيل هذه الوسيلة العقابية مع

(١) البداية والنهاية ١٢/ ٤١.

فلذات أكبادنا؟ ومن لم يعرف إجابة هذين السؤالين فلن ينجح فى عقاب أبنائه بالهجر والمقاطعة..

متى ستهجرنى يا أبي؟

من يتأمل فى القرآن والسنة وسير الصالحين، يجد أن هناك عدة شروط يجب أن تتوافر قبل استخدام عقوبة الهجر مع من يخطئ من أبنائنا وتلامذتنا، ومن هذه الشروط ما يلى:

أولاً: خطؤك كبير وهجرك أكيد:

خرج النبى ﷺ لغزوة تبوك ولم يخرج معه عدد من المسلمين، وبهذا ارتكبوا خطأ كبيرًا بتخلفهم عن داعى الجهاد فى سبيل الله، ولما عاد النبى ﷺ من الغزوة جاءه المخلفون ليعتذروا إلا ثلاثة منهم جاءوا ليعترفوا بين يدى النبى ﷺ أنهم لم يكن لهم عذر فى القعود عن الجهاد، يقول كعب بن مالك أحد الثلاثة الصادقين: نهى النبى ﷺ عن كلامى وكلام صاحبىَّ، ولم ينه عن كلام أحد من المتخلفين غيرنا، فاجتنب الناس كلامنا، فلبثت كذلك حتى طال علىَّ الأمر، وما من شيء أهم إلىَّ من أن أموت فلا يصلى على النبى ﷺ، أو يموت رسول الله ﷺ فأكون من الناس بتلك المنزلة فلا يكلمنى أحد منهم ولا يصلى علىَّ، وظل الحال هكذا خمسين ليلة إلى أن أنزل الله توبتنا على نبيه ﷺ، وذلك بقوله تعالى: ﴿**وَعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لاَّ مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلاَّ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**﴾ [التوبة: ١٨].

قال الإمام الطبرى رحمه الله: «قصة كعب بن مالك وصاحبيه أصل فى هجران أهل المعاصي»[1]، وقال ابن تيمية رحمه الله: الهجر على وجه التأديب هو هجر من يظهر المنكرات حتى يتوب منها، كما هجر النبى ﷺ والمسلمون الثلاثة

(١) فتح البارى ١٠/ ٤٩٧.

الذين خُلفوا، وذلك حين ظهر منهم ترك الجهاد المتعين عليهم بغير عذر، ودام الهجر حتى أنزل الله توبتهم، والهجر هنا بمنزلة التعزير الذى هو نوع من العقاب، والتعزير يكون لمن ظهر منه ترك الواجبات وفعل المحرمات؛ كتارك الصلاة والزكاة والمتظاهر بالمظالم والفواحش والداعى إلى البدع المخالفة للكتاب والسنة وعاق والديه، وإذا اجتمع فى الرجل الواحد خير وشر وفجور، وطاعة ومعصية، وسنة وبدعة، استحق من الجزاء والثواب بقدر ما فيه من الخير، واستحق من الهجر والعقاب بحسب ما فيه من الشر، فيجتمع فى الشخص الواحد موجبات الإكرام والإهانة، فيجتمع له من هذا وهذا، كاللص الفقير الذى تقطع يده لسرقته، ويعطى من بيت المال ما يكفيه لحاجته»[(١)].

ثانيًا: فعلوها مرتين فتولى عنهم أبوهم:

استخدم سيدنا يعقوب عليه السلام سلاح الهجر مع أبنائه عندما ارتكبوا ما يستحق المقاطعة، ولم يهجرهم عند ارتكاب الخطأ فى المرة الأولى، بل هجرهم لما ارتكبوا نفس الخطأ للمرة الثانية، فعندما جاءوا أباهم عشاء يبكون وزعموا أن يوسف أكله الذئب وهم يلعبون، عاتبهم أبوهم ووبخهم بقوله: بل سولت لكم أنفسكم أمرًا فصبر جميل، ومع مرور الأيام ذهبوا إلى مصر وقابلوا أخاهم يوسف عزيز مصر وهم لا يشعرون، ودبر يوسف عليه السلام حيلة ليستبقى أخاه عنده ويجلسه معه، ونجحت الحيلة، وعادت الأبناء للمرة الثانية بدون أخيهم، وهنا قرر النبى الكريم والأب الحكيم أن يعاقبهم بالهجر والخصام، فتولى عنهم وأعرض عن محاورتهم، وجلس الأب الحانى وحده وتذكر مصابه الأول فى ابنه يوسف قبل سنين، فبكى من فرط الحزن والألم، ولما حاول أبناؤه استرضاءه وأظهروا خوفهم عليه من كثرة البكاء، كان جوابه: إنما أشكو بثى وحزنى إلى الله، وقطع خصامه لهم وطلب منهم أن يذهبوا للبحث عن يوسف وأخيه ولا ييأسوا من رحمة الله.

(١) مجموع الفتاوى ٢٨/ ٢٠٣-٢٠٩ بتصرف.

التوبيخ على الخطأ فى المرة الأولى	استخدام الهجر لما تكرر الخطأ
قال تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ ۞ وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ ۞ قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ۞ وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ۞ وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلاَمٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ [يوسف: ١٥- ١٩]	قال تعالى: ﴿ارْجِعُوا إِلَى أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلاَّ بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ ۞ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ۞ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ۞ وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَا عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ۞ قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ ۞ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ۞ يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلاَ تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨١- ٨٧]

ثالثًا: بعد التعريف والنصح اللطيف:

قال الإمام النووى: «المسلم يعظ المخطئ بما يناسبه بالرفق، ويستر عليه، وينهاه برفق، فإن أفاد فبه، وإلا فيهجره قاصدًا تأديبه على ذلك مع إعلامه بالسبب ليكف عن خطئه»(١). وهذا الكلام معناه أننا لا نعاقب أبناءنا وتلامذتنا بالهجر إلا بعد نصحهم برفق ولين، وتعريفهم بأن ما يفعلونه مناف للصواب، ويؤكد ذلك ما رواه البخارى ومسلم عن عبد الله بن مغفل ﷺ أنه رأى رجلاً (وفى رواية قريبًا له)

(١) فتح البارى ١٠/ ٤٤٢، وسبل السلام ٤/ ١٦٦ (بتصرف).

يخذف[١] فقال له: لا تخذف، فإن رسول الله ﷺ نهى عن الخذف، أو كان يكره الخذف، وقال: «**إنه لا يصاد به صيد، ولا ينكأ به عدو، ولكنها قد تكسر السن وتفقأ العين**» ثم رآه بعد ذلك يخذف فقال له: أحدثك عن رسول الله ﷺ أنه نهى عن الخذف أو كره الخذف وأنت تخذف، لا أكلمك كذا وكذا (يعنى مدة من الزمن)، وفى رواية مسلم: لا أكلمك أبدًا، وفى رواية الدارمى: ألا أرانى أحدثك عن رسول الله ﷺ ثم تهاون به، لا أكلمك أبدًا»[٢]، فالصحابى الجليل رأى قريبًا له يفعل ما نهى الرسول ﷺ عنه، فوعظه برفق ولين، لكنه رآه يكرر نفس الخطأ الذى نهاه عنه، فقرر أن يستخدم معه عقوبة الهجر، لعله يتراجع عن خطئه ويتوب من ذنبه.

رابعًا: ناسبه الخصام فاختفى الكلام:

قال ابن تيمية رحمة الله: يختلف حكم الهجر باختلاف حال المخطئ، فإن كانت المصلحة فى تلك راجحة بحيث يفضى هجره إلى ضعف الشر، كان مشروعًا، وإن كان لا المهجور ولا غيره يرتدع بذلك، بل يزيد الشر بحيث يكون مفسدة ذلك راجحة على مصلحته، لم يشرع الهجر، بل يكون التأليف لبعض الناس أنفع من الهجر، والهجر لبعض الناس أنفع من التأليف، ولهذا كان النبى يتألف قومًا ويهجر آخرين، كما أن المشروع فى العدو القتال تارة والمهادنة تارة وأخذ الجزية تارة، كل ذلك بحسب الأحوال والمصالح».. [٣] ومن هنا علينا أن نسأل أنفسنا، قبل معاقبة المخطئين من أبنائنا وبناتنا: هل يناسبهم الهجر؟ وهل نتوقع بمشيئة الله، أن يؤثر فيهم ويصلح عيوبهم؟ وإن كانت الإجابة بنعم كان الهجر فى هذه الحالة مفيدًا وضروريًا، فلنطبقه والله المستعان، «ولا نزيد فى الكمية والكيفية على المخطئ فنهلكه، إذ المراد تأديبه لا إتلافه»[٤].

---

(١) «الخذف: رميك بحصاة أو نواة تأخذها بين السبابة والإبهام، أوتجعل مخذفة من خشب ترمى بها بين الإبهام والسبابة، وقالوا: الخذف هو الرمى بالحصى الصغار بأطراف الأصابع» (لسان العرب ٩/ ٦١)، بتصرف.

(٢) صحيح البخارى ٥/ ٢٠٨٨، صحيح مسلم ٣/ ١٥٤٨، سنن الدارمى ١/ ١٢٨.

(٣) مجموع الفتاوى ٢٨/ ٢٠٦ بتصرف.

(٤) زاد المعاد ٣/ ٥٧٣.

خامسًا: عذرك مقبول وهجرك مرفوض:

روى البخارى عن على بن أبى طالب ﷺ قال: بعثنى رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد قال: «**انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ** (منطقة بين مكة والمدينة وهى قرب المدينة) **فإن بها ظعينة** (امرأة مسافرة من المدينة إلى مكة) **ومعها كتاب فخذوه منها**»، فانطلقنا تعادى بنا خيلنا حتى انتهينا إلى الروضة، فإذا نحن بالظعينة فقلنا: أخرجى الكتاب، فقالت: ما معى من كتاب، فقلنا: لتخرجن الكتاب أو لنلقين الثياب فأخرجته من عقاصها (ضفيرة شعرها) فأتينا به رسول الله ﷺ، فإذا فيه: من حاطب بن أبى بلتعة إلى أناس من المشركين من أهل مكة يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ (كتب لهم أن النبى ﷺ يريد أن يغزو مكة فخذوا حذركم) فقال رسول الله ﷺ: «**يا حاطب، ما هذا؟**» قال: يا رسول الله، لا تعجل علىَّ، إنى كنت امرأ ملصقًا فى قريش (كان من أهل اليمن وكان حليفًا للزبير) ولم أكن من أنفسها، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة يحمون بها أهليهم وأموالهم، (وفى رواية: ولكنى كنت امرأ وكان لى بنون وإخوة بمكة فكتبت لعلى أدفع عنهم، وليس من أصحابك أحد إلا له هنالك من قومه من يدفع الله به عن أهله وماله) فأحببت إذ فاتنى ذلك من النسب فيهم أن أتخذ عندهم يدًا يحمون بها قرابتى، وما فعلت كفرًا ولا ارتدادًا ولا رضًا بالكفر بعد الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «**لقد صدقكم** -وفى رواية: **صدق فلا تقولوا له إلا خيرًا**» قال عمر: يا رسول الله دعنى أضرب عنق هذا المنافق، قال ﷺ: «**إنه قد شهد بدرًا، وما يدريك لعل الله أن يكون قد اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم**»[(١)] قال الإمام ابن حجر العسقلانى: «وإنما لم يعاقب النبى ﷺ حاطبًا ولا هجره لأنه قبل عذره فى إنه إنما كاتب قريشًا خشية على أهله وولده، وأراد أن يتخذ له عندهم يدًا، فعذره بخلاف تخلف كعب وصاحبيه، فإنهم لم يكن لهم عذر أصلاً»[(٢)]

---

(١) صحيح البخارى ٣/ ١٠٥٩ و ٥/ ٢٣٠٩.

(٢) فتح البارى ٨/ ١٢٠.

كيف يهجر الحبيب حبيبه؟

بعد أن تعرفنا على الوقت المناسب لتطبيق عقوبة الهجر والخصام حان الوقت لنعرف أفضل الطرق لتطبيق هذه العقوبة مع أبنائنا وتلامذتنا، وقد يقول البعض: إن الأمر لا يحتاج إلى مزيد كلام، فالخصام يعرفه الجميع ويمارسه الصغير والكبير، ونحن بدورنا سنقول لهم: على رسلكم، فالهجر فى الإسلام أنواع ودرجات، وله كثير من الأهداف والمواصفات، وفيما يلى تجدون الدليل والبرهان:

أولاً: إعراض التنبيه:

روى البخارى عن أبى هريرة ﷺ قال: بينما النبى ﷺ فى مجلس يحدث القوم، جاءه أعرابى فقال: متى الساعة، فمضى رسول الله ﷺ يحدث، فقال بعض القوم: سمع ما قال، فكره ما قال، وقال بعضهم: بل لم يسمع، حتى إذا قضى ﷺ حديثه قال: «**أين السائل عن الساعة؟** قال: ها أنا يا رسول الله، قال: **إذا ضُيعت الأمانة فانتظر الساعة**، قال: كيف إضاعتها؟ قال ﷺ: **إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة**»[1]، «فى الموقف السابق نرى أدب العالم ورفقه بمن يتعلم منه، فالنبى ﷺ ترك زجر السائل، وأدبه بالإعراض عنه أولاً حتى استوفى ما كان فيه، والإعراض درجة من درجات الهجر، لكنه هجر للحظات بهدف تنبيه المخطئ لما ارتكبه من خطأ، ولما تحقق هذا الهدف مع الأعرابى الذى قطع حديث النبى ﷺ وشعر بخطئه، رجع الرسول الكريم إلى جوابه فرفق به وأجابه عن سؤاله، وفى الموقف نفسه نجد عناية النبى ﷺ بجواب سؤال السائل ولو سأله بطريقة غير مهذبة»[2].

إن الإعراض عن المخطئ للحظات حتى ينتبه إلى خطئه عقوبة رقيقة تناسب العديد من الأخطاء التى قد يرتكبها أبناؤنا وتلامذتنا، فعندما يقاطعك تلميذ وأنت تشرح الدرس أو يتدخل فى حوار بينك وبين أحد أصدقائك دون استئذان، فيستحسن أن تعرض عنه للحظات ثم تجيبه عن سؤاله أو تعلق على كلامه، ومن

---

(١) صحيح البخارى ١/ ٣٣

(٢) فتح البارى ١/ ١٤٢، بتصرف.

أجمل المواقف التى تستخدم فيها عقوبة الإعراض عند سماع خطبة الجمعة حيث أمر رسول الله ﷺ بالإنصات عند الخطبة وجعل حكمها فى ذلك كحكم الصلاة وجعل الكلام فيها لغوًا، فالكلام فى هذه الحال يبطل صلاتنا ويضعف أجرنا، لذلك إن كلمك أحد فأعرض عنه ثم قل له سبب إعراضك بعد الصلاة، وهذا بالضبط هو ما فعله الصحابى الجليل أبى بن كعب ﷺ ولم ينكر عليه رسول الله ﷺ، فقد روى ابن حبان وابن ماجه وأبو يعلى وابن خزيمة (واللفظ له) عن أبى ذر ﷺ قال: دخلت المسجد يوم الجمعة والنبى ﷺ يخطب فجلست قريبًا من أبى بن كعب، فقرأ النبى ﷺ سورة براءة، فقلت لأبى: متى نزلت هذه السورة؟ قال: فتجهمنى ولم يكلمنى (وفى رواية:فأشار إليه أن اسكت، وفى رواية فلم يرد عليه) ثم مكثت ساعة (بعض الوقت) ثم سألته فتجهمنى ولم يكلمنى، ثم مكثت ساعة (بعض الوقت) ثم سألته فتجهمنى ولم يكلمنى، فلما صلى النبى ﷺ قلت لأبى: سألتك فتجهمتنى ولم تكلمنى، قال أبى: مالك من صلاتك إلا ما لغوت، فذهبت إلى النبى ﷺ فقلت: يا نبى الله، كنت بجنب أبى وأنت تقرأ براءة فسألته: متى نزلت هذه السورة، فتجهمنى ولم يكلمنى، ثم قال: مالك من صلاتك إلا ما لغوت، قال النبى ﷺ **«صدق أبى»**(١).

ثانيًا: إعراض التغيير:

من أنواع الهجر أن تعرض عن صاحب الخطأ ولا تكلمه حتى يصلح ما أفسد ويغير ما فعل، ولقد استخدم معلمنا الكريم ﷺ هذا النوع من الهجر مع بعض المخطئين من صحابته الكرام، فقد روى أبو داود وأبو يعلى عن أنس بن مالك ﷺ أن رسول الله ﷺ خرج فرأى قبة مشرفة، فقال: **«ما هذه؟** قال له أصحابه: هذه لفلان رجل من الأنصار، قال أنس: فسكت ﷺ وحملها فى نفسه، حتى إذا جاء صاحبها رسول الله ﷺ يسلم عليه فى الناس (يعنى: فى وجود الناس أو مع الناس) أعرض عنه ﷺ، صنع ذلك مرارًا حتى عرف الرجل الغضب فيه والإعراض عنه فشكا ذلك إلى أصحابه فقال: والله إنى لأنكر رسول الله ﷺ، قالوا: خرج فرأى قبتك، قال أنس:

(١) صحيح ابن خزيمة ٣/ ١٥٤، وصحيح ابن حبان ٧/ ٣٤، وسنن ابن ماجه ١/ ٣٥٢، ومسند أبى يعلى ٣/ ٣٣٥، وقوله: فتجهمنى معناه قطب وجهه وعبس ونظر إلى نظر المغضب المنكر.

فرجع الرجل إلى قبته فهدمها حتى سواها بالأرض فخرج رسول الله ﷺ ذات يوم فلم يرها، قال: **ما فعلت القبة؟** قالوا: شكا إلينا صاحبها إعراضك عنه فأخبرناه فهدمها، فقال ﷺ: **أما إن كل بناء وبال على صاحبه إلا ما لا** (يعني ما لا بد منه))»[(١)].

وروى النسائي وأحمد (واللفظ له) عن أبي سعيد الخدري ﷺ أن رجلا قدم من نجران إلى رسول الله ﷺ وعليه خاتم ذهب فأعرض عنه رسول الله ﷺ ولم يسأله عن شيء فرجع الرجل إلى امرأته فحدثها، فقالت: إن لك لشأنًا، فارجع إلى رسول الله ﷺ، فرجع إليه فألقى خاتمه وجبة كانت عليه، فلما استأذن أذن له، وسلم على رسول الله ﷺ فرد عليه السلام، فقال: يا رسول الله أعرضت عني قبل حين جئتك، فقال رسول الله ﷺ: «**إنك جئتني وفي يدك جمرة من نار**، فقال الرجل: يا رسول الله اعذرني في أصحابك لا يظنون أنك سخطت على بشيء، فقام رسول الله ﷺ فعذره وأخبر أن الذي كان منه إنما كان»[(٢)].

ثالثًا: هجر الاسم خصام رقيق:

من تعود من الآباء أن ينادي ابنه باسم دلع، فإن ترك المناداة بهذا الاسم يكون نوعًا من الهجر الرقيق، ومن لم يناد ابنه باسمه ويناديه بقوله: يا ولد، فهذا يعد نوعًا من الهجر، بشرط أن ينتبه الأبناء إلى ما نناديهم به ويعلمون متى نكون غضبانين منهم، ويمكننا أن نرسي مع أبنائنا قاعدة تقول: إذا كنت سعيدًا منك سأناديك باسم الدلع، وإذا كان الأمر عاديًا سأناديك باسمك فقط، أما إذا كنت غضبان فسوف أهجر اسمك واسم الدلع وأناديك بقولي: يا ولد، وهنا عليك أن تنتبه إلى أن هناك خطأ قد وقعت فيه، وهذا المعنى نجده واضحًا جدًا فيما رواه البخاري عن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: **إني لأعرف غضبك ورضاك**، قالت: قلت: وكيف تعرف ذاك يا رسول الله؟ قال: **إنك إذا كنت راضية قلت: بلى ورب محمد، وإذا كنت ساخطة قلت: لا ورب إبراهيم**، قالت: قلت: أجل، لست أهاجر إلا اسمك، وفي رواية: ما أهجر إلا اسمك»[(٣)].

---

(١) سنن أبي داود ٤/ ٣٦٠، ومسند أبي يعلى ٧/ ٣٠٩.
(٢) مسند أحمد ٣/ ١٤، والسنن الكبرى ٥/ ٤٤٨، المجتبى ٨/ ١٧٠.
(٣) صحيح البخاري ٥/ ٢٢٥٧.

رابعًا: خطأ كبير وهجر جميل:

قال تعالى مخاطبًا حبيبه ﷺ: ﴿وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلاً﴾ [المزمل: ١٠] ولقد سئل شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- عن معنى الهجر الجميل فقال: «ذكر الله فى القرآن الكريم الصبر الجميل والصفح الجميل والهجر الجميل، فالصبر الجميل الذى لا شكوى معه إلى مخلوق، والهجر الجميل الذى لا أذى معه، والصفح الجميل الذى لا عتاب معه»(١)، ومن هنا قال ابن القيم رحمه الله:

واهجر ولو كل الورى فى ذاته ... لا فى هواك ونخوة الشيطان
واصبر بغير تسخط وشكاية ... واصفح بغير عتاب من هو جان
واهجرهم الهجر الجميل بلا أذى ... إن لم يكن بد من الهجران(٢)

إن الهجر الجميل هو أفضل أنواع الهجر، ولكى يكون هجرنا للمخطئين من أبنائنا جميلاً، علينا ألا نؤذيهم بشتم أو ضرب أو تقبيح، كما ينبغى علينا أن نجعل مدة الهجر مناسبة للخطأ الذى ارتكبوه، وفى نفس الوقت مناسبة لعمر من ارتكب الخطأ، ولنحذر من هجر المخطئ لفترة طويلة عن اللازم، مهما كان حجم الخطأ الذى ارتكبه أبناؤنا وتلامذتنا، فأبناؤنا لن يجدوا قلوبًا حانية كقلوبنا، مهما كثر حولهم الأصدقاء والمحبون، وصدق الشاعر عندما قال:

وكنت بهجره ميتًا دفينًا ... فأحيانى التواصل والتلاقي(٣)

«ولقد غضب معاوية بن أبى سفيان ﷺ على ابنه يزيد فهجره، فقال له التابعى الجليل الأحنف بن قيس: يا أمير المؤمنين، إنما هم أولادنا، ثمار قلوبنا، وعماد ظهورنا، ونحن لهم سماء ظليلة وأرض ذليلة، إن غضبوا فأرضهم، وإن طلبوا فأعطهم، ولا تكن عليهم ثقلاً فيملوا حياتك ويتمنوا موتك، فقال معاوية: لله درك يا

---

(١) شرح قصيدة ابن القيم ١/ ١٣٠، مدارج السالكين ٢/ ١٦٠، ومجموع الفتاوى ١٠/ ٦٦٦، ١٨٣.
(٢) شرح قصيدة ابن القيم ١/ ١٢٩.
(٣) الوافى بالوفيات ٢٧/ ١٣٣.

أبا بحر، يا غلام ائت يزيد فأقرئه منى السلام، وقل له: إن أمير المؤمنين قد عفا عنك وأمر لك بهدية، فقال يزيد لما بلغه الخبر: من عند أمير المؤمنين؟ فقيل له: الأحنف، فقال يزيد: لا جرم، لأقاسمنه فيما أهدانى به أبي».[1]

خامسًا: Time out وليس حبسًا إنفراديًا:

إن مصطلح (time out) هو نوع من العقاب بالهجر ويقصد منه عزل مؤقت للطفل ودعوته للاختلاء بنفسه بعيدًا عن المؤثرات المحببة إليه من أصدقاء أو وسائل ترفيه أو ألعاب وما إلى ذلك، والهدف منه تعليم الطفل أنه عندما يختار أن يسيء التصرف ويضايق الآخرين فإنه يستحق أن يقضى بمفرده فترة من الوقت، وفى هذه الخلوة نتركه يفكر فى حجم الخطأ الذى قام به، وكيف يستطيع إصلاحه أو اجتنابه فيما بعد، لكن يجب الانتباه إلى أن الـ time out لا يقصد منه عزل الطفل عن الآخرين لفترة طويلة، ولا يقصد منه وضع الطفل فى غرفة مظلمة، كما لا يهدف إلى تخويف الطفل ولا إلى تهديده بفقد حب وحماية الوالدين، إنه مجرد تكتيك لتعليم الطفل أنه عندما يختار أن يخترق التعليمات فإن عليه أن يجلس لوحده هادئًا لفترة من الوقت.

متى نستخدم الـ Time out؟

يتم استخدامه عندما يخترق الطفل تعليمات الوالدين أو عند قيامه بسلوك غير مقبول تمامًا، مثال على ذلك: كأن يقوم عمدًا بكسر طبق طعامه، أو يقذف ألعابه فى أرجاء المنزل ويتجاهل طلب والديه للتوقف عن ذلك، أو يضرب الآخرين ويشد شعر أخواته... إلخ، ولا تستخدمى هذا النوع من العقاب عندما لا يكون تصرف طفلك سيئًا للغاية، أو عندما يكون الإزعاج الصادر منه يقصد به المرح وليس الإيذاء، أو عند وقوع حوادث طبيعية كأن يصطدم الطفل بطاولة الطعام فيقع الطبق وينكسر.. إلخ.

---

(١) البداية والنهاية ٨/ ٢٢٨، وتاريخ مدينة دمشق ٦٥/ ٤٠٢، بتصرف.

قبل استخدام الـ Time out:

١- تأكدى من فهم وإدراك طفلك الهدف من هذا العقاب، وأنه بديل عن العقاب بالضرب، وقبل استخدامه تأكدى أن طفلك يفهمك عندما تقولين له: time out.

٢- قومى بتشريع تعليمات ووضع قوانين باختراقها يستحق المخطئ الـ time out لتطلقى على هذه القواعد تعليمات العائلة، وعلى جميع أفراد العائلة معرفتها واتباعها، ومن هذه التعليمات: الصلاة لا يتأخر أداؤها، تنظيف الحجرة، ضرورة غسل الأسنان قبل النوم، لا للشجار بين الأخوة، وإذا أخطأ أحدهم فى حق الآخر يرفع شكوى لوالديه.

٣- اختارى موقعًا مناسبًا لتطبيق العقاب، المكان يجب أن لا يحتوى على ألعاب أو أشياء تشد الانتباه، إرسال الطفل إلى غرفته ليس بالطبع المكان المناسب لقضاء فترة العقاب، لا تقومى أبدًا بوضع طفلك فى الغرفة وإغلاق الباب عليه، أو وضعه فى غرفة مظلمة أو غرفة غير جيدة التهوية.

٤- أوضحى لطفلك كم سيستغرق عقابه، الوقت الذى يقضيه الطفل يجب أن يكون مناسبًا لعمره وحجم سلوكه، التصرفات الأقل سوءًا غالبًا تستحق دقيقة إلى دقيقتين بينما الأكثر سوءًا تستحق ٣ إلى ٧ دقائق، غالبا ما تكون فترة العقاب القصيرة (١-٧دقائق) أكثر تأثيرًا من إطالة المدة (١٥-٣٠دقيقة) وهناك رأى يقول بأن تحدد الفترة التى يتم فيها عزل الطفل بدقيقة مقابل كل سنة من العمر، وبحد أقصى ٥ دقائق لكل سنة، وإذا غادر المكان يعاد إليه ويعاد حساب المدة.

كيف يتم استخدام الـ time out؟

١- قومى بتحذير الطفل فى البداية أن تصرفه غير مقبول، وإذا استمر به سيستحق الـ time out، وإذا استمر التصرف غير المقبول أصدرى أمرك إلى الطفل للتوجه إلى منطقة العقاب، وذلك بقولك للمخطئ: هيا إلى الـ time out.

٢- تجاه كل ما يصدر من طفلك من تعليقات أو وعود بعدم تكرار الفعل مرة أخرى، كونى حازمة فى تنفيذ العقاب.

٣- وضحى لطفلك الفترة الزمنية التى عليه أن يبقى فيها معاقبًا.

٤- ذكرى طفلك أن وقت الـ time out لن يبدأ حتى يلتزم بالهدوء.

٥- عند انتهاء فترة العقاب اجلسى مع طفلك ووجهيه إلى السلوك السليم، واسأليه عما فكر فيه أثناء فترة العزل.

٦- هذا العقاب ينفع ويؤثر أكثر فى الأطفال فى سن ما قبل المدرسة وحتى ١١ سنة، لذلك لا ينصح باستخدامه مع مرحلة المراهقة[١].

أيها الوالد الكريم، أيتها الأم الحنون

تذكروا دائمًا أن الـ time out يكون أكثر تأثيرًا عندما يكون الوقت الذى يقضيه الطفل قبل العقاب وبعده ذا جدوى ومعنى، لذا نحرص على صنع علاقات حميمة وأوقات سعيدة مع أبنائنا حتى نشعرهم بقيمة ذلك أثناء فترة العقاب، ولنحذر من عقاب الأبناء بالحبس الانفرادى، ومن الغريب أنه ما زالت هذه الطريقة تستخدم فى بعض الأسر، والتى تتمثل فى حبس الطفل فى غرفة غالبًا ما تكون مظلمة أو حبسه فى الحمام لساعات طويلة، ولأنه لا توجد أية علاقة بين سلوك الطفل الخاطئ وهذا النوع من العقاب، فإن الطفل يشعر بكراهية وضيق شديد تجاه من يعاقبونه بمثل هذا العقاب، ولهذا فإن هذا الأسلوب من العقاب ليس له قيمة تربوية على الإطلاق، بل غالبا ما تنتج عنه مشكلات نفسية كالخوف من الظلام أو الذعر من أمور لم تكن فى الحسبان ، ومن ثم التجرد من الشجاعة والإقدام فضلا عن كوابيس النوم التى قد يتعرض لها بين الحين والآخر، ولقد حكت إحدى الأمهات أن زوجها حبس ابنهما الصغير الذى يبلغ من العمر ٧سنوات فى قبو البناية، ودلى من

(١) مجلة ولدى العدد (٢) يناير ١٩٩٩، ص٥٦، والعدد (٦٦) مايو ٢٠٠٤، ص٣٤، بتصرف.

الشباك لعبة مربوطة بخيط فوق رأسه، حتـى بـات الطفـل يصـرخ فزعًـا، ولم أسـتطع استنباط الحكمة من تصرف كهذا» [١] .

وبعد الهجر غفران وحب:

روى البخارى عن عوف بن مالك وهو بن أخى السيدة عائشة لأمها: أن عائشـة رضى الله عنها حدثت أن عبد الله بن الزبير قال فى بيع أو عطاء أعطته عائشـة: والله لتنتهين عائشة أو لأحجرن عليها، فقالت: أهو قال هذا؟ قالوا: نعـم، قالـت: هـو لله علىَّ نذر أن لا أكلم ابن الزبير أبدًا، فاستشفع ابن الزبير إليهـا حـين طالـت الهجـرة، فقالت: لا والله لا أشفع فيه أبدًا ولا أحنث إلى نـذري، فلمـا طـال ذلـك علـى ابـن الزبير، كلم المسور بن مخرمة وعبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغـوث وهمـا مـن بنـى زهرة (أخوال النبى ﷺ) وقال لهما: أنشدكما بالله لما أدخلتمانى على عائشة، فإنها لا يحل لها أن تنذر قطيعتى، فأقبل بـه المسـور وعبـد الـرحمن مشـتملين بأرديتهمـا حتـى استأذنا على عائشة فقالا: السلام عليك ورحمة الله وبركاتـه أنـدخل؟ قالـت: عائشـة ادخلوا، قالوا: كلنا؟ قالت: نعم ادخلوا كلكم، ولا تعلم أن فى الوقوف ابـن الـزبير، فلما دخلوا، دخل ابن الزبير الحجاب، فاعتنق عائشة، وطفق يناشدها ويبكـى، طفـق المسور وعبد الرحمن يناشدانها إلا كلمته وقبلت منه، ويقولان: إن النبى ﷺ نهى عما قد علمت من الهجرة، فإنه لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال، فلما أكثـروا على عائشة من التذكرة والتحريج، طفقت تذكرهما وتبكى وتقول: إنى نذرت والنذر شديد، فلم يزالا بها حتى كلمت ابن الزبير، وأعتقت فى نذرها ذلـك أربعـين رقبـة، وكانت تذكر نذرها بعد ذلك فتبكى حتى تبل دموعها خمارها[٢] .

لقد كانت السيدة عائشة رضى الله عنها لا تمسك شيئًا من مالها، فما جاءهـا مـن رزق الله تصدقت به، وفى يوم من الأيام باعت دارًا لهـا وتصـدقت بثمنهـا، فغضـب عبد الله بن الزبير من هذا الفعل، وقال: أما والله لتنـتهين عائشـة عـن بيـع دارهـا أو

---

(١) http://www.mooga.com/baby/news_details.asp والعنف ضد الأطفال د. ميَّة الرحبي.
http://www.arraee.com/arraee_ewbsite/soc_caltcher/artica104072003-2.htm

(٢) صحيح البخارى ٥/ ٢٢٥٥- ٢٢٥٧.

لأحجرن عليها، فبلغ ذلك السيدة عائشة ولما تأكدت أنه قال ذلك حزنت كثيرًا لأنه ابن أختها وهى التى ربته فهى له بمثابة الأم، وقالت: لله على نذر أن لا أكلم ابن الزبير أبدًا حتى يفرق الموت بينى وبينه، لقد رأت السيدة عائشة رضى الله عنها أن ابن الزبير ارتكب بما قال أمرًا عظيمًا، وهو قوله: لأحجرن عليها، فإن فيه تنقيصًا لقدرها، ونسبة لها إلى ارتكاب ما لا يجوز من التبذير الموجب لمنعها من التصرف فيما رزقها الله تعالى، مع كونها أم المؤمنين وخالته أخت أمه، ولم يكن أحد عندها فى منزلته، فكأنها رأت أن فى ذلك الذى وقع منه نوع عقوق، والشخص يستعظم ممن يحبه ما لا يستعظمه من الغريب، فرأت أن مجازاته على ذلك بترك مكالمته، كما نهى النبى ﷺ عن كلام كعب بن مالك وصاحبيه عقوبة لهم لتخلفهم عن غزوة تبوك بغير عذر، وطالت هجرتها إياه فنقصه الله بذلك فى أمره كله، وتحولت حياته إلى شيء لا يطاق، فأرسل إليها المهاجرين ليشفعوا له عندها، فلم تقبل وقالت: والله لا أشفع فيه ولا أحنث فى نذرى، فلما طال على ابن الزبير الخصام ذهب إلى المسور بن مخرمة وعبد الرحمن بن الأسود وهم من بنى زهرة أخوال النبى ﷺ لعلها ترضى بتوسطهما إكرامًا للنبى ﷺ وقال لهما: اشفعا لى عندها، لأنه لا يحل لها أن تنذر قطيعتي، لأنه كان ابن أختها وهى التى كانت تتولى تربيته غالبًا، ففعلا حيلة تمكنه من الدخول عليها ومصالحتها، إذ كانت السيدة عائشة لا تأذن لأحد من الرجال أن يدخل عليها إلا بإذن، ومن دخل كان بينه وبينها حجاب إلا إن كان ذا محرم منها، ومع ذلك لا يدخل عليها حجابها إلا بإذنها، وكانت فى تلك المدة منعت ابن الزبير من الدخول عليها، فذهبا إليها وهما يخفيان عبد الله تحت عباءتهما حتى استأذنا على عائشة فقالا: السلام عليك ورحمة الله وبركاته أندخل؟ قالت عائشة: ادخلوا، قالوا: كلنا؟ قالت: نعم، ادخلوا كلكم، ولا تعلم أن معهما ابن الزبير، فلما دخلوا دخل ابن الزبير الحجاب، واحتضن خالته وأخذ يبكى ويعتذر لها، وفى نفس الوقت كان الرجلان الوسيطان يذكرانها بحرمة الهجران، فلما أكثروا على عائشة من التذكير بما جاء فى فضل صلة الرحم والعفو وكظم الغيظ كلمت ابن الزبير، لقد كلمته بعد ما خشى أن لا تكلمه، وقبلت منه بعد أن كادت أن لا تقبل منه، ولأنها كلمته فقد حنثت فى

نذرها، فوجب عليها التكفير، فأرسل إليها ابن الزبير بعشر رقاب لتعتقها كفارة، فبعثت إلى اليمن بمال فابتيع لها به ثلاثون رقبة، وأتمت أربعين رقبة فأعتقتها كفارة لنذرها[1].

إن الهجر والخصام بين الأقارب خطير جدًا، لذلك يجب ألا نتوسع فيه إلا لضرورة، لأن الهجر بين الأقارب قد يدخل فيه قطيعة الرحم، وإلى هذا أشار ابن الزبير فى قوله: فإنه لا يحل لها قطيعتى أى إن كانت هجرتنى عقوبة على ذنبى، فليكن لذلك أمد ومدة محددة، وإلا فذلك يفضى إلى قطيعة الرحم، وقد كانت عائشة علمت بذلك، لكنها تعارض عندها هذا والنذر الذى ألزمت نفسها به، فلما وقع من اعتذار ابن الزبير واستشفاعه ما وقع، رجح عندها ترك الإعراض عنه، ثم احتاجت إلى التكفير عن نذرها بالعتق الذى تقدم ذكره، ثم كانت بعد ذلك يعرض عندها شك فى أن التكفير المذكور لا يكفيها، فتظهر الأسف على ذلك إما ندمًا على ما صدر منها من أصل النذر المذكور، وإما خوفًا من عاقبة ترك الوفاء به والله أعلم».

أيها الوالد الكريم، أيتها الأم الحنون

إن معاقبة الأبناء بالهجر ينبغى ألا تتم إلا فى أضيق نطاق وللضرورة القصوى، فإن جاءنا من هجرناه معتذرًا فلنقبل منه، وليكن السماح والعفو شعارًا لنا، وإن حدث وعاقبنا أحد المخطئين بالهجر وطال الخصام بيننا، فلنبدأ نحن بالصلح أو الوصال، وقد نعاقب أحد أبنائنا على خطأ قد ارتكبه، فتكون النتيجة أن يغضب منا ويمتنع عن الكلام معنا، ظنا منه أننا قد ظلمناه ولم نحترم مشاعره، وفى هذه الحالة علينا ألا نطيل فترة الخصام، وإن لم يبدأ هو بالاعتذار، فلنبدأ نحن بالوصال، وهذا بالضبط ما فعله عمر بن الخطاب ﷺ فقد روى أن عمر بن الخطاب قد ولى قدامة بن مظعون[2] على البحرين وفى يوم من الأيام قدم الجارود سيد عبد

(١) فتح البارى ١٠/ ٤٩٢ - ٤٩٨ (بتصرف).

(٢) قدامة بن مظعون هو خال عبد الله وحفصة ابنى عمر بن الخطاب، وكانت زوجته صفية بنت الخطاب أخت عمر، هاجر إلى أرض الحبشة مع أخويه عثمان بن مظعون وعبد الله بن مظعون ثم شهد بدرًا =

القيس من البحرين على عمر بن الخطاب فقال له: يا أمير المؤمنين إن قدامة بن مظعون شرب الخمر فسكر، وإنى رأيت حدًا من حدود الله حقًا عليَّ أن أرفعه إليك، فقال عمر: من يشهد معك؟ فدعا أبا هريرة فقال: بم تشهد؟ قال: لم أره يشرب، ولكنى رأيته سكران يقيء، فقال عمر: لقد تنطعت فى الشهادة، ثم كتب إلى قدامة أن يقدم عليه من البحرين فقدم، ولما تأكد عمر من أن قدامة قد شرب الخمر قال له: إنى مقيم عليك الحد يا قدامة، فقال قدامة: لو شربت كما تقولون ما كان لكم أن تقيموا عليَّ الحد، فقال عمر: لم؟ قال قدامة: قال الله عز وجل: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة: ٩٣] فقال عمر: أخطأت التأويل إنك إذا اتقيت الله اجتنبت ما حرم عليك، وكان قدامة فى هذا الوقت مريضًا، فتركه عمر أيامًا ثم أمر بإقامة الحد على قدامة، فلما تم جلد قدامة غاضب عمر وهجره فترة من الزمن، ودارت الأيام وجاء موسم الحج واجتمع عمر مع قدامة فى قافلة حجيج واحدة، لكن قدامة مازال مغاضبًا لعمر هاجرًا له وبعد أداء مناسك الحج عاد الناس كيوم ولدتهم أمهاتهم، وفى طريق العودة نزل عمر بالسقيا فنام، فلما استيقظ من نومه قال: عجلوا عليَّ بقدامة، فوالله لقد أتانى آت فى منامى فقال: سالم قدامة فإنه أخوك، فعجلوا عليَّ به، فلما أتوا قدامة رفض أن يأتى، فقال عمر: إن رفض أن يحضر فليجر إليه، فكلمه عمر واستغفر له، وكان ذلك أول صلحهما».[1]

❊ ❊ ❊

= وسائر المشاهد مع رسول الله ﷺ، استعمله عمر بن الخطاب على البحرين، ثم عزله وولى عثمان بن أبى العاص، وكان سبب عزله أنه شرب الخمر.

(١) سنن البيهقى الكبرى ٨/ ٣١٥٦، والوافى بالوفيات ٢٤/ ١٥٢، ١٥٣، وأخبار المدينة ٢/ ٣٦، ٣٧.

إيذاء باللسان وضرب بالنعال

كان الحبس فى البيوت و الأذى باللسان هى العقوبة المطبقة فى صدر الإسلام على من يثبت وقوعه فى جريمة الزنا، وذلك لقوله تعالى: ﴿وَاللاَّتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِن نِّسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ فَإِن شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلاً ۞ وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنكُمْ فَآذُوهُمَا فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾[النساء: ١٥، ١٦] فكانت المرأة إذا زنت حبست فى البيت وأوذيت بقبيح الكلام، وكان الرجل إذا زنى أوذى باللسان وضُرب بالنعال، والمقصود بالإيذاء فى قوله تعالى: فآذوهما هو: التوبيخ والتعيير والشتم، فيقال لهما: فجرتما وفسقتما وخالفتما أمر الله عز وجل كما يقال: يا زان ويا زانية.

وظلت هذه العقوبة سارية المفعول حتى نزل قوله تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٢] وهكذا نُسخت الآيات السابقات فتوقف العمل بعقوبة الحبس والتوبيخ، وحل مكانها عقوبة الجلد مائة للزانية أو للزانى غير المتزوج، والرجم حتى الموت للزانى أو الزانية المتزوجة(١).

أيها المربى الكريم

إذا كان التوبيخ قد طبق كعقوبة على من يزنى فى صدر الإسلام، فهذا يعنى أن التوبيخ عقاب كبير وأليم، إذ كيف يأمر الله تعالى المسلمين أن يعاقبوا من يزنى بعقاب خفيف؟ ومن هنا يتضح أن التوبيخ باللسان والإيذاء بالكلام ذو تأثير كبير على النفس البشرية، فمن يوبخه الآخرون يشعر بالعار والصغار، فتضيق نفسه،ولا ينطلق لسانه، ولقد أظهرت دراسة دانماركية حديثة أن

(١) تفسير القرطبى ٥/ ٨٥، ٨٦، وتفسير ابن كثير ١/ ٤٦٣، وتفسير الجلالين ١/ ١٠٢، وتفسير الطبرى ٢٨/ ١٣٣، والمغنى ٩/ ٣٨، والمبسوط للسرخسى ٩/ ٣٦، والتمهيد لابن عبد البر ٢٣/ ٤١١، وسنن البيهقى الكبرى ٨/ ٢٠٩: ٢١١، وسنن أبى داود ٤/ ١٤٣ (بتصرف).

توبيخ الأطفال قد يحدث آثارًا ضارة مثل الضرب تمامًا،[(١)] ولقد حاول المربين بمدرسة فثيلاند بولاية نيوجرسى بالولايات المتحدة الأمريكية معرفة تأثير التوبيخ على نفوس الأبناء، فاستخدم جهاز يسمى «أرجوجراف» وهو جهاز يقيس درجة الإعياء والتعب عند الشخص، وعندما كان الأطفال موضع الاختبار يتلقون كلمات الثناء والإعجاب والمدح كان الجهاز يصدر ارتفاعًا مفاجئًا يعبر عن ورود طاقة إضافية، و عندما كانوا يتعرضون للنقد واللوم تندفع طاقتهم الجسمانية للهبوط بصورة مفاجئة، وهو ما يؤكد أهمية التعزيز الإيجابى فى بناء التقدير والكيان الذاتى لدى الأبناء كما تؤكد هذه التجربة على مدى تأثر الأبناء بعبارات النقد واللوم والتوبيخ»[(٢)].

أيها الوالد الكريم، أيتها الأم الحنون

التوبيخ إجراء عقابى واسع المدى، ولذلك فإنه يصلح فى علاج بعض أخطاء أبنائنا، وفى نفس الوقت يعد التوبيخ ضارًا جدًا إذا لم يستخدمه المربى فى الوقت المناسب وبالطريقة الصحيحة، والسؤال الذى يطرح نفسه الآن: متى نستخدم التوبيخ فى عقاب أبنائنا؟ وما هى الطريقة المثلى التى نوبخهم بها؟

التوبيخ دواء فمتى نحتاجه؟



هناك حالتان قد نحتاج فيهما إلى معاقبة المخطئ من أبنائنا وتلامذتنا بالتوبيخ والتبكيت..

---

(١) قال إريك سيغسغارد من المركز الدانماركى للبحوث الذى أجرى الدراسة: «لا يمكن القول إن توبيخ الطفل أفضل من ضربه، عندما تعاقب طفلا تعطيه الإحساس أنه عديم القيمة، وفى إطار الدراسة تمت مراقبة صغار فى مرحلة رياض الأطفال ووجهت إليهم أسئلة فى الفترة ما بين عامى ١٩٩٤ و ٢٠٠٠ وقال أكثر من نصفهم إنهم يكرهون التعنيف والصياح وإنهم يعتقدون أن الكبار لا يزالون غاضبين منهم حتى بعد مضى وقت طويل، وينصح سيغسغارد الآباء بأن يقولون رأيهم للأبناء فى صوت طبيعى دون صياح، وقال إن الآباء الذين يرغبون فى إقامة علاقات قوية مع أبنائهم يجب أن لا يكثروا من تعنيفهم» توبيخ الأطفال لا يقل ضررا عن ضربهم.
http://arabic.peopledaily.com.cn/200210/04/ara20021004_58094.html

(٢) طفلى يسرق. ماذا أفعل؟ د/ إيمان السيد.
http://www.islamonline.net/Tarbia/arabic/display.asp?hquestionID=3861

أولاً: أخطاء كبيرة وتوبيخات كثيرة:

عندما نتأمل آيات القرآن الكريم، ونجد أن الله تعالى لم يوبخ إلا من فعل جرمًا عظيمًا، فإبليس لما عصى الله ورفض السجود لسيدنا آدم، كان الخطاب من الله تعالى له: ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَى أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾ [ص: ٧٥]، وهذا استفهام توبيخ وتقريع، ولقد وبخ الله تعالى اليهود لما قالوا: يد الله مغلولة، وهم لا يعنون بذلك أن يد الله موثقة ولكنهم يقولون إنه بخيل أمسك ما عنده، وبخل عليهم بفضله وعطائه: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا وَاللهُ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [المائدة: ٦٤] والمشركون لما كذبوا القرآن واستهزأوا به وبخهم الله تعالى بقوله: ﴿أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ۞ وَتَضْحَكُونَ وَلاَ تَبْكُونَ ۞ وَأَنتُمْ سَامِدُونَ ۞ فَاسْجُدُوا للهِ وَاعْبُدُوا﴾ [النجم: ٥٩- ٦٣]، ولما تخلف عدد من المسلمين عن الجهاد مع النبى ﷺ فى غزوة تبوك جاء العتاب والتوبيخ من الله تعالى فى قوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِى سَبِيلِ اللهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِى الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ﴾[التوبة: ٣٨] وهكذا وبخهم الله تعالى على ترك الجهاد وعاتبهم على التقاعد عن المبادرة إلى الخروج مع رسول الله ﷺ، ولما تناقضت أقوال بعض الصحابة مع أفعالهم، وبخهم الله تعالى بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لاَ تَفْعَلُونَ ۞ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللهِ أَن تَقُولُوا مَا لاَ تَفْعَلُونَ﴾[الصف: ٢، ٣] (١).

☜ وانطلاقًا من المنهج الإلهى فى توبيخ فاعلى الأخطاء الكبيرة، والذين ارتكبوها مع علمهم بجرمتها وليس لهم عذر يعفيهم من العقاب، فإن على المربى الناجح أن يتأنى فى استخدام عقوبة التوبيخ فلا يستخدمها إلا مع من يرتكب خطأً كبيرًا يستحق العقاب، وفيما يلى نذكر بعض الأخطاء التى يمكن

---

(١) انظر تفسير القرطبى ١٧/ ١٢٢، ١٢٣ و ٨/ ١٤٠، تفسير الطبرى ٦/ ٢٩٨- ٣٠٠، وتفسير الجلالين ١/ ٦٠٥.

للمربى أن يوبخ من يرتكبها من الأبناء والتلاميذ:

١- كيف تفطر وصبياننا صيام؟

الشاب الذى بلغ سن التكليف وأفطر فى رمضان دون عذر شرعى فإنه يستحق اللوم والتوبيخ والعتاب «ولقد قال عمر بن الخطاب ﷺ للذى أفطر فى رمضان، موبخًا له: كيف تفطر وصبياننا صيام»(١).

٢- السجود فى اليوم الموعود:

قال تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلاَ يَسْتَطِيعُونَ ۞ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ﴾ [القلم: ٤٢، ٤٣].

فى يوم القيامة هذا اليوم المشهود، يرى الناس هولاً وشدة وكربًا عظيمًا، وهذا معنى قوله تعالى: يوم يكشف عن ساق، فالعرب تقول: كشف الحرب عن ساق: إذا اشتد الأمر فيها، ولقد فسرها ابن عباس رضى الله عنهما بقوله: هى أشد ساعة فى يوم القيامة، وفى هذه اللحظات العصيبة يدعى الجميع للسجود امتحانًا لإيمانهم؛ فمن كان يسارع إلى الصلوات ويحرص على الجماعات، يوفقه الله تعالى للسجود فى هذا اليوم المشهود، أما من كان يسمع المنادى إلى الصلاة فى الدنيا وهو فى تمام السلامة والعافية فلا يجيب داعى الله، فهؤلاء تتصلب ظهورهم فلا يستطيعون السجود، ويجعل الله سجود المؤمنين عليهم توبيخًا وذلاً وصغارًا وندامة وحسرة، لذلك تراهم فى هذه اللحظات العصيبة خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة.

إن هذا الموقف العصيب ما هو إلا توبيخ عملى لكل من كان يسمع نداء الصلاة فلا يجيب، أخرج البيهقى فى شعب الإيمان عن سعيد بن جبير فى معنى قوله تعالى: ﴿وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ﴾، قال: الصلوات فى الجماعات، وأخرج البيهقى عن ابن عباس فى قوله: ﴿وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ﴾، قال: الرجل يسمع الأذان فلا يجيب الصلاة، وروى عن سعيد بن جبير قال: يسمع المنادى إلى الصلاة المكتوبة فلا

(١) فتح البارى ٤/ ٢٠١.

يجيبه، وعن كعب الأحبار قال: والذى أنزل التوراة على موسى والإنجيل على عيسى والزبور على داود والفرقان على محمد، أنزلت هذه الآيات فى الصلوات المكتوبات حيث ينادى بهن، وقال كعب الأحبار: والله ما نزلت هذه الآية إلا فى الذين يتخلفون عن الجماعات، ولأن السلف الصالح فهموا هذا الأمر جيدًا، فقد حرصوا كل الحرص أن يحضروا إلى صلاة الجماعة هم وأبناؤهم مهما كانت ظروفهم وأحوالهم، فقد روى أن التابعى الجليل الربيع بن خيثم رحمه الله، كان قد أصابه مرض الفالج، وكان يُهادى بين الرجلين إلى المسجد فقيل له: يا أبا يزيد، لو صليت فى بيتك لكانت لك رخصة، فقال: من سمع حى على الفلاح فليجب ولو حبوًا».[١]

٣- هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه؟

عندما يؤذى الأخ أخاه، فإنه يستحق التوبيخ والتبكيت، وهذا المعنى نراه واضحًا فى قصة أخوة يوسف عليه السلام، حيث أنهم تآمروا على أخيهم يوسف وتخلصوا منه بوضعه فى الجب فحرموه من حنان أمه وعطف أبيه، وأصابوا والدهم المسكين بالأسى والحزن، فابيضت عيناه من كثرة البكاء على فقدان ابنه الحبيب، كما فرقوا بين يوسف وأخيه الشقيق وحرموه من صحبته والعيش معه، ودارت الأيام، وأصبح يوسف (سجين البئر) عزيز مصر ومسئولاً عن خزائنها، وأصابت المنطقة مجاعة شديدة، وجاء الناس من بلادهم إلى مصر ليأخذوا من غلالها وحبوبها، وكان إخوة يوسف فيمن جاءوا من فلسطين طالبين المعونة، ودخلوا على أخيهم فعرفهم وهم له منكرون، وهنا قرر يوسف أن يلقنهم درسًا عمليًا لا ينسونه مدى الحياة، فطلب منهم أن يحضروا أخاهم غير الشقيق فى المرة القادمة، ليأخذ معهم من العطاء، وجاءوا فعلاً بأخيه معهم فى الزيارة الثانية، ودبر يوسف حيلة استبقى بها أخاه معه، وردهم إلى أبيه خائبين، لكنهم عادوا إلى مصر مرة ثالثة بوصية من أبيهم الصابر المحتسب حتى

---

(١) تفسير القرطبى ١٨/ ٣٤٩-٣٥١، الطبرى ٢٩/ ٤٣، وتفسير الجلالين ١/ ٧٦٠، والدر المنثور ٨/ ٢٥٥، ٢٥٦، «الفالج: هو داء معروف يرخى بعض البدن ويصيبه بما يشبه الشلل، وأصل الفلج النصف من كل شيء، ومنه يقال: ضربه الفالج فى الساقين، والفالج: قد يكون حالة شبيهة بالشلل النصفي» انظر: لسان العرب ٢/ ٣٤٦.

يبحثوا عن يوسف وأخيه، ودخلوا على يوسف يشكون له ما حل بهم من ضر وبلوى، فقالوا له: ﴿يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾[يوسف:٨٨] وهنا رق يوسف لحالهم وقرر أن يكشف لهم الحقيقة، لكنه أراد أن يختم عقابهم بتوبيخ يليق بالذنب الذى ارتكبوه فقال موبخًا لهم:﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ﴾[يوسف:٨٩] ولما تأكدوا أن ما يرونه علم وليس حلمًا، حانت ساعة الندم فقالوا ليوسف: لقد فضلك الله علينا واختارك بالعلم والحلم والحكم والعقل والملك، ثم اعترفوا بأنهم أساءوا إليه وأخطأوا فى حقه ﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ﴾ [يوسف: ٩١] وما كان من النبى الكريم والأخ الحبيب إلا أن توقف عن لهجة التوبيخ والعتاب، وتحول إلى لغة الصفح والدعاء ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف: ٩٢] لقد توقف النبى الكريم عن العتاب لما اعترفوا بذنبهم وأعلنوا ندمهم، وكان شعاره: لا تثريب عليكم اليوم، والتثريب معناه التعيير والتوبيخ، فيوسف عليه السلام عفا عند المقدرة وطمأن إخوته قائلاً لهم: لا تعيير ولا توبيخ ولا تأنيب عليكم اليوم، ولا أعيد عليكم ذنبكم فى حقى بعد اليوم، ووعدهم أن ما حدث لن يسئ علاقته بهم فى الأيام القادمة، ثم زادهم الدعاء لهم بالمغفرة فقال: يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين[١].

أيها المربي الكريم

إن يوسف عليه السلام وبَّخ إخوته لما فعلوا ذنبًا عظيمًا لكنه لم يبدأ بالتوبيخ فى أول مقابلة له معهم لما عرفهم وهم له منكرون، ومن هنا علينا ألا نوجه الخطأ مباشرة بالتوبيخ بل نفكر ونعالج وربما نعاقب بطرق أخرى، ثم نختار الوقت المناسب للتوبيخ، كما نلاحظ أن يوسف عليه السلام لم يكثر من توبيخ إخوته، بل اقتصر على السؤال الذى يحمل فى طياته التوبيخ، هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه؟ ومن هنا كان على المربى الناجح ألا يكثر من

(١) انظر: تفسير القرطبى ٩/ ٢٥٥-٢٥٩، وتفسير الطبرى ١٣/ ٥٤، وتفسير الجلالين ١/ ٢١٧، وتفسير ابن كثير ٢/ ٤٩٠ (بتصرف).

عبارات التوبيخ واللوم لمن يخطئ، فالتوبيخ وحده لا يحل مشكلة ولا يغير سلوكًا ويوسف عليه السلام لما اعتذر له إخوته واعترفوا بخطئهم قبل عذرهم وعفا عنهم، ووعدهم بعدم التوبيخ واللوم مرة أخرى، ومن هنا نرى أهمية قبول عذر المعتذر من أبنائنا وتلامذتنا، وأهمية التوقف عن التعيير والتوبيخ، بل والدعاء لمن يخطئ بالمغفرة والرحمة.

٤- أليس منكم رجل رشيد؟

اللواط جريمة بشعة، لذلك حذرنا رسولنا الكريم ﷺ من الوقوع فيها فقال: «**إن أخوف ما أخاف على أمتى من عمل قوم الفاء** (يعنى قوم سيدنا لوط عليه السلام)»[(١)] .. ولقد اتفق أهل العلم على أن اللواط من الكبائر، فمن ارتكبه بإرادته استحق العقاب الأليم والتوبيخ الذميم، وهذا بالضبط ما فعله سيدنا لوط عليه السلام مع قومه، إذ إنهم لما ارتكبوا هذا الذنب العظيم، وبخهم النبى الكريم بقوله: ﴿**إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ**﴾ [الأعراف: ٨١] لكنهم لم ينتهوا فازداد التوبيخ حدة وغلظة فقال لهم نبيهم: ﴿**أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ۞ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ**﴾ [الشعراء: ١٦٥، ١٦٦] ومع زيادة الفساد كان لابد من إعادة التوبيخ للمرة الثالثة، فقال لهم لوط عليه السلام: ﴿**أَإِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ**﴾ [النمل: ٥٥]، ولما استمر القوم الظالمون فى ممارسة الجريمة الشنعاء، جاءت لحظة الحساب والعذاب الشديد، فجاء وفد من الملائكة فى صورة بشر إلى سيدنا لوط عليه السلام، ولما سمع قوم لوط بقدوم رجال حسان الوجوه (هم الملائكة) جاءوا مسرعين إلى بيت لوط ليأخذوا الضيوف ويمارسوا الفاحشة معهم، فقال لهم سيدنا لوط: تزوجوا النساء أفضل لكم ولا تخزون فى ضيفى، ثم وبخهم قائلاً: أليس منكم رجل حكيم، قال تعالى: ﴿**وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِى أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ**﴾ [هود: ٧٨] ولم يستجب القوم الظالمون لنصيحة لوط

---

(١) رواه ابن ماجه والترمذى وقال: حديث حسن غريب والحاكم وقال: صحيح الإسناد، انظر: الترغيب والترهيب ٣/ ١٩٥.

ولم يؤثر فيهم التوبيخ، فتدخلت الملائكة معلنين للوط عليه السلام هويتهم، والمهمة التي جاؤوا من أجلها ﴿قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلاَ يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلاَّ امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ۞ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ۞ مُسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ [هود: ٨١-٨٣] «لقد عاقب الله مرتكبي اللواط عقابًا شديدًا حتى يكونوا عبرة لكل من تسول له نفسه الاقتراب من هذا العمل الدنئ، لقد أدخل جبريل عليه السلام جناحه تحت الأرض التي سكنها قوم لوط، فرفعها عاليًا في الهواء بمن عليها حتى سمع أهل السماء الدنيا نهيق حمرهم وصياح ديكتهم، ثم قلبها رأسًا على عقب وأسقطها على الأرض، ثم أتبعهم الله بحجارة من سجيل نزلت عليهم كالمطر، وبهذه الطريقة ذاقوا العذاب الأليم جزاء بما كانوا يعملون[1].

أيها المربي الكريم

لعلك لاحظت معي من خلال قصة سيدنا لوط أنه وبخ قومه أربع مرات، وذلك لعظم ذنبهم وإصرارهم على الوقوع فيه، ومن هنا يتضح جليًا أن درجة التوبيخ تختلف باختلاف الأخطاء، فإذا عظم الخطأ ازداد التوبيخ حدة، وإذا كان الخطأ هينًا فلا داعي للتوبيخ ويكفي بعض العتاب الرقيق، أما إذا كان الخطأ على درجة من الكبر فيكفي بعض التوبيخ والتبكيت.

ثانيًا: أخطاء صغيرة ونفوس كبيرة:

روى البخاري ومسلم (واللفظ للبخاري) عن أبي ذر ﷺ قال: كان بيني وبين رجل (من إخواني) كلام، وكانت أمه أعجمية، فنلت منها، فذكرني إلى النبي ﷺ (وفي رواية مسلم: فشكاني إلى النبي، فلقيت النبي ﷺ) فقال لي: «**أسابت فلانا؟**» قلت: نعم، قال: «**أفنلت من أمه؟**» قلت: نعم، قال: «**إنك امرؤ فيك جاهلية**»، قلت: على حين ساعتي هذه من كبر السن؟ قال: «**نعم، هم إخوانكم، جعلهم الله تحت أيديكم،**

---

(١) تفسير الطبري ٨/ ٢٣٤، ٢٣٥و ١٢/ ٩٨، والقرطبي ٣/ ٩٣، ٩٤و ٩/ ٧٧، ٨١، وتفسير ابن كثير ٢/ ٤٥٦ (بتصرف).

فمن جعل الله أخاه تحت يده، فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس، ولا يكلفه من العمل ما يغلبه، فإن كلفه ما يغلبه فليعنه عليه» (وفى رواية مسلم: فلقيت النبى ﷺ فقال: **«يا أبا ذر إنك امرؤ فيك جاهلية»**، قلت: يا رسول الله، من سب الرجال سبوا أباه وأمه، قال: **«يا أبا ذر، إنك امرؤ فيك جاهلية هم إخوانكم جعلهم الله تحت أيديكم، فأطعموهم مما تأكلون، وألبسوهم مما تلبسون، ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم»**).[(١)]

لقد كانت هناك مشادة بين صحابيين جليلين هما: أبو ذر الغفارى وبلال بن رباح رضى الله عنهما، ووقع بينهما بعض الشتم والسباب، وكانت أم بلال أعجمية من الحبشة فعيَّره أبو ذر بها وقال له: يا ابن السوداء، فأثرت الكلمة فى بلال، وأسرع إلى النبى ﷺ يشكو ما ناله من أبى ذر، وقابل النبى ﷺ أبا ذر فقال له: **«أسابيت بلالا؟»** قال أبو ذر: نعم، فقال النبى ﷺ: **«أفنلت من أمه؟»** قال أبو ذر: نعم، فلما تأكد النبى ﷺ من وقوع أبى ذر فى الخطأ، وبخه قائلا: **«إنك امرؤ فيك جاهلية»**، أى: خصلة من خصال الجاهلية، وهكذا بيَّن له النبى ﷺ أن هذا التعيير من أخلاق الجاهلية، وينبغى للمسلم ألا يكون فيه شيء من أخلاقهم، فقال أبو ذر: يا رسول الله من سب الرجال سبوا أباه وأمه، وأبو ذر يقصد بكلامه هذا أن بلالا سبه، ومن سب إنسانًا سب ذلك الإنسان أبا الساب وأمه، وهكذا حاول أبو ذر تبرير موقفه والاعتذار عن سبه أم سيدنا بلال، لكن النبى ﷺ لم يقبل تبريره ولا اعتذاره، وأعاد عليه التوبيخ مرة أخرى فقال له: **«إنك امرؤ فيك جاهلية»**، لقد أنكر عليه النبى ﷺ وأخبره أن ما فعله من أخلاق الجاهلية، وبيَّن له كون هذه الخصلة (وهى تعيير الآخرين وسب آبائهم) مذمومة شرعًا وإنما يباح للمسبوب أن يسب الساب نفسه بقدر ما سبه، دون أن يتعرض لأبيه ولا لأمه، وهنا قال أبو ذر: هل فى جاهلية علىَّ ساعتى هذه من كبر السن، كأنه تعجب من خفاء ذلك عليه مع كبر سنه، وكان جواب النبى ﷺ: **«نعم، هم إخوانكم** -يعنى الخدم والموالى-، **جعلهم الله تحت أيديكم، فمن جعل الله أخاه تحت يده، فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس، ولا يكلفه من العمل ما يغلبه، فإن كلفه ما يغلبه فليعنه عليه»**[(٢)].

---

(١) صحيح البخارى ٥/٢٢٤٨، وصحيح مسلم ٣/ ١٢٨٢.
(٢) فتح البارى ١/ ٨٧ و ١٠/ ٤٦٨، وشرح النووى على صحيح مسلم ١١/ ١٣٢، ١٣٣ (بتصرف)

أيها المربي الكريم

إن منزلة أبى ذر من الإيمان فى الذروة العالية، ولذلك وبخه النبى ﷺ لما أخطأ خطأ قد يكون فى عين البعض صغيرًا، لكنه خطأ غير مقبول من صحابى عظيم المنزلة مثل أبى ذر، حتى وإن كان معذورًا بوجه من وجوه العذر، وهو أن بلالاً سبه أولاً فرد هو عليه، لكن وقوع ذلك الخطأ (وهو التعيير) من مثله يستعظم أكثر ممن هو دونه»[(١)]، وسيرًا على هذا النهج النبوى القويم، يمكننا أن نوبخ المتميزين من أبنائنا وتلامذتنا عندما يرتكبون أخطاء غير مقبولة من أمثالهم، مع ملاحظة أن النبى ﷺ لم يعط أبا ذر محاضرة مليئة بالتوبيخ والتعنيف، بل اكتفى ﷺ فى توبيخه للمخطئ بجملة واحدة: إنك امرؤ فيك جاهلية، ومن هنا علينا ألا نكثر من التوبيخ والتعنيف، بل نوبخ -قدر المستطاع- بجملة توبيخية واحدة، وبإذن الله سيكون لها تأثير عظيم فى نفس المخطئ، ولأنها عبارة واحدة فأتوقع أن يحفظها ولا ينساها كما فعل أبو ذر، مما يدفعه إلى الندم على ما فعل، ويشجعه على إصلاح ما أفسد، فالابن الصادق عندما يكذب متعمدًا يمكننا أن نوبخه بعبارة واحدة موجزة، كأن نقول له: هل ما فعلته يرضى الله تعالى؟ والطالب المتميز عندما يهمل واجباته متعمدًا توبخه قائلاً: كم أنا حزين لأنك فعلت كما يفعل الفاشلون، والبنت المهذبة عندما تشتم أختها نوبخها قائلين: لقد آذيت مسامعنا بكلماتك السيئة، وللأسف سجلتها الملائكة فى صحيفة أعمالك.

التوبيخ سلاح فكيف نستخدمه؟

هناك ثلاث قواعد يجب علينا أن نلتزم بها عند تنفيذ عقوبة التوبيخ:

أولاً: نعم للتوبيخ ولا للتجريح:

أُتى النبى ﷺ يومًا بشارب خمر، ولما تأكد ارتكابه لهذا الخطأ الكبير، أمر النبى ﷺ أن يقيموا عليه الحد ويضربوه أربعين جلدة، وبدأت عملية العقاب، واستخدام

(١) فتح البارى ١/ ٨٥ (بتصرف).

الضاربون ما أتيح لهم من أدوات؛ فمنهم من استخدم يـده، ومـنهم مـن خلـع نعلـه وضرب به، وبعضهم خلع ثوبه ولفه مثل العصا وضرب به، وعنـدما أتمـوا الأربعـين جلدة أمرهم النبى ﷺ أن يتوقفوا، ولأن شرب الخمر خطأ عظيم، فقد أمـرهم النبـى ﷺ بعد ضربهم للمخطئ أن يوبخوه ويواجهوه بقبيح فعله، فأقبلوا عليه يقولـون: مـا اتقيت الله، ما خشيت الله، وما استحييت من رسول الله ﷺ، ثم تركوه يمضى، وبعـد انصرافه أخذ فريق ممن أقاموا عليه الحد ووبخوه يدعون عليه ويشتمونه، ظنًا مـنهم أن هذا من مستلزمات التوبيخ، لكـن النبـى ﷺ أرشـدهم إلى أن المقصـود هـو التـوبيخ وليس التجريح، فقال لهم ﷺ: «**لا تقولوا هكذا، لكن قولوا: اللهم اغفر له وارحمه**» روى البيهقى عن أبى هريرة ﷺ أن النبـى ﷺ أُتـى بشـارب، فـأمر النبـى ﷺ أصـحابه أن يضربوه، فمنهم من ضربه بنعله ومنهم بيده ومنهم بثوبه، ثم قـال ﷺ: «**ارجعوا**»، ثـم أمرهم فبكّتوه[1]، فقالوا: ألا تستحى مع رسول الله ﷺ تصنع هذا (وفى روايـة أبـى داود: وبعد الضرب قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «**بكتوه**»، فأقبلوا عليه يقولون: مـا اتقيت الله، ما خشيت الله، وما استحيت من رسول الله ﷺ) ثم أرسلوه (تركوه) فلما أدبر (مشى شارب الخمر بعد الضرب والتبكيت) وقع القوم يدعون عليـه ويسـبونه، يقول القائل: اللهم أخزه، اللهم العنه، فقال رسول الله ﷺ: «**لا تقولوا هكـــذا، لكـــن قولوا: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه**»[2].

أيها المربي الكريم

لقد أقر النبـى ﷺ عقوبـة التـوبيخ كـإجراء مـن الإجـراءات العقابية المسموح بها تربويًا، إذ يجوز لنا أن نعاقب بها إذا مـا رأينـا أن التوبيخ يكفى لإصلاح حال المخطئ وتأديبه، ولكن شـريطة أن لا يصل هذا التوبيخ إلى حد السباب، والدعاء على المخطـئ، كمـا ينبغى ألا يصل التوبيخ إلى درجة السخرية من المخطئين أو لعنهم، وعلى المربى الحكيم أن يتبع التوبيخ بالدعاء للمخطئ أن يصـلحه الله تعالى، فنقول كما علمنا النبى ﷺ «**اللهم اغفر له، اللهم ارحمه**».

---

(١) «التبكيت: هو التقريع والتوبيخ، وهو مواجهة المخطئ بقبيح فعله، فيقال له: أما استحييت، أمـا اتقيـت الله» النهاية فى غريب الحديث ١/ ١٤٨، لسان العرب ٢/ ١١، وفتح البارى ١٢/ ٦٧.

(٢) سنن البيهقى الكبرى ٨/ ٣١٢، وسنن أبى داود، ٤/ ١٦٢، ١٦٣.

ثانيًا: التوبيخ على الملأ فضيحة:

روى البخارى عن أبى حميد الساعدى ﷺ قال: استعمل رسول الله ﷺ رجلاً على صدقات بنى سليم يدعى ابن اللتبية، فلما جاء حاسبه، قال: هذا ما لكم، وهذا هدية (وفى رواية: هذا لكم وهذا أهدى لي) فقال رسول الله ﷺ: «**فهلا جلست فى بيت أبيك وأمك حتى تأتيك هديتك إن كنت صادقًا**»، (وفى رواية: **فهلا جلس فى بيت أبيه أو بيت أمه فينظر يهدى له أم لا**) ثم خطبنا رسول الله ﷺ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد: «**فإنى أستعمل الرجل منكم على العمل مما ولانى الله، فيأتى فيقول: هذا ما لكم وهذا هدية أهديت لى، أفلا جلس فى بيت أبيه وأمه حتى تأتيه هديته، والله لا يأخذ أحد منكم شيئًا بغير حقه إلا لقى الله يحمله يوم القيامة، فلأعرفن أحد منكم لقى الله يحمل بعيرًا له رغاء، أو بقرة لها خوار، أو شاة تيعر، ثم رفع يده حتى رُئى بياض إبطه يقول: اللهم هل بلغت ثلاثًا**»[1].

كان رسول الله ﷺ يبعث لكل قبيلة وقرية واحدًا من صحابته الكرام ليجمع زكاتهم، وكان ابن اللتبية مبعوثًا لجمع زكاة بنى سليم، ولما عاد من المهمة بسلام قدم للنبى ﷺ كشف حساب بما جمع من أموال وحيوانات وتمور وغيرها، لكنه احتجز جزءًا مما جمعه وقال: هذه هدايا أهداها بنو سليم لى أثناء مهمتى، وتألم النبى ﷺ مما فعله هذا الصحابى الجليل، فقد أرسله الرسول الكريم فى مهمة لجمع الزكاة وليس لجمع الهدايا، والناس ما أعطوه إلا لمنصبه الذى وضعه فيه النبى ﷺ، ولقد وبخه النبى ﷺ قائلاً: «**هلا جلس فى بيت أبيه أو بيت أمه فينظر يهدى له أم لا؟**» وفى رواية أخرى وبخه النبى ﷺ قائلاً: «**هلا جلست فى بيت أبيك وأمك حتى تأتيك هديتك إن كنت صادقًا**»، وبعد مدة من الزمن حانت صلاة الظهر، فصلاها رسول الله ﷺ مع صحابته الكرام، ثم صعد المنبر ليرسم استراتيجية إيمانية مهمة لكل من كان فى موضع المسئولية، وليحذر من الهدايا التى تقدم للمسئولين على سبيل الرشوة[2]، ولقد تحدث النبى ﷺ عن الخطأ الذى وقع فيه ابن اللتبية لكنه لم يذكر اسمه ولم يوبخه أمام الناس، بل استخدم طريقة ما بال أقوام فقال: ما بالنا نبعث بالمسئول

---

(١) صحيح البخارى ٢/ ٩١٧ و ٦/ ٢٥٥٩.

(٢) لقد فهم عمر بن عبد العزيز هذه الحقيقة فقال لما أصبح مسئولا: «كانت الهدية فيما مضى هدية، فأما اليوم فهى رشوة» المبدع ١٠/ ٤٠.

لتأدية مهمة معينة فيأتى قائلا: هذا مالكم وهذا هدية أهديت لى، ثم وبخ النبى ﷺ كل من يفعل ذلك بقوله: «**أفلا جلس فى بيت أبيه وأمه حتى تأتيه هديته**». فيا له من نبى كريم ومعلم عظيم لقد استخدم التوبيخ بطريقة غاية فى الروعة والجمال، فلقد وبخ الصحابى لما اخطأ بلهجة مليئة بالحزم لكنه لم يفضحه ويوبخه أمام الآخرين.[1]

أيها المربى الكريم

لقد علمنا رسول الله ﷺ عمليًا كيف نوبخ من يستحق التوبيخ، فالعبارات بسيطة، والكلمات موجزة، والتوبيخ محدد، والسب ممنوع، والفضيحة لا تجوز، فمن وبخ ابنه أو تلميذه أمام الآخرين فقد خالف نهج النبى ﷺ، ولقد قال الإمام الشافعى رحمه الله: «من وعظ أخاه سرًا فقد نصحه وزانه، ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه».[2]

لكن الوعظ الجماعى والتوبيخ العام قد يكون مفيدًا فى بعض الأحيان وذلك ليتوب فاعل الخطأ ويحذر باقى المستمعين من الوقوع فيه، وهذا المعنى نراه واضحًا فيما رواه الإمام مسلم عن أبى هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ فقد ناسًا فى بعض الصلوات فقال: «**لقد هممت أن آمر رجلاً يصلى بالناس ثم أخالف إلى رجال يتخلفون عنها فآمر بهم فيحرقوا عليهم بحزم الحطب بيوتهم، ولو علم أحدهم أنه يجد عظمًا سمينًا لشهدها** – يعنى صلاة العشاء–»[3] .. لقد رأى النبى ﷺ عددًا من المنافقين لا يحضرون لصلاة العشاء معه فى المسجد فوبخهم توبيخًا عامًا دون أن يذكر أسماءهم، وذلك أدبًا منه ﷺ، والتوبيخ فى هذه الحالة شديد جدًا إذ قال ﷺ: «**لو علم أحدهم أنه يجد عظمًا سمينًا لشهدها** –يعنى صلاة العشاء–»، فهذا تقريع وذم وتوبيخ لمن تأخر عن شهود العشاء معه، لأنه لو علم أنه يجد من الدنيا العرض القليل والتافه الحقير والنزر اليسير فى المسجد لقصده من أجل ذلك، وهذا يتخلف عن الصلاة فيه ولها من الأجر العظيم والثواب الجسيم ما لا خفاء به على مؤمن، وكفى بهذا توبيخًا فى أثرة الطعام

---

(١) فتح الباري، ١٣/ ١٦٤-١٦٧، وشرح النووى على صحيح مسلم ١٢/ ٢١٨-٢٢٢ (بتصرف).

(٢) شرح النووى على صحيح مسلم ٢/ ٢٤.

(٣) صحيح مسلم ١/ ٤٥١.

واللعب على شهود صلاة الجماعة مع رسول الله ﷺ[(١)].

لقد رأى الصحابة الكرام حبيبهم محمدًا ﷺ يحترم مشاعر المخطئين؛ فلا يوبخهم أمام الآخرين، ويحرص على استخدام أرق أنواع التوبيخ وهو التوبيخ العام، والذى ينبه المخطئ بطريقة قوية إلى خطئه، دون إحراجه أمام أحد، كما يساعد التوبيخ العام على تحذير جميع المستمعين من الوقوع فى مثل هذا الخطأ. ولقد تعلم الصحابة الدرس جيدًا، فكانوا يستخدمون التوبيخ العام الذى تعم به الفائدة على الجميع، روى البخارى ومسلم عن أبى هريرة ﷺ قال: بينما عمر بن الخطاب يخطب الناس يوم الجمعة، إذ دخل عثمان بن عفان، فعرَّض به عمر فقال: ما بال رجال يتأخرون بعد النداء، فقال عثمان: يا أمير المؤمنين ما زدت حين سمعت النداء أن توضأت ثم أقبلت (وفى رواية أخرى لمسلم: إنى شغلت اليوم فلم أنقلب إلى أهلى حتى سمعت النداء، فلم أزد على أن توضأت) فقال عمر: والوضوء أيضًا، ألم تسمعوا رسول الله ﷺ يقول: «**إذا جاء أحدكم الجمعة فليغتسل**»[(٢)].. لقد رأى عمر بن الخطاب صحابيًا عظيم الشأن كعثمان بن عفان يأتى الجمعة يومًا بعد صعود الخطيب المنبر، فأحزنه ذلك لأنه يخالف سنة النبى ﷺ، فاستعمل الأسلوب الذى تعلمه من النبى ﷺ، ووبخ توبيخًا عامًا ولم يذكر سيدنا عثمان بعينه فقال: ما بال رجال يتأخرون بعد النداء، ومراد عمر التلميح إلى ساعات التبكير التى وقع الترغيب فيها، وأنها إذا انقضت طوت الملائكة الصحف، وهذا من أحسن التعريضات وأرشق الكنايات، وفهم عثمان ﷺ ذلك فبادر إلى الاعتذار عن التأخر قائلاً: إنى شغلت اليوم فلم أنقلب إلى أهلى حتى سمعت النداء، فلم أزد على أن توضأت، لقد انشغل سيدنا عثمان فى السوق ولم ينتبه إلا على صوت الأذان بين يدى الخطيب، فأسرع إلى بيته فلم يزد على أن توضأ ولم يشتغل بشيء بعد أن سمع النداء إلا بالوضوء، ثم أسرع إلى المسجد، وهذا يدل على انه دخل المسجد فى ابتداء شروع عمر فى الخطبة، وهنا انتبه عمر بن الخطاب لأمر آخر وهو أن عثمان لم يأت الجمعة مغتسلاً فقال معاتبًا: والوضوء أيضًا،

(١) التمهيد لابن عبد البر ١٨/ ٣٣٧-٣٣٩ (بتصرف)
(٢) صحيح البخارى ١/ ٣٠٠، وصحيح مسلم ٢/ ٥٨٠.

يعنى ألم يكفك أن فاتك فضـل التـبكير إلى الجمعـة حتـى أضـفت إليـه تـرك الغسـل المرغب فيه، ولقد سكت عثمان ولم يرد، اكتفى بالاعتذار الأول، وذلك لأنه قد أشار إلى أنه كان ذاهلاً عن الوقت وأنه بادر عنـد سمـاع النـداء، وإنما تـرك الغسـل لأنـه تعارض عنده إدراك سماع الخطبة والاشتغال بالاغتسـال، وكـل منهمـا مرغـب فيـه، فآثر الإسراع إلى المسجد وسماع الخطبة»[١].

ثالثًا: التوبيخ الكثير ضرره كبير:

إذا اصطدم الطفل بالحائط نقول له: أنت أعمى لا تـرى مـا أمامـك، ولـو تبـول على فراشه نقول له: أنت قذر، أما إذا سـكب المـاء علـى السـجاد فنقـول لـه: أنـت فوضوى لا تعرف النظام، ولو أخذ القلم من زميله نقول له: أنت لـص سـارق، وإذا أخطأ فى أداء الواجب المدرسى وقل مستواه فى درجات الاختبارات قلنـا لـه: أنـت غبى.. إن هذا التوبيخ المستمر والسب الدائم يضـر الطفـل كـثيرًا ويشـوه شخصـيته، وهذا ما أشار إليه ابن مسكويه: «ليمدح الطفل بكل ما يظهر من خلـق جميـل وفعـل حسن ويكرم عليه، وإن خالف فى بعض الأوقات لا يوبخ ولا يكاشـف بـل يتغافـل عنه المربى، ولاسيما إن ستر الصبى مخالفته، فإن عاد فليوبخ سرًا، ويعظم عنده ما أتاه ويحذر من معاودته، فإنك إن عاودته التوبيخ والمكاشفة حملته على الوقاحة»[٢].

* * *

(١) فتح البارى ٢/ ٣٥٩، ٣٦٠ وشرح النووى على صحيح مسلم ٦/ ١٣٤، ١٣٥، ولقد قال النووى وابـن حجر: «من هذا الحديث نستفيد أهمية تفقد الإمام رعيته وأمره لهم بمصالح ديـنهم، وإنكـاره علـى مـن أخل بالفضل وإن كان عظيم المحل ومواجهته بالإنكار بأسلوب طيب ليرتدع من هو دونـه بـذلك، وإن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى أثناء الخطبـة لا يفسـدها وفيـه الاعتـذار إلى ولاة الأمـر، وإباحـة الشغل والتصرف يوم الجمعة قبل النداء؛ لأن عمر لم يأمر برفع السوق بعـد هـذه القصـة، واسـتدل بـه مالك على أن السوق لا تمنع يوم الجمعة قبل النداء لكونها كانت فى زمن عمر، ولكون الـذاهب إليهـا مثل عثمان، وفيه شهود الفضلاء السوق ومعاناة المتجر فيهـا، وفيـه أن فضـيلة التوجـه إلى الجمعـة إنمـا تحصل قبل التأذين» (بتصرف)

(٢) تربية الأطفال فى رحاب الإسلام، الثواب والعقاب.
http://www.riyadhedu.gov.sa/alan/fntok/dawh/0/038.htm.

التربية الذكية والعقوبة المثالية

وضع الدكتور لارى جيه كوينج (larry j.Koenig) استراتيجية تربوية أسماها: نظام التربية الذكية، وهذا النظام يساعد الوالدين والمعلمين بصورة عملية على تحديد أخطاء الأبناء وعلاجها، وفى نفس الوقت يساعدهم على تقوية علاقاتهم مع أبنائهم وتلامذتهم، ومن الجدير بالذكر أن هذه الاستراتيجية التربوية يستخدمها الآن آلاف الآباء فى الولايات المتحدة الأمريكية، فهيا بنا نتعرف أكثر على خطوات ومراحل التربية الذكية، لعلها تساعدنا فى علاج أخطاء أبنائنا وتلامذتنا[1].

مراحل وخطوات التربية الذكية:

- الخطوة الأولى: تحديد السلوكيات السيئة.
- الخطوة الثانية: تحويل المساوئ إلى قواعد.
- الخطوة الثالثة: اختيار العقوبات المناسبة.
- الخطوة الرابعة: وضع الجداول الذكية.
- الخطوة الخامسة: شرح النظام للأبناء وتطبيقه.

الخطوة الأولى: تحديد السلوكيات السيئة:

الخطوة الأولى فى علاج أخطاء الأبناء هى تحديد السلوكيات السيئة التى يمارسونها بصورة مستمرة وتحتاج إلى تغيير، ولكى تبدأ فى تحديد السلوكيات السيئة التى يمارسها أبناؤك، استخدم القائمة الموضحة أدناه والتى تشمل عددًا من سلوكيات الأبناء السيئة، ابدأ العمل وذلك بأن تضع علامة أمام السلوكيات السيئة التى يمارسها

(١) التربية الذكية: د. لارى جيه كوينج، ص٣-٥٠.

أولادك يوميًا بشكل معتاد وبصورة مستمرة، وإذا كان هناك سلوك معين يزعجك ولكنك لم تجده ضمن بنود هذه القائمة، قم بإضافته فى نهايتها فى أحد السطور الفارغة التى تبدأ بعبارة «سلوكيات أخرى» (من الأفضل أن يقوم كل من الأبوين بتسجيل إجاباته فى ورقة مستقلة، وبهذه الطريقة يمكنها معرفة أى من هذه السلوكيات يزعجهما بشكل مشترك).

قائمة السلوكيات

•	لا يؤدون صلواتهم بانتظام.
•	عدم طاعة الوالدين من أول مرة.
•	لا يقومون بتنظيف حجراتهم.
•	التغيب عن المدرسة بدون مبرر.
•	إساءة التصرف فى المدرسة.
•	الجلوس أمام التلفاز لساعات طويلة.
•	الوقاحة والفظاظة فى الردود.
•	الرجوع إلى البيت فى وقت متأخر.
•	عدم الاستيقاظ فى المواعيد المقررة.
•	عدم النوم فى المواعيد المقررة.
•	المقاطعة أثناء الكلام.
•	استخدام التليفون بصورة خاطئة.
•	القسم باستمرار وبذاءة اللسان.
•	استخدام أشياء الغير دون استئذان.
•	يسرقون أغراض الآخرين.
•	يضربون بعضهم.
•	يتنابذون بالألقاب.
•	يسخرون من الآخرين.
•	لا يحترمون الجيران.

- يخرجون من المنزل بدون استئذان.
- يغشون فى الامتحانات.
- ملابسهم غير مهندمة.
- يكذبون.
- يرفضون تقديم المساعدة لوالدتهم.
- لا يؤدون واجباتهم المدرسية بصورة جيدة.
- البكاء والعويل للحصول على ما يريدون.
- عدم وضع اللعب فى الأماكن المخصصة لها.
- يسيئون التصرف فى السيارة.
- وأثناء التسوق.
- وفى المطاعم.
- لا ينظفون حجراتهم.
- لا يضعون ملابسهم فى أماكنها.
- يكلمون الكبار بلغة غير مهذبة.
- يدخلون بغير استئذان.
- يجلسون أمام الكمبيوتر لفترات طويلة.
- يغلقون الأبواب بقوة وبصوت مرتفع.
- يطرقون الأبواب ويدقون الأجراس بصورة غير لائقة.
- يشاهدون مواقع وقنوات إباحية.
- يدخنون السجائر أو يشربون الشيشة.
- لا يتناولون وجبة الإفطار.
- سلوكيات أخرى..................
- سلوكيات أخرى.................
- سلوكيات أخرى...............

أيها المربي الكريم

بعد تحديد السلوكيات السيئة التى يمارسها أبناؤك اسأل نفسك: ما هى أسوأ هذه السلوكيات والتى تحتاج إلى علاج سريع؟ وهذا السؤال بدوره سيساعدك على عمل قائمة صغيرة تضم السلوكيات التى تريد من أطفالك تغييرها، وبالنسبة للأطفال بين الثالثة والثامنة من العمر، اجعل قائمة سلوكياتهم التى تريد تغييرها تشتمل على ما لا يزيد على خمسة بنود، وبالنسبة من سن التاسعة فأكثر، اجعل القائمة تشتمل على ما لا يزيد على عشرة بنود، ويجب أن تتناسب السلوكيات مع المرحلة العمرية التى يمر بها ابنك أو ابنتك، فلا يعقل أن ألوم طفل الرابعة من العمر لأنه لا ينظف حجرته أو لأنه لا يحافظ على الصلاة، ويمكنك أن تضيف لهذه القائمة بمرور الوقت أى سلوكيات أخرى تحتاج إلى تعديل ما دمت قد حققت نجاحًا باستخدام هذا النظام.

نموذج لقائمة طفل فى الرابعة من العمر (بحد أقصى خمسة بنود):

- مقاطعة الكبار أثناء الحديث.
- البكاء والعويل ليحصل على ما يريد.
- عدم وضع اللعب فى أماكنها.
- الشجار مع الإخوة والأخوات.
- عدم النوم فى الوقت المقرر.

نموذج لقائمة طفل فى الخامسة عشرة (بحد أقصى عشرة بنود):

- عدم تنظيف الحجرة.
- التلفظ بألفاظ بذيئة.
- يؤخر الصلاة عن وقتها.
- يجلس كثيرًا أمام التلفاز.
- يرفع صوته على والدته.

الخطوة الثانية: تحويل المساوئ إلى قواعد:

بعد أن وضعنا لكل ابن من أبنائنا قائمة لأهم السلوكيات السيئة التى يمارسها، والتى سنحاول جاهدين تغييرها، حان الوقت لتحويل هذه السلوكيات إلى قواعد يحترمها أبناؤنا، فمثلا: سلوك التأخر خارج البيت ليلاً نحوله لقاعدة تقول: لا يسمح بالتأخر خارج المنزل بعد التاسعة ليلاً، وإذا كان أبناؤك يبالغون فى مشاهدة التليفزيون ويقضون أمامه ساعات طوالاً، فيمكنك تحويل هذا السلوك السيئ إلى قاعدة تقول: لا يسمح بمشاهدة التلفاز قبل الذهاب إلى المدرسة أو بعد العاشرة ليلا، وهكذا حتى تحول قائمة السلوكيات السيئة الخاصة بكل ابن من أبنائك إلى قائمة قواعد عليه أن يلتزم بها، وتذكر أنه يمكنك وضع خمس قواعد كحد أقصى للأطفال بين سن الثالثة والثامنة، وعشر قواعد كحد أقصى للأطفال فى سن التاسعة فأكثر، ويمكنك أن تغير هذه القواعد أو تضيف قواعد أخرى بمجرد أن تحقق نجاحًا فى تطبيق هذا النظام، ولاحظ من فضلك: إذا كان هناك فوارق واسعة فى السن بين أطفالك، فمن المرجح أنك سوف تضع قوائم مختلفة لكل فئة عمرية، ولكى تبدأ فى وضع قواعد مكتوبة خاصة بأبنائك أقترح عليك أن تستعرض السلوكيات السيئة التالية وكيف تم تحويلها إلى قواعد وقوانين يلتزم بها أبناؤنا.

أولاً: نموذج لقواعد الأطفال بين الثالثة والثامنة من العمر (بحد أقصى خمس قواعد):

السلوك السيئ الذى يمارسه أبناؤنا	كيف نحوله لقواعد وقوانين منزلية
١- لا يضعون اللعب فى أماكنها المخصصة لها.	١- يجب وضع اللعب فى أماكنها بحلول الساعة السابعة كل ليلة.
٢- ينامون متأخرين.	٢- يجب أن تكون فى الفراش للنوم فى الثامنة مساء.
٣- ينشرون أطباق الطعام وبقاياه فى كل مكان.	٣- تناول الطعام يكون فقط فى المكان المخصص له.

كيف نحوله لقواعد وقوانين منزلية	السلوك السيئ الذى يمارسه أبناؤنا
٤- ممنوع مشاهدة التليفزيون بعد الثامنة مساء والتاسعة أيام العطلات.	٤- يسرفون فى مشاهدة التليفزيون.
٥- يجب الانتهاء من الواجبات المدرسية قبل مشاهدة التليفزيون، ويمنع أداؤها بعد الثامنة مساء.	٥- يهملون واجباتهم الدراسية.

ثانيًا: نموذج للقواعد الخاصة بالأطفال بين التاسعة والسادسة عشرة (عشر قواعد كحد أقصى):

كيف نحوله لقواعد وقوانين منزلية	السلوك السيئ الذى يمارسه أبناؤنا
١- يفرض على كل فرد من أفراد الأسرة واجب منزلى يؤديه ويجب الانتهاء من الواجب المنزلى فى التاسعة مساء.	١- لا يساعدون والدتهم فى أعمال المنزل.
٢- يجب الاستئذان قبل الخروج من المنزل لأى سبب من الأسباب.	٢- يخرج من المنزل بغير إذن.
٣- ممنوع انتقاد الطعام.	٣- لا يعجبهم ما يقدم لهم من طعام.
٤- الاستيقاظ صباحًا قبل موعد المدرسة بوقت كاف، ويجب الذهاب للمدرسة فى الموعد المقرر.	٤- يذهب متأخرًا للمدرسة.
٥- يجب الاستئذان قبل أن تأخذ أو تستخدم شيئا يخص أى فرد آخر فى الأسرة.	٥- يستخدم أغراض إخوته بغير استئذان.
٦- ممنوع استخدام التليفون بعد التاسعة مساء سواء لإجراء مكالمات أو لاستقبال مكالمات.	٦- يكثر من استخدام الهاتف.
٧- ممنوع استخدام الكمبيوتر أو البلاى ستيشن بعد العاشرة مساء لأى سبب.	٧- يجلسون كثيرًا أمام الكمبيوتر والبلاى ستيشن.

الخطوة الثالثة: اختيار العقوبات المناسبة:

بمجرد اختيار وكتابة القواعد الخاصة بأبنائك، تصبح مستعدًا للخطوة التالية، وهى أن تقوم بإعداد قائمة تشتمل على خمسة امتيازات يتمتع بها كل واحد منهم، ولكى تنجح فى هذه المهمة قم بعمل قائمة بالامتيازات التى يتمتع بها كل طفل من أطفالك كل يوم بشكل ثابت لدرجة أن وجودها أصبح من الأمور المسلم بها كل يوم بالنسبة له، وبالطبع سوف تشتمل القائمة الخاصة بصغار الأطفال على امتيازات تختلف عن تلك التى تشتمل عليها القائمة الخاصة بمن يكبرونهم، وفيما يلى نقدم نموذجًا لامتيازات الأبناء، والتى يمكنك الاختيار من بينها..

قائمة الامتيازات المناسبة للأطفال بين سن الثالثة والثامنة:

- الخروج للعب خارج المنزل.
- مشاهدة التليفزيون.
- ركوب الدراجة.
- اللعب بالبلاى ستيشن.
- اللعب فى بيت أحد الأصدقاء.
- تناول الحلوى قبل النوم.
- اصطحابهم إلى الملاهى.
- قراءة القصص.
- استخدام الكمبيوتر.
- السهر لوقت متأخر.
- امتيازات أخرى............

قائمة الامتيازات المناسبة للأبناء بين سن التاسعة والسادسة عشرة:

- ركوب الدراجة (أو قيادة السيارة لمن هم فى نهاية هذه الفئة العمرية).
- المذاكرة مع صديق.
- الذهاب للنادى.
- الذهاب إلى دور السينما.
- الخروج من المنزل ليلاً.
- استخدام الكمبيوتر.
- التأخر ليلاً خارج المنزل.
- استخدام الهاتف.
- ممارسة ألعاب الفيديو.
- مشاهدة التليفزيون.
- امتيازات أخرى..........

وبمجرد اختيار خمسة امتيازات لكل طفل من أطفالك، قم بترقيمها من واحد إلى خمسة، على أن تعطى أقلها أهمية بالنسبة لطفلك الرقم واحد، وأكثرها أهمية الرقم خمسة، وعندما تنتهى من إعداد القوائم المطلوبة سوف تكون جاهزًا للانتقال إلى الخطوة التالية والتى ستضع فيها الجداول الخاصة بنظام التربية الذكية.

الخطوة الرابعة: وضع الجداول الذكية:

بالنسبة للأطفال بين سن الثالثة والثامنة من العمر، يستحسن أن تستخدم معهم جدولاً يوميًا، أما الأطفال الأكبر فيمكنك أن تستخدم معهم جدولاً أسبوعيًا، والآن

قم بإلقاء نظرة على نماذج الجداول التالية، مع ملاحظة أن الجداول اليومية تحتوى على ثمانية مربعات، بينما تحتوى الجداول الأسبوعية على اثنى عشر مربعًا، وأن كل هذه الجداول تعمل بنفس الطريقة تمامًا، لاحظ كذلك أن آخر خمسة مربعات فى كل جدول هى التى ستضع فيها تلك الامتيازات الخمسة التى قمت باختيارها سابقًا.

أولاً: نموذج لجدول يومى للأطفال بين سن الثالثة والثامنة:

الاسم:................ اليوم:.................

١	٢	٣	٤ الدراجة
٥ أصدقاء	٦ الخروج	٧ التليفزيون	٨ الحلوى

قاعدة اليوم: وضع اللعب فى الأماكن المخصصة لها بعد انتهاء اللعب بها.

أحسن أداء بالأمس تحقق مع قاعدة: النوم فى الوقت المقرر لذلك.

كل القواعد سارية المفعول، مع التركيز اليوم على هذه القاعدة بشكل خاص.

ثانيا: نموذج لجدول أسبوعى للأطفال بين سن التاسعة والسادسة عشرة:

الاسم:............ الفترة: من يوم:............ إلى يوم:............

١	٢	٣	٤	٥	٦
٧	٨ ألعاب الفيديو	٩ استخدام الهاتف	١٠ دعوة الأصدقاء	١١ مشاهدة التليفزيون	١٢ استخدام الكمبيوتر

قاعدة الأسبوع: ممنوع استخدام الكمبيوتر أو البلاى ستيشن بعد العاشرة مساء لأى سبب.

أحسن أداء فى الأسبوع الماضى: الاستئذان قبل استخدام أغراض الآخرين فى البيت.

كل القواعد سارية المفعول، مع التركيز اليوم على هذه القاعدة بشكل خاص.

أيها المربى الكريم

لاحظ معنا ما يلى: فـى نمـوذج الجـدول اليـومى لصـغار الأطفال، تم وضع أقل الامتيازات أهمية بالنسبة للطفل فى المربع رقم ٤، ووضعنا أكثر الامتيازات أهمية بالنسبة له فى المربع رقـم ٨، وفى الجـدول الأسـبوعى الخـاص بالأطفـال الأكـبر سـنًا، تم وضع أقل الامتيازات أهمية فى المربع رقم ٨، بينما وضعنا أكثـر الامتيازات أهمية فى المربع رقم ١٢، وتحت الجدول يوجد بندان همـا: قاعـدة اليـوم وأحسـن أداء فـى اليـوم السـابق (بالنسـبة للصغار) وفى الأسبوع الماضى (بالنسبة للأكبر سـنًا) فمـا معنـى هذا الكلام؟

١- قاعدة اليوم (أو قاعدة الأسبوع): هـى القاعـدة التـى تريـد مـن أبنائـك تطبيقها فى هذا اليوم أو خلال هذا الأسبوع، وعليك أن تلاحظ أيضًا أن (قاعدة اليوم) هى عبارة عن السلوكيات السيئة التى يمارسها طفلك (لقد جمعناها فى الخطوة الأولى) والتى حولتها إلى قواعد وقوانين (فعلنا ذلـك فى الخطوة الثانية).

٢- أحسن أداء بالأمس (أو فى الأسبوع الماضي): فوظيفته هـى تـذكيرك بأن تثنى على أبنائك لأنهم قد اتبعوا القواعـد التـى قمـت بوضـعها، وحتى إذا لم ينجح أطفالك فى اتباع هـذه القواعـد بحـذافيرها رغـم حرصهم على ذلك، فيجب عليك أن تثنـى علـيهم لأنهـم قـد بـذلوا أقصى ما فى وسعهم، أما إذا لم يكن هذا الأمر متحققًا، فاترك المسافة بيضاء دون ذكر شيء.

والآن وبعد أن قمت بدراسة هذه النماذج، استعن بـالله تعـالى وقـم بتصـميم الجـداول التـى تناسـب أبنـاءك، لعـل الله تعـالى أن يجعلـها سـببًا لهـدايتهم وصـلاح أخلاقهم.

الخطوة الخامسة: شرح النظام للأبناء وتطبيقه:

بعد أن تنتهى من وضع الجداول المطلوبة قم بعقد اجتماع عائلى قصير لشرح نظام التربية الذكية، وجهز معك لهذا الاجتماع نسخة من القواعد الخاصة بكل طفل، وكذلك الجدول الخاص به، ثم أخبر أطفالك أنك توصلت إلى نظام جديد لإدارة البيت، وأنك تريد تجربته داخل الأسرة، ربما تسمع بعض الأحاديث الجانبية الخافتة التى تعبر عن السخط والاستياء، عليك أن تتجاهلها وتمضى فى هدوء إلى شرح القواعد الخاصة بكل فئة عمرية، وفى هذه المرحلة سوف تقابل باستجابات مختلفة، فصغار الأطفال مثلاً يميلون إلى الإعجاب بأنظمة التربية الموضوعة، وذلك لأنها تركز الانتباه عليهم وتشعرهم بأنهم موضوع الاهتمام، أما الأطفال فى سن العاشرة فأكثر فمن المحتمل أنهم سوف يستجيبون بطريقة سلبية للقواعد والقوانين التى ستخبرهم بها، وسوف تستمع على الأرجح إلى أشياء مثل: ما هذا؟ إن هذه القواعد ليست عادلة بالمرة؟ من هذا الذى وضعها؟

عند هذه النقطة، يرغب بعض الآباء عادة فى معرفة إن كان من الممكن أن يسمحوا لأبنائهم بالمشاركة فى وضع هذه القواعد، أم أنه من الأفضل التأكيد للأبناء على أن تحديد هذه القواعد هى مسئولية الآباء وحدهم؟ وردًا على هذه النقطة يقول الدكتور لارى جيه: إنه من المعقول تمامًا أن نعطى الأبناء فرصة للتعبير عن رأيهم فيما يتعلق بهذه القواعد، بل إن السماح لهم بالمشاركة فى وضع هذا النظام ككل، يجعلهم فى أعلى الأحوال يشتركون فى تنفيذه طواعية واختيارًا، وهذا خيار صحيح، لكن هناك مجموعة من الآباء سوف يرددون قائلين: انتظر، ألسنا نحن الآباء؟ إذن يجب أن نضع نحن هذه القواعد وسوف نقول لأبنائنا: نحن نحترم رأيكم، ولكننا آسفون، فهنا فى داخل أسرتنا الآباء هم من يضعون القواعد، وهذا خيار صحيح هو الآخر، وهناك فريق ثالث يجمع بين الرأيين السابقين وذلك بأن يضع جزءًا من القواعد بمفرده دون مناقشة الأبناء، والجزء الآخر من القواعد قابل للنقاش والتغيير والتعديل، وهذا الرأى صحيح أيضا، وسواء اخترت هذا الرأى أو ذاك فالقرار فى ذلك يرجع إليك، ولكن فى كل الأحوال ما يلزمك فى هذه المرحلة هو أن يثبت لدى أطفالك جميعًا أنه سوف تكون هناك قواعد محددة يلتزم بها الجميع.

بعد أن تقوم باستعراض القواعد مع أبنائك، اعرض على كل منهم الجداول اليومية أو الأسبوعية التى قمت بوضعها، واشرح لهم هدف هذه الجداول وطريقة العمل بها، ونقترح أن تكون خطوات الشرح كالتالى:

أولاً: الاجتماع العائلى مع الأطفال بين سن الثالثة والثامنة:

- هذا هو أحد الجداول المستخدمة فى نظام التربية الذكية، وسوف أشرح لك طريقة استخدامه.
- سوف نحتفظ بهذه الجداول مع قائمة بالقواعد فى مكان ظاهر، كأن نعلقها على الجدار فى الصالة أو على دولاب ملابسك.
- إذا قمت بكسر قاعدة ما، فسوف نحدد ما هى هذه القاعدة، وسوف نقوم بوضع علامة X فى المربع الأول.
- إذا قمت بكسر قاعدة أخرى، او بكسر نفس القاعدة مرة ثانية فسوف نضع علامة X فى المربع رقم ٢، ثم نضع علامة X فى المربع رقم ٣ وذلك فى المرة الثالثة التى تخالف فيها القواعد.
- فى الجدول اليومى هناك ثلاثة مربعات فارغة، وهذا معناه أن مخالفة القواعد لثلاث مرات لن يفقدك أية امتيازات.
- الغرض من وضع العلامات السابقة فى المربعات الثلاثة الأولى هو تحذيرك أنك أصبحت على وشك أن تواجه العواقب السلبية وأنه من الأفضل أن تبدأ فى السير على القواعد.
- إذا تم وضع علامة X فى المربعات الأولى الفارغة لمخالفة القواعد الثلاث مرات، ثم قمت بمخالفة رابعة فسوف يتم وضع علامة فى المربع رقم ٤، وهذا سوف يفقدك لبقية اليوم الامتياز الذى يشتمل عليه هذا

المربع، وهكذا.

- سوف نستخدم كل يوم جدولاً جديدًا، ومن تظل جداوله خالية من العلامات السلبية لمدة أسبوع فله هدية قيمة.

ثانيًا: الاجتماع العائلى مع الأطفال بين سن التاسعة والسادسة عشرة:

- هذا هو أحد الجداول المستخدمة فى نظام التربية الذكية، وسوف أشرح لك طريقة استخدامه.
- سوف نحتفظ بهذه الجداول مع قائمة بالقواعد فى مكان ظاهر، كأن نعلقها على الجدار فى الصالة أو على دولاب ملابسك.
- إذا قمت بكسر قاعدة ما فسوف نحدد ما هى هذه القاعدة وسوف نقوم بوضع علامة X فى المربع الأول.
- إذا قمت بكسر قاعدة أخرى، أو بكسر نفس القاعدة مرة ثانية، فسوف نضع علامة X فى المربع رقم ٢، ثم فى المربع رقم ٣، وهكذا.
- الغرض من وضع العلامات السابقة فى المربعات السبعة الأولى هو تحذيرك أنك أصبحت على وشك أن تواجه العواقب السلبية، وأنه من الأفضل أن تبدأ فى السير على القواعد.
- إذا تم وضع علامة X فى المربعات السبعة الأولى الفارغة لمخالفة القواعد لسبع مرات، ثم قمت بمخالفة ثامنة، فسوف يتم وضع علامة فى المربع رقم ٨ وهذا سوف يفقدك لبقية اليوم الامتياز الذى يشتمل عليه هذا المربع، وهكذا.
- سوف نستخدم كل أسبوع جدولاً جديدًا، ومن تظل جداوله خالية من العلامات السلبية لمدة شهر فله جائزة قيمة.

والجميل بشأن نظام التربية الذكية، هو أن فهمه لا يتطلب إلا شرحًا مبسطًا وقليلاً للغاية فبمجرد أن تجلس مع أبنائك وتستعرض القواعد المطلوبة والجداول اللازمة، سوف تجد منهم إن شاء الله فهمًا تامًا واستيعابًا كبيرًا، وهنا يقول الدكتور

لارى جيه واضع نظام التربية الذكية: ولك أن تتوقع أيضًا أن يحاول أطفالك إقناعك بالعدول عن استخدام نظام التربية الذكية، وقد كانت إحـدى بناتنـا مبتكـرة ومبدعـة للغاية فى محاولتها إقناعنا بالتراجع عن استخدام هذا النظام، فبعد الشـرح والتفسـير الذى قدمناه فى أول مرة، ابتسمت ابنتى ابتسامة جميلة عريضة وجميلة وقالـت: أمـى، أبى، انظرا إلى هذه الابتسامة جيدًا، سألناها عن السبب، فأجابت: لأنكما لـن ترياهـا بعد الآن، ضحكنا فيما بيننا وبين أنفسنا على تعليقها هذا، ولكننـا تجاهلنـا مـا قالتـه، وهذا ما أقترح عليك أن تفعله إذا ما حاول أطفالك إقناعك بالعدول عـن اسـتخدام نظام التربية الذكية.

إرشادات حول استخدام نظام التربية الذكية:

فيما يلى عدد قليل من الإرشادات التى سوف تجعل -إن شاء الله- نظام التربيـة الذكية أكثر سهولة وفعالية.

١- امتنـع عن إعطـاء التحـذيرات أو الفـرص الثـانية:

فعلى سبيل المثال لا تقل: من الأفضل أن تتوقف عـن الشـجار مـع أخيـك وإلا سوف أضع علامة X فى جدولك، ولكن بدلا من ذلك قم بتحديد القاعدة التى تمت مخالفتها وضع علامـة فـى المكـان المناسـب فـى الجـدول، ومـن المؤكـد أن الأطفـال يستحقون أن نحذرهم أنهم على وشك الوقوع فى مشكلة ما، ولكن هذه المسألة تمت معالجتها فى هذا النظام عـن طريـق المربعـات الفارغـة الموجـودة فـى الجـداول كمـا وضحنا، أضف إلى ذلك أنك عندما تضع العلامات فى الجدول بـدون تحـذير فأنـت بذلك تجعل أطفالك يعلمون أنك كنت جادًا بشأن هذا الأمر منذ طرحـه فـى البدايـة بدون الحاجة منك إلى الصراخ والصياح لكى تصلهم هذه الرسالة.

٢- امنـح أبنـاءك التقـدير اللازم على مـا التـزموا بـه من قـواعـد:

فالكبار أنفسهم يكرهـون أن يشـار فقـط إلى أخطـائهم، بـل إن ذلـك يشـعرهم بالغضب ويضعف من روحهم المعنوية، والأطفال يفكرون بنفس الطريقة، وعندما لا يجدون المدح والثناء على ما فعلوه من خير فربما يخاطبون أنفسـهم قـائلين: «لمـاذا إذن

نزعج أنفسنا ونتقيد بهذه القواعد؟» ولذلك تأكد من أنك فى كل مرة تبدأ فيها استخدام جدول جديد أن تملأ بند (أحسن أداء) فى اليوم السابق أو الأسبوع الماضى حسب نوع الجدول المستخدم، مع ضرورة الالتزام بإعطاء الجوائز القيمة لمن التزم بكل القواعد (خلال اليوم للصغار، وخلال أسبوع للكبار) فأصبح الجدول الخاص به نظيفًا وليس به أى علامة X.

٣- توقف عن التوبيخ وإعطاء المحاضرات:

عندما يقوم أحد أبنائك بمخالفة قاعدة ما أخبره ببساطة ما هى القاعدة التى قام بمخالفتها وضع علامة X فى مكانها الصحيح فى الجدول، فالتوبيخ وإعطاء المحاضرات الطويلة سوف يزيد الموقف سوءًا على الأرجح بدلاً من أن يحسنه، وتذكر أن أحد الأسباب التى جعلتك تلجأ إلى استخدام هذا النظام هو أنك قد تعبت من مثل هذه المحاضرات وعرفت أنها لا تجدى نفعًا، وعلاوة على ذلك فتوقفك عن محاضرتهم وتوبيخهم مع تطبيق ما اتفقتم عليه بشأن هذا النظام سوف يشعرهم ببعض الارتياح لتوقف التوبيخ والصياح، كما سيعنفون ويوبخون أنفسهم إذا لم يلتزموا بالقواعد المفروضة، وهذا أكثر فاعلية من محاضرة يلقيها أحد الأبوين.

٤- حدد القاعدة التى تمت مخالفتها فى المربع الخاص بها:

عندما تضع علامة X فى أحد المربعات فى الجدول، ربما يلزمك أيضا أن تشير إلى القاعدة التى تمت مخالفتها، وذلك بكتابة المخالفة بجوار علامة X، وهذا سوف يكون بمثابة ملحوظة تذكرك أنت وأبناءك بالسبب الذى من أجله وضعت العلامة فى الجدول.

٥- املأ بند قاعدة اليوم أو قاعدة الأسبوع فى الجدول:

يجب أن يكون الالتزام بكل القواعد التى وضعناها سارى المفعول، ولكن أخبر أبناءك أن هذه هى القاعدة التى تريد منهم التركيز عليها بشكل خاص فى هذا اليوم أو فى هذا الأسبوع، كأن تقول على سبيل المثال: «أريد منكم هذا الأسبوع التركيز بوجه خاص على التوقف عن المشاجرات والمشاحنات» وهذا بدوره يقودنا إلى فكرة

استخدام نفس الجداول لعلاج مشكلة واحدة، فالأب الذى يشعر أن ابنه يتخلف عن الصلاة مرارًا وتكرارًا، يمكنه أن يصمم جدولاً أسبوعيًا أو يوميًا لعلاج مشكلة واحدة وهى الصلاة، وعلى ذلك تكون القاعدة الوحيدة التى يجب الالتزام بها هى: يمنع تأخير الصلاة عن وقتها.

٦- عندما يفقد ابنك امتيازًا فلا تعطه له مرة أخرى لحين بدء العمل بجدول جديد:

اجعل طفلك يتحمل نتيجة أخطائه، وكن حازمًا فى حرمانه من الامتيازات التى وضع أمامها علامة X دون الالتفات إلى بكائه وتوسلاته ويجب أن يكون موقف الوالدين واحدًا، وحازمًا، وأؤكد على الآباء أن يفكروا طويلاً قبل إسقاط عواقب السلوكيات السيئة على الأبناء، فما ينطوى عليه هذا التصرف من رقة هى فى الحقيقة رقة مزعومة، فعلى الرغم من أننى أدرك أنه من الصعب جدًا على الآباء أن يشاهدوا أبناءهم وهم يشعرون بالندم على أخطائهم وبالألم الذى يسببه لهم العقاب الناتج عنه، فإننى أدرك أيضًا أن الأصعب من ذلك هو أن ينتهى بك الحال بطفل أصبح خارج نطاق السيطرة، فقط لأنك تركته يفلت من العقاب.

* * *

لعقاب الأحباب..ضوابط وآداب

هناك مجموعة من الضوابط والآداب التى يجب على المربى أن يلتزم بها عند معاقبته لأبنائه وتلامذته، وذلك حتى يحقق العقاب أهدافه ويؤتى ثماره، وفيما يلى نقدم باقة من هذه الآداب وتلك الضوابط:

١- لا يحرق بالنار إلا رب النار:

عقاب الأبناء بواسطة النار شائع فى بعض البيوت، فما أن يخطئ الطفل، حتى تسخن أمه أو أبوه ملعقة أو سكينة فتلسعه بها، بل إن البعض قد يحرق أبناءه بلهب النار مباشرة إذا أخطأوا وهذا ما أكدته إحدى الأمهات إذ تقول: عندما كان أولادى صغارًا وكنت فى صدد تعليمهم الاستغناء عن الحفاظة، أن نصحتنى بعض الأمهات الحنونات الخبيرات بطريقة سريعة وفعالة للنجاح فى هذه العملية التى تستغرق جهدًا وزمنًا كبيرين، باتباع أسلوب سريع ناجح يقمن به بكل بساطة، بأن يحرقن العضو التناسلى للطفل بعود الكبريت أو يضعن عليه ملقط غسيل عندما يغلط الطفل وينسى فيبلل ثيابه، سواء كان الطفل ذكرًا أو أنثى، ويحصلن بذلك على نتائج سريعة، وقد أثار يومها استنكارى واشمئزازى وثورتى العارمة دهشتهن، إذ تعودن لفترة طويلة على لسع أبنائهن أو حرقهم بالنار دون استنكار من أحد[1].

إن من يلسع أبناءه أو يحرقهم بالنار يرتكب فى حقهم جريمة شنعاء، مهما كان الخطأ الذى ارتكبوه، ومهما كان الجرم الذى أجرموه، والسبب فى ذلك أن النبى ﷺ قد نهى بشدة عن التعذيب أو الحرق بالنار، وإن مما يؤكد على أن الحرق بالنار جريمة كبيرة، أن النبى ﷺ قد نهانا حتى عن حرق الكفار وتعذيبهم بالنار، روى أحمد وأبو داود عن حمزة بن عمرو الأسلمى صاحب النبى ﷺ حدثه أن رسول الله ﷺ بعثه ورهطًا معه إلى رجل من عذره فقال: «**إن قدرتم على فلان فأحرقوه بالنار**» فانطلقوا حتى

---

(١) العنف ضد الأطفال، د. مية الرحبى
http://www.arraee.com/arraee_website/soc_caltcher/artica104072003_2.htm

إذا تواروا منه ناداهم أو أرسل فى أثرهم، فردوهم ثم قال: «**إن أنتم قدرتم عليه فاقتلوه ولا تحرقوه بالنار، فإنما يعذب بالنار رب النار**»[(١)].

ولأنه لا يحرق بالنار إلا خالقها فلقد نهى النبى ﷺ أيضا عن حرق الحشرات أو تعذيبها بالنار، روى الإمام أحمد عن عبد الله بن مسعود أنه قال: نزل النبى ﷺ منزلاً (أى كانوا فى سفر ونزلوا منزلاً يستريحون فيه) فانطلق النبى ﷺ لحاجته (أى ليقضى حاجته) فجاء وقد أوقد رجل على قرية نمل إما فى الأرض وإما فى شجرة، فقال رسول الله ﷺ: «**أيكم فعل هذا**»؟ فقال رجل من القوم: أنا يا رسول الله، قال ﷺ: «**أطفها أطفها**»، وفى رواية أبى داود قال ﷺ: «**إنه لا ينبغى أن يعذب بالنار إلا رب النار**»[(٢)].

ولقد تعلم الصحابة الدرس جيدًا فامتنعوا تمامًا عن الحرق بالنار وعلموا التابعين من بعدهم أن يبتعدوا تمامًا عن التعذيب بالنار، روى الطبرانى عن عثمان بن حيان قال: كنت آتى أم الدرداء فاكتب عندها فأخذت قملة أو برغوثًا فألقيته فى النار قالت: أى بنى لا تفعل فإنى سمعت أبا الدرداء يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ولا يعذب بعذاب الله**»، وفى رواية البزار، قال ﷺ: «**لا يعذب بالنار إلا رب النار**»[(٣)].

وانطلاقا من النهى النبوى عن التعذيب بالنار، فقد تعامل أصحاب النبى ﷺ بشدة وحزم مع من يعذب غيره بالنار، وحتى لو كان يفعل ذلك مع عبيده ومواليه، فلقد جاءت جارية إلى عمر بن الخطاب تشكو إليه سيدها، وتقول إنه اتهمها ظلمًا بالفاحشة، وأنه قد أحرقها بالنار، فأحضر سيدنا عمر سيدها وقال له: ويحك أما وجدت عقوبة إلا أن تعذبها بعذاب الله، ثم سأله: هل رأيت ذلك عليها (أى الفاحشة)؟ قال الرجل: لا، قال عمر: فاعترفت لك؟ قال الرجل: لا، فجلده عمر عقابًا له، ثم أعتق الجارية منه وجعلها حرة[(٤)].

---

(١) مسند أحمد ٣/ ٤٩٤، سنن أبى داود ٣/ ٥.
(٢) انظر: مسند أحمد ١/ ٣٩٦، وسنن أبى داود ٣/ ٥٥، والزهد لهناد ٢/ ٦٢٠.
(٣) مجمع الزوائد ٦/ ٢٥١.
(٤) انظر: نيل الأوطار ٦/ ٢٠٦، و فتح البارى ١٢/ ١٨١، والمدونة الكبرى ٧/ ٢٢٠.

أيها الوالد الكريم، أيتها الأم الحنون

علينا أن نتوقف تمامًا عن لسع أبنائنا بالنار، بل ونعلمهم ألا يحرقوا الحشرات أو الحيوانات بها، عسى أن يحرمنا الجبار من حر النار يوم القيامة، اللهم آمين.

٢- لا تهدده بفقد الحب :

«عندما يخطئ طفلك عليك أن تردد على مسامعه أنك تحبه جدًا ولكنك تغضب وترفض سلوكه وتصرفه الخاطئ، فهذا الأسلوب يجعله سريع الاستجابة ويعمق إحساسه بالحب والثقة والأمان الذى يحتاجه جميع الأطفال فى مرحلة الطفولة، وقد تندفع بعض الأمهات فى حالة الغضب من أخطاء الأطفال إلى ترديد عبارة «لن أحبك حتى تكف عن ذلك) دون أى وعى لعواقب هذه الكلمة العابرة، فلا يصح لأحد الوالدين سلب إحساس الطفل بالحب أو التهديد بسحبه تحت أى ظرف، فهذا الأسلوب الخاطئ قد يجعل الطفل يشك فى حب والديه طالما أن هذا الحب مرهون بتصرفاته، وقد يهتز داخليًا ونفسيًا ويدركه الخوف من جميع تصرفاته، مما يجعله يفقد تلقائيته ويغرس فى نفسه بذور الخوف وعدم الإحساس بالثقة والأمان، وقد ينعكس ذلك على شخصيته عندما يكبر فيعانى من الرهبة الاجتماعية عند التعامل مع الآخرين.

والطفل الذى يسأل أمه من حين لآخر، ما إذا كانت تحبه، ويستفسر عن مدى حبها له، هو طفل لديه إحساس بعدم الأمان الداخلى كما يشك فى الحب وقبول أحد والديه له، وهذا يحدث كثيرًا نتيجة إهمال الاهتمام بمشاعر الطفل أو انشغال الأم وكثرة أعبائها الوظيفية والأسرية، وعدم تجاوبها لاحتياجاته بصورة كافية، وهنا يجب على الأم أن تضم طفلها وتداعبه وتعبر عن حبها وإعجابها به مما يمنحه الطمأنينة والأمان والشعور بأنه مرغوب به. أما إذا استشعرت الأم أن طفلها يلقى هذا السؤال و يثيره للفت الانتباه وبغرض الاستحواذ على اهتمامها بسبب انشغالها عنه، أو استعراضًا لمقدرته على الكلام كما يفعل كثير من الأطفال فى السنوات الأولى من العمر، فيمكن للام أن تشغل انتباه طفلها فى هذه الحالة بأشياء أخرى

تتحدث فيها معه إلى جانب التأكيد له بأنها تحبه وبأنه جزء هام من حياتها.

وينصح الخبراء كل أم أن تردد دائمًا كلمات الحب والإعجاب والتقدير، على مسامع طفلها ليتغلغل فى أعماقه الإحساس الجميل بالحب والثقة بالنفس والأمان بين أقرب الناس إليه، وعلى الأم أن لا تنسى أيضا الفعل السحرى للمسات وضمات الحنان والقبلات التى من شأنها أن تعزز ثقة الطفل بنفسه وتجعله أكثر قدرة على مواجهة الحياة والعطاء فى المستقبل»[١].

٣- لا تهدديه بالأب الغائب:

أمهات كثيرات كل ما يفعلنه مع أبنائهن هو تهديدهم وتوعدهم بغضب أبيهم وما سيوقعه عليهم من عقاب عندما يعود إلى البيت، وعندما يعود الأب الغائب تخبره الأم أن عليه نصب المحكمة والعمل كقاضٍ والحكم فى قضايا اليوم كله، وبالتالى إيقاع الجزاءات والغرامات على مرتكبى الأخطاء من أطفاله، والحقيقة أن تخويف الأم لأطفالها بالأب الغائب يفسد العلاقة بين الطفل وأبيه، فلا يرى منه إلا الشدة والعنف، كما يشعر الطفل بعدم قدرة أمه على التعامل مع الأحداث، وهذا يقلل من قيمة الأم فى نظر الأطفال، فيستهينون بكل ما تقول، ولا يلقون له بالاً فلتكن العقوبة مسئولية كلا الوالدين من كان منهما حاضرًا[٢].

إن الطفل الذى يفرح حين يدخل والده المنزل ويسرع لاحتضانه يعيش حياة نفسية وعاطفية أفضل من الذى يرتجف ويخاف حين يسمع صوت والده، لذلك حرص الإسلام على أن يجعل من سفر الأب وخروجه من البيت وسيلة لتوطيد علاقته بأبنائه، ويتحقق ذلك من خلال سبع وسائل عملية فقبل أن يغادر الأب الحبيب بيته يسلم على أبنائه ويودعهم فيكون آخر الناس عهدًا به أبناءه وفلذات كبده، روى الحاكم عن ابن عمر رضى الله عنهما «أن النبى ﷺ كان إذا سافر كان

---

(١) الحب والعقاب وأثرهما على شخصية طفلك ١٢/ ١/ ٢٠٠٣ (بتصرف).
http://majales.qcat.net/showflat.php?Cat=&Board=UBB6&Number=46839&page=15&view=collapsed&sb=5&o=&fpart=1

(٢) كيف نعاقب أبناءنا؟ الأحد ١٤صفر ١٤٢٥هـ، ٤إبريل ٢٠٠٤م.
http://www.islammemo.cc/most/one_news.asp?IDnews=76

آخر الناس عهدًا به فاطمة، وإذا قدم من سفر كان أول الناس به عهدًا فاطمة رضى الله عنها»[١].

وأذكر لوالدتى، -حفظها الله- أنها كانت تربينا على هذا الخلق الجميل، ففى الصباح كنا نودع أبانا الحبيب ونقبل يده قبل أن يذهب إلى عمله، وعندما ينطلق خارجًا من البيت ننطلق مع والدتنا إلى شرفات المنزل لنودع أبانا الحبيب بنظرات ملؤها الحب والود ونفعل ذلك يوميًا دون كلل أو ملل.

وبعد أن يخرج الأب من بيته يدعو بدعاء السفر المأثور عن النبى ﷺ؛ روى الإمام مسلم عن على الأزدى أن ابن عمر رضى الله عنهما، علمهم أن رسول الله ﷺ كان إذا استوى على بعيره خارجًا إلى سفر كبر ثلاثًا ثم قال: «**سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين، وإنا إلى ربنا لمنقلبون، اللهم إنا نسألك فى سفرنا هذا البر والتقوى ومن العمل ما ترضى، اللهم هون علينا سفرنا هذا، واطو عنا بعده، اللهم أنت الصاحب فى السفر والخليفة فى الأهل، اللهم إنى أعوذ بك من وعثاء السفر، وكآبة المنظر، وسوء المنقلب فى المال والأهل**»، وإذا رجع قالهن وزاد فيهن «**آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون**»[٢].
وخلال هذا الدعاء يستعيذ بالله تعالى من سوء المنقلب (العودة) إلى بيته فهو يرجو أن تكون عودته إلى البيت مليئة بالسعادة والفرح، عليه وعلى أبنائه، ويستعيذ بالله تعالى من أن يرى بعد عودته إلى بيته ما يحزنه، كما يستعيذ بالله تعالى أن يصيبه فى سفره ما يحزن أهله ويسوؤهم وهذا معنى قوله: «**وسوء المنقلب فى المال والأهل**».

ولأنه أب يحب أبناءه ويحبونه فهو دائمًا يشتاق لرؤيتهم والأبناء بدورهم ينتظرونه بفارغ الصبر، لذلك كانت وصية النبى ﷺ لكل أب مسافر أن يسرع بالعودة لأبنائه وأحبابه، روى البخارى ومسلم عن أبى هريرة ﷺ عن النبى ﷺ قال: «**السفر قطعة من العذاب يمنع أحدكم طعامه وشرابه ونومه، فإذا قضى نهمته** (حاجته) **فليعجل إلى أهله**»[٣]، والمقصود فى هذا الحديث استحباب تعجيل الرجوع إلى الأهل بعد قضاء

(١) المستدرك على الصحيحين ٣/ ١٦٩.
(٢) صحيح مسلم ٢/ ٩٧٨.
(٣) صحيح البخارى ٢/ ٦٣٩، وصحيح مسلم ٣/ ١٥٢٦، والنهمة بفتح النون وإسكان الهاء هى الحاجة.

شغله، ولا يتأخر بما ليس له بمهم، والهدف من إسراع المسافر بـالعودة إلى بيتـه ليريـح نفسه ويفرح أهله، وفى هذا الحديث دليل على كراهة التغرب عن الأهل لغير حاجة، واستحباب استعجال الرجوع إلى الأهل والأبناء ولاسيما من يخشى علـيهم الضـيعة بالغيبة،[١] ومن هنا كان على الأب الحبيب أن يسـرع بـالعودة إلى أبنائـه إذا مـا أنجـز أعماله، مهما كانت الأماكن التى سافر إليها بمفرده جيدة والبقاع التى غادر بيته إليهـا طاهرة، فقد روى البيهقى والدارقطنى عن عائشة رضى الله عنها، أن رسـول الله ﷺ قال: «**إذا قضى أحدكم حجه، فليعجل الرحلة إلى أهله، فإنه أعظم لأجره**»[٢].

ومن الأشياء التى تجعل الأب مشتاقًا للعودة إلى بيته ورؤية أبنائه، أن يحضـر لهـم هدية ولو بسيطة جدًا، فلقد استحب بعض الفقهـاء أن يحمـل المسـافر هديـة لأهلـه، واستشهدوا بالحديث الذى رواه الدارقطنى عن عائشة رضى الله عنها أن رسـول الله ﷺ قال: «**إذا قدم أحدكم من سفر، فليهد إلى أهله وليطرفهم، ولـو كانـت حجـارة**»[٣] (يعنى: حجر الزناد الذى يوقد به كالكبريت أو الولاعة).

ولأن الأبناء ينتظرون أباهم بفارغ الصبر، فإنهم يخرجون لمقابلته عند عودتـه مـن السفر، فيذهبون إلى محطة القطار أو إلى المطار أو يقفون فى شرفة البيت، كل هذا مـن أجل انتظار الوالد الحبيب، والجميل أن استقبال المسافر سنة مـأثورة عـن النبـى ﷺ، فقد روى الإمام مسلم عن عبد الله بن جعفر قال: كان رسول الله ﷺ إذا قـدم مـن سفر تلقى بصبيان أهل بيته (وفى رواية أبى داود: فأينا استقبل أولاً جعله أمامه يعنى على الناقة) قال: وإنه قدم من سفر فسُبق بى إليه فحملنى بين يديه ثـم جـيء بأحـد ابنى فاطمة فأردفه خلفه، قال: فأدخلنا المدينة ثلاثة على دابة»[٤]، وروى البيهقى عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها قالت: «أقبلنا من مكة فى حج أو عمرة وأسـيد بـن حضير يسير بين يدى رسول الله ﷺ، فتلقانا غلمان من الأنصار كانوا يتلقون أهاليهم

---

(١) شرح النووى على صحيح مسلم ١٣/ ٧٠، وفتح البارى ٣/ ٦٢٣ و ٦/ ١٣٩، (بتصرف)
(٢) سنن البيهقى الكبرى ٥/ ٢٥٩، وسنن الدارقطنى ٢/ ٣٠٠
(٣) المجموع ٤/ ٣٤٢، وسنن الدارقطنى ٢/ ٣٠٠.
(٤) صحيح مسلم ٤/ ١٨٨٥، وسنن أبى داود ٣/ ٢٧.

إذا قدموا»[١]. وعندما تتلاقى الوجوه تتقارب القلوب، ويندفع الأبناء بتلقائية ليرتموا فى أحضان أبيهم، وهنا يغمرهم أبوهم بالود والحب والحنان فيقبل خدودهم وجباههم، روى أبو يعلى والطبرانى عن ابن عباس رضى الله عنهما «أن النبى ﷺ كان إذا قدم من سفر قبل ابنته فاطمة»[٢]، وروى أبو داود والطبرانى عن الشعبى أن النبى ﷺ تلقى جعفر بن أبى طالب (لما عاد من الحبشة) فالتزمه (فاحتضنه) وقبل ما بين عينيه»[٣]، وروى الطبرانى عن أنس ﷺ قال:«كان أصحاب النبى ﷺ إذا تلاقوا تصافحوا، وإذا قدموا من سفر تعانقوا»[٤].. ومن هنا قال بعض الفقهاء: «السنة معانقة القادم من سفر وتقبيله، ولا بأس للقادم من سفر بتقبيل ذوات المحارم إذا لم يخف على نفسه فتنة»[٥].

أيتها الأم الحنون

لعلك أدركت الآن كيف وضع الإسلام الكثير من الوسائل العملية التى تقرب بين الأب وأبنائه عندما يسافر أو يخرج من بيته للعمل، فنرجوك لا تفسدى هذا كله بتخويفك لأبنائك من أبيهم الغائب وتجعليه رمز القسوة والقصاص والانتقام.

٤- اضربنى ولا تصرخ فى وجهي:

لو فكرت يومًا فى أن تستعمل السلم بدلاً من المصعد للصعود إلى شقتك، فسوف تسمع صراخًا ينبعث من معظم الشقق، وإذا سألت أحد الصارخين: لماذا تفعل ذلك؟ سيجيبك على الفور: «إننى أؤدب ابنى وأربيه، ولم يعرف هذا المسكين أن الصراخ يعد أسوأ طرق التعامل مع الأطفال»؛ لأن آثاره السلبية ربما تكون أكثر من آثار الضرب، الأمر الذى يجعل كثيرًا من الأطفال قد يلجأ إلى أن يرفع شعار

---

(١) سنن البيهقى الكبرى ٥/ ٢٦٠.
(٢) مسند أبى يعلى ٤/ ٣٥٢، والمعجم الأوسط ٤/ ٢٤٨.
(٣) سنن أبى داود ٤/ ٣٥٦، والمعجم الكبير للطبرانى ٢/ ١٠٨.
(٤) رواه الطبرانى ورواته محتج بهم فى الصحيح، انظر: الترغيب والترهيب، ٣/ ٢٩٠.
(٥) روضة الطالبين ٧/ ٢٨، وكشاف القناع ٥/ ١٦ (بتصرف).

«اضربني ولا تصرخ بوجهي» والقصة التالية تزيد الأمر وضـوحًا، فقـد فوجئـت إحـدى الأمهات بابنها يتكلم مع مذيعة بقناة تلفازية تزور المدرسة وتسأل عن السـلوكيات السـلبية لدى الأمهات، فوجئت بابنها يقول بأن أمه تضربه، وتحرمه من المصروف الأسـبوعى ومـن نزهة آخر الأسبوع، والأم تسمع الكلام وهى مصدومة بكذب ابنها وادعائه عليها، فهـى لم تضربه أبدًا ولم تحرمه من شيء، ولما عاد الابن من المدرسة وجـد الأم لـه بالمرصـاد تسـأله: متى ضربتك؟ متى حرمتك؟ وأجاب الطفل بكل هدوء وثقة: يا أمـى كـان علـى أن أقـول هذا كله عنك لئلا أخبرهم إنك تصرخين بوجهى، وهكـذا بكـل بـراءة اعتقـد الطفـل أنـه يحمى صورة أمه، وهو يخفى صراخها، وهو بهذا عبر عن حقيقـة فطريـة إنسـانية، وهـى أن أصعب شيء على نفس الإنسان هو أن يهان بالصراخ»[(١)].

أيها المربي الكريم

«إن الصراخ يعد عقابًا فاشلاً لأنه يشيع فى البيت مناخًا متوترًا يمس كل من يعيشون فيه، والبيت الذى تعلو فيه الأصوات هو مناخ مناسب لإنتاج أفراد مرضـى بـأمراض نفسـية كـالقلق والاكتئـاب، فالطفل الذى نصرخ دائمًا فى وجهه، ونؤنبه باستمرار، سيشعر بأنه فرد غير مقبول، والجميـع يبغضـونه ولا يرتـاحون لتصـرفاته، هـذا إضافة إلى كون الصـراخ يحـدث مـا يسـمى بـالرابط السـلبى لـدى الطفل، والذى يدوم مع الطفل طيلة حياته، ومهما كبر فإن أى رفع للصوت أمامه يرجع لديه تلك المشاعر السـلبية التـى استشـعرها وهـو طفـل صـغير ضعيف، ومن سلبيات الصراخ الدائم فى وجوه الأبناء أن الأطفال الـذين يتعرضـون لصراخ الأهل فى وجوههم يبدأون فى ممارسته تجاه الأطفال الأصغر منهم فى العائلة والمدرسة، وأحيانًا يصبح السلوك موجودًا حتى فى وجه الكبار، فترى البنت تصـرخ فى وجه أمها، أو الولد يصرخ فى وجه والده، وهنا يصبح من العبث أن نقـول لهـم: إن هذا الفعل معيب لأننا نمارسه معهم يوميًا»[(٢)].

---

(١) http://www.islamonline.net/Tarbia/Arabic/display.asp?hquestionID=2887

(٢) بدلا من الصراخ فى وجه الأطفال د. أحمد عبد الله (بتصرف).

http://www.islamonline.net/QuestionApplication/Arabic/display.asp?hquestionID=1581#t

http://www.islamonline.net/Tarbia/Arabic/display.asp?hquestionID=2887

وبالإضافة لما سبق فإن الصراخ الدائم فى وجه الأطفال ينتج جيلاً مشاغبًا يتسم بالعصبية والعناد وربما العدوانية «فبعد إجراء دراسة شملت ١١٠ أسر أمريكية تضم أطفالاً تتفاوت أعمارهم ما بين ثلاثة وخمسة أعوام، أعلن معهد العلوم النفسية فى أتلانتا أن هناك علاقة قطعية بين شخصية الطفل المشاغب الكثير الحركة، وبين الأم العصبية التى تصرخ دائمًا وتهدد بأعلى صوتها حين تغضب، وجاء فى هذه الدراسة أن المقصود بالطفل المشاغب هو الطفل الذى لا صبر عنده والعنيد والمتمرد والعدوانى نحو الآخرين حتى والديه، والذى لا يلبث أن يجلس حتى يستعد مرة أخرى للقيام واللعب أو العراك مع أحد أخوته، وقال الدكتور فرانك ترايبر من الكلية الطبية بجورجيا: إن نتائج هذه الدراسة أضافت إلى المعلومات المعروفة حاليًا بأن هؤلاء الأطفال قد يدمرون أنفسهم إذا لم تقدم لهم المساعدات منذ صغرهم، وإن الطفل منهم لا يعرف كيف يوجه طاقته هذه للوصول إلى هدف مفيد، بل لوحظ أنه يستخدمها (أى طاقته) فى عراك أو لعب عدوانى مع إخواته أو أصدقائه، وربما والديه أيضًا، وتشير نتائج الدراسة أيضًا إلى أن الأم التى تعبر عن غضبها بالصراخ وباستخدام ألفاظ بذيئة أو سيئة أمام طفلها، تدفع بهذا الطفل إلى التحول إلى طفل من هذا النوع المشاغب، وأكدت الدراسة كذلك أن تأثير غضب الأم أقوى من تأثير غضب الأب على تكوين شخصية الطفل» (١)

أيها المربي الكريم

مادام الصراخ يضر أبناءنا نفسيًا ويؤذيهم معنويًا؛ فهيا بنا نتوقف عن ممارسة هذا السلوك غير التربوي، وفيما يلى نقدم باقة من النصائح العملية التى تساعدنا بمشيئة الله تعالى على أن نقلل من صراخنا فى وجوه أبنائنا وبناتنا.

أ- تذكر دائمًا وصية لقمان الحكيم لابنه أن يخفض صوته ولا يرفعه فيما لا فائدة فيه، لأن أقبح الأصوات وأكثرها شرًا هى أصوات الحمير، ولو كان رفع الصوت خيرًا ما جعله الله تعالى للحمير؛ (٢) قال تعالى: ﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ

(١) http://www.riyadhedu.gov.sa/alan/fntok/dawh/0/004.htm

(٢) تفسير الطبرى ٢١/ ٧٦ (بتصرف).

﴿وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾[لقمان: ١٩] ولقد قال الإمام القرطبى: «فى هذه قبح رفع الصوت فى المخاطبة والملاحاة(اللوم والتعنيف والنزاع والخصام)»[١] وانطلاقا من هذا المبدأ القرآنى الرائع قال عمر بن عبد العزيز -رحمه الله- لرجل قد رفع صوته فى مجلسه: «اخفض من صوتك، فإنما يكفى الرجل من الكلام قدر ما يسمع»[٢].

ب- حدد الأولويات التربوية: يجب على المربى أن يحدد الأهم تربويًا فالأقل أهمية بالنسبة لأبنائه وتلامذته، فليس كل طلب تطلبه الأم من أطفالها يستحق الجدال والمناقشة، فلا يستحق موضوع بسيط مثل اختيار نوع الطعام بدلاً من آخر أو رفض طبق معين أو الإصرار على ارتداء زى معين من جانب الطفل يثير الثورة والغضب، ويمكن للأم أن تعد قائمتين: الأولى بالأسس التربوية التى لا تقبل المناقشة والتفاوض، والثانية ببعض الأسس القابلة للتفاوض والتعديل والتكيف، وقد تبدى بعض الأمهات تخوفهن من أن يستنتج الأبناء أن كل شيء قابل للتفاوض، ولكن علماء النفس لا يرون الأمر كذلك، فالأبناء إذا عرفوا أن هناك أسسًا قابلة للتفاوض وأخرى لا؛ فسوف يجعلهم هذا يتقبلون الأمر بسهولة ويتمتعون فى نفس الوقت بقدر من الحرية تساعدهم على المدى البعيد فى تعميق إحساسهم بالمسئولية[٣].

ج- الانسحاب أو التزام الصمت: عند تفجر الموقف بين الأم وأبنائها فإنها تفقد تحكمها فى أعصابها، وهذا بدوره يثير لدى الأبناء إحساسًا بالخوف والقلق، لأن شكل الأم يتغير وتعبيرات وجهها تصبح أكثر قسوة، والإنسان عندما يفقد السيطرة على نفسه يتفوه بكلمات جارحة ويرتكب أفعالاً يندم عليها بعد ذلك، لذلك يجب على المربى أن ينسحب من ساحة المواجهة عندما يبدأ دماغه فى الغليان ويوشك غضبه أن ينفجر، ويكفى أن يقول لمن أخطأ: «من

(١) تفسير القرطبى ١٤/ ٧١.
(٢) تاريخ بغداد ٦/ ١٠٤.
(٣) مجلة النفس المطمئنة، العدد ٦٩، يناير ٢٠٠٢.

شدة غضبى منك الآن لا أريد مواجهتك وأنا فى هذه الحالة»، وهنا سيشعر الطفل بتأنيب الضمير وتشعر بعض الأمهات بالقلق خوفًا من أن يعتقد أبناؤها أن صمتها أو انسحابها يعنى الاستسلام ولكن هذا الاحتمال ضعيف جدًا، فأغلبية الأبناء سوف يدركون أنهم تمادوا فى الخطأ فيتراجعون ويعتذرون وتمر إن شاء الله العاصفة بسلام(١).

د- انظرى إلى طفلك طويلاً حين يكون نائمًا، وتأملى فى براءته وضعفه، وخاطبى نفسك: هل يستحق هذا المسكين أن اضربه أو اصرخ فى وجهه وأثور عليه؟ وحين يريد الغضب أن يثور فى نفسك على طفلك عندما يرتكب ما يغضبك تذكرى صورته وهو نائم ضعيف، لا حول له ولا قوة، وملامح البراءة مرسومة على وجهه، وحاولى أن تثبتى هذه الصورة فى مخيلتك، فإن هذا يساعدك كثيرًا على كبح جماح غضبك(٢).

هـ- الاستعاذة بالله تعالى من الشيطان الرجيم بصورة مستمرة وأنت تشاهدين من طفلك ما يثير فيك الغضب، سواء أقام بكسر الأشياء فى البيت، أم بضرب أخته أو أخيه الصغير، أم بالصراخ، رددى الاستعاذة بالله تعالى من الشيطان وأنت تتوجهين إليه لتمنعيه من فعله الخاطئ أو لإصلاح ما أفسد، وعليك أن تخاطبى ابنك عندما يخطئ بالدعاء له، فتقولى: الله يهديك، ربنا يغفر لك.(٣)

٥- لا تعاقب أحدًا لخطأ الآخر:

بعض الآباء قد يعاقب ابنه الكبير عندما يخطئ أخوه الأصغر وذلك بحجة أنه الكبير ويتحمل مسئولية ما يفعله إخوته الصغار، وقد يحرم الوالد أبناءه كلهم من مشاهدة التلفاز لأن أحدهم أهمل واجباته أو أخر صلاته عن وقتها، كما أن المدرس

---

(١) المرجع السابق

(٢) http://www.riyadhedu.gov.sa/alan/fntok/dawh/0/004.htm

(٣) المرجع السابق.

قد يعاقب كل تلاميذ الفصل لأن بعضهم رفع صوته أو أساء الأدب، وعندما نتأمل هذه الطريقة فى العقاب سنجد أن لها الكثير من المخاطر والسلبيات، فالعقاب الجماعى يعرض من لم يخطئ (البرئ) للعقاب مما يشعره بظلم المربى له، ويهز مصداقيته فى نظره، بل وربما يزرع كراهيته فى قلبه، وما يزيد الأمر خطورة هو أن المعلم الذى يعاقب تلميذًا بريئًا سيتعرض للقصاص يوم القيامة، فقد روى البزار والطبرانى (بإسناد حسن) عن أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«من ضرب سوطًا ظلمًا، اقْتُص منه يوم القيامة»**[1] .

أيها المربي الكريم

لقد أكد القرآن الكريم كثيرًا على أن كل إنسان مسئول عن أعماله، فلا يُعاقب أحد بذنب الآخر، وإنما يعاقب على خطئه الشخصى، قال تعالى: **﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾** [الطور: ٢١] وقال جل شأنه: **﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾** [المدثر: ٣٨]، فكل إنسان مرتهن بعمله ومسئول عنه، وكل نفس بما كسبت وعملت من خير وشر مرتهنة، فلا يؤخذ أحد منهم بذنب غيره، وإنما يعاقب بذنب نفسه».[2] وعن نفس المعنى تتحدث خمس آيات قرآنية أخرى، كلها تؤكد العدالة الربانية فى العقاب، فلا تزر وازرة وزر أخرى ولا تحمل نفس ذنب غيرها، قال تعالى: **﴿إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلاَ يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾** [الزمر: ٧]، وقال جل شأنه: **﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلاَ تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلاَّ عَلَيْهَا وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾** [الأنعام: ١٦٤]، وقال سبحانه: **﴿مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾** [الإسراء: ١٥]، وقال سبحانه: **﴿وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا لاَ يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ**

---

(١) الترغيب والترهيب ٣/ ١٥٢.

(٢) تفسير الطبرى ٢٧/ ٢٨، وتفسير ابن كثير ٤/ ٢٤٣، وتفسير القرطبى ٧/ ٣٩٣.

كَانَ ذَا قُرْبَى إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ وَمَن تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللهِ الْمَصِيرُ﴾ [فاطر: ١٨] وقال تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى ۞ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ۞ أَلاَّ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ۞ وَأَن لَّيْسَ لِلإِنْسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى﴾ [النجم: ٣٦- ٣٩] وهكذا يرسى القرآن الكريم قواعد العقاب العادلة، فالله تعالى لا يحمل على عبد ذنب غيره، ولا يؤاخذه إلا بعمله[١].

إن معنى قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ هو: لا تحمل نفس ذنب غيرها، فلا تؤخذ نفس بذنب غيرها بل كل نفس مأخوذة بجرمها ومعاقبة بإثمها[٢]. ولأهمية هذه القاعدة فى العقاب جاء ذكرها فى القرآن الكريم خمس مرات، وهذا لتنبيه الحكام والمربين والآباء والمعلمين لأهميتها وحثهم على الالتزام بها وتطبيقها عند معاقبة الآخرين، والعجيب أن الحجاج بن يوسف الثقفى مع ما اشتهر عنه من بطش وقسوة قد التزم بهذه القاعدة القرآنية الرائعة، فعندما كان الحجاج أميرًا على العراق فى خلافة الوليد بن عبد الملك، تزعم قطرى بن الفجاءة الخوارج وكون منهم جيشًا كبيرًا، وحاول الحجاج القضاء عليه فأرسل له جيشًا تلو الآخر، لكن الجيوش كلها هزمت، وشاءت إرادة الله تعالى أن يقع أخو قطرى بن الفجاءة فى يد الحجاج، فقال له الحجاج: لأقتلنك، قال أخو قطرى: ولم؟ فقال الحجاج: لخروج أخيك، قال أخو قطرى: فإن معى كتاب أمير المؤمنين أن لا تأخذنى بذنب أخى، فقال الحجاج: هاته، قال أخو قطرى: فمعى ما هو أوكد منه، فقال الحجاج: وما هو؟ قال: كتاب الله عز وجل يقول: ﴿وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ فعجب منه الحجاج وخلى سبيله»[٣].

٦- لا تستخدمه فإنه بئس الضجيع:

بعض الآباء قد يحرم ابنه من الشوكولاته أو الأيس كريم عقابًا له على سلوكه الخاطئ، وهذا عقاب لا اعتراض عليه، لأن الشوكولاته أو الأيس كريم أو ما

---

(١) تفسير الطبرى ١٥/ ٥٤ (بتصرف).

(٢) تفسير الجلالين ١/ ٧٠٣، و تفسير القرطبى ٧/ ١٥٧ (بتصرف).

(٣) الوافى بالوفيات ٢٤/ ١٨٦، ووفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ٤/ ٩٥، وسير أعلام النبلاء ٤/ ١٥١، ولقد ولد الحجاج بن يوسف سنة ٤١ هـ، وتوفى عام ٩٥هـ.

شابههما ليست وجبات أساسية يحتاجها الطفل بشدة، بل هى وسـائل متعـة وترفيـه، وهناك صنف من الآباء قد يفكر فى حرمان ابنه من وجبة الغداء أو العشاء عقابًا لـه على خطأ ارتكبه، والحقيقة أن عقـاب الأبنـاء بـالتجويع مرفـوض تمامًا لأن الطعـام حاجة أساسية لا يستطيع الأبناء العيش بدونها، كما أن حرمانهم من وجبات الطعـام الأساسـية يشـعرهم بـالقهر والضـعف والهـوان، وربمـا يـدفعهم الجـوع إلى السـرقة والكذب والخيانة، ولقد وصف رسول الله ﷺ الجوع الذى يفرض على الإنسان بأنـه بئس الصاحب والملازم، ولذلك استعاذ بالله تعالى منه، روى ابـن حبـان وابـن ماجـه والنسائى وأبى داود وأبو يعلى عن أبى هريرة رضي الله عنه قـال: كـان رسـول الله ﷺ يقـول: **«اللهم إنى أعوذ بك من الجوع؛ فإنه بئس الضجيع، وأعوذ بك من الخيانـة؛ فإنهـا بئسـت البطانة»** (١).

أيها المربي الكريم

إن تجويع الأبناء والتلاميذ وحرمـانهم مـن وجبـات الطعـام الأساسية له كثير من السلبيات النفسية والتربوية والجسمية، ولقد حذرنا رسولنا الكريم ﷺ مـن ممارسـة التجويـع حتـى ولـو مـع الحيوانات، روى الحاكم وأبو يعلى وأحمد وأبو داود عن عبـد الله ابن جعفر -رضى الله عنهم- قال: أردفنـى رسـول الله ﷺ ذات يوم خلفه فأسر إلىَّ حديثًا لا أحدث بـه أحـدًا مـن النـاس قـال: وكان أحب مـا اسـتتر بـه رسـول الله ﷺ لحاجتـه هـدفًا (جـدار مرتفع) أو حايش نخل (جماعة نخل)، فدخل حائطًا (بستانًا) لرجل من الأنصار، فإذا جمل، فلمـا رأى النبـى ﷺ حـن إليـه وزرفـت عيناه، فأتاه النبى ﷺ فمسح ذفراه (جانـب عنقـه) فسـكن فقـال ﷺ: **«من رب هذا الجمل؟ لمن هذا الجمل؟»** قـال: فجـاء فتـى مـن الأنصار فقال: هو لى يا رسـول الله، فقـال: **«ألا تتقى الله فى هـذه البهيمة التى ملكك الله إياها، فإنه شكا لى إنك تجيعه وتدئبـه** (تتبعـه

---

(١) صحيح ابن حبان ٣/ ٣٠٤، وسنن ابن ماجـه ٢/ ١١١٣، والسـنن الكـبرى ٤/ ٤٥٢، وسـنن أبـى داود ٢/ ٩١، ومسند أبى يعلى ١١/ ٢٩٧.

بكثرة العمل)»(١) .. وروى البخارى ومسلم عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**عذبت امرأة فى هرة سجنتها حتى ماتت فدخلت فيها النار، لا هى أطعمتها ولا سقتها إذ حبستها، ولا هى تركتها تأكل من خشاش الأرض**»(٢)، وروى ابن حبان فى صحيحه عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال: «**دخلت الجنة فإذا أكثر أهلها الفقراء، واطلعت فى النار فإذا أكثر أهلها النساء، ورأيت فيها ثلاثة يعذبون؛ امرأة من حِمْيَر** (من اليمن) **طوالة** (طويلة القامة) **ربطت هرة لها لم تطعمها ولم تسقها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض، فهى تنهش قبلها ودبرها، ورأيت فيها أخا بنى دعدع الذى كان يسرق الحاج بمحجنه** (المحجن هو العصا المعوجة) **فإذا فطن له قال: إنما تعلق بمحجنى، والذى سرق بَدَنَتَى** (ناقتي) **رسول الله ﷺ**»(٣).

* * *

(١) المستدرك على الصحيحين ٢/ ١٠٩، وسنن أبى داود ٣/ ٢٣، ومسند أبى يعلى ١٢/ ١٥٩، ومسند أحمد ١/ ٢٠٤.

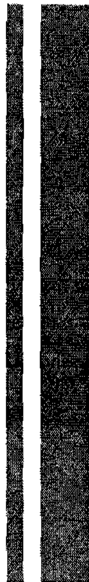
(٢) صحيح البخارى ٣/ ١٢٨٤، وصحيح مسلم ٤/ ١٧٦٠، وخشاش الأرض هوام الأرض وحشراتها.

(٣) صحيح ابن حبان ١٦/ ٥٣٤.



الفصل الثالث

ضرب الأبناء
متى وكيف ولماذا؟



تمهيـــد

عندما ننظر للعالم من حولنا، ونتأمل كيفية تعامل الآباء مع الأبناء، نجد أن ضرب الأبناء يملأ البيوت بطريقة عجيبة، فالغني والفقير، المتعلم والجاهل، العربي والأجنبي، المسلم وغير المسلم؛ الجميع يضرب أبناءه، وإن تنوعت الأسباب واختلفت النسب فالضرب في النهاية واحد....

ففي أمريكا تشير الدراسات التابعة للأكاديمية الأمريكية لطب الأطفال أن ضرب الأطفال يحدث مرة واحدة في الأسبوع على الأقل عند ٢٥٪ من الآباء والأمهات(١)، كما أشارت الإحصاءات إلى أن هناك ثلاثة ملايين حالة اعتداء على الأطفال مسجلة في عام ٢٠٠٠ في الولايات المتحدة(٢)، وحسب اللجنة الوطنية للوقاية من الاعتداء على الأطفال فقد تم الإبلاغ عن أكثر من ٢,٩ مليون حالة اعتداء على الأطفال خلال العام الماضي في الولايات المتحدة(٣).

وفي بريطانيا ذكر تقرير للجمعية البريطانية لمنع الاساءة للأطفال أن حوالي مليون طفل بريطاني تعرضوا لجميع أنواع الاعتداءات في عام ٢٠٠٠، وقال التقرير: إن طفلا من بين ٤ أطفال تعرض للعنف وخاصة في المنزل، وأن ٨٠٪ من هؤلاء جاء الاعتداء عليهم من آبائهم أو أقاربهم. كما أن ٩٠٪ من الأطفال قالوا: إنهم قد تم تهديدهم بسلاح ناري أو سكين...وذكرت الجمعية البريطانية لمنع الاساءة للأطفال أنه يوجد عدد كبير

(١) http://www.womengateway.com/ar/default.asp?action=article& id=1374
(٢) إساءة معاملة الأطفال، مجلة المعلم، http://www.almualem.net/isaah.html
(٣) http://www.be-free.info/parents/Ar/statesticspa.html

من حالات الاعتداءات والعنف ضد الأطفال الذين لا يلجأون إلى ضابط أو شرطي أو مختص اجتماعي، بل يعانون في صمت مطبق، مؤكدة على أن هذا التقرير أوضح حقيقة الإهمال الساري في بريطانيا(١).

أما في ألمانيا فقد أطلق الأطباء الألمان تحذيرات قوية من خطورة ظاهرة ممارسة العنف من جانب الأطفال وبحقهم على السواء، وقدّرت الرابطة المهنية لأطباء الأطفال والناشئة في ألمانيا نسبة الأطفال الذين يتعرضون لسوء المعاملة والامتهان بما يتراوح بين ٥- ١٠٪ في الجمهورية الاتحادية، وفي المقابل حذرت الشرطة الألمانية من تنامي ظاهرة جريمة الأطفال والناشئة في البلاد(٢).

وفي اليابان أصبحت التقارير التي تتحدث عن آباء يُجوِّعُونَ أو يضربون أطفالهم حتى الموت مادة يومية للأخبار، ويعد هذا أمرًا مزعجًا بالنسبة لبلد كان يتباهى إلى عهد قريب ببناء مستقر للعائلة، وتتزايد التقارير الرسمية عن الوحشية في معاملة الأطفال إذ بلغ عدد الحالات التي تم رفعها إلى المراكز المحلية لتوجيه الطفولة والمنتشرة في أنحاء البلاد إلى ٤٢٣٢٧ حالة في عام ٢٠٠١، مقارنة بعدد حالات زاد قليلاً على ألف حالة قبل عشر سنوات(٣).

ولا يقتصر الأمر على الدول الشرقية والغربية، بل يمتد ليشمل دول العالم العربي أيضًا، فالصحف تطالعنا في كثير من الأيام ببعض العناوين والتي تشكل انتهاكًا صريحًا لحقوق الطفل: رجل وسيدة يقتلان طفلهما الصغير صاحب السنوات الخمس بسبب تبوله اللاإرادي .. أب يسجن طفلته في غرفة مظلمة لمدة ثماني سنوات .. مزارع يقتل طفله الرضيع بسبب بكائه..ولا تقتصر هذه العناوين الفظيعة والقليلة في نفس الوقت على قطر عربي دون آخر، فالكل في المأساة يشترك ..ففي اليمن مثلاً تم تقدير

---

(١) مليون طفل بريطاني ضحية لعنف آبائهم، لندن – إسلام أون لاين ٢٠٠٠، الثلاثاء ٢١نوفمبر ٢٠٠٠م http://www.islamonline.net/Arabic/news/2000-11-21article21.shtml.

(٢) http://www.islamonline.net/iol-arabic/dowalia/adam-27/parent-l.asp

(٣) إساءة معاملة الأطفال، مجلة المعلم. http://www.almualem.net/isaah.html

حجم ظاهرة العنف الأسري بحوالي ٢٠٪ من حجم جرائم الآداب العامة التي تخص قضايا الأسرة في عام ١٩٩٩...وفي الكويت شهد عام ٢٠٠٢ نموًّا ملحوظًا في معدلات جرائم العنف الأسري ضد الأطفال والنساء..أما في مصر فإن ٦٥٪ من الجرائم التي ترتكب ضد الطفل أسرية، والضرب يمثل ٧٪ من الجرائم السنوية ضد الطفل[1].

وفي السعودية أثبتت الدراسة التي أجراها د. مصطفى عشوى- جامعة الملك فهد للبترول والمعادن بالظهران: انتشار العقاب الجسدي لتأديب الأطفال في السعودية، وأن الفئة العمرية الممتدة بين ٦- ١٢ سنة هي أكثر عرضة للعقاب الجسدي من باقي فئات العمر الأخرى، وأن البنت يقل عقابها جسديًا في الوسط الأسري كلما كبرت[2]. أما في الأردن ففي خلال عام ١٩٩٨تم عرض ٤٣٧ حالة على عيادة الطب الشرعي لدى وحدة حماية الأسرة، وشملت هذه الحالات المعروضة ١٤٥حالة إساءة جسدية للأطفال تراوحت بين إحداث إصابات غير عرضية بسبب فرط التأديب والعقاب، إلى إحداث إصابات شديدة لتصريف ثورة غضب، علمًا بأنه في عام ١٩٩٩تم معاينة ٥٢٢حالة، وعام ٢٠٠٠ تم معاينة ٦١٣حالة، وبنسب تقارب النسب المنوه عنها سابقا[3].

وعن دراسة الظاهرة في البحرين في الفترة بين (١٩٩١و ٢٠٠١) ذكرت د. فضيلة المحروس- استشارية طب الأطفال ورئيسة لجنة حماية الطفل في مستشفى السلمانية الطبي- عدد الحالات التي رصدت في تلك الفترة وهي (١٥٠حالة) لأطفال في سن ٧ سنوات حيث أوضحت النتائج أن ٦٠٪ من الأطفال يعانون من اعتداء جسدي.

---

(١) العنف الأسري [illegible] ٢٠٠٢م.
[illegible] shtml#top.

(٢) مجلة الطفولة العربية [illegible] العدد [illegible] عشر – سبتمبر ٢٠٠٣

(٣) أشكال وعواقب العنف ضد الأطفال [illegible] سهشان.
http://www.amanjordan.org/conferences/vaciw/vaciw10.htm

أما عن العوامل التي قد تكون عند المعتدي لقيامه بالاعتداء على الطفل فقد ذكرت د. المحروس أنها قد تكون في لحظة غضب من الأهل في حالة الاعتداءات الجسدية، وقد تصل إلى ٩, ٩٩٪ يكون السبب فيها غضب الأهل في لحظة يفقدون فيها أعصابهم وبقصد التربية كما يدعون، رغم أن الطفل يعاود فعل ما قام به بعد فترة قصيرة بغرض الانتقام، وذلك لأنه لا نفع من الضرب في التربية للطفل[1].

مما سبق ندرك أن الأبناء – في واقعنا المعاصر – يضربون على نطاق كبير، كما يتضح أن الآباء والأمهات والمعلمين والمربين يلجأون إلى الضرب كحل سريع، دون النظر إلى ما يترتب عليه من سلبيات وأضرار، والسؤال الذي يطرح نفسه الآن: ما هي وسائل معالجة الأخطاء التي قدمها ديننا الحنيف؟ وما هي نظرة الإسلام للضرب؟ وإذا كان الضرب في الإسلام مباحًا فمتى وكيف نضرب أبناءنا؟ كل هذه الأسئلة سنحاول – بمشيئة الله – الإجابة عنها، سائلين المولي عز وجل أن يرزقنا التوفيق والقبول، إنه سبحانه وليٌّ ذلك والقادر عليه.

***

(١) مطلوب رؤية مستقبلية لتشخيص ظاهرة الاعتداء على الأطفال، فضيلة المحروس.
.http://www.amanjordan.org/arabic_news/wmview.php?ArtID=6725

متى نضْرِبُ أَبْنَاءَنَا؟

عندما نتحدث عن ضرب الأبناء والتلاميذ، نجد أن الآباء والمربين يختلفون حول النفع و الضرر الناتج عنه، فمنهم من يرى أن الضرب ضار تمامًا وينصح بالبعد التام عنه، وعلى العكس يري فريق آخر أنه مفيد جدًا، ويدعو لاستخدامه، بينما يرى فريق آخر أنه ضار ونافع في الوقت نفسه، لذا يستخدمه لكن بشروط، وهذا يعنى أن للعلماء والمربين ثلاثة آراء في ضرب الأبناء...

أولها: الرفض التام:

فالرافضون يرون أن الضرب ضار وسلبي على طول الخط، لأنه ربما يسبب الخوف والاكتئاب والعدوانية ويزيد العنف ويهدم الأسرة .. إلخ، ومثل هذه الآراء هي التي دفعت الحكومة البريطانية مؤخرًا إلى طرح مشروع قانون يقضي بمعاقبة الآباء الذين يضربون أطفالهم بالسجن أو الغرامة، وينص مشروع القانون الجديد على تجريم استخدام العصي والأحزمة الجلدية والأحذية في ضرب الأطفال، وحظر ضرب الطفل في مناطق معينة مثل الرأس والأذنين والعينين[١].

ثانيها: الموافقة المطلقة:

والمؤيدون لضرب الأبناء حجتهم أنه يعلمهم القيم ويساعدهم على التحلي بالأخلاق والفضائل ويرغمهم على الانضباط داخل البيوت والمدارس، بالإضافة إلى أن الكثيرين من آباء اليوم قد ضُربوا وهم صغار وها هم رجال ونساء جيدون وغير معقدين، وعلى درجة عالية من العلم والخلق، ووجهة النظر هذه هي التي تجعل الكثير من الآباء مقتنع تمامًا بأنه لا صلاح للأبناء إلا بما صلح به الآباء، ولقد كشفت دراسة للدكتور «عدلي السمري» أستاذ الاجتماع بالمركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية في مصر أن ٩٦٪

(١) لندن – قدس برس ٢٧/ ١/ ٢٠٠٠.

من الآباء الذين يضربون أبناءهم تعرضوا للضرب وهم صغار[١] .

ثالثًا: الوسطية والاعتدال:

يرى أصحاب هذا الاتجاه أن الضرب إذا وضع في مكانه وزمانه الصحيحين كان مفيدًا، وفي نفس الوقت إذا استعمله الآباء في مكان وزمان غير مناسبين كان ضارًا، ويؤيد هذا الاتجاه العديد من الدراسات والأبحاث الحديثة[٢]، ولعل هذا ما دفع القضاء الكندي إلى تأييد حق الآباء في ضرب أولادهم ولكن بشروط؛ فقد قالت المحكمة العليا في كندا إنه يمكن للآباء الكنديين مواصلة العقاب البدني لأطفالهم ولكن فقط بين سن الثانية والمراهقة، وقالت المحكمة: إن تحويل الآباء إلى مجرمين لاستخدامهم قوة معقولة لتأديب أبنائهم من سن الثانية وحتى سن المراهقة سيكون أكثر ضررًا للأسرة.

ولكن المحكمة تركت الآباء عرضة للعقوبات الجنائية لاستخدامهم القوة خارج نطاق هذه السن، وقالت أيضًا: إن القوة المستخدمة لابد أن تكون معقولة وأن ضرب أي طفل بأشياء أو صفعه على رأسه غير مسموح[٣] .

---

(١) ضرب الأبناء بين التأييد والرفض «إيهاب سلطان»، مجلة عربيات، ٢١ يونيو ٢٠٠٣م.

(٢) قالت دراسة جديدة: إن العقاب بالضرب بين الحين والآخر لا يؤدي إلى أضرار طويلة الأمد للنمو النفسي والاجتماعي للطفل على عكس النظريات التي تقول: إن أي عقاب بدني للطفل مُضِر، وقامت الأخصائية النفسية ديانا بومريند بدراسة شملت أكثر من ١٠٠ عائلة ووجدت أن الأطفال الذين يعاقبون بدنيًا أحيانا ما زال بإمكانهم النمو ليصبحوا كبارًا سعداء ومتكيفين مع الحياة بشكل طيب، وقالت بومريند في كلمة أمام الجمعية الأمريكية للطب النفسي خلال اجتماع سنوي في سان فرانسيسكو: «لم نجد دليلاً على وجود تأثير ضار فريد للعقاب [illegible] العادي». وأضافت أنها لا تدافع عن العقاب البدني، ولكن الأدلة لا تبرر الرفض التام [illegible] كما قالت.

وقامت بومريند بتقسيم الآباء الذين يستخدمون الضرب [illegible] النوع الأول: آباء [illegible] والنوع الثاني: آباء يستخدمون الضرب [illegible] [illegible] الآباء [illegible] فإنه لم [illegible] لدى أبنائهم [illegible] ٨/٨/[illegible]

(٣) [illegible]

ومن روعة ديننا الإسلامي الحنيف أن مسألة الضرب فيه محسومة، نعم أقر الإسلام الضرب، لكنه وضع له شروطًا ومحاذير واحتياطات كثيرة، مما يجعله يخرج بصورة راقية ومميزة، كما يؤتي ثماره ونتائجه المرجوة، وهنا يسأل البعض: متى نضرب من وجهة نظر الإسلام؟ ومتى نمتنع عن الضرب؟، وفيما يلي نحاول الإجابة عن هذا السؤال سائلين المولي عز وجل العون والتوفيق...

هل تضرب فى الوقت المناسب؟

إن الضرب يضر وينفع، ويصلح ويفسد، فإذا استخدم بطريقة صحيحة وفي الوقت المناسب، كان نافعًا لأبنائنا ومُصلِحًا لهم إن شاء الله، ولأن موضوع ضرب الأبناء من الأهمية بمكان، كان لزامًا علينا – كآباء ومربين – أن نقف مع أنفسنا وقفة صادقة، نعرف من خلالها هل نضرب أبناءنا في الوقت الصحيح والمناسب أم لا؟ ويتحقق ذلك – إن شاء الله – من خلال الإجابة – الصادقة والواقعية – على أسئلة الاستبيان التالي..

م	السؤال	دائمًا	أحيانًا	نادرًا	لا أفعل
١	هل تضرب ابنك الرضيع؟				
٢	هل استخدمتَ الضرب- كوسيلة للتأديب والعقاب – مع أبنائك قبل بلوغهم العاشرة من العمر؟				
٣	هل تضرب أبناءك الذين يحافظون على الصلاة ويؤدنها بانتظام وثبات؟				
٤	هل تضرب ابنك أثناء مرضه حتى يأخذ الدواء أو لأي سبب آخر؟				
٥	هل تضرب ابنك الذي التحق بالجامعة؟				

م	السؤال	دائمًا	أحيانًا	نادرًا	لا أفعل
٦	هل تسرع بضرب ابنك فور إخبار أمه لك بأنه أخطأ في غيابك؟ أو هل تسرعين بضرب ابنك فور إخبار الأصدقاء أو الجيران بأنه أخطأ، دون التأكد من أنه فعلاً قد أخطأ؟				
٧	هل تعاقب أبناءك في كل مرة يخطئون فيها ولا تعفو عنهم ولا تسامحهم في بعض الأحيان؟				
٨	هل تهمل في إيقاظ ابنك فوق العشر سنوات لصلاة الفجر؛ ولا تضربه على إهماله فيها، بينما تضربه إذا أهمل في دراسته؟				
٩	هل تضرب ابنك وأنت غضبان ومنفعل جدًا؛ فلا تشعر كم ولا أين ضربته؟				
١٠	هل تهمل وسائل العقاب المختلفة ولا تجربها مع أبنائك، ظنًا منك أنها لا تصلح معهم، وتلجأ إلى الضرب دائما؟				

احسب نتيجتك

الإجابة	دائمًا	أحيانًا	نادرًا	لا أفعل
الدرجة	١	٢	٣	٤

اعرف نفسك

أيها الوالد الكريم، أيتها الأم الحنون، بعد أن نحسب درجاتنا فإننا نتلهف لمعرفة مستوانا، وهل نضرب أبناءنا في الوقت الصحيح أم لا؟ فهيا بنا نعرف النتيجة من خلال الجدول التالي...

حاول أن تقترب

١٠-٢٠: إذا كانت درجاتك تنحصر بين هذين الرقمين، فإن التوقيت الذي تضرب فيه أبناءك يحتاج إلى إعادة نظر، وهذا لا يعني أنك شخصية غير ناجحة، فالفرصة ما زالت أمامك، فأسرع قبل فوات الأوان.

على وشك الاقتراب

٢٠- ٣٠: إذا كانت درجاتك في هذا المجال، فأنت ربما تخطئ في اختيار الوقت المناسب لضرب أبنائك، ولكنك تقترب غالبًا من الطريق الصحيح، ولهذا حاول أن تكون أكثر دقة في تحديد الوقت الصحيح والملائم لضرب أبنائك .. والله ولي التوفيق.

أنت على الطريق الصحيح

٣٠- ٤٠: إذا كانت درجاتك تنحصر بين هذين الرقمين، فإنك - بنسبة عالية - تضرب أبناءك في الوقت المناسب، فاستمر على ما أنت عليه، واسأل الله الثبات.

الرضيع بالضرب يضيع

حاولتُ يومًا أن أعرف أصغر سن يضرب فيه الآباء والأمهات أبناءهم، فسألت عددًا منهم، وكانت المفاجأة أن نسبة كبيرة من الأمهات بالذات قد تضرب ابنها الرضيع بداية من عمر شهر واحد، وهناك مجموعة أخرى تضرب الرضيع بداية من الشهر الثالث من عمره، والحقيقة أن **ضرب الطفل الرضيع ظلم كبير**، لأنه لا يدرك عواقب أفعاله والنتائج المترتبة عليه؛ فمثلاً بكاء طفلك المتواصل في الليل يتسبب في إصابتك بالصداع وبالتالي تغيبك عن العمل، لكن طفلك الرضيع لا يدرك ذلك كله وليس له فيه أي ذنب[1] ، ولأن ديننا دين جميل، فقد أدرك ما تعانيه الأمهات من السهر مع الأبناء طوال الليل، لذلك بشر نبينا الكريم ﷺ النساء بالأجر العظيم مقابل هذا التعب؛ روى الطبراني - ورواته كلهم ثقات - أن سلامة (حاضنة إبراهيم ابن النبي ﷺ) قالت: يا رسول الله ، تبشر الرجال بكل خير ولا تبشر النساء؟ قال: «**أصويحباتك دسسنك لهذا؟**» قالت: أجل هن أمرنني، قال ﷺ: «**أفلا ترضي إحداكن أنها إذا كانت حاملاً من زوجها وهو عنها راضٍ؛ أن لها مثل أجر الصائم القائم في سبيل الله، فإذا أصابها الطلق لم يعلم أهل السماء وأهل الأرض ما أخفى لها من قرة أعين، فإذا وضعت لم يخرج منها جرعة من لبنها، ولم يمص مصة؛ إلا كان لها بكل جرعة و بكل مصة حسنة، فإن أسهرها ليلة كان لها مثل أجر سبعين رقبة تعتقهن في سبيل الله**» ...

وضرب الطفل الرضيع ظلم كبير لأنه لا يقوم بأفعاله عن قصد، فمثلا الطفل في مرحلة الحبو قد يتسبب في كسر بعض إكسسوارات المنزل ليس لأنه يريد ذلك، بل إنه يسعى لاكتشاف العالم المحيط به، وهذه طريقته لتحقيق ما يريد، ومتى أدركنا ذلك استطعنا التعامل مع أطفالنا بسهولة ويسر[2] . ولقد علمنا نبينا الكريم ﷺ ألا نضرب أبناءنا إن كسروا شيئًا رغمًا عنهم ودون قصد؛ فعن أنس بن مالك ﷺ

(١) مجلة ولدي العدد ٢يناير ١٩٩٩، ص٥٦.
(٢) المرجع السابق.

قال: خدمت رسول الله ﷺ وأنا ابن ثمان سنين، فما لامني على شيء قط أوتي فيه (أي أهلك وأتلف)، فإن لأمني لائم من أهله قال: «**دعوه فإنه لو قُضِيَ شيء كان**»[1].

وضرب الطفل الرضيع ظلم كبير لأنه لا يميز الخطأ من الصواب؛ لذلك فهو يحتاج للحب والحماية والمساندة وليس العقاب، وهذا ما علمنا إياه نبينا الكريم ﷺ إذ روى الإمام أحمد وابن ماجة وأبو يعلي والطبراني عن قابوس بن المخارق عن أم الفضل قالت: «رأيت (يعني في المنام) كأن في بيتي عضوًا من أعضاء رسول الله ﷺ قالت: فجزعت من ذلك، فأتيت رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له، فقال: **خيرًا، تلد فاطمة غلامًا فتكفلينه** (أي فترضعينه) **بلبن ابنك قثم**، قالت: **فولدت** (فاطمة) حسنًا فأعطيته فأرضعته حتى تحرك أو فطمته، ثم جاءت به إلى رسول الله ﷺ فأجلسته في حجرة فبال، فضربت بين كتفيه، فقال عليه الصلاة والسلام: **ارفقي با بني رحمك الله وأصلحك الله، أوجعت ابني**. (وفي رواية للطبراني وابن ماجة: قال ﷺ: **أوجعتِ ابني رحمك الله**)، قالت: قلت يا رسول الله اخلع إزارك والبس ثوبًا غيره حتى أغسله، قال: **إنما يغسل بول الجارية وينضح بول الغلام**[2]...وروى الإمام أحمد عن أبى ليلى قال: كنت ثم (عند) رسول الله ﷺ وعلى ظهره أو بطنه الحسن أو الحسين، قال: فرأيتُ بوله (يعني بول الصبي) أساريع (يعني جاريًا على النبي ﷺ)، فقمنا إليه (وذلك حتى يبعدوه عن الرسول عليه الصلاة والسلام)؛ فقال ﷺ: **دعوا ابني لا تفزعوه حتى يقضي بوله، ثم أتبعه الماء**»[3].

أيها الوالد الكريم، أيتها الأم الحنون

هيا بنا نرفق بأبنائنا ونرحم ضعفهم ونفهم قدراتهم، حتى نحسن التعامل معهم، ونبتعد عن ضربهم نهائيًا، ولا نفزّعهم - إن بالوا علينا- حتى ينتهوا من بولهم بسلام، وإذا انتابنا الغضب أو الضغط النفسي نتيجة لسلوك أطفالنا

---

(١) رواه البيهقي وصححه الألباني.

(٢) مسند أحمد ٦/ ٣٣٩، والمعجم الكبير للطبراني ٣/ ٢٠، وسنن ابن ماجة ٢/ ١٢٩٣، مسند أبو يعلي ١٢/ ٥٠١.

(٣) مسند أحمد ٤/ ٣٤٨.

الصغار؛ فبدلاً من الصراخ عليهم أو معاقبتهم نتجه إلى غرفة أخرى في المنزل، ونجلس لفترة حتى نتمالك أعصابنا ويقل غضبنا[١]، والله المستعان.

بعد تمــام العاشـرة

الفئة العمرية الممتدة بين ٦-١٢ عامًا هي أكثر عرضة للعقاب الجسدي (الضرب) من باقي الفئات العمرية، وهذا ما تؤكده مختلف الدراسات التي أجريت في مختلف البلدان العربية والغربية، وتظهر عملية ممارسة العقاب الجسدي في هذه الفترة كشيء طبيعي في مختلف الثقافات، لأن هذه السن سن دخول المدرسة، وسن بدء التمييز بين الأمور، وسن حرص الوالدين على تعليم الطفل الانضباط، والتقيد بآداب وسلوكيات العائلة، والتعامل مع الجيران والأقران في المدرسة وغيرها، والمؤسف أن استخدام العقاب البدني (الضرب) قد يحدث في مراحل مبكرة جدًا من عمر الطفل، وهذا ما يرفضه الإسلام تمامًا؛ إذ يدعو المنهج التربوي الإسلامي إلى الامتناع عن ضرب الأبناء قبل تمامهم العاشرة من العمر[٢]، والدليل على ذلك ما رواه الإمام البيهقي والترمذي وأحمد وأبو داود (واللفظ له) عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: «**مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر، وفرقوا بينهم في المضاجع**»[٣] ... ولقد قال العلماء تعليقًا على الحديث السابق: الظاهر من الحديث أن الوجوب بعد استكمال السبع، والعشر بمعنى أن يكون أمر الأبناء بالصلاة في أول الثامنة وضربهم على تركها في أول الحادية عشرة من عمرهم[٤].

وانطلاقًا من هذا التوجيه النبوي الكريم فإن على الأب المسلم أن يظل على مدى ثلاث سنوات يأمر ولده بالصلاة، الركن الثاني من أركان الإسلام؛ يأمره برفق

---

(١) مجلة ولدي العدد ٢يناير ١٩٩٩، ص٥٦.

(٢) مجلة الطفولة العربية (مجلة فصلية تصدرها الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية) العدد السادس عشر- سبتمبر ٢٠٠٣.

(٣) سنن أبي داود ١/ ١٣٣، سنن البيهقي الكبرى ٢/ ٢٢٩، سنن الترمذي ٢/ ٢٥٩، مسند أحمد٢/ ١٨٧.

(٤) حاشية ابن عابدين ١/ ٣٥٢ (بتصرف).

ولين دون اللجوء إلى الضرب أو التعنيف، ثلاث سنوات كاملة يمر على الولد فيها حوالي (٥٤٧٥) وقت صلاة، فإذا وصل إلى سن العاشرة وما زال لا يصلي؛ كان على الوالد أن يضربه بكيفية معينة حددها لنا ديننا الحنيف[١]، وانطلاقًا من هذا التوجيه النبوي الكريم فإن ابتداء ضرب الأبناء يكون بعد تمام العاشرة من عمرهم، فالصلاة عماد الدين وركنه الأساسي وأول ما يحاسب عليه يوم القيامة؛ ومع ذلك لم يأذن النبي ﷺ بالضرب على التقصير فيها قبل سن العاشرة، فمن الأولى ترك الضرب في باقي الأمور الحياتية والسلوكية والتربوية التي لا تساوي مكانة الصلاة أهمية ومنزلة عند الله[٢].

أيها الوالد الكريم، أيتها الأم الحنون

يمكننا كآباء ومربين أن نطبق هذا التوجيه النبوي الكريم بطريقة ظريفة وجميلة ؛ فعندما يبلغ الطفل سبع سنوات نحتفل به ونقول له: هذه سن الصلاة، ونقول له: والآن يا بطل نعمل لك حفلة للصلاة فأنت مطلوب منك الصلاة من الآن، ونأكل الكعكة ونشرب العصائر، فهذه حفلة الصلاة، وعندما يبلغ ١٠سنين نعمل حفلة أخرى «حفلة الضرب» نقول له: نحن عملنا لك حفلة من ثلاث سنين سابقة حتى تصلى الآن كبرت وإذا لم تصلِّ تستحق الضرب[٣]، وعندما نفعل ذلك فإننا نحافظ على مستقبل أبنائنا الأخروي والدنيوي في نفس الوقت، إذ ينالون الدرجات العلا بحفاظهم على الصلوات في الآخرة، وينعمون بالصحة النفسية والجسدية في الدنيا، وهذا ما يؤكده لنا الدكتور محمد وليد الشعراني استشاري جراحة المفاصل والعظام – الدوحة – قطر إذ يقول: «إذا بدأ الإنسان في تليين أسفل ظهره في سن مبكرة، واستمر في هذا التمرين وحافظ عليه أثناء الكبر فإن فرصته في الإصابة بالآلام الشديدة والانزلاقات الغضروفية في أسفل الظهر ستتقلص بشكل كبير»، ولقد قال ذلك انطلاقًا من بحث ميداني أجراه

---

(١) http://www.zahrani.net/6_1.html.

(٢) منهج التربية النبوية للطفل ص ٣٦٦.

(٣) http://www.islamicmedicine.org/qafamily2.htm.

على ١٨٨حالة من البالغين وقد تم سؤالهم إذا كانوا يشتكون من آلام أسفل الظهر أو عرق النسا وعن شدة الألم إن وجد، ثم سئلوا عن صلاتهم متى انتظموا فيها ولم يقطعوها؟ فقد أثبتت النتائج بشكل قاطع وملحوظ صحة هذه الفرضية وأيد الطب هذه النظرية حيث إن ٦, ٢٪ فقط ممن يصلون قبل سن العاشرة قد عانوا من آلام قوية أسفل الظهر، بينما ٧٠٪ ممن لا يصلون إطلاقًا يعانون من آلام قوية. قبلت هذه الدراسة ونوقشت في المؤتمر القطري العالمي الثاني للأطفال في الدوحة في إبريل سنة ٢٠٠٠م، وفي المؤتمر الدولي السادس لجراحة الظهر، والذي عقد في أنقرة من الرابع إلى السادس من سبتمبر عام ٢٠٠٢م، وذلك بإشراف نخبة من أطباء الظهر العالميين، كما نشرت في مجلة الظهر الأوروبية، وكان مما كتب في هذه المجلة: يأمر الإسلام أطفال المسلمين بالصلاة في سن مبكرة وهي السابعة وعلى أقصى تقدير العاشرة، وطريقة الصلاة وفي الركوع بالذات يتعرض الرباط والغضاريف لعملية تليين على الأقل سبع عشرة مرة يوميًا وذلك أثناء تأدية الصلوات الخمس، ولهذا فإن أطفال المسلمين لا شعوريًا يحافظون على ليونة ومطاطية هذه الأنسجة منذ عمر مبكر وهكذا يمنع تيبسها في الكبر وبالتالي يمنع تمزقها(١).

* * *

(١) انظر: مجلة الإعجاز العلمي عدد ١٦- رجب ١٤٢٤هـ.
http://link.islammemo.cc/KASHAF/one_ news.asp?ldnews=354.

لا تضرب أهل الصـــلاة

علمنا نبينا ﷺ أن نأمر أبناءنا بالصلاة ونعلمهم أركانها عند بلوغهم سبع سنوات، دون اللجوء إلى الضرب أو التعنيف، فإذا بلغوا عشر سنين تغير الحال، ومضى زمن الكلام وبدأت مرحلة الضرب، روى أبو داود والترمذي وأحمد والبيهقي عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: **«مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر، وفرقوا بينهم في المضاجع»**(١).

إن هدف الضرب هنا هو مساعدة الأبناء على أداء الصلاة ؛ فإذا ما حافظوا عليها وانتظموا في أدائها توقف الضرب نهائيًا، فلا نضرب من يصلي من أبنائنا مهما أخطأوا، إن ضرب المصلين في ديننا ممنوع، والدليل على ذلك أن النبي ﷺ قد نهى صحابته الكرام عن ضرب أهل الصلاة، و أوصاهم بالترفق بهم واستعمال اللين معهم، فهذا أبو بكر الصديق ﷺ فيما رواه ابن أبى شيبة وأبو يعلي يقول: نهى الرسول الله ﷺ عن ضرب المصلين(٢)، وهذا عمر بن الخطاب ﷺ فيما رواه الدارقطني يقول: نهانا رسول الله ﷺ عن ضرب المصلين(٣)، ولما عاد النبي ﷺ من غزوة خيبر، كان معه غلامان (خادمان)، فطلب على بن أبى طالب من الرسول ﷺ أن يعطيه أحدهما ليخدمه في بيته، فقال النبي عليه الصلاة والسلام: **«خذ أيهما شئت»**، لكنَّ عليًا فضل أن يختار له النبي ﷺ فقال: اختر لي أنت يا رسول الله، فقال النبي ﷺ: **«خذ هذا ولا تضربه، فإني قد رأيته يصلي مقبلنا من خيبر** (ونحن عائدون من خيبر)، **وإني قد نهيت عن ضرب أهل الصلاة»**(٤).

---

(١) سنن أبى داود ١/ ١٣٣ (واللفظ له)، سنن البيهقي الكبرى ٢/ ٢٢٩، سنن الترمذي ٢/ ٢٥٩، مسند أحمد ٢/ ١٨٧.

(٢) مسند أبى يعلي ١/ ٨٨، والدر المنثور ١/ ٧١٣.

(٣) سنن الدارقطني ٢/ ٥٤.

(٤) انظر: مسند أحمد ٥/ ٢٥٠، المعجم الكبير ٨/ ٢٨٦، الدر المنثور ١/ ٧١٣.

ونفس الموقف تكرر مع الصحابي الجليل «أبو الهيثم بن التيهان الأنصاري»، إذ وعده النبي ﷺ يومًا إن أصاب سبيًا أن يعطيه غلامًا، ولما علم أن النبي ﷺ قد جاءه السبي، أقبل إليه يطلب ما وعده النبي ﷺ، فقال له النبي ﷺ : **«قد أصبنا غلامين أسودين اختر أيهما شئت»**، قال أبو الهيثم: فإني أستشيرك، فقال ﷺ: **«المستشار مؤتمن؛ خذ هذا فقد صلى عندنا، ولا تضربه؛ فإنا نهينا عن ضرب المصلين»**[1] .

أيها الوالد الكريم، أيتها الأم الحنون

هيا بنا نترفق بأبنائنا ونقلل ضربهم، ثم نزيد في الرفق بمن يصلي منهم، ونمتنع عن ضربه عندما يخطئ ونقول له: صلاتك كانت سبب نجاتك اليوم، فازدد محافظة عليها؛ عسى أن تنجيك بين يدي الله عزّ وجل.

* * *

(١) انظر: مسند أبي يعلي ١٢/ ٣٧١، الدر المنثور ١/ ٧١٤.

من أطاع غضبه أضاع أدبه



قصة سيدنا موسى عليه السلام ورحلته في الحياة، تحوي في طياتها الكثير من العبر والعظات، ومن الدروس التي تهم الآباء والمعلمين منها: ضرورة ضبط الانفعالات وعدم إطاعة الغضب، لأن من أطاع غضبه أضاع أدبه، وطاعة الغضب نهايتها – في كثير من الأحيان – ندم وحزن، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ﴾ [القصص:١٥].. فسيدنا موسى- عليه السلام- لما دخل المدينة وقت الظهيرة والناس نيام، وجد فيها رجلين يقتتلان ويتصارعان؛ أحدهما كان من بني إسرائيل قوم سيدنا موسى وعشيرته، والآخر كان من الأقباط قوم فرعون، وكان الرجل الإسرائيلي مظلومًا فاستغاث بالنبي الكريم حتى ينصره، فانفعل سيدنا موسى وغضب غضبًا شديدًا؛ لأن النفوس الطاهرة تنفر من الظلم وتعطف على المظلوم بل وتساعده بأقصى ما تستطيع، ولقد أطاع سيدنا موسى غضبه فضرب الظالم بقبضة يده فكانت نهايته، لقد مات الرجل القبطي بضربة واحدة من سيدنا موسى، وهنا ندم النبي الكريم أشد الندم، وهتف قائلا: هذا من عمل الشيطان وإغوائه إنه عدو مضل مبين، وذلك لأن الموقف كان من الممكن أن يعالج بطريقة أخرى بعيدًا عن القتل وإزهاق الأرواح[(١)] ، لكن الغضب- في أغلب الأحيان- يقود الإنسان إلى الشرور والمهالك والندم، ولقد ترتب على هذه الواقعة الكثير من الآثار السلبية التي عاني منها سيدنا موسى عليه السلام، ويمكن إجمال هذه الآثار فيما يلي:

---

(١) تفسير القرطبي ١٣/ ٣٥٩- ٣٦١(بتصرف).

أولاً: أصابه الندم والهم والغم

لما مات القبطي من ضربة سيدنا موسى؛ أحس النبي الكريم بندم شديد يملك عليه فؤاده، فحمله ندمه على الخضوع لربه والاستغفار من ذنبه، فنادى ربه قائلا: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي﴾ [القصص:١٦]، لقد عرف المخرج فاستغفر ربه بقلب وجل خاشع، فكانت النتيجة أن غفر الله له، إنه هو الغفور الرحيم[(١)].

ولما علم آل فرعون بالأمر، أرادوا الانتقام من سيدنا موسى وقتله، فأصابه بذلك غم شديد، لكن الله نجاه من هذا الغم، ووفقه في الرحيل عن مصر إلى أهل مدين ليقضي هناك عشر سنين، آمنًا مطمئنًا بعيدًا عن فرعون وأعوانه[(٢)]، قال تعالى: ﴿إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَن يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلاَ تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى﴾ [طه:٤٠].

ثانيًا: أصبح خائفا يترقب

ففي اليوم التالي لمقتل القبطي، دخل سيدنا موسى عليه السلام وهو خائف من الله تعالى، وخائف من آل فرعون أن يعرفوا ما حدث ويقبضوا عليه، ونتيجة لهذا الخوف قرر النبي الكريم أن يترك مصر متوجهًا إلى مدين[(٣)]، ويصف لنا القرآن الكريم حالة الخوف والترقب التي عانى منها النبي الكريم، فيقول جل شأنه في سورة القصص: ﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾...

ثالثًا: ترك بلده عشر سنين

ولأن الخوف يجعل الحياة بلا طعم ولا معنى، فلقد قرر النبي الكريم أن يترك موطنه الذي تربي فيه، متجهًا إلى بلد جديد لا يعرفه فيه أحد، فخرج من مصر خائفًا

---

(١) تفسير القرطبي ١٣/ ٢٥٩، وتفسير الطبري ٢٠/ ٤٦ (بتصرف).
(٢) تفسير الطبري ١٦/ ١٦٣، وتفسير ابن كثير ٣/ ١٤٩، وتفسير الجلالين ١/ ٤٠٩.
(٣) تفسير القرطبي ١٣/ ٢٦٤، ٢٦٥ (بتصرف).

يترقب متجهًا إلى مدين، وهناك تعرف على سيدنا شعيب وتزوج ابنته، ومع أن سيدنا موسى لبث في أهل مدين عشر سنين، إلا أنه لم ينس ما حدث، وظل الخوف من آل فرعون متمكنًا من قلبه طوال هذه السنين العشر، والدليل على ذلك أن الله سبحانه وتعالى كلف النبي الكريم بالذهاب إلى فرعون لدعوته إلى الحق، وذلك بعد انقضاء السنين العشر في أهل مدين، لكن سيدنا موسى كان خائفًا من هذه المهمة، وكان أحد أسباب هذا الخوف هو ذنبه القديم وقتله القبطي في المدينة منذ عشر سنين(١)، قال تعالى: ﴿وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۞ قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلاَ يَتَّقُونَ ۞ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ۞ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلاَ يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ ۞ وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ﴾ [الشعراء: ١٠-١٤]...وفي سورة القصص يقول الله تعالى على لسان سيدنا موسى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ﴾.

رابعًا: تعيير فرعون له

إذ أن سيدنا موسى لما استجاب لأمر ربه، وذهب هو وأخوه هارون لدعوة فرعون إلى الإيمان بالله، استغل فرعون هذا الخطأ القديم ليعير به النبي الكريم، ويجعلها ذريعة لعدم الإيمان بهذا النهج القويم، قال تعالى: ﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولاَ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۞ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ۞ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ۞ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ﴾ (يقصد قتل القبطي) ﴿وَأَنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ۞ قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ۞ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: ١٦-٢١]...

خامسًا: لا يتقدم للشفاعة يوم القيامة

روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ قال: «أتى رسول الله ﷺ **بلحم، فرفع إليه ذراع وكانت تعجبه، فنهس منها نهسة فقال: أنا سيد الناس يوم القيامة وهل تدرون بما ذاك؟ يجمع الله يوم القيامة الأولين والآخرين في صعيد واحد،**

(١) تفسير الطبري ١٩/ ٦٤، ٦٥، وتفسير الجلالين ١/ ٤٠٩، وتفسير ابن كثير ٣/ ١٥١، (بتصرف).

فيسمعهم الداعي ينفذهم البصر وتدنو الشمس، فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون وما لا يحتملون، فيقول بعض الناس لبعض: ألا ترون ما أنتم فيه؟ ألا ترون ما قد بلغكم؟ ألا تنظرون ما يشفع لكم إلى ربكم؟ فيقول بعض الناس: ائتوا آدم، فيأتون آدم فيقولون: يا آدم، أنت أبو البشر، خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك، اشفع لنا إلى ربك، ألا تري ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول آدم: إن ربي غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبل مثله، ولن يغضب بعد مثله، وإنه نهاني عن الشجرة فعصيته، نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى نوح...فيأتون نوحًا فيقولون: يا نوح، أنت أول الرسل إلى الأرض، وسماك الله عبدًا شكورا، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم: إن ربي غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبل مثله، ولن يغضب بعد مثله، وإنه قد كانت لي دعوة دعوت بها على قومي، نفسي نفسي، اذهبوا إلى إبراهيم ﷺ...فيأتون إبراهيم فيقولون: أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم إبراهيم: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبل مثله، ولا يغضب بعد مثله، وذكر كذبته -وفي رواية البخاري: «وإني قد كذبت ثلاث كذبات»-، نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى موسى...فيأتون موسى ﷺ فيقولون: يا موسى، أنت رسول الله، فضلّك الله برسالاته وبتكليمه على الناس، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم موسى ﷺ: إن ربي غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبل مثله، ولن يغضب بعد مثله، وإني قتلت نفسا لم أؤمر بقتلها، نفسي نفسي، اذهبوا إلى عيسى ﷺ ...فيقولون: يا عيسى، أنت رسول الله وكلمت الناس في المهد، وكلمة منه ألقاها إلى مريم وروح منه، فاشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم عيسى ﷺ: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبل مثله، ولن يغضب بعد مثله، ولم يذكر له ذنبا، نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى محمد ﷺ...فيأتوني فيقولون: يا محمد، أنت رسول الله وخاتم الأنبياء، وغفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فأنطلق فآتى تحت العرش، فأقع ساجدًا لربي، ثم يفتح الله عليّ ويلهمني من محامده وحسن الثناء عليه شيئًا لم يفتحه لأحد قبلي، ثم يقال: يا

محمد، ارفع رأسك، سل تعطه، اشفع تشفع، فأرفع رأسي، فأقول: يا رب أمتي أمتي، فيقال: يا محمد، أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب، والذي نفس محمد بيده، إن ما بين المصرعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وهجر، أو كما بين مكة وبصري»[(١)].

أيها الوالد الكريم، أيتها الأم الحنون

إن من واجبنا كآباء ومربين أن نتأمل ما فعلته لحظة غضب وانفعال في حياة سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام، وما ترتب عليها من سلبيات عانى منها النبي الكريم، ثم نجعل ذلك دافعًا لنا على التحكم بغضبنا وانفعالاتنا عند التعامل مع أبنائنا وتلامذتنا وغيرهم، وليكن لنا في سيدنا عمر بن عبد العزيز ﷺ أسوة وقدوة؛ إذ أخرج ابن أبى حاتم في تفسيره عن محمد بن كعب القرظي قال: دعاني عمر بن عبد العزيز فقال: صِفْ لي العدل؟ فقلت: بخ، سألت عن أمر جسيم؛ كن لصغير الناس أبًا، ولكبيرهم ابنًا، وللمثل منهم أخًا، وللنساء كذلك، وعاقب الناس على قدر ذنوبهم وعلى قدر أجسادهم، ولا تضربن لغضبك سوطًا واحدًا متعديًا (ظلما) فتعد من العادين[(٢)] ...

وانطلاقًا من هذه الوصية وغيرها؛ كان عمر بن عبد العزيز- كما قال الإمام الأوزاعي – إذا أراد أن يعاقب رجلاً حبسه ثلاثة أيام ثم عاقبه كراهة أن يعجل في أول غضبه[(٣)]، وروى النيسابوري أن عمر بن عبد العزيز أُتى برجل كان واجدًا (غاضبا) عليه، فأمر بضربه، ثم (تراجع عن ذلك) وقال: لولا أني غضبان عليك لضربتك ثم خلَّى سبيله ولم يضربه[(٤)]، كما روى جلال الدين السيوطى في كتابه «تاريخ الخلفاء» عن إبراهيم بن

---

(١) صحيح البخاري ٤/ ١٧٤٥، ١٧٤٦، وصحيح مسلم ١/ ١٨٤، ١٨٥.
(٢) تاريخ الخلفاء ١/ ٢٤٣، والدر المنثور ٥/ ١٦١.
(٣) تاريخ الخلفاء ١/ ٢٣٦.
(٤) مجمع الأمثال ٢/ ٤٥٧.

ميسرة قال: ما رأيت عمر بن عبد العزيز ضرب أحدًا في خلافته، غير رجل تناول من معاوية (يعني ذكره بسوء)، فضربه ثلاثة أسواط[١]، وصدق الشاعر إذ يقول:

وإن نعاقب فعلى قدر السبب   من الذنوب لا على قدر الغضب[٢]

ممنوع الاقتراب فأنا غضبان

أيها الوالد الكريم، أيتها الأم الحنون

إن الكلام الجميل والأمنيات الطيبة لن يسيطرا - وحدهما - على غضبنا، ولن يتحكما - بمفردهما - بانفعالنا وثورتنا؛ إذ لابد من خطوات جدية وحلول عملية.. وخطوة على هذا الطريق، نقدم لكم بعض الأفكار العملية التي تساعدنا على ضبط انفعالنا والتقليل من غضبنا عند مواجهة أخطاء أبنائنا:

[١] اجلس وتوضأ واستعذ بالله:

روى ابن حبان وأحمد وأبو داود عن أبي ذر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **«إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس، فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع»**[٣].. وروى الطبراني عن ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«لو يقول أحدكم إذا غضب أعوذ بالله من الشيطان الرجيم؛ ذهب غضبه»**[٤]...وروى أبو داود عن أبي وائل القاص قال: دخلنا على عروة بن محمد بن السعدي، فكلمه رجل فأغضبه، فقام فتوضأ ثم رجع وقد توضأ، فقال: حدثني أبي عن جدي عطية قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن الغضب من الشيطان، وإن الشيطان خلق من النار، وإنما تطفأ النار بالماء، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ»**[٥]...

---

(١) تاريخ الخلفاء ١/ ٢٣٧، ٢٣٨.
(٢) خلاصة الأثر ٢ / ٤١٠.
(٣) صحيح ابن حبان ١٢/ ٥٠١، ومسند أحمد ٥/ ١٥٢، وسنن أبي داود ٤/ ٢٤٩.
(٤) المعجم الصغير للطبراني ٢/ ١٩٧.
(٥) سنن أبو داود ٤/ ٢٤٩.

[٢] الانسحاب من ساحة المواجهة

عندما يتصرف أحد أبنائك تصرفًا يشعل نار الغضب في صدرك؛ فليس عيبًا أو خطأ على الإطلاق إن تتوقف وتقول: أنا غاضب الآن، لا يمكنني التعامل مع هذا الموقف في الوقت الحالي، سوف أتكلم معك لاحقا عندما أهدأ [١] ...

إن الانسحاب من «ساحة المواجهة» عندما يخطئ أحد أبنائنا وتأخير رد الفعل العقلاني «إلى حين» مفيد جدا، إلا في حالات الخطر والخطأ الذي لا يتحمل تأخير معالجته، والعقاب هنا يكون بهدوء ويهدف أساسًا إلى منع الضرر وليس الإضرار بالأبناء، والانسحاب نوعان: مادي وذهني؛ فالانسحاب المادي يكون بمغادرة مسرح الأحداث إلى غرفة أخرى أو النظر إلى السقف أو زاوية الغرفة، وتغيير الوضع البدني بالجلوس من وقوف، أو بالسكون من حركة ..الخ، والانسحاب الذهني: يكون بالاندماج في اهتمام ذهني آخر فور الشعور بنار الغضب، مثل: التفكير في حفلة العيد القادم، أو التفكير في صديق تأخر في الرد على رسالتك، أو التشاغل بقراءة الجريدة، أو مشاهدة التلفاز، أو سماع أنشودة هادئة..إلخ، يعني..كأنك لست هنا وسط اللهيب[٢] .

[٣] اسأل نفسك لماذا فعل ذلك؟

إن الأبناء كثيرًا ما يخطئون، وكذلك الآباء كثيرا ما ينفعلون ويغضبون ويضربون، ولكي نقلل الغضب علينا أن نفكر لثوان فيما فعل أبناؤنا قبل الغضب والعقاب، ولو فكرت لوجدت مثلاً أنه كان يحاكي ما شاهد من أفلام كرتون فخرَّب بعض أثاث المنزل، أو أنه سمع بعض السباب في الشارع فحاول ترديده مع أخيه الصغير، أو ضرب أخاه ليلفت الانتباه لأنه شعر بعدم اهتمام الآخرين به، أو أنه يواصل الصراخ لأنه لم يأخذ كفايته من النوم وربما بسبب جوع فلا تستغرب ذلك.. وبالتالي عليك أن تطرح السؤال التالي على

(١) http://www.womengateway.com/ar/defult.asp?action=article&id=1374.

(٢) بدلاً من الصراخ في وجه الأطفال د. أحمد عبد الله.
http://www.islamonline.net/QuestionApplication/arabic/display.asp?hquestionID=1581#t

نفسك عندما يغضبك ابنك: لماذا فعل ابني ذلك؟ وكيف أساعده على تجنب هذا السلوك مستقبلاً؟ وهذا التفكير سيقلل إن شاء الله من غضبك، وستشعر أن ابنك مظلوم، فلا تزيدنه ظلمًا على ظلم، فالغضب غالبًا ما ينتج عن أشياء لا علاقة لأبنائنا بها، كالضغوط المادية والمشاكل الأسرية والسلبيات الاجتماعية والمشاهدات التليفزيونية، وعلينا ألا نجعل الصغار يتحملون ثمن همومنا نحن الكبار[1].

[٤] اطلب مساعدة ابنائك

احكِ لأبنائك ما رواه القرطبي عن ميمون بن مهران أن جاريته جاءت ذات يوم بصحفة (صينية) فيها مرقة حارة، وعنده أضياف، فعثرت، فصبت المرقة عليه، فأراد ميمون أن يضربها، فقالت الجارية: يا مولاي استعمل قول الله تعالى: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ﴾، قال لها: قد فعلت، فقالت: اعمل ما بعده: ﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾، فقال: قد عفوت عنك، فقالت الجارية: ﴿وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾،قال ميمون: قد أحسنتُ إليكِ فأنتِ حرة لوجه الله تعالى[2]...

وبعد أن تحكي لهم هذه القصة قل لهم: أحيانًا أنفعل وأغضب من بعض تصرفاتكم، وهذا والله رغمًا عني فأنا أحبكم كثيرًا، وأحاول جاهدًا أن أقلل من هذا الغضب، ولكي تساعدوني على تحقيق ذلك ذكروني عندما أنفعل عليكم بقوله تعالى: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾. والحقيقة أنني شخصيًا مررت بهذه التجربة، فلقد أغضبني أحد طلابي يومًا، فتوعدته بالويل والثبور وعظائم الأمور، فإذا بطالب آخر يقول: يا أستاذي، من أطاع غضبه أضاع أدبه، والله لقد تأثرت كثيرا بهذه الكلمات ، وهدأت أعصابي، وعفوت عمن أغضبني، وليس من العيب أن يغضب الواحد منا، لكن أن يدفعه الغضب إلى فعل يندم عليه بقية حياته،

---

(١) مجلة ولدي عدد ٥٥ – يونيو ٢٠٠٣ (بتصرف).
(٢) تفسير القرطبي ٤/ ٢٠٧.

فهذا هو المرفوض تمامًا، فعلينا كآباء ومربين أن نستجيب لمن يذكرنا بالله عند غضبنا، ونتوقف تماما عن الانفعال والثورة، وليكن لنا في سيدنا عمر بن عبد العزيز ﷺ أسوة وقدوة؛ فلقد قال عنه أحد أبنائه: ما رأيت عمر غضب قط فذُكر الله عنده أو خوف أو قرأ عنده إنسان آية من القرآن إلا وقف عما كان يريد (يعني من الغضب) [(١)] ...

[٥] ضرب المخدة

هذه الطريقة غريبة ولطيفة أيضًا، وتتبعها إحدى الأمهات من البحرين، وتشرح لنا تجربتها فتقول: أنا بطبعي عصبية لدرجة كبيرة وأحيانًا أكون في المطبخ وأسمع شجار أبنائي العنيف، ويثور غضبي بشكل كبير ولا يكون أمامي إلا التوجه إلى غرفة النوم وإحضار المخدة وأوسعها ضربا حتى تخرج كل الطاقة المكبوتة بداخلي وبعدها أهدأ تمامًا لأتوجه بعد ذلك لأبنائي لأعرف سبب شجارهم وحل المشكلة، ولقد عودت أبنائي على اتباع أسلوب ضرب المخدة عندما يثورون أو يغضبون لأن الإنسان وهو غاضب تصدر عنه تصرفات خاطئة[(٢)].

أيها الوالد الكريم، أيتها الأم الحنون

قد نغضب أحيانًا على أبنائنا ويزداد انفعالنا فنقسم على أشياء لا يصح أن نفعلها مع أبنائنا، كأن نحلف أننا سنضربهم مائة عصا أو نعلقهم في السقف من أرجلهم، أو نحبسهم في حجرة مظلمة يومًا كاملاً أو نمنعهم من الذهاب للكُتّاب أو المدرسة أو نربطهم في رجل السرير ونقيدهم لمدة يومين ..إلخ، وكل هذه أمور غير جائزة تربويًا وأخلاقيًا، لأنها تحمل في طياتها العنف والإهانة والنهي عن المعروف، وحري بنا كآباء أن نمسك ألسنتنا عند الغضب، فلا شتم ولا دعاء على الأبناء، ولا قسم يضرهم ولا ينفعهم، وإذا

(١) تاريخ الخلفاء ١ / ١٣٠.
(٢) مجلة ولدي، العدد (٤) مارس ١٩٩٩- ص:١٦.

حدث- لا قدر الله- وحلفنا أن نعاقب أبناءنا بما هو ضار وغير جائز، فعلينا عدم تنفيذ هذا القسم مهما كانت النتائج، ولأن نلقي الله حانثين في القسم خير لنا من أن نلقاه سبحانه ظالمين لأبنائنا. أخرج ابن عساكر عن إبراهيم بن سعيد الجوهري قال: وقف رجل بين يدي المأمون (الخليفة العباسي المعروف) قد جنى جناية، فقال له (المأمون): والله لأقتلك، فقال: يا أمير المؤمنين، تأنَّ عليَّ فإن الرفق نصف العفو، قال المأمون: وكيف وقد حلفت لأقتلك، فقال: لأن تلقي الله حانثًا، خير من أن تلقاه قاتلا، فخلّى سبيله وعفا عنه[1] ...

ولأن الله تبارك وتعالى يعلم أننا قد نقع في مثل هذا الحرج، فقد شرع لنا كفارة اليمين التي نحلف عليها ولا ننفذها، روى ابن حبان وأحمد وابن ماجة والترمذي ومسلم (واللفظ له) عن أبي هريرة ﷺ قال: أعتم رجل عند النبي ﷺ، ثم رجع إلى أهله، فوجد الصبية قد ناموا، فأتاه أهله بطعامه، فحلف لا يأكل من أجل صبيته، ثم بدا له فأكل، فأتى النبي ﷺ فذكر ذلك له، فقال رسول الله ﷺ: **«من حلف على يمين فرأى غيرها خيرًا منها، فليأتها وليكفّر عن يمينه»**[2] .

ولقد تعرض سيدنا أيوب – عليه الصلاة والسلام – لهذا الموقف، إذ حلف في مرضه أن يضرب امرأته مائة جلدة، فلمّا شفاه الله سبحانه وتعالى أمره أن يأخذ ضغثًا (يعني قبضة من حشيش مختلطة الرطب باليابس عددها مائة) فيضرب به زوجته، ففعل النبي الكريم ذلك ولم يحنث في يمينه[3]؛ قال تعالى في سورة ص: **﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِ وَلاَ تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾**...

ومن المسائل الفقهية الرائعة: ما قاله الفقهاء والعلماء فيمن حلف ليضربن ابنه أو زوجته أو غيرهما مائة عصا أو ما شابه ذلك؛ فقال الإمام الشافعي والبيهقي وغيرهما: إذا حلف الرجل ليضربن زوجته أو ابنه أو غيرهما مائة

(١) تاريخ الخلفاء ١/ ٣٢٠، وتاريخ بغداد ١٠/ ١٩١.
(٢) صحيح مسلم ٣/ ١٢٧١، وصحيح ابن حبان ١٠/ ١٨٨، ومسند أحمد ٢/ ٢٠٤، وسنن ابن ماجة ١/ ٦٦١، و سنن الترمذي ٤/ ١٠٧.
(٣) تفسير القرطبي ١٢/ ٢١٢- ٢١٤.

سوط أو عصا؛ فجمعها فضربه بها ضربة واحدة؛ فإنه لم يحنث في الحكم ويحنث في الورع...، واستدلوا على رأيهم هذا بقصة سيدنا أيوب عليه الصلاة والسلام وبقوله تعالى: ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِ وَلاَ تَحْنَثْ﴾[1]...لكن الإمام مالك وبعض الفقهاء الآخرين قالوا: لو أن رجلا حلف ليضربن زوجته أو غيرها مائة سوط فجمعها فضربها بها مرة واحدة؛ فلا يجزئه ذلك ولا يخرجه من يمينه[2] ...وفي نفس المسألة قال الإمام الشافعي: ولو حلف ليضربن ابنه مائة سوط، فضربه مائة سوط ضربًا خفيفًا برّ في قسمه ولم يحنث، لأن شرط بره أصل الضرب دون نهايته والخفيف كالضرب الشديد[3] .. لكن الإمام مالك قال: إن قال والله ليضربن ابنه مائة فضربه ضربًا خفيفًا فليس الضرب إلا الضرب الذي يؤلم[4] ...

وانطلاقًا من آراء الفقهاء السابقة، يمكن لمن حلف ليضربن ابنه مائة عصا أو ما شابهها أن يجمعها فيضربه بها جميعًا مرة واحدة، ويراعي قدر الإمكان أن تلامس كلها جسده، كما يمكنه أن يضربه المائة ضربًا خفيفًا، أما لو أخذ برأي الإمام مالك، فعليه ألا يضرب ابنه ويكفر عن يمينه بصيام ثلاثة أيام....

وهناك مسألة أخرى نقع فيها كآباء وأمهات، وهي أن يستأمنك ابنك ويجعلك تحلف أنك لن تضربه إذا قال الحقيقة، فتحلف على ذلك فإذا قال تغضب وتنفعل فتضربه، وهذا إخلاف للوعد وحنث في اليمين، وقد يظن بعض الآباء أنه إذا حلف ألا يضرب ابنه ثم عضه أو شد [illegible] أو أمر غيره فضرب نيابة عنه يكون بارًا في قسمه موفيًا بوعده، وهذا ما حذر منه [illegible] قالوا: إن حلف لا يضرب ابنه فخنقه

---

(١) [illegible]

(٢) [illegible]

(٣) [illegible]

(٤) [illegible]

أو قرصه أو شد شعره أو عضه حنث، لأن الضرب فعل موجع على قصد التأديب أو غيره، وهذا كله موجع موصل الألم إلى قلبه فكان ضربا، ولو حلف لا يضربه فأمر غيره حتى ضربه حنث[١] ...وقيل للإمام مالك: أرأيت إن حلف أن لا يضرب ابنه فأمر غيره فضربه أيحنث أم لا؟ فقال الإمام مالك: هذا حانث إلا أن تكون له نية حين حلف أن لا يضربه هو بنفسه[٢]...

وهكذا عالج الأطباء غضب الآباء

أيها الوالد والمربي الكريم، هيا بنا نبتعد قدر المستطاع عن الغضب، ونتجنب الحلف عند الانفعال، حتى نبتعد نحن وأبناؤنا عن مواطن الزلل والشقاق، ولكي يسود بيوتنا جو من الرفق والحب والمودة والرحمة، والقصة التالية فيها دواء عملي لكل الآباء الذين يغضبون كثيرًا فيؤذون أبناءهم كثيرًا ثم يندمون ويحزنون على ما فعلوه كثيرًا...

قال المؤرخون: لما مات الراضي بالله استدعى الأمير أبو الحسين الطبيب سنان بن ثابت[٣] وسأله أن يذهب إليه في واسط، ولم يكن يطمع في ذلك منه في أيام الراضي بالله لملازمة ثابت بخدمته، فذهب إليه ثابت فأكرمه الأمير ووصله وقال له: أريد أن اعتمد عليك في تدبير بدني وتفقده والنظر في مصالحه، وفي أمر آخر هو أهم إليَّ من أمر بدني وهو أمر أخلاقي؛ لثقتي بعقلك وفضلك ودينك ومحبتك، فقد غمني غلبة الغضب والغيظ عليّ وإفراطهما بي، حتى أخرج إلى ما أندم عليه عند سكونهما من ضرب وقتل، وأنا أسألك أن تتفقد ما أعمله، وإذا وقفت لي على عيب لا تتردد أن

---

(١) المبسوط للسرخسي ٩/ ٨١.

(٢) المدونة الكبرى ٣/ ١٤١.

(٣) ثابت بن سنان بن ثابت بن قرة: كان أديبًا فاضلاً مؤرخًا عارفًا بعلم الهيئة ماهرًا بصناعة الطب، كان في خدمة المقتدر بالله والقاهر وخدم أيضًا بصناعة الطب الراضي بالله، توفى سنة ثلاث وستين وثلاث مائة. ولثابت كتاب التاريخ الذي ابتدأ به من أول أيام المقتدر وله كتاب مفرد في أخبار الشام ومصر مجلد واحد. وكان طبيبًا حاذقًا وأديبًا بارعًا وكان موفقًا في العلاج مطلعًا على أسرار الطب.. انظر: الوافي بالوفيات ١٠/ ٢٨٦، ومعجم الأدباء ٣/ ٤٠٢، وعيون الأنباء في طبقات الأطباء (١/ ٣٠٠).

تمنعني عنه وتذكره لي وتنبهني إليه، ثم ترشدني إلى علاجه ليزول عني، فقال له سنان ابن ثابت: السمع والطاعة لما أمر به الأمير، أنا افعل ذلك إن شاء الله، ولكن يستمع الأمير مني الآن جملة علاج ما أنكره من نفسه إلى أن يجيئه التفصيل في أوقاته...

اعلم أيها الأمير أنك قد أصبحت وليس فوق يدك يد لأحد من المخلوقين (وهذا تقريبًا هو حال الأب مع أبنائه)، وأنك مالك لكل ما تريده قادر على أن تفعله أي وقت أردته، لا يتهيأ لأحد من المخلوقين منعك منه، ولا أن يحول بينك وبين ما تهواه أي وقت أردته، وأنك متى أردت شيئًا بلغته أي وقت شئت، لا يفوتك أمر تريده .. واعلم أن الغضب والغيظ تُحدث في الإنسان سُكرًا أشد من سُكر النبيذ بكثير، فكما أن الإنسان يعمل في وقت السُكر من النبيذ ما لا يعقل به ولا يذكره إذا صحا ويندم عليه إذا حدّث به ويستحي منه، كذلك يحدث له وقت السكر من الغضب والغيظ بل أشد، فلما يبتدئ بك الغضب وتحس بأنه قد ابتدأ يسكرك قبل أن يشتد ويقوى ويتفاقم ويخرج الأمر عن يدك؛ فضع في نفسك أن تؤخر العقوبة على من تعاقبه إلى غد، واثقًا بأن ما تريد أن تعمله في الوقت لا يفوتك عمله في غد، إذا فعلت ذلك وبت ليلتك وسكنت فورة غضبك؛ فإنه لابد لفورة الغضب من أن تسكن وأن تصحو من السكر الذي أحدثه لك الغضب، فإذا صحوت من سكرك فتأمل الأمر الذي أغضبك وقدم أمر الله عزّ وجلّ أولاً والخوف منه، وترك التعرض لسخطه ولا تشفِ غيظك بما يؤثمك، واذكر قدرة الله عليك وأنك محتاج إلى رحمته وإلى أخذه بيدك في أوقات شدائك، وهو وقت لا تملك لنفسك فيه شرًا ولا نفعًا ولا يقدر لك عليه أحد من المخلوقين، ولا يكشف ما قد أظلك غيره عزّ وجلّ، واعلم أن البشر يغلطون ويخطئون، وأنك مثلهم تغلط وتخطئ، وإن كان لا يجسر أحد على أن لا يوافقك على ذلك، فكما تحب أن يغفر الله لك كذلك غيرك يأمل عطفك وعفوك، وفكر بأي ليلة بات المذنب قلقًا لخوفه منك وما يتوقعه من عقوبتك ويخافه من سطوتك، واعرف مقدار ما يصل إليه من السرور وزوال الرعب عنه بعفوك ومقدار الثواب الذي يحصل لك من ذلك، واذكر قول الله تعالى: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلاَ تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، فإن كان من أغضبك مما يجوز فيه العفو

ويكفي فيه العتاب والتوبيخ والعذل والتهديد متى وقعت معاودته فلا تتجاوز ذلـك، واعف واصفح فإنه أحسن بك وأقرب إلى الله تعالى، والله سبحانه يقـول: ﴿وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾، وليس يظن بك المذنب ولا غيره أنك عجزت عن التقـويم والعقوبـة ولا قصرت بك القدرة. وإن كان مما لا يحتمل العفو عاقبت حينئذ على قـدر الـذنب ولم تتجاوزه إلى ما يوقع الدين ويفسد به أمرك ويقبح عنـد النـاس ذكـرك.. وسيشـتد عليك تكلف هذا السلوك أول مرة وثانية وثالثة، ثم يصير عادة لك وخلقـا وسـجية، ويسهل عليك.

فاستحسن الأمير وصية الطبيـب ووعـد أن يفعلـه، ومـا زالـت أخلاقـه تصـلح والطبيب ينبهه على كل شيء مما ينكره منه من أخلاقـه وأفعالـه، ويرشـده إلى طريـق إزالته، إلى أن لانت أخلاقه وكفّ عن كثير مما كان يسرع إليه مـن القتـل والعقوبـات الغليظة، واستحلى واستطاب[1]...

* * *

(١) عيون الأنباء في طبقات الأطباء ١/ [illegible]

بعد العفو سبعين مرة



روى أبو داود وأبو يعلي عن عبد الله بن عمرو بن العاص – رضي الله عنهما- قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله كم أعفو عن الخادم؟ قال ﷺ: «**كل يوم سبعين مرة**»[(١)] .. وروى الترمذي وأحمد عن عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما- (أن رجلا أتى النبي ﷺ فقال: إن خادمي يسيء ويظلم أفأضربه؟ قال: «**تعفو عنه كل يوم سبعين مرة**»[(٢)] .. وروى الطبراني بسنده: أن رجلا يقال له جريّ أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إن أهلي يعصونني، فبمَ أعاقبهم؟ قال: «**تعفو**»، ثم قال الثانية حتى قالها ثلاثًا، قال: «**إن عاقبت فعاقب بقدر الذنب، واتق الوجه**»، فهذا الصحابي الجليل يسأل النبي ﷺ عن عقوبة أهله المسئول عن تأديبهم وتربيتهم، فيرشده عليه الصلاة والسلام إلى أسلوب الرفق بالعفو والمسامحة مرات، فإنها إن كانت الزوجة فإنها امرأة مشغولة بالعمل والبيت، فلا يكون الخطأ منها عن قصد وعمد، وإن كان ولدًا صغيرًا؛ فإنه يحتاج إلى العطف والتعليم لقلة إدراكه للخطأ، وإن كان خادمًا؛ فكثرة معاناته للأمور تجعله يقع في الخطأ، فحقه العون له والمسامحة له بالعفو عنه، وكل ذلك لا يمنع من توقيع العقوبة إذا ناسب توقيعها وبالشروط اللازمة لها[(٣)] ... وانطلاقا من هذه التوجيهات النبوية الشريفة، علينا أن نعفو عن أبنائنا إذا أخطأوا، وبعد العفو نعفو ثم نعفو ثم نعفو، حتى إذا تكرر نفس الخطأ أكثر من مرة، وكثر العفو عليه، لجأنا إلى الضرب والعقاب، ونكون بذلك قد أخذنا بركة وصية النبي ﷺ، وعفونا عن أبنائنا كثيرًا، وعاقبناهم قليلاً.

وإذا كان العفو مطلوبًا مع جميع الأبناء، فهو مع ذوى الهيئة منهم أكثر طلبًا،

---

(١) رواه أبو داود وأبو يعلي بإسناد جيد عنه، انظر: الترغيب والترهيب ٣/ ١٥١، ١٥٢.

(٢) قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب: وفي بعض النسخ حسن صحيح وقد أخرجه البخاري في تاريخه من حديث عباس بن جليد عن عبد الله بن عمرو بن العاص.. انظر: الترغيب والترهيب ٣/ ١٥١، ١٥٢، ومسند أحمد ٢/ ٩٠.

(٣) العشرة الطيبة مع الأولاد وتربيتهم، ص ١١٣، ١١٤.

والدليل على ذلك ما رواه أحمد وأبو داود والنسائي والبيهقي عن عائشة – رضي الله عنها- أن النبي ﷺ قال: «**أقيلوا ذوى الهيئات عثراهم، إلا الحدود**» ...ولقد فسّر الإمام الشافعي ذوى الهيئات: بالذين لا يُعرفون بالشر فيزل أحدهم الزلة ويخطئ أحدهم الخطأ، وقال الماوردي إن معنى ذوى الهيئات يحتمل وجهين: أحدهما أنهم أصحاب الصغائر دون الكبائر، والثاني: من إذا أذنب تاب، ومعنى أقيلوا أي سامحوا واعفوا واغفروا[١] ...

وانطلاقًا من هذا الحديث النبوي الكريم، علينا- كآباء ومربين- إلى ملاحظة أبنائنا وتلامذتنا بدقة، ومعرفة من يكثر منهم الخطأ ومن لا يخطئ إلا نادرًا، ثم نعفو عن أخطائهم ونتجاوز عن زلاتهم، ونكثر العفو والتجاوز مع من لا يخطئ إلا قليلاً... ومن أطرف ما رُوى في العفو عن الأبناء أن فتى هاشميًا عربد لسُكره على فريق من الناس، فمضوا إلى والده وشكوا إليه ابنه، ولما همّ الأب بضرب ابنه قال له: يا أبت، لقد أذنبتُ وأنا فاقد وعيي؛ فلا تعاقبني وأنت تملك صوابك، فسر الأب لقوله وأعجبه فعفا عنه، وطلب منه وعدًا بعدم العودة للخمر مرة أخرى...

* * *

(١) سبل السلام ٤/ ٣٧.

الضرب في المريض حرام

السارق ليس كالزاني، وشارب الخمر ليس كالقاتل؛ فكل واحد من هؤلاء المذنبين قد ارتكب نوعًا من المعصية، وليست درجة العقاب وقوته واحدة مع كل الأخطاء، فالعقوبة تتغير تبعًا لفظاعة الذنب ومدى تأثيره السلبي على المذنب والمحيطين به، وكما يتغير العقاب تبعًا للذنب وقوته، فإنه ينبغي أن يتغير أيضًا تبعًا لحالة جسم المذنب من حيث القوة والضعف والصحة والعافية، ولنأخذ جريمة الزنا مثالاً على ذلك: فالزاني غير المتزوج يضرب في الشرع مائة جلدة فور ثبوت التهمة عليه، لكن إن كان مريضًا مرضًا شديدًا لا يتحمل معه آلام الضرب؛ فلا يقام عليه الحد وننتظر حتى يشفيه الله، ولا يقام الحد على النفساء حتى ينقضي النفاس، ولقد رُوى أن على بن أبى طالب ﷺ خطب يومًا فقال: «يا أيها الناس أقيموا الحدود على أرقائكم؛ من أحصن منهن ومن لم يحصن، فإن أمة لرسول الله ﷺ زنت، فأمرني رسول الله ﷺ أن أجلدها، فأتيتها فإذا هي حديث عهد بنفاس، فخشيت إن أنا جلدتها أن أقتلها وأن تموت، فأتيت رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له، فقال: أحسنت»[1].

أمّا إن كان الزاني مريضًا مرضًا لا يرجى شفاؤه أو ضعيفًا وهزيلاً لدرجة أن الضرب يضره؛ أقيم عليه الحد بعنقود من النخل فيه مائة غصن رفيع ضربة واحدة، أو يضرب بسوط فيه خمسون فرعًا مرتين، والدليل على ذلك ما رواه أبو داود والنسائي وأحمد وابن ماجة و البيهقي عن أبي أمامة بن سهل ابن حنيف عن بعض أصحاب رسول الله ﷺ من الأنصار أنه اشتكى رجل منهم حتى أضنى فعاد جلدًا على عظم (يعني أنه كان ضعيفًا جدًا) فدخلت عليه جارية لبعضهم فوقع عليها، فلما دخل عليه رجال قومه يعودونه

(١) هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، انظر: المستدرك على الصحيحين ٤/ ٤١٠.

أخبرهم بذلك، وقال: استفتوا لي رسول الله ﷺ، فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ وقالوا: ما رأينا بأحد من الضر مثل ما به، لو حملناه إليك لتفسخت عظامه، ما هو إلا جلد على عظم. فأمر رسول الله ﷺ أن يؤخذ له مائة شمراخ فيضربونه بها حصول واحدة (أي مرة واحدة)، والشمراخ هو الغصن الرفيع والمراد ههنا: أن يضربوه بالعنقود من النخل الذي يكون فيه أغصان كثيرة وكل واحد من هذه الأغصان يسمى شمراخا[1].

وهنا تتجلي رحمة الإسلام بالمرضى والضعفاء، حتى وإن كانوا في نظر الشرع مذنبين و معتدين ومرتكبي لأفظع الجرائم الأخلاقية....

أيها الوالد الكريم، أيتها الأم الحنون

إذا كان ديننا الحنيف يأمرنا بتأجيل العقاب أو تخفيفه مع المرضى الضعفاء ممن وقعوا في أفظع الجرائم، فحرى بنا أن نستعمل الرفق واللين مع المرضى وضعاف الأجساد من أبنائنا وفلذات أكبادنا، ونعاقبهم عقابًا خفيفًا ورمزيًا إذا أخطأوا، أو نؤجل عقابهم إلى ما بعد شفائهم من المرض، وحرى بنا كآباء وأمهات ألا نضربهم ونصرخ في وجوههم حتى يتناولوا الدواء، ونستعمل معهم الحيلة والرفق والمكافآت حتى يأخذوا العلاج ويشفيهم الله تعالى..ولنحذر من دعاء النبي ﷺ على من كان مسئولاً عن أحد من المسلمين فعاملهم بغلظة وشدة، روى الإمام مسلم وأحمد وابن حبان عن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول في بيتي هذا: «**اللهم من ولى من أمر أمتي شيئًا فشقّ عليهم فاشقُق عليه، ومن ولى من أمر أمتي شيئًا فرفق بهم فارفق به**»[2].

(١) انظر: الكافي في فقه ابن حنبل ٤/ ٢١٣، ٢١٤، وبدائع الصنائع ٧/ ٥٩، والبدع ٩/ ٤٩، ٥٠، وكشاف القناع ٦/ ٨١، ٨٠، ٨٢، ونيل الأوطار ٧/ ١٨٣، ١٨٤، ١٨٥ نيل الأوطار ٧/ ٢٨٥.

(٢) صحيح مسلم ٣/ ١٤٥٨، ومسند أحمد ٦/ ٩٣، وصحيح ابن حبان٢/ ٣١٣، والترغيب والترهيب ٣/ ١٢٢.

ولكي يشجعنا النبي الكريم ﷺ على الرفق مع الضعفاء والمرضى؛ فلقد قال ﷺ فيما رواه الترمذي: «**ثلاث من كن فيه نشر الله عليه كنفه وأدخله جنته: رفق بالضعيف، وشفقة على الوالدين، وإحسان إلى المملوك**»(١)، ومن هنا كان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه يقول: إن من أحب الأمور إلى الله: القصد في الجدة، ثم العفو عند المقدرة، والرفق في الولاية، وما رفق عبد بعبد في الدنيا إلا رفق الله به يوم القيامة(٢)..

* * *

(١) رواه الترمذي وقال: حديث غريب، انظر الترغيب والترهيب ٣/ ٢٧٨، ٢٧٩.
(٢) الزهد لهناد ٢/ ٦٠٣، والفروع ٥/ ٢٦٢.

الضرب بدون سبب يقلل الأدب

تأخر أحد الأبناء يومًا عن الحضور إلى البيت مساءً في الموعد المعتاد، فخشيت الأم أن يعلم الأب بتأخر ولده فيوقع عليه العقاب الأليم، فما كان منها إلا أن وقفت في دهليز البيت المظلم تحمل عصا طويلة وقد اشتد بها الغضب، حتى إذا قدم الولد انهالت عليه بالعصا ضربًا على رأسه، دون أن تنتظر ما يبدي لها من عذر في تأخره.. وتبين بعد ذلك أن الأم كانت متسرعة في عقوبة ولدها، فقد دعاه أحد جيرانه من الفلاحين ليعاونه في قطف الثمار مقابل أجرة يأخذها، فوافق الولد رجاء أن يقدم هذه الأجرة هدية منه لأبويه الفقيرين، وتنازل عن وجبة عشائه التي يتناولها في البيت عادة؛ ليقدم لوالديه هذا العون البسيط.. أفلا ترون مثل هذه الأم كانت قاسية في معاملة ولدها الذي لم يتأخر إلا بدافع نبيل يستحق أن تشكره عليه بدلا من الضرب والتأنيب؟.. ويتكرر الموقف السابق كثيرًا في بيوتنا ومدارسنا؛ وهذا ما تؤكده إحدى الطالبات فتقول: في درس من الدروس المدرسية قالت المدرسة: سأقوم بالكتابة على السبورة وعليكم بعدم الكتابة إلا بعد أن أنتهي أنا، وبعد لحظات جاءت زميلتي التي كانت استأذنت من المعلمة قبل أن تسمع ما قالته لنا، وبدأت تكتب، فشاهدتها المعلمة وضربتها بشدة حتى بكت زميلتي مع العلم أنها (متفوقة جدًا)، وبعد قليل جاءت المعلمة وقبّلتها وقالت لها: (سامحيني ولا تحزني، فأنا قلت: لا يكتب أحد إلا بعد أن أنتهي، ولم أدرك أنك لم تكوني موجودة)، ولكن زميلتي كرهت المدرسة[1].

أيها الوالد الكريم، أيتها الأم الحنون

لقد حذرنا القرآن الكريم كثيرا من التسرع في الحكم، لأن الأمور قد لا تبدو على حقيقتها في أول وهلة، فقال تعالى في سورة الحجرات: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾.. وقال جل شأنه في سورة النساء: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ فَتَبَيَّنُوا وَلاَ تَقُولُوا

(١) http://www.amanjordan.org/arabic_news/wmview.php?artID=1414.

لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾.

وللتسرع وعدم التبين آثار وخيمة؛ فقد تعطي الحق لغير صاحبه، وقد تضرب المظلوم وتعفو عن الظالم، وإذا حدث وضربت ابنك أو تلميذك ظلمًا دون أن تتبين وتتثبت، فإنه يخشى عليك أن تندم ندمًا شديدًا يوم القيامة، وذلك لأن النبي ﷺ قال فيما رواه الطبراني عن ابن عباس: «**من جرد ظهر مسلم بغير حق؛ لقي الله وهو عليه غضبان**»[(١)] .

التثبت عند الصحابة منهج حياة

روى ابن حبان في صحيحه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتثبت فيها ينزل بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب**»[(٢)] ...

وانطلاقًا من هذا الحديث النبوي الكريم، واتباعًا لأوامر القرآن الكريم، وسيرًا على نهج الرسول العظيم ﷺ كان التثبت عند الصحابة والتأكد من كل ما يسمعونه منهج حياة؛ لأنهم ربما يسمعون شيئًا يكون غير صحيح، ثم ينقلونه دون تثبت، فيكونون شركاء في نشر الأباطيل، روى الإمام مسلم عن أبي موسى الأشعري ﷺ أنه جاء إلى عمر بن الخطاب ﷺ فقال: السلام عليكم، هذا عبد الله بن قيس (وهذا اسم أبي موسى) فلم يأذن له، فقال: السلام عليكم، هذا أبو موسى (فلم يأذن له، فاستأذن الثالثة قائلا: السلام عليكم، هذا الأشعري، ثم انصرف، فقال (عمر): ردوا عليّ ردوا عليّ، فجاء فقال: يا أبا موسى ما رَدَّك؟ كنا في شغل، قال أبو موسى: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**الاستئذان ثلاث، فإن أذن لك وإلا فارجع**»، قال عمر: لتأتيني على هذا ببينة وإلا فعلت وفعلت .. فذهب أبو موسى، قال عمر: إن وجد بينة تجدوه عند المنبر عشية، وإن لم يجد بينة فلن تجدوه، فلما أن جاء بالعشي وجدوه، قال عمر: يا أبا موسى، ما تقول؟ أقد وجدت؟ قال: نعم، أبي بن كعب. قال: عدل،

---

(١) رواه الطبراني في الكبير والأوسط بإسناد جيد، انظر: الترغيب والترهيب ٣/ ٢٠٧.
(٢) صحيح ابن حبان ١٣/ ١٦.

قال: يا أبا الطفيل ما يقول هذا؟ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول ذلك يا بن الخطاب، فلا تكونن عذابًا على أصحاب رسول الله ﷺ، قال: سبحان الله، إنما سمعت شيئًا فأحببت أن أتثبت(١).

وروى الطبراني عن ربيعة بن يزيد: أن معاوية كتب إلى مسلمة بن مخلد: أن سل عبد الله بن عمرو بن العاص: هل سمع رسول الله ﷺ يقول: «**لا قُدست أمة لا يأخذ ضعيفها حقه من قويها وهو غير مضطهد، فإن قال: نعم فاحمله على البريد**»، فسأله فقال نعم، فحمله على البريد من مصر إلى الشام، فسأله معاوية فأخبره، فقال معاوية: وأنا قد سمعته ولكن أحببت أن أتثبت(٢).

الناس يشتكون والآباء يضربون

يقول النبي ﷺ فيما رواه أبو يعلي عن أنس بن مالك: «**التأني من الله، والعجلة من الشيطان، وما أحد أكثر معاذير من الله، وما من شيء أحب إلى الله من الحمد**»(٣) ...وفي الحديث إخبار من رسول الله ﷺ عن الله تعالى وصفاته، وهي نصيحة غالية لأمته بناء على ذلك، لأن الله الذي خلق العباد ورزقهم وهداهم وتحبب إليهم بنعمه، لكنهم يعصونه ويطيعون عدوه، ومع ذلك لا يعجل عليهم بالعقوبة، ويفتح لهم باب التوبة والاعتذار، فإذا ما تاب أحدهم واعتذر عن جرمه قَبِلَ منه، أما الأحب إلى الله تعالى فهو العبد الذي يطيع الله ويحمده على النعم، فالله سبحانه يحب الحمد.

وإذا كان ملك الملوك يفعل ذلك، فحريٌ بالآباء والمربين ألا يغضبوا وينزلوا العقوبة بلا تأن و تعقل وتثبت؛ لأن العجلة من الشيطان العدو الحاسد لهم على طاعتهم لله ورسوله، والحديث الشريف يحمل بين طياته دعوة غالية إلى التحكم بالنفس عند وقوع الخطأ، وخاصة مع الصغار، والنظر أولاً فيما يجب قبل الحكم بعجلة على المخطئ وتوقيع العقوبة عليه، بل نسمع ونتحقق من دوافع الخطأ وما

(١) صحيح مسلم ٣/ ١٦٩٦.
(٢) رواه الطبراني ورجاله ثقات، انظر: مجمع الزوائد ٥/ ٢٠٩.
(٣) رواه أبو يعلي ورجاله رجال الصحيح، انظر: مجمع الزوائد ٨/ ١٩، والترغيب والترهيب ٢/ ٢٨٤.

أحاط به من ملابسات، ثم نتقبل العذر، ونفتح للمخطئ باب العفو والصفح، ولأن التسرع في الحكم والعقاب خطأ كبير؛ فقد نصح عمر بن عبد العزيز ﷺ أحد عماله فقال له: لا تقضِ وأنت غضبان، ولا تقضِ بين اثنين حتى تسمع منهما، حتى ولو جاءك أحدهما وعينه على يده (يعني عينه مقلوعة)، فربما جاءك الآخر وعيناه على يديه (يعني: عيناه مقلوعتان)....

وهذه الوصية يحتاجها اليوم الكثير من الآباء والأمهات والمربين؛ فكثيرا ما تعاقب الأم الطفل لمجرد إسراع الآخر بالشكوى منه، فيتعلم الطفل فعل الخطأ؛ ثم يسارع بإلصاق التهمة بالآخرين، وغالبًا ما يكون ذلك مع أبناء الجيران أو رفاق الطفل وإخوته[1]، فالطفل الصغير مثلاً يمكن أن يستفز أخاه الأكبر ويثير غضبه، فإذا ضربه الكبير سارع الصغير باكيًا إلى أمه، مستنجدًا بها! فتروح الأم تلوم الطفل الكبير وتوبخه، بينما في الحقيقة هو مظلوم والصغير هو الظالم! وتنطلي حيل الصغار على الكبار كثيرًا فيلام المظلوم لصالح الظالم! وهذا التسرع في الحكم لصالح الصغير دائمًا لأنه صغير، يستفز أخاه الكبير للانتقام منه، وبذا تنشأ حلقة مفرغة لصراعات وشكاوى طوال اليوم[2].

ومن صور التسرع وعدم التثبت أن تتبني الأم شكوى طفلها وتدافع عنها دائمًا بحق أو غير حق، وذلك لمجرد السماع من طفلها، وبهذه الطريقة تظلم ابنها قبل غيره، إذ تربيه على الكذب والمخادعة والشكوى بغير حق أحيانًا[3].

ومن أطرف ما روى في ضرب الآباء لأبنائهم لشكوى الآخرين منهم؛ أن الشاعر بشار بن برد ولد أعمى لم يَرَ النور يومًا، وقال الشعر وهو ابن عشر سنين، ولقد قال الأصمعي: قلت لبشار: ما رأيت أذكى منك قط، فقال: هذا لأني ولدت ضريرًا، واشتغلت عن الخواطر للنظر، ثم أنشدني:

---

(١) العشرة الطيبة مع الأولاد وتربيتهم ، ص ١١٠، ١١١، بتصرف.
(٢) صراع الأشقاء..كيف ينظر الطب النبوي لهذه المشكلة؟،د. عبد الرحمن عبد اللطيف النمر، مجلة الوعي الإسلامي عدد ٤٥٧- رمضان ١٤٢٤هـ.
(٣) العشرة الطيبة مع الأولاد وتربيتهم ، ص١١٠، ١١١، بتصرف

عميت جنينًا والذكاء من العمى ... فجئت عجيب الظن للعلم موئلا
وغاض ضياء العين للقلب رائدا ... بحفظ إذا ما ضيع الناس حصلا
وشعر كزهر الروض لا أمت بينه ... نقي إذا ما أحزن الشعر أسهلا

وكان قومه يشكونه إلى أبيه لقوله الشعر فيهم؛ وكان أبوه يضربه فتخاصمه زوجته لضربه ابنها كثيرًا؛ فكان أبوه يقول لها: قولي له يكف لسانه عن الناس، وظل الحال هكذا حتى رق أبوه عليه من كثرة ما يضربه، فلما طال ذلك على بشار وكثر عليه الضرب قال لوالده ذات ليلة: يا أبت لِـمَ تضربني كلما شكوني إليك؟ قال الوالد: فما أعمل؟ قال بشار: احتج عليهم بقول الله تعالى: ﴿**لَيْسَ عَلَى الأَعْمَى حَرَجٌ وَلاَ عَلَى الأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلاَ عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ**﴾، فجاءوه يومًا يشكون بشارًا فقال لهم هذا القول، فقالوا: فقه برد أضر علينا من شعر بشار.

لقد كان بشار بن برد شاعرًا موهوبًا، حتى قيل: إنه قال ثلاثة عشر ألف بيت جيد ومن أجمل أشعاره:

إذا كان خراجا أخوك من الهوى ... موجهة في كل أوب ركائبه
فخل له وجه الفراق ولا تكن ... مطية رحال بعيد مذاهبه
إذا كنت في كل الأمور معاتبا ... خليلك لم تلقَ الذي لا تعاتبه
فعش واحدا أو صل أخاك فإنه ... مقارف ذنب مرة ومجانبه[(١)]

اسأله حتى تتبين

روى أبو داود والترمذي وابن ماجة عن رافع بن عمرو الغفاري ﷺ قال: «كنت غلامًا أرمي نخل الأنصار، فأتي بي رسول الله ﷺ، فقال لي: **لم ترمي النخل؟** قلت: لآكل، فقال: **لا ترم النخل، وكُلْ ما سقط في أسفلها**، ثم مسح رأسي وقال: **اللهم أشبع بطنه**»...فهذا الغلام الجائع ﷺ ممن صحب النبي ﷺ في أيام الشدة والفقر، قد لجأ إلى حدائق المدينة التي يملكها الأنصار، وأخذ يقذف النخل بالحجارة حتى يسقط منها ما

(١) تاريخ بغداد ٧/ ١١٢-١١٧، بتصرف.

يأكله، وهو خطأ ونوع من أخذ مال الغير بدون رضاه، ولذلك أتى به النبي ﷺ ليفصل في أمره، فأخذ رسول الله ﷺ يسأله ويستوضح منه عن السبب في تصرفه الخطأ، وعلّل الطفل سلوكه تعليلاً منطقيًا، لطفل صغير جائع فقال: لآكل، فالقضية ليس فيها العمد في التعدي، ولا الحصول على ما يتمول به، وهنا يعلم الحكيم ﷺ الطفل- وطفولة الأمة الناشئة كلها- كيف يسلكون ويحكمون؛ «**لا ترم النخل، وكُلْ ما سقط في أسفلها**»، إنه الحل الرفيق بالطفل الجائع الذي لا يملك ما يأكله، وهو حل رفيق أيضًا بصاحب النخل المالك، فالجائع يأكل ويسد جوعه، والمالك يحفظ عليه ماله، لأن الساقط من النخل عادة يترك ويفسد إذا لم يلتقطه لاقط، أما أن يمسح النبي ﷺ على رأس الطفل الجائع المخطئ والدعاء له؛ فهذا غاية الشفقة والرحمة وحسن القضاء[1].

المخبر الصغير ورفع التقارير

بعض الأطفال لديهم ولع بإيقاع الأذى بالآخرين، خصوصًا من الأطفال مثلهم، ومن أمثلة هذا السلوك الشيطاني أن يفسد أحدهم ترتيب أدوات الحمام، ثم ينتظر إلى حين دخول شقيقه أو شقيقته إلى الحمام ليسرع إلى أمه بالخبر وقد ألصق التهمة بالبريء الذي لم يقترف إثمًا! وتندفع الأم إلى مسرح الأحداث فتثور أعصابها للأشياء المبعثرة، فتنهال ضربًا وتوبيخًا على البريء بينما يضحك الشيطان ملء فمه! وقد يحدث نفس الموقف بأكثر من صورة في أوقات مختلفة، وفي كل مرة، تصدق الأم أو الأب تقارير الشيطان؛ فتقع العقوبة على البريء! وكثير من الآباء والأمهات يرتكبون هذا الخطأ بإعطاء الفرصة لأحد الأبناء لرفع تقارير عن الأطفال الآخرين، والأولى معاقبة هذا الطفل لا الاستماع إلى تقاريره الملفقة[2].

---

(١) العشرة الطيبة مع الأولاد وتربيتهم، ص ١١٧.

(٢) صراع الأشقاء..كيف ينظر الطب النبوي لهذه المشكلة؟، د. عبد الرحمن عبد اللطيف النمر، مجلة الوعي الإسلامي عدد ٤٥٧- رمضان ١٤٢٤هـ.
http://links.islammemo.cc/KASHAF/one_news.asp?IDnews=421

أيها الوالد الكريم

هذه الطريقة من التثبت عليك الحذر منها، فلا تجعل أحد الأبناء يتجسس لصالحك على ابن آخر حتى تتثبت وتتأكد من أمر ما، وعلّم أبناءك عدم الفتنة على بعضهم... وكذلك إذا جاءك ابنك وقال لك: إن أخاه شرب سيجارة، أو شاهد صورة عارية، أو فعل ما ينافي الأخلاق الحميدة، فأخبره بما رواه الإمام أحمد والترمذي عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «**لا يبلغني أحد عن أحد أصحابي شيئًا فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر**». قال: وأتى رسولَ الله ﷺ مالٌ فقسمه، قال: فمررت برجلين وأحدهما يقول لصاحبه: والله ما أراد محمد بقسمته وجه الله ولا الدار الآخرة فتثبت حتى سمعت ما قالا ثم أتيت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله إنك قلت لنا لا يبلغني أحد عن أحد من أصحابي شيئًا وإني مررت بفلان وفلان وهما يقولان كذا وكذا، قال: فاحمر وجه رسول الله ﷺ وشق عليه ثم قال: «**دعنا منك فقد أوذي موسى أكثر من ذلك ثم صبر**»(١) ..

ومن روعة هذا الدين وجماله أنه منع أن يدخل أحد على رجلين يتحدثان معًا إلا بإذنهما حفاظًا على سرية ما يقولان إن كان سرًا، روى البخاري في الأدب المفرد من رواية سعيد المقبري قال: مررت على ابن عمر ومعه رجل يتحدث (يعني يتحدثان معا)، فقمت إليهما (وقف بينهما ولم يستأذنهما)، فلطم صدري وقال: إذا وجدت اثنين يتحدثان فلا تقم الوقوف حتى تستأذنهما، ومن هنا قال ابن عبد البر: لا يجوز لأحد أن يدخل على المتناجيين في حال تناجيهما ...ولا ينبغي للداخل عليهما القعود عندهما ولو تباعد عنهما إلا بإذنهما؛ لأن افتتاحهما الكلام سرًا وليس عندهما أحد دلّ على أنهما لا يريدان الاطلاع عليه، وقد يكون لبعض الناس قوة فهم إذا سمع

(١) مسند أحمد ١/ ٣٩٥، وسنن الترمذي ٥/ ٧١٠.

بعض الكلام استدل به على باقيه، فلابد منه له من معرفة الرضا، فإنه قد يكون في الإذن حياء وفي الباطن الكراهة، ويلحق باستماع الحديث استنشاق الرائحة ومس الثوب واستخبار صغار أهل الدار ما يقول الأهل والجيران من كلام أو ما يعملون من الأعمال[1] .

ومع تعليم الأبناء عدم الفتنة على بعضهم، ينبغي أن نشجعهم على التناصح فيما بينهم، والتعاون على البر والتقوى، ونبذ الخلاف والشقاق والتباعد والتباغض فيما بينهم..

* * *

(١) سبل السلام ٤/ ١٩٨، ١٩٩.

بعد العلاج والعقاب

إننا نعتبر العقاب البدني في التربية مثل عقوبة الإعدام في التشريع، والقانون لا يلجأ إلى الإعدام إلا في الحالات القصوى،وهي حالات محددة ومعدودة، وهذا حال الضرب أيضًا فهو وسيلة أخيرة في حالات محددة مسبقًا ومعدودة جدًّا، ويكون بشروطه التربوية والشرعية[1] ... لذلك كان علينا - كآباء ومعلمين - ألا نلجأ إلى الضرب إلا بعد تجربة كل وسائل العلاج ووسائل العقاب المختلفة، فكما أن العقاب هو آخر وسائل العلاج، فإن الضرب هو آخر وسائل العقاب، ولا يصح أن نسير في الطريق من آخره، بل ينبغي أن نسير في طريق التربية خطوة خطوة؛ حتى نصل إلى ما نريد، ومن وسائل العلاج التي ينبغي تجربتها مع أبنائنا وتلامذتنا قبل أن نعاقبهم:

١- العلاج بالترغيب في ثواب الله وعفوه وجنته.

٢- العلاج بالتخويف من الله وغضبه وعقابه.

٣- معالجة الخطأ بالمحاولة والتكرار.

٤- علاج أخطاء الأبناء بالدعاء لهم.

٥- معالجة الخطأ بالحوار والنقاش.

٦- الموعظة الحسنة والنصيحة الطيبة.

٧- معالجة الخطأ باليد مع الرفق.

٨- تعليق العصا وتخويف الأبناء منها.

٩- معالجة الخطأ بالتعريف.

١٠- معالجة الخطأ بالمتابعة.

---

(١) http://www.islamonline.net/Tarbia/arabic/display.asp?hquestionID=4403

١١- العتاب الرقيق.

١٢- معالجة الخطأ بالمواظبة على العبادات وخاصة الصلاة.

١٣- وضع قوانين للبيت يلتزم بها الجميع.

١٤- طرق أخرى...

وبعد تجربة كل وسائل العلاج السابقة وغيرها مع أخطاء الأبناء، يأتي دور العقاب، ومن وسائل العقاب ما يلي:

١- العقاب بالتبكيت وليس الشتم.

٢- عقاب الأبناء بالهجر لبعض الوقت وعدم الحديث معهم ومخاصمتهم لوقت قصير.

٣- العقاب بشد الأذن.

٤- العقاب بالتوبيخ.

٥- عقاب الأبناء بالحرمان من بعض الامتيازات كالمنع من الرحلات والنزهات وغيرها.

٦- العقاب بإصلاح ما فسد و دفع الغرامات من المصروف.

٧- تكليف المخطئ ببعض الأعمال المنزلية أو في الحقل أو المصنع أو غيره.

٨- طرق أخرى...

متى ضرب الصحابة؟

الصحابة رضوان الله عليهم مصابيح الهدى، من سار على طريقهم نال الفلاح، ومن اقتدي بمعاملاتهم حاز الخير، ومن اتبع طريقتهم في تربية أبنائه أنتج جيلاً فريدًا ورائعًا، وبما أننا نتكلم عن موضوع الضرب، ونتساءل: متى نضرب أبناءنا؟، كان من الضروري أن نحاول زيارة أصحاب النبي ﷺ في بيوتهم، ونتعرف على كيفية تربيتهم

لأبنائهم، ونعرف متى ضربوا أولادهم ومتى سامحوهم وعفوا عنهم وتجاوزوا عن أخطائهم، وذلك حتى نسير على دربهم، ومن سار على الدرب وصل...

والحقيقة أننا عندما نحاول دراسة أحوال الصحابة في بيوتهم، سنجد أنهم اهتموا جدًا بمعالي الأمور التربوية، فحرصوا على التزام أبنائهم وبناتهم بأصول الدين ومعالي الأخلاق، لذلك ضربوا أبناءهم عندما انتهكوا الحرمات وأضاعوا المكرمات، فهذا عبد الله بن عمر يسمع النبي ﷺ يقول: من«**لعب بالنرد** (الزهر) **فقد عصى الله ورسوله**» فيفهم أن هذا الحديث يحرم اللعب بالنرد جملة واحدة لم يستثن وقتًا من الأوقات ولا حالاً من الأحوال؛ فسواء شغل النرد عن الصلاة أو لم يشغل أو ألهى عن ذلك ومثله أو لم يفعل شيئًا من ذلك على ظاهر هذا الحديث. والنرد قطع ملونة تكون من خشب البقس، ومن عظم الفيل، ذلك وهو الذي يعرف بالطبل ويعرف بالكعاب ويعرف أيضًا بالأرن ويعرف أيضًا بالنرد شير.

وانطلاقًا من هذا الفهم كان عبد الله بن عمر إذا وجد أحدًا يلعب بالنرد ضربه وكسرها وأمر بها فأحرقت بالنار، ولقد دخل عبد الله بن عمر داره يومًا، فإذا أناس يلعبون فيها بالنرد، فصاح ابن عمر وقال: ما لداري يلعب فيها بالأرن؟! قال:وكانت النرد تدعي في الجاهلية بالأرن[1].

لقد كان عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما- يحدث بنيه بما سمعه من النبي ﷺ، وفي يوم من الأيام كان يحدثهم عن ذهاب النساء إلى المسجد، فقال لهم: إنه سمع النبي ﷺ يقول: «**لا تمنعوا نساءكم المساجد بالليل**»، فقال ابنه سالم أو بعض بنيه: والله لا ندعهن يتخذنه دغلاً، قال: فلطم صدره وقال: أحدثك عن رسول الله ﷺ وتقول هذا؟[2]

لقد اهتم الصحابة- رضي الله عنهم- بتعليم أبنائهم فقه الصلاة، وحرصوا على متابعة تطبيقهم لما يعلمونه من أمور فقهية، وربما لجأوا إلى الضرب بعد التعليم أكثر

---

(١) التمهيد لابن عبد البر ١٣/ ١٧٤-١٧٦، و مجموع الفتاوى ٣٢/ ٢٢٢، ٢٢٣ (بتصرف).
(٢) مسند أحمد ٢/ ٤٣، وسنن البيهقي الكبرى ٣/ ، ١٣٢، والمعجم الكبير (الطبراني) ١٢/ ٣٩٩.

من مرة، وخير مثال على ذلك الصحابي الجليل سعد بن أبي وقاص، إذ روى الإمام مسلم وابن ماجة والنسائي عن ابنه مصعب أنه قال: صليت إلى جنب أبي وجعلت يدي بين ركبتي، وفي رواية أخرى: فلما ركعت شبكت أصابعي وجعلتهما بين ركبتي، فقال لي أبي: اضرب بكفيك (يعني ضع كفيك) على ركبتيك، قال مصعب بن سعد: ثم فعلت ذلك مرة أخرى، فضرب يدي وقال: إنا نهينا عن هذا وأمرنا أن نضرب بالأكف على الركب[١] .

وكما اهتم الآباء بتعليم أبنائهم الخير وتعويدهم عليه، فقد حرص الإخوة على تعليم إخوانهم و أخواتهم ما ينفعهم في الدنيا والآخرة، وذلك بأسلوب لطيف وجميل، وخير مثال على ذلك ما فعله عبد الرحمن بن أبي بكر مع أخته السيدة عائشة -رضي الله عنهم أجمعين-؛ إذ كانوا مع النبي ﷺ في حجة الوداع، وطلبت السيدة عائشة من النبي ﷺ أن تؤدي العمرة، ونترك المجال للسيدة الطاهرة لتحكي لنا ما حدث: قالت عائشة – رضي الله عنها – يا رسول الله، أيرجع الناس بأجرين وأرجع بأجر، فأمر عبد الرحمن بن أبي بكر أن ينطلق بها إلى التنعيم (لتحرم بالعمرة من هناك)، قالت: فأردفني عبد الرحمن خلفه على جمل له، قالت: فجعلت أرفع خماري أحسره (يعني أكشفه وأزيله) عن عنقي، فيضرب عبد الرحمن رجلي بعلة الراحلة، وهذا يعني أن أخاها كان يغار عليها لكشفها رقبتها، فما كان منه إلا أن أرشدها بطريقة جميلة جدًا، لقد كان يضرب رجلها وكأنه لا يريد ضربها بل يريد ضرب الراحلة فتأتي الضربة على رجلها عن طريق الخطأ، ولقد فهمت السيدة عائشة ذلك فقالت له: وهل ترى من أحد ، يعني نحن في خلاء ليس هنا أجنبي أستتر منه، قالت السيدة عائشة: فأهللت بعمرة ثم أقبلنا حتى انتهينا إلى رسول الله ﷺ[٢] ..

* * *

(١) صحيح مسلم ١/ ٣٨٠، وسنن ابن ماجة ١/ ٢٨٣، وسنن النسائي ٢/ ١٨٥.
(٢) صحيح مسلم ٢/ ٨٨٠، وشرح النووي على صحيح مسلم ٨/ ١٥٦– ١٥٨.

التوقف والاستغفار والدعاء

أيها الوالد الكريم، أيتها الأم الحنون

لقد ضربنا أولادنا كثيرًا في أوقات لم يكن للضرب فيها حاجة، فكم ضربناهم دون أن نتأكد، واتضح بعد ذلك أنهم ليسوا مذنبين، وكم عاقبناهم وهم في فترة الرضاعة ولا يدركون ما يحدث حولهم، وكم من مرة ضربناهم ونحن في حالة هياج وغضب ثم ندمنا بعد ذلك وأشفقنا عليهم من أنفسنا، وكم ضربناهم حتى يأخذوا الدواء وهم مرضى بدلا من الرفق والشفقة عليهم...، وهذا كله يعني أننا ظلمناهم كثيرًا دون أن نشعر، ولذلك يجب علينا أن نستغفر الله ونتوب إليه، وننوي ألا نعود إلى هذا الظلم مرة ثانية، وليكن قدوتنا في ذلك رسول الله ﷺ، إذ روى الإمام أحمد عن السيدة عائشة أنها قالت: دخل عليَّ رسول الله ﷺ في بيتي في إزار ورداء، فاستقبل القبلة وبسط يده وقال: «**اللهم إنما أنا بشر، فأي عبد من عبادك ضربت أو آذيت فلا تعاقبني فيه**»[1].

ومع الاستغفار والتوبة إلى الله تعالى، علينا أن ندعو الله تعالى لأبنائنا عامة، ولمن ضربناهم وآذيناهم منهم خاصة، وقدوتنا في ذلك نبينا الكريم ﷺ، إذ روى الإمام أحمد عن أبي السوار عن خاله قال: رأيت رسول الله ﷺ وأناس يتبعونه فأتبعته معهم، ففاجأني القوم يسعون (يعني يرجعون)... فأتى على رسول الله ﷺ فضربني ضربة إماً بعسيب أو قضيب أو سواك وشيء كان معه، فوالله ما أوجعني ...وقلت: ما ضربني رسول الله ﷺ إلا لشيء علمه الله فيَّ، وحدثتني نفسي أن آتي رسول الله ﷺ إذا أصبحت ... قال: فنزل جبريل عليه السلام على النبي ﷺ فقال: إنك راعٍ، لا تكسرن قرون رعيتك، قال: فلما صلينا الغداة (يعني الفجر)، قال رسول الله ﷺ:

---

(١) أحمد ٦/ ١٨.

«اللهم إن أناسًا يتبعوني وإني لا يعجبني أن يتبعوني، اللهم فمن ضربت أو سببت فاجعلها له كفارة وأجرًا، أو قال: مغفرة ورحمة أو كما قال ﷺ»(١).

أيها الوالد الكريم، أيتها الأم الحنون

إن بكاء الصغار ترق له القلوب الصالحة، وتعمل على كفكفته النفوس الطاهرة، وهنا تتنزل رحمات الله سبحانه، لأنه يرحم من عباده الرحماء؛ روى الإمام أحمد عن أنس: أن بلالاً أبطأ عن صلاة الصبح، فقال له النبي ﷺ: **«ما حبسك؟»** قال: مررت بفاطمة وهي تطحن والصبي يبكي، فقلت لها: إن شئت كفيتُك الرحا وكفيتني الصبي، وإن شئت كفيتُك الصبي وكفيتني الرحا، قالت: أنا أرفق بابني منك، فذاك حبسني، فقال ﷺ: **«رحمتها رحمك الله»**(٢). فهيا بنا نرحم ضعف أبنائنا، ولا نضربهم إلا ونحن مضطرون لذلك، وفي أضيق الحدود، ولنختر وقت الضرب بدقة، حتى لا نظلمهم ولا نكون من المعتدين....

* * *

(١) أحمد ورجاله رجال الصحيح، انظر: مسند أحمد ٥/ ٢٩٤، مجمع الزوائد ٩/ ٤٠٧.
(٢) رواه أحمد ورجاله ثقات، انظر: مجمع الزوائد ١٠/ ٣١٦.

كيفَ نَضْرِبُ أَبْنَاءنَا؟

تمهيـــــد:

عندما نتأمل موقف الإسلام من الضرب، نجد أنه أجـازه وسمـح باسـتخدامه في حوالي ثماني حالات:

الحالة الأولى: عند نشوز المـرأة وعصـيانها لزوجهـا وعـدم إعطائـه حقوقـه الشرعية، وبعد وعظها وهجرها، قال تعالى في سورة النساء: ﴿**الرِّجَالُ قَوَّامُـونَ عَلَـى النِّسَاء بِمَا فَضَّلَ اللّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَـاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللّهُ وَاللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلاَ تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا**﴾ [النساء:٣٤].

والنبي عليه الصلاة والسلام – فيما رواه مسلم والنسائي وابن حبـان وغيرهـم- قد أوصى المسلمين في حجة الوداع بالنساء فقال ﷺ:

«**فاتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن بأمان الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله، ولكـم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه، فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضـربًا غـير مـبرح** (مُبْرِح: بضم الميم وكسر الراء)، **ولهنَّ عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف**»[1]، ومعنى قوله ﷺ: «**لا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه**» معنـاه: أن لا يـأذن لأحـد تكرهونـه في دخـول بيوتكم والجلوس في منازلكم سواء كان المأذون له رجلاً أجنبيًا أو امرأة أو أحدًا مـن محارم الزوجة، فالنهي يتناول جميع ذلك، وهذا حكـم المسـألة ثـم أقـر الفقهـاء: إنهـا لا يحل لها أن تأذن لرجل أو امرأة ولا محرم ولا غيره في بيت الزوج إلا من علمت أو ظنت أن الزوج لا يكرهه، وفي هذا الحديث إباحة ضرب الرجل امرأته للتأديب بعـد الوعظ والهجر[2].

---

(١) صحيح مسلم ٢/ ٨٨٩، ٨٩٠، سنن ابن ماجة ٢/ ١٠٢٥، السنن الكبرى للنسائي ٢/ ٤٢١، سنن أبى داود ٢/ ١٨٥، سنن البيهقي الكبرى ٥/ ٨، صحيح ابن خزيمة ٤/ ٢٥١، صحيح ابن حبان ٩/ ٢٥٧.
(٢) شرح النووي على صحيح مسلم ٨/ ١٨٣، ١٨٤ (بتصرف).

الحالة الثانية: عند تأديب الأبناء وتربيتهم، روى الترمذي وأحمد والبيهقي وأبو داود - واللفظ له- عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: «**مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر، وفرقوا بينهم في المضاجع**»(١) ،ويدخل في الأبناء الطفل اليتيم الذي تحت وصاية أحد المسلمين، إذ أن على الوصي أن يؤدب من هو وصى عليه من اليتامى، ويضربه كما يضرب أبناءه، روى ابن حبان والطبراني عن جابر بن عبد الله قال: قلت يا رسول الله مِمَ أضرب يتيمي؟ قال ﷺ: «**مما كنت ضاربًا منه ولدك**»(٢) .

الحالة الثالثة: عند تعليم التلاميذ وتأديبهم في المدارس والكتاتيب وغيرها.

الحالة الرابعة: عند تأديب الموالي والعبيد، روى الإمام أحمد عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: في المملوك: «**يصنع طعامك ويعانيه فادعه (أي إلى الأكل معك) فإن أبى فأطعمه في يده، وإذا ضربتموهم فلا تضربوهم على وجوههم**»(٣) .

الحالة الخامسة: عند تأديب البهائم وترويضها، روى البخاري عن أبي المتوكل الناجي قال: أتيت جابر بن عبد الله الأنصاري فقلت له: حدثني بما سمعت من رسول الله ﷺ قال: سافرت معه في بعض أسفاره - قال أبو عقيل: لا أدري غزوة أو عمرة- فلما أن أقبلنا (يعني : رجعنا) قال النبي ﷺ: «**من أحب أن يتعجل إلى أهله فليعجل**» قال جابر: فأقبلنا وأنا على جمل لي أرمك ليس فيه شية والناس خلفي، فبينا أنا كذلك إذ قام عليَّ فقال لي النبي ﷺ: «**يا جابر استمسك فضربه بسوطه ضربة** فوثب البعير مكانه»(٤) ، وفي الحديث السابق جواز ضرب الدابة للسير وأن مكلفة ومحله ما إذا لم يتحقق أن ذلك منها من فرط تعب وإعياء(٥) .

---

(١) سنن أبي داود ١/ ١٣٣، سنن البيهقي الكبرى ٢/ ٢٢٩، سنن الترمذي ٢/ ٢٥٩، مسند أحمد ٢/ ١٨٧.

(٢) صحيح ابن حبان ١٠/ ٥٤، والمعجم الصغير للطبراني ١/ ١٥٧، والدر المنثور ٢/ ٤٣٧.

(٣) مسند أحمد ٢/ ٥٠٥.

(٤) صحيح البخاري ٣/ ١٠٥٠.

(٥) فتح الباري ٥/ ٣٢١.

الحالة السادسة: عند إقامة الحدود، فالزاني غير المحصن (يعني غير المتزوج) يجلد مائة جلدة، قال تعالى في سورة النور: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلاَ تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور:٢] .ويسمى هذا «حد القذف»، قال تعالى في سورة النور: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلاَ تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور:٤] ، ولقد أجمع العلماء على ثبوت حد القذف، وأجمعوا أيضا على أن حده ثمانون جلدة لنص القرآن الكريم بذلك[١] .

واختلف العلماء حول العدد الذي يُجلده شارب الخمر، وقد ذهب أحمد وداود وأبو ثور والشافعي في المشهور عنه إلى أنه أربعون؛ لأنها هي التي كانت في زمنه ﷺ وزمن أبى بكر وفعلها عليٌّ في زمن عثمان...وقد ذهبت العترة ومالك والليث وأبو حنيفة وأصحابه والشافعي في قول له إلى أن حد السكران ثمانون جلدة، واستدلوا بأن عمر جلد ثمانين بعدما استشار الصحابة كسيدنا على بن أبى طالب فأفتوا بأنه يجلد ثمانين، وبما في حديث أنس المذكور أن النبي ﷺ جلد في الخمر نحو أربعين بجريدتين[٢] .

الحالة السابعة: عند التعزير، وهو ضرب الأمير أو القاضي أحد المسلمين لارتكابه أحد الأخطاء التي لا تصل إلى درجة الحدود، فالمسلم إن زنا أو سرق أو قذف المحصنات أو شرب الخمر فإنه يقام عليه الحد، لكنه قد يرتكب أخطاء أخرى غير هذه الحدود كشتم غيره وإيذاء جاره وغيرهما، وهنا يكون حق ولي الأمر في تحديد عدد مناسب من الضربات تعزيرًا وتأديبًا له، ويشترط في عدد ضربات التعزير ألا يزيد عن أقل الحدود وهو حد شرب الخمر (ثمانين أو أربعين جلدة على الخلاف بين العلماء)، ولقد عرّف العلماء

(١) نيل الأوطار ٧/ ٨٣.
(٢) المصدر السابق ٧/ ٣١٩.

التعزير بقولهم: التَّعْزيرُ: ضرب دون (أقل من) الحدّ، لِمَنْعِ الجانِيَ من المُعاوَدة ورَدْعِه عن المعصية؛ والهدف منه التأديب(١).

الحالة الثامنة: عند القصاص، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنْثَى بِالأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾[البقرة: ١٧٨] ... ولا يقتصر القصاص في الإسلام على القتل فقط، بل يمتد إلى الجراحات وكسور العظام والضرب بالعصا وغيرها حتى الشتائم فيها قصاص؛ قال البخاري رحمه الله: وأقاد (يعني طبَّق القصاص) أبو بكر وابن الزبير وعليٌّ وسويد بن مقرن من لطمة، وأقاد عمر من ضربة بالدرة، وأقاد عليٌّ من ثلاثة أسواط، واقتص شريح من سوط وخموش(٢).

والنبي ﷺ قد طبق القصاص على نفسه الكريمة، ففي غزوة بدر كان عليه الصلاة والسلام يعدل صفوف الصحابة قبل القتال، وذلك بواسطة سهم لا نصل له يعني يشبه العصا، فمر بسواد بن غزية وهو خارج عن الصف، فطعنه ﷺ في بطنه بالعصا وقال: «**استو يا سواد**»، فقال سواد: يا رسول الله أوجعتني، وقد بعثك الله بالحق والعدل، قال فأقدني -أي مكني من القود أي القصاص- من نفسك، فكشف رسول الله ﷺ عن بطنه وقال: «**استقد** - أي خذ القصاص-»، ولقد كشف النبي ﷺ عن بطنه الشريف لأنه عندما طعن سواد بالعصا في بطنه كان عاريًا ليس عليه ثوب، فاعتنقه (فاحتضنه) سواد فقبّل بطنه الشريف، فقال عليه الصلاة والسلام: «**ما حملك على هذا يا سواد؟**» فقال: يا رسول الله، حضر ما ترى (يعني القتال) فأردت أن يكون آخر العهد

---

(١) انظر: مختار الصحاح ١/ ١٨٠، والغريب لابن سلام ٤/ ٢٢، ولسان العرب ٤/ ٥٦١.
(٢) صحيح البخاري ٦/ ٢٥٢٦، ٢٥٢٧، والخَموشُ: الخدوشُ في الوجه، وقد يستعمل في سائر الأعضاء؛ انظر: لسان العرب، ٦/ ٢٩٩.

بك أن يمس جلدي جلدك، فدعا له رسول الله ﷺ بخير[1].

وبعد أن استعرضنا معظم الحالات التي يسمح فيها الإسلام بالضرب، هناك سؤال يطرح نفسه وهو: ما نوعية الضرب الذي أباحه الإسلام وسمح به، وكيف نضرب أبناءنا؟ وهذا ما سنحاول -بمشيئة الله- أن نجيب عليه عبر الصفحات التالية، والله ولي التوفيق..

* * *

(١) انظر: السيرة النبوية ٣/ ١٧٣، ١٧٤، والسيرة الحلبية ٢/ ٤٠٢، والبداية والنهاية ٣/ ٢٧١.

وقفة صـــــادقة



حين أقر الإسلام عقوبة الضرب كوسيلة تربوية في البيت والمدرسة، فإنه قد أحاطها بدائرة من الحدود، وبسياج من الشروط، حتى لا يخرج الضرب عن التأديب والإصلاح إلى التشفي والانتقام .. وقبل أن نتحدث عن آداب الضرب وشروطه وقواعده، فإن علينا- كآباء ومعلمين - أن نقف مع أنفسنا وقفة صادقة، نحدد من خلالها كيفية ضربنا لأبنائنا وتلامذتنا، وهل نحن على الطريق الصحيح أم لا، ويتحقق ذلك - إن شاء الله - من خلال الاستبيان التالي....

	السؤال	دائمًا	أحيانًا	نادرًا	لا أفعل
١	هل تضرب أبناءك (البنين والبنات) على وجوههم؟				
٢	هل تضرب أبناءك - بدون قصد - على الرأس أو البطن أو الأعضاء التناسلية؟				
٣	هل تضرب أبناءك - أثناء العقاب - أكثر من عشر ضربات؟				
٤	هل تصدر عنك بعض الشتائم - رغمًا عنك- أثناء ضربك لأبنائك؟				
٥	هل تهمل وسائل العقاب المختلفة لأنها لا تصلح مع أبنائك، وتلجأ إلى الضرب دائما؟				
٦	هل يتركز ضربك لأبنائك- أثناء التأديب - على موضع واحد في الجسم (مثل: الرجل- البطن- اليد...)؟				
٧	هل يصاب أبناؤك ببعض الجروح أو الكدمات عندما تضربهم؟				

	السؤال	دائمًا	أحيانًا	نادرًا	لا أفعل
٨	هل تربط أبناءك قبل أو أثناء أو بعد الضرب؟				
٩	هل تضرب أبناءك أمام زملائهم أو أصدقائهم أو أمام الأقارب والجيران؟				
١٠	هل الضرب هو سياستك الدائمة، فلا يمر يوم إلا وقد ضربت أحد أبنائك؟				
١١	أثناء ضربك لابنك استجار بالله عزّ وجلّ؛ فهل تستمر في ضربه؟				
١٢	هل تضرب أبناءك بكل ما أوتيت من قوة وجهد؟				
١٣	هل ترفع يدك عاليًا حتى يظهر إبطك عند ضربك لأبنائك؟				
١٤	هل تضرب أولادك البنات بنفس القوة التي تضرب بها البنين؟				
١٥	هل تضرب أبناءك الصغار بنفس الدرجة التي تضرب بها الكبار؟				
١٦	هل تبالغ في ضرب ابنك على الخطأ الصغير حتى لا يقع في ذنب كبير؟				
١٧	هل تضرب أبناءك عندما تغضب بأي شيء يقع تحت يديك (مثل: حذاء – مقشة- خشبة...)؟				

	السؤال	دائمًا	أحيانًا	نادرًا	لا أفعل
١٨	هل تضرب أبناءك بعصا طويلة وغليظة وصلبة؟				
١٩	هل تدعو على أبناءك أثناء ضربك لهم؟				
٢٠	هل تلعن أبناءك عندما تضربهم بقولك: لعنك الله أو الله يلعنك أو ما شابههما؟				
٢١	هل تضرب أبناءك قبل النوم مباشرة، وتتركهم ينامون ودموعهم على خدودهم؟				
٢٢	هل تطلب من ابنك الأكبر أن يضرب أخاه الأصغر نيابة عنك؟				
٢٣	هل تلسع أبناءك بشيء ساخن كالملعقة أو الشوكة أو بالنار عندما تغضب عليهم؟				
٢٤	هل تتعمد إخبار الأقارب والأصدقاء -في حضور الأبناء- أنك قد أعطيتهم علقة ساخنة؟				
٢٥	هل تترك أبناءك بعدما تضربهم فترة طويلة دون مصالحتهم أو إظهار مشاعر الحب والود والخوف عليهم؟				

احسب نتيجتك

الإجابة	دائما	أحيانًا	نادرًا	لا أفعل
الدرجة	١	٢	٣	٤

اعرف نفسك

حاول أن تقترب

٢٥- ٥٠: إذا كانت درجاتك تنحصر بين هـذين الـرقمين، فـإن طريقة ضربك لأبنائك تحتاج إلى إعادة نظر، وهـذا لا يعـني أنـك شخصية غير ناجحة، فالفرصـة مـا زالـت أمامـك، فأسـرع قبـل فوات الأوان.

على وشك الاقتراب

٥٠- ٧٥: إذا كانت درجاتك في هذا المجال، فإنت ربمـا تخطـئ في كيفية ضربك لأبنائك من فترة لأخرى، ولكنك تقترب غالبًا مـن الطريق الصحيح، ولهذا حـاول إدخـال بعـض التعـديلات علـى طريقة ضربك لأبنائك...والله ولي التوفيق.

أنت على الطريق الصحيح

٧٥- ١٠٠: إذا كانت درجاتك تنحصر بين هذين الرقمين، فـإن طريقة ضربك لأبنائك صحيحة ومؤدية لهدفها التربـوي إن شـاء الله.

لا تضـــرب الوجـــه

الإسلام يحافظ على كرامة الإنسان في كل زمان ومكان، بغض النظر عن موقع هذا الإنسان في خريطة الحياة. فالإسلام يحترم الكبير والصغير، والرجل والمرأة، والعبد والسيد، والمحسن والمسيء، ومن مظاهر هذا الاحترام أن الإسلام قد منع ضرب الوجه نهائيًا؛ فالزوج لا يحق له ضرب زوجته على وجهها، والدليل على ذلك ما رواه ابن حبان وأحمد وأبو داود عن حكيم بن معاوية عن أبيه أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ: ما حق المرأة على الزوج؟ قال: «**أن يطعمها إذا طعم، ويكسوها إذا اكتسى ولا يضرب الوجه ولا يقبح ولا يهجر إلا في البيت**»[1]، وعند معاقبة المذنبين وإقامة الحدود عليهم لا يجوز ضرب الوجه، فعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**إذا ضرب أحدكم فليتق الوجه**»[2]، وفي هذا الحديث دليل على تحريم ضرب الوجه وأنه يتقي فلا يضرب ولا يلطم ولو في حد من الحدود الشرعية[3]، وهذا ما فعله النبي ﷺ؛ فعند إقامة الحد على الغامدية عندما زنت - وهو الرجم-، أخذ النبي ﷺ حصاة كالحّمصة ورماها بها، ثم قال للناس: «**ارموها واتقوا الوجه**»[4].

ولم يتوقف النهي عن ضرب الوجه عند الأحرار فقط؛ بل تعداه إلى المماليك والموالي[5]، روى الإمام أحمد عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: في المملوك: «**يصنع طعامك ويعانيه فادعه، فإن أبى فاطعمه في يده، وإذا ضربتموهم فلا تضربوهم على وجوههم**»[6]. ولقد اعتبر الإسلام ضرب العبد على وجهه جريمة عظيمة، لذلك جعل عقاب من يضرب مملوكه هو أن يعتقه، روى الإمام مسلم وأبو داود والبيهقي عن

(١) صحيح ابن حبان ٩/ ٤٨٢، و مسند أحمد ٤/ ٤٤٧، سنن أبي داود ٢/ ٢٤٤.
(٢) سنن أبي داود ٤/ ١٦٧.
(٣) سبل السلام ٤/ ١٩١.
(٤) المبسوط للسرخسي ٩/ ٧٢.
(٥) هم العبيد لكن الإسلام غير اسم العبيد إلى الموالي والمماليك، قال تعالى: ﴿فَإِخوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ﴾.
(٦) مسند أحمد ٢/ ٥٠٥.

عبد الله بن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من لطم مملوكه أو ضربه فكفارته أن يعتقه**»(١)، ولأن لطم وجه المملوك في الإسلام ظلم عظيم؛ فقد كان إعتاق المملوك كفارة لهذا الذنب، وليس لسيده عندما يعتقه أجر المعتق تبرعًا، فالعتق هنا كفارة فقط، والدليل على ذلك أن عبد الله بن عمر دعا يومًا غلامًا له، فرأى بظهره أثرًا، فقال له: أوجعتك؟ قال: لا، فقال عبد الله بن عمر: فأنت عتيق، ثم أخذ شيئًا من الأرض (عودًا مثل القش أو ما شابه) فقال: ما لي فيه الأجر ما يزن هذا(٢)، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من ضرب غلامًا له حدًا لم يأتِه أو لطمه فإن كفارته أن يعتقه**»(٣).

ومن روعة هذا الدين وجماله أنه حرّم أيضًا ضرب وجه الحيوانات، وقد يظن البعض أن هذا كلام مبالغ فيه، لكن يرد على هؤلاء ما رواه الإمام مسلم وأحمد وابن حبان والترمذي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: مر حمار برسول الله ﷺ قد كوى في وجهه يفور منخراه من دم، فقال رسول الله ﷺ: «**لعن الله من فعل هذا ثم** نهى عن الكي في الوجه والضرب في الوجه»، وفي رواية لأبي داود قال ﷺ: «**أما بلغكم أني قد لعنت من وسم البهيمة في وجهها أو ضربها في وجهها**؛ فنهى عن ذلك»(٤)، ولقد قال الإمام النووي معلقا على هذا الحديث: وأما الضرب في الوجه فمنهي عنه في كل الحيوانات و المحترم من الآدمي والحمير والخيل والإبل والبغال والغنم وغيرها لكنه في الآدمي أشد لأنه مجمع المحاسن مع أنه لطيف يظهر فيه أثر الضرب وربما شانه وربما آذى بعض الحواس(٥).

إن للوجه حرمة كبيرة أقرها الإسلام، لأن الوجه عنوان شرف الإنسان وكرامته، ولذلك ربّي النبي ﷺ صحابته الكرام على أن ضرب الوجه ظلم عظيم، فحرصوا على ترك هذا الفعل البغيض، وإذا أخطأ أحدهم وضرب غيره على

---

(١) صحيح مسلم ٣/ ١٢٧٨، وسنن أبى داود ٤/ ٣٤٢، وسنن البيهقي الكبرى ٨/ ١٠.
(٢) ومعنى كلام ابن عمر أنه ليس في إعتاقه أجر المعتق تبرعًا وإنما عتقه كفارة لضربه، انظر: شرح النووي على صحيح مسلم ١١/ ١٢٨.
(٣) انظر: صحيح مسلم ٣/ ١٢٧٩، ومسند أحمد ٢/ ٦١.
(٤) الترغيب والترهيب ٣/ ١٥٤.
(٥) نيل الأوطار ٨/ ٢٥٠.

وجهه؛ فإنه كان يسرع إلى النبي ﷺ نادمًا مستغفرًا، باحثًا للمشكلة التي وقع فيها عن حل، فها هو عمر بن الحكم ﷺ يقول: أتيت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله إن جارية لي كانت ترعى غنمًا لي فجئتها وقد فقدت شاة من الغنم فسألتها عنها فقالت: أكلها الذئب، فأسفت عليها وكنت من بنى آدم فلطمت وجهها وعليَّ رقبة، أفأعتقها؟ فقال لها رسول الله ﷺ: «**أين الله**» فقالت في السماء، فقال: «**من أنا؟**» فقالت: أنت رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: «**أعتقها**»(١) وها هو عبد الله بن رواحة يغضب على أمة سوداء كانت عنده فيلطمها على وجهها، ثم يفزع فأتى النبي ﷺ يخبره بخبرها، فيقول له النبي ﷺ: «**ما هي يا عبد الله؟**» قال: يا رسول الله هي تصوم وتصلي وتحسن الوضوء وتشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، فقال النبي ﷺ: «**هذه مؤمنة**»، فقال عبد الله: فوالذي بعثك بالحق لأعتقنها ولأتزوجنها، ففعل فطعن عليه ناس من المسلمين فقالوا: تزوج أمة وكانوا يريدون أن ينكحوا إلى المشركين وينكحوهم رغبة في أحسابهم، فأنزل الله فيهم قوله تعالى: ﴿**وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ**﴾(٢)، لقد اعتق سيدنا عبد الله بن رواحة الأمة السوداء وتزوجها تعويضا لها عن لطمة واحدة على وجهها، فيا ليت رجالنا يسمعون ..

ومن طرائف الأبناء أن إحدى الأمهات أحست بالذنب يومًا لأنها ضربت ولديها على وجهيهما، ثم بكيا وناما؛ فقررت الأم أن توقظهما وتطلب منهما السماح، وبالفعل أيقظتهما، وقالت للكبير: سامحني، فقال: هو فيه إيه يا ماما، فقالت: سامحني لأني ضربتك اليوم على وجهك، فكان رده: مش انتي ماما وإيه يعني لما تضربيني، أما الصغير فقد قال: وتضربيني ليه أنا مش مسامحك، طبعا البعض يتوقع أن تقول له: أنا أمك وجئت أستسمحك وأنت ولد غير مؤدب لأنك لم تحترمني، بل و تضربه مرة أخرى، لكنها لم تفعل ذلك، بل قالت: أنا أضربك لأني أخاف عليك ومع ذلك سامحني، فقال: سماح يا ماما...

(١) موطأ مالك ٢/ ٧٧٦.
(٢) تفسير الطبري ٢/ ٣٧٨، ٣٧٩، وتفسير ابن كثير ١/ ٢٥٩.

أيها الوالد الكريم، أيتها الأم الحنون

هيا بنا نطبق هذا الخلق الإسلامي النبيل، ونبتعد – تمامًا- عن ضرب أبنائنا على وجوههم، عسى أن يتقبلنا الله في الصالحين، ولنحرص أكثر على عدم ضرب البنات على الوجه؛ لأنهم أكثر حساسية ورقة من البنين؛ ولأن النبي ﷺ غضب وحزن لما ضرب أبو بكر رضي الله عنه ابنته السيدة عائشة - رضي الله عنها- على وجهها، روى ابن حبان في صحيحه عن أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها- أن النبي ﷺ استعذر أبا بكر عن عائشة (يعني: اشتكى عائشة إلى أبيها أبى بكر رضي الله عنهم أجمعين)، ولم يظن النبي ﷺ أن ينالها بالذي نالها، فرفع أبو بكر يده فلطمها وصك في صدرها، فوجد من ذلك النبي ﷺ (أي: حزن) وقال: «**يا أبا بكر، ما أنا بمستعذرك منها بعدها أبدا**»[1] .

وهكذا ربّي النبي ﷺ أصحابه على احترام وجه الإنسان والحيوان، واليوم وبعد مرور أربعة عشر قرنًا يحذر علماء في المركز الوطني للأطفال الفقراء بجامعة كولومبيا الأمريكية من ضرب الأطفال على وجوههم، وقالوا: إنه قد يسبب آثارًا مؤذية طويلة الأجل على سلوكياتهم، ولا تساعد على تربيتهم وتحقيق الطاعة المطلوبة منهم لآبائهم، وحددت هذه الآثار أخصائية العلوم النفسية بالمركز الدكتورة اليزابيث جيرشوف بمشكلات سلوكية سلبية تصيب الأطفال مثل: العدوانية والسلوك غير الاجتماعي والانطوائي واضطرابات نفسية عديدة، مضيفة أن الصفع غير فعال أبدًا في تقويم سلوك الطفل وتربيته، ولا يساعد في تعليمه الصحيح من الخطأ، كما أن له دورًا في عدم التزام الطفل بطاعة والديه فهو يخاف في حضورهما فقط ولكنه يسيء التصرف في غيابهما، وأشارت في تقرير بحثها الذي نشرته مجلة الجمعية الأمريكية للعلوم النفسية، إلى أن الصفع الخفيف إلى المتوسط قد يفيد الأطفال في عمر السنتين إلى الست سنوات (وهذا بالطبع

---

(١) صحيح ابن حبان ٩/ ٤٩١.

مرفوض من وجهة نظر الإسلام) ولكن لا ينصح أن يحاول الآباء الـذين يملكـون ميولاً عصبية بالصفع على الإطلاق، منوهة إلى أن ليس جميع الأطفال الـذين يـتم صفعهم قد يعانون من مشـكلات انطوائيـة أو عدوانيـة[١]، هـذا مـا يـراه علمـاء الغرب بعـد مـرور أربعـة عشـر قرنًـا مـن بعثـة الـنبي ﷺ، فالحمـد لله أن جعلنـا مسلمين، لكن الكلام وحده لا يكفي، لذلك علينـا أن نطبـق تعـاليم هـذا الـدين الحنيف، لنحصل على السعادة في الدنيا، ونفوز برضـوان الله والجنـة في الآخـرة، والله المستعان.

* * *

(١) http://www.ebaa.net/khaber-monawaa/2002/11/07/khaber02.htm.

أعـــــط كل عضو حقــه

ونحن نضرب أبناءنا علينا أن نراعي تفريق الضرب على أعضاء الجسم المختلفة، فلا يتركز ضربنا على عضو واحد حتى لا يتلف، وهذا انطلاقًا مما رواه سفيان عن عاصم عن أبى عثمان أن عمر ﷺ أتى برجل في حد فقال للجلاد: اضرب ولا تر إبطك، وأعط كل عضو حقه[١]، ومن الأعضاء التي نحرص على الضرب فيها أماكن تجمع اللحم كالإليتين والفخذين لأنها أشد تحملاً، كما نضرب في الأماكن التي لا نخاف حدوث ضرر إن ضربنا فيها كالكتفين والذراعين والعضدين والساقين والقدمين[٢]، ولقد أخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم من طريق عبيد الله بن عبد الله بن عمر: أن جارية لابن عمر زنت، فضرب ابن عمر رجليها وظهرها، فقال ابنه له: ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله (يعني اضربها أشد من ذلك استجابة لأمر الله ولا تأخذك بها رأفة)، فقال ابن عمر: إن الله لم يأمرني أن أقتلها ولا أن أجلد رأسها، وقد أوجعت حيث ضربت[٣].

وعندما نضرب أبناءنا، يجب ألا نضربهم على وجوههم مهما كان السبب، وهذا ما تحدثنا عنه في الصفحات السابقة، ويضاف إلى الوجه الأعضاء التناسلية من الولد والبنت، لأن الضرب فيها يؤذي الإنسان وقد يؤدي إلى قتله، ولقد روى الإمام البيهقي عن هنيدة بن خالد أنه شهد عليًا ﷺ أقام على رجل حدًا، فقال للجالد: اضرب، وأعط كل عضو حقه، واتق وجهه ومذاكيره (يعني أعضاءه التناسلية)[٤].

ومن الأماكن التي ينبغي الابتعاد عنها تمامًا عند ضرب أبنائنا وتلامذتنا الرأس، لأنه أجمل ما في الإنسان وإن تشوه لم يحسن مظهره، ولأن ضرب الرأس قد يؤدي إلى

---

(١) التمهيد لابن عبد البر ٥/ ٣٣٣ - ٣٣٥.
(٢) كشاف القناع ٦/ ٨٠- ٨٢، والروض المربع ٣/ ٣٠٤- ٣٠٦، والمبدع ٩/ ٤٧- ٤٩، وبدائع الصنائع ٧/ ٥٩، والمغنى ٩/ ١٤٠، ١٤٢.
(٣) الدر المنثور ٦/ ١٢٥، ١٢٦، وتفسير القرطبي ١٢/ ١٦١- ١٦٣.
(٤) سنن البيهقي الكبرى ٨/ ٣٢٦، ٣٢٧، والمهذب ٢/ ٢٧٠، ٢٧١.

العمى أو الصمم أو ذهاب العقل أو الموت لا قدر الله، ومن هنا قال سيدنا على بن أبى طالب ﷺ للجلاد عند إقامته للحد: اضـرب وأوجـع واتـق الـرأس والوجـه[1]، ولقد أضاف القاضي أبو يوسف – رحمه الله- موضعين آخرين يجب الابتعاد عنهما عند إقامة الحدود وعند التأديب فقال: لا يضرب الصدر والبطن أيضا؛ لأن الضرب عليهما متلف وفيه خوف الهلاك[2].

أيها الوالد الكريم، أيتها الأم الحنون

كثيرًا ما نسمع عن أب قتل ابنه أثناء ضربه، أو أم سببت لابنتها عاهة مستديمة وهي تؤدبها، والحقيقة انه لا يوجد أب أو أم عاقلان يريدان أن يؤذيا أبناءهما، فالأب الذي يخرج اللقمة من فمه ليعطيها- بكل رضا وسرور- لابنه هل يعقل أن يقتله؟، والأم التي تسهر بجوار ابنتها طوال الليل تداوي مرضها، هل نتصور أن تسبب لها عاهة؟ إن الأمر لا يخرج عن كونه انفعالاً كبيرًا من الآباء والأمهات، مع عدم تحديدهم لأماكن الضرب، إضافة إلى الضرب بعنف وقوة عالية، والنتيجة ما نراه يوميًا على صفحات الجرائد من حوادث وأحداث. ومن روعة ديننا الحنيف أنه علمنا أين نضرب المذنبين من الأبناء والتلاميذ وغيرهم، عند إقامة الحد أو عند التأديب والتعزير، ولا أظن أبًا يفكر وهو يضرب أبناءه أين سيضرب، أن يخرج عن شعوره ويصيب ابنه بسوء، إذ أن هذا التفكير يعني أنه سيكون واعيًا وعلى درجة عالية من التركيز، وهذا بالتالي سيقيه هو وأبناءه الكثير من الشرور، نسأل الله السلامة، والجدول التالي يساعدنا- إن شاء الله- على تحقيق ذلك.

(١) المبدع ٩/ ٤٦- ٤٨، وكشاف القناع ٦/ ٨٠، ٨١.
(٢) بدائع الصنائع ٧/ ٥٩، والمبسوط للسرخسي ٩/ ٧٢.

الأماكن التي يمكن أن نضرب فيها أبناءنا	الأماكن التي يجب الابتعاد عنها عند ضرب الأبناء
١- الإليتان (المقعدة) وهذه أفضل الأماكن	١- الوجه.
٢- الذراعان وخاصة الكفين.	٢- الأعضاء التناسلية.
٣- الفخذان.	٣- الرأس.
٤- الساقان.	٤- الصدر.
٥- العضدان والكتفان.	٥- البطن.
٦- أسفل القدمين.	٦- أسفل الظهر.

* * *

في البيت عشر وفي المدرسة ثلاث

عندما نضرب أبناءنا، ينبغي ألا تزيد الضربات بأي حال من الأحوال عن عشر ضربات، و السبب في ذلك هو قول النبي ﷺ فيما رواه البخاري: «**لا عقوبة فوق عشر ضربات إلا في حد من حدود الله**»[١]، وفي رواية للإمام مسلم قال ﷺ: «**لا يجلد أحد فوق عشرة أسواط إلا في حد من حدود الله**»[٢]، وفي رواية أخرى للإمام الطبراني قال ﷺ: «**لا يحل لأحد من يضرب أحدًا فوق عشرة أسواط إلا في حد من حدود الله**»[٣]، أما الإمام البيهقي فيروي نفس الحديث بقوله: قال ﷺ: «**لا يحل لرجل يؤمن بالله واليوم الأخر أن يجلد فوق عشرة أسواط إلا في حد**»[٤].

وانطلاقًا من هذا الحديث الشريف يقول ابن القيم رحمه الله: لا يزاد على العشر في التأديبات التي لا تتعلق بمعصية كتأديب الأب ولده الصغير[٥]، ومن هنا كان علينا معشر الآباء والأمهات أن نلتزم بهذا الأمر النبوي الشريف، ولا نزيد عن عشر ضربات عند ضربنا لأبنائنا.

وكما أنه ينبغي للوالد ألا يضرب ابنه فوق عشر ضربات، كذلك فإن على الزوج ألا يزيد في ضرب زوجته الناشز عن عشر ضربات، فالمرأة إذا عصت زوجها ورفضت إعطاءه حقوقه الشرعية وعظها بالحسنى، فإن أصرت هجرها في المضجع ما شاء ويهجرها في الكلام ثلاثة أيام فقط، فإن أصرت ضربها بعشر ضربات لا فوقها، وهذا ما قاله ابن تيمية وبعض الفقهاء الآخرين[٦].

ولأن الإسلام يحمي حقوق العبيد ويحفظ كرامتهم، فقد قرر أن يكونوا في

(١) صحيح البخاري ٦/ ٢٥١٢.
(٢) صحيح مسلم ٣/ ١٣٣٢.
(٣) المعجم الكبير (للطبراني) ٢٢/ ١٢٦.
(٤) سنن البيهقي الكبرى ٨/ ٣٢٨.
(٥) فتح الباري ١٢/ ١٧٧.
(٦) انظر: دليل الطالب ١/ ٢٥٢، والمبدع ٧/ ٢١٤، ٢١٥، ومجموع الفتاوى ٢٨/ ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٤٩.

الضرب مثل الأبناء والزوجات؛ فقد دلت الأدلة على أنه يجوز للسيد أن يضرب عبده للتأديب، ولكن ينبغي ألا يزيد هذا الضرب عن عشر ضربات[١].

وكما حدد لنا الإسلام عدد الضربات التي نضربها لأبنائنا في البيت؛ فقد حدد لنا عدد الضربات التي نضربها لهم في المدارس والكتاتيب، فعند تعليم الطفل القرآن أو تدريسه العلوم لا ينبغي للمعلم أن يضرب التلميذ أكثر من ثلاث ضربات، وهذا هو رأي بعض التابعين مثل: القاضي شريح وعمر بن عبد العزيز[٢]، ولقد استمدوا هذا الرأي من قصة ضم سيدنا جبريل للنبي ﷺ ثلاث مرات عند تعليمه القرآن في بداية الوحي؛ روى البخاري ومسلم وابن حبان والبيهقي وأحمد عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت: ثم أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ثم حبب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه -وهو التعبد الليالي ذوات العدد- قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق وهو في غار حراء فجاءه الملك فقال: «**اقرأ، قال: ما أنا بقارئ، قال: فأخذني فغطني** (أي ضمني بشدة) **حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني** (تركني) **فقال: اقرأ، قلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني فقال: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۞ خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۞ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ﴾**. فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها فقال: «**زملوني زملوني**» فزملوه حتى ذهب عنه الروع[٣].

ويؤكد رأي هؤلاء التابعين (بعدم زيادة ضرب المعلم للتلميذ عن ثلاث ضربات) ما أورده الحافظ السيوطي عن الكامل لابن عدي بسند ضعيف عن ابن عمر - رضي الله تعالى عنهما - أن النبي ﷺ نهى أن يضرب المؤدب الصبي فوق ثلاث ضربات[٤].

---

(١) نيل الأوطار ٦/ ٢٠٧ (بتصرف).
(٢) السيرة الحلبية ١/ ٣٩٠.
(٣) صحيح البخاري ١/ ٤، وصحيح مسلم ١/ ١٤٠، وصحيح ابن حبان ١/ ٢١٧، وسنن البيهقي الكبرى ٩/ ٥، و مسند أحمد ٦/ ٢٣٢.
(٤) السيرة الحلبية ١/ ٣٩٠.

ولقد طبق التابعي الجليل شريح هذا المبدأ على ابنه في الكتاب، وطلب من معلمه ألا يزيد في ضربه على ثلاث ضربات، روى أحد أبناء سعد بن أبي وقاص أنه كان لشريح ابن يدع الكتاب ويهارش الكلاب (أي يلعب معها ويجعلها تتصارع مع بعضها) قال: فدعا بقرطاس ودواة (ورقة وقلم) فكتب إلى مؤدبه يقول:

ترك الصلاة لأكلب يسعى بها ... طلب الهراش مع الغواة الرجس
فإذا أتاك فعضه بملامة ... وعظه موعظة الأديب الأكيس
فإذا هممت بضربه فبدرة ... فإذا ضربت بها ثلاثا فاحبس
واعلم بأنك ما أتيت فنفسه ... مع ما تجرعني أعز الأنفس[(١)]

ولقد كان عمر بن عبد العزيز- رحمه الله- يكتب إلى الأمصار: لا يقرن (أي لا يزيد) المعلم فوق ثلاث، فإنها مخافة للغلام[(٢)].

وكما اهتم التابعون بتحديد عدد ضربات المعلم للتلميذ؛ فقد سار الفقهاء من بعدهم على دربهم، فقد رأى بعض الفقهاء أنه ينبغي ألا يزيد ضرب المعلم للتلميذ عن ثلاث ضربات[(٣)]، ورأى البعض الآخر: أن المعلم لو ضرب التلميذ أكثر من ثلاث ضربات، كان في الزيادة قصاص للتلميذ من أستاذه[(٤)]، وهناك فريق ثالث يرى أن المعلم لو ضرب التلميذ ثلاثا فحدث له ضرر لا يضمنه المعلم، أما لو ضربه أكثر من ثلاث ضربات وحدث له ضرر ضمنه المعلم وعوضه عنه[(٥)].

---

(١) حلية الأولياء ٤/ ١٣.

(٢) الروض الأنف ١/ ٢٧٢.

(٣) قيد الطرسوسي ضرب المعلم للتلميذ بأن يكون بغير آلة جارحة وبأن لا يزيد على ثلاث ضربات، وقال الشرنبلالي: يضرب الصغير باليد لا بالخشبة ولا يزيد على ثلاث ضربات، انظر: حاشية ابن عابدين ٦/ ٤٣٠.

(٤) روى عن الضحاك أنه قال: ما ضرب المعلم غلامًا فوق ثلاث فهو قصاص؛ انظر: الروض الأنف ١/ ٢٧٢.

(٥) قال الخلال: إذا ضرب المعلم تلميذه كما قال التابعون وفقهاء الأمصار وكان ذلك ثلاثًا فليس بضامن، وإن ضربه ضربًا شديدًا مثله لا يكون أدبًا للصبي ضُمن لأنه قد تعدى في الضرب انظر: المغني ٩/ ١٥٠.

أيها الوالد والمعلم الكريم، أيتها الأم والمعلمة الحنون

هيا بنا نطبق ما علمنا إياه نبينا الكريم ﷺ، ففيه صلاح الدنيا والآخرة، وفيه مصلحتنا ومصلحة أبنائنا، ولنعلم أن الزيادة عن عدد الضربات التي حددها لنا النبي ﷺ ظلم لأبنائنا، والظلم ظلمات يوم القيامة، فلنحذر من القصاص يوم القيامة؛ لأن النبي ﷺ - فيما رواه البزار والطبراني- يقول: **«من ضرب سوطًا ظلمًا؛ اقتص منه يوم القيامة»**[1]، نسأل الله السلامة في الدنيا والآخرة، اللهم آمين.

* * *

(١) الترغيب والترهيب ٣/ ١٥٢.

عاقب على قدر الذنب والجسم

عدد الضربات وقوتها ينبغي أن يتغير من ذنب لأخر، لأن الذنوب والأخطاء ليست بنفس الدرجة، فمن زنا ليس كمن سرق، ومن قذف الصالحات بالفاحشة ليس كمن شتم زميله، ومن كذب ليس كمن أهمل في دراسته، ومن روعة إسلامنا الحنيف أنه راعي هذا الاختلاف بين المعاصي، فجعل لكل منها عقابًا مناسبًا على قدر قوته وخطورته، فالزنا باعتباره جريمة أخلاقية كان عقابها مائة جلدة للزاني غير المتزوج، أما قذف العفيفات الطاهرات بالفاحشة دون برهان فلأنه أقل ضررًا من الزنا فقد كان عقابه ثمانين جلدة، وهكذا يتغير عدد الضربات تبعًا لخطورة الذنب وقوته، والعجيب أن بعض الفقهاء مثل: أبي حنيفة وغيره رأوا أن قوة الضرب ينبغي أن تتغير أيضًا تبعًا لتغير الذنب، فقالوا: إن الجلد في الزنا أشد الجلد ثم جلد القذف ثم الشرب ثم التعزير، لأن الله تعالى خصّ الزنا بمزيد التأكيد بقوله: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ﴾، ولأن ما دونه أخف منه عددًا فلا يجوز أن يزيد في إيلامه ووجعه، لأن ما كان أخف في عدده كان أخف في صفته، وحد القذف حق آدمي وحد الشرب حق لله تعالى والتعزير لا يبلغ به الحد[1].

وكما يتغير العقاب تبعًا للذنب وقوته، فإنه ينبغي أن يتغير أيضًا تبعا لحالة جسم المذنب من حيث القوة والضعف والصحة والعافية، فمثلاً الزاني غير المتزوج يضرب في الشرع مائة جلدة، لكن إن كان ضعيفًا أقيم عليه الحد بسوط يؤمن الضرر والتلف معه، وإن كان الزاني مريضًا فلا يقام عليه الحد حتى يشفيه الله، ولا يقام الحد على النفساء حتى ينقضي النفاس لأن النفاس نوع مرض، ولقد رُوى أن على بن أبى طالب ﷺ خطب يومًا فقال: «يا أيها الناس أقيموا الحدود على أرقائكم؛ من أحصن منهن ومن لم يحصن، فإن أمة لرسول الله ﷺ زنت، فأمرني رسول الله ﷺ أن

(١) انظر: كشاف القناع ٦/ ٨٠، ٨١، وزاد المستقنع ١/ ٢٢٨، والمبدع ٩/ ٤٧- ٤٩، والمحرر في الفقه ٢/ ١٦٤، ١٦٥، ومنار السبيل ٢/ ٣٢٣، ٣٢٤، والروض المربع ٣/ ٣٠٥- ٣٠٧.

أجلدها، فأتيتها فإذا هي حديث عهد بنفاس، فخشيت إن أنا جلدتها أن أقتلها وأن تموت، فأتيت رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له، فقال: **أحسنت**»[1].

فإن كان الزاني مريضًا مرضًا لا يرجى شفاؤه والضرب يضره أقيم عليه الحد بعنقود من النخل فيه مائة غصن رفيع ضربة واحدة، أو يضرب بسوط فيه خمسون فرعًا مرتين، والدليل على ذلك ما رواه أبو داود والنسائي وأحمد وابن ماجة والبيهقي عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف عن بعض أصحاب رسول الله ﷺ من الأنصار أنه اشتكى رجل منهم حتى أضنى فعاد جلدًا على عظم (يعني أنه كان ضعيفًا جدًا) فدخلت عليه جارية لبعضهم فوقع عليها، فلمّا دخل عليه رجال قومه يعودونه أخبرهم بذلك، وقال: استفتوا لي رسول الله ﷺ فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ وقالوا: ما رأينا بأحد من الضر مثل ما به، لو حملناه إليك لتفسخت عظامه، ما هو إلا جلد على عظم فأمر رسول الله ﷺ أن يؤخذ له مائة شمراخ فيضربونه بها حصول واحدة (أي مرة واحدة)، والشمراخ هو الغصن الرفيع، والمراد ههنا أن يضربوه بالعنقود من النخل الذي يكون فيه أغصان كثيرة وكل واحدة من هذه الأغصان يسمى شمراخًا[2].

أيها الوالد الكريم، أيتها الأم الحنون

نستنتج مما سبق أن العقاب يتغير تبعًا لدرجة الذنب وحالة جسم المذنب، ومن هنا كان علينا أن نعاقب أبناءنا على قدر ذنوبهم، ونراعي عند الضرب حالة أجسامهم، روى الأصبهاني في حلية الأولياء عن الإمام الأوزاعي قال: كتب عمر بن عبد العزيز إلى بعض عماله: لا تعاقب رجلاً لمكان جلسائه ولا لغضب عليه، ولا تؤدب أحدًا من أهل بيتك إلا على قدر ذنبه، وإن لم تبلغ إلا سوطا واحدًا[3]، ومن يلتزم بهذه القاعدة من الآباء والمربين يكون

---

(١) هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، انظر: المستدرك على الصحيحين ٤/ ٤١٠.

(٢) انظر الكافي في فقه ابن حنبل ٤/ ٢١٣، ٢١٤، وبدائع الصنائع ٧/ ٥٩، والمبدع ٩/ ٤٩، ٥٠، وكشاف القناع ٦/ ٨٠ - ٨٢، ونيل الأوطار ٧/ ١٨٣- ١٨٥، ٢٨٥.

(٣) حلية الأولياء ٥/ ٣٠٤.

عادلاً في عقابه، فلا يظلم المسيء من أبنائه ولا يتعدى على المخطئ من تلامذته، روى ابن أبي حاتم عن محمد بن كعب القرظي قال: دعاني عمر بن عبد العزيز فقال: صف لي العدل، فقلت: بخ، سألت عن أمر جسيم: كن لصغير الناس أبًا، ولكبيرهم ابنًا، وللمثل (لمن في سنك) منهم أخًا، وللنساء كذلك، وعاقب الناس على قدر ذنوبهم وعلى قدر أجسامهم ، ولا تضربن بغضبك سوطًا واحدًا متعديًا، فتكون من العادين[١] ، وصدق الشاعر عندما قال:

وإن نعاقب فعلى قدر السبب … من الذنوب لا على قدر الغضب[٢]

أيها الآباء والمعلمون الكرام

لكي ننجح في ضرب أبنائنا على قدر أخطائهم وأجسامهم، علينا أولاً أن نقوم بتصنيف الأخطاء التي يرتكبها أولادنا، ثم نحدد لكل مجموعة من هذه الأخطاء عددًا من الضربات أو نوعًا من العقاب المناسب، بشرط ألا يزيد عدد الضربات في البيت عن عشرة، وفي المدرسة عن ثلاثة كما بينّا سابقًا، وعندما نقوم بحصر أخطاء الأبناء سنجد أنها تشمل- تقريبا- ست مجموعات، ولكل مجموعة درجة من القوة ولها ما يناسبها من العقاب، وذلك كما يلي:

أخطاء الدرجة الأولى: في حق الله، كترك الصلاة أو الإهمال فيها وخاصة صلاة الفجر وعدم الصيام والكذب وعدم الوفاء بالوعد والخيانة، وهذه الأخطاء تأخذ أشد العقوبة والتي لا تزيد على عشر ضربات.

أخطاء الدرجة الثانية: في حق الوالدين، مثل: عدم طاعة أوامرهما وترك مساعدتهما وسوء الأدب معهما وسرقة نقودهما وغيرها والعناد معهما والتحدث عنهما بصورة غير مرضية مع الزملاء وعدم تنظيف حجرته وإحضار الأصدقاء والزملاء إلى البيت دون إذنهما وإيذاء صديقهما وغيرها، وهذه الأخطاء تلي الدرجة الأولى من حيث عدد الضربات، وينبغي ألا تتساوى معها.

---

(١) الدر المنثور ٥/ ١٦١.

(٢) خلاصة الأثرج ٢/ ٤١٠.

أخطاء الدرجة الثالثة: في حق النفس، مثل إهمال المذاكرة وترك الطعام وعدم ممارسة رياضة، وترك تنظيف الأسنان والإهمال في استعمال السواك وعدم الاستحمام وارتداء الملابس غير النظيفة، وقضاء الساعات الطوال أمام التلفاز أو الكمبيوتر دون فائدة والسهر الزائد عن اللازم، ومصاحبة غير الطيبين وغيرها، وهذه الأخطاء تلي المجموعتين السابقتين في قوة العقاب.

أخطاء الدرجة الرابعة: في حق الإخوة والأخوات وذوى الرحم، مثل الاعتداء بالضرب أو السباب على الإخوة أو الأخوات وعدم زيادة الجد أو الجدة وضرب أبناء الأقارب وعدم الوفاء بالوعد معهم وعدم احترام الكبير منهم.

أخطاء الدرجة الخامسة: في حق الجيران، مثل: إزعاجهم بصوت المسجل أو التلفاز والاعتداء على أبنائهم وأذيتهم بلعب الكرة والصراخ في أوقات الراحة وعدم معاونة المحتاج منهم ومنع العون عنهم وغيرها.

أخطاء الدرجة السادسة: في حق المجتمع، مثل: تخريب الممتلكات العامة وسرقة الغير وعدم الوفاء بالوعد والتأخر في المواعيد والسلبية وعدم رد السلام على من سلّم، وعدم احترام الكبير وغيرها. ومع أن هذه المجموعة من الأخطاء ليست هينة، إلا إنه لا ينبغي أن تتساوى في درجة العقوبة مع المجموعات الخمس السابقة.

* * *

لا تضربه باليد واللسان

الدعاء على الأبناء أشد من الضرب بالسياط الموجعة والعصي المؤلمة، ومع ذلك فإن بعض الآباء والأمهات عندما يضربون أبناءهم يدعون عليهم بالويل والثبور وعظائم الأمور، وهكذا يضربون أبناءهم بأيديهم وألسنتهم في نفس الوقت، وبهذه الطريقة يفسدون أبناءهم بأيديهم دون أن يشعروا؛ لأنهم يدعون على أبنائهم بالشر، وربما يستجيب الله دعاءهم، ومن هنا حذرنا النبي ﷺ بشدة من الدعاء على الأبناء، أيًا كان السبب والظروف التي تدعو إليه؛ روى الإمام مسلم وابن حبان وأبو داود (واللفظ له) عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا تدعوا على أنفسكم ولا تدعوا على أولادكم ولا تدعوا على خدمكم ولا تدعوا على أموالكم؛ لا توافقوا من الله تبارك وتعالى ساعة نيل فيها عطاء فيستجيب لكم»**[1].

إن أحدنا قد يتسرع في الدعاء على أبنائه فيستجيب الله دعاءه، فيعيش نادمًا حزينًا طوال حياته، والقصة التالية خير دليل على ذلك، تتحدث إحدى الأمهات عن قصتها مع ولدها والدموع تذرف من عينيها وفيها من الحزن ما لا يعلمه إلا الله، تقول: عزمنا على السفر إلى مدينة الرياض وعند ركوب السيارة جرى خلاف بينها وبين أحد أبنائها حول لبس «الشماغ» حيث طلبت منه إحضاره فرفض، فكانت المشادة بينهما وانتهت بدعائها عليه بقولها: «اذهب لا ردك الله». تقول هذه الأم الحزينة: وسافرنا إلى الرياض وكانت المصيبة في أحد الشوارع في الرياض حيث كنت أسير معه فإذا بسيارة تتجه نحوه وتصدمه، فيسقط يصارع الموت ولم يلبث سوى ساعات ثم يموت، وأعود إلى بلدي بعد هذا السفر بدونه، هكذا كانت النهاية الأليمة؛ أجاب الله دعاءها وذهب ابنها[2].

وهناك فريق آخر من الآباء والأمهات عندما يغضب من أبنائه، يدعو على

(١) سنن أبو داود ٢/ ٨٨ صحيح ابن حبان ١٣/ ٥٢، وصحيح مسلم ٤/ ٢٣٠٤.
(٢) أمهات قرب أبنائهن، نوره محمد السعيد.

نفسه قائلا: الله يأخذني ويريحكم مني أو ما شابه ذلك، والنبي ﷺ قد نهانا عن ذلك، روى الإمام مسلم وابن حبان وأبو داود أبو يعلي وأحمد والطبراني عن أم سلمة قالت: دخل رسول الله ﷺ على أبي سلمة وقد شق بصره فأغمضه وقال: إن الروح إذا قبض تبعه البصر فصاح ناس من أهله فقال: «**لا تدعوا على أنفسكم إلا بخير فإن الملائكة تؤمِن على ما تقولون**» ثم قال: «**اللهم اغفر لأبي سلمة وارفع درجته في المقربين واخلفه في عقبه في الغابرين واغفر له ولنا يا رب العالمين اللهم افسح له في قبره ونوِّر له فيه**»[(١)]، وروى الإمام النسائي والبيهقي والطبراني عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «**ألا لا يتمنَ أحد الموت (وفي رواية: لا تدعوا بالموت ولا تمنوه) لضُرٍ نزل به، فإن كان لابد متمنيًا الموت فليقل: اللهم أحيني ما كانت الحياة خيرًا لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيرًا لي**»[(٢)].

أيها الوالد الكريم، أيتها الأم الحنون

إنك عندما تدعو على ابنك، فإنك توغر صدره ناحيتك، وتجبره على كراهيتك، فكيف يحب إنسانًا يتمنى له الشر ولو باللسان فقط، في حين أنك عندما تدعو له بالخير توطد العلاقة بينكما، وتجني ودّه وتنمي حبك داخل قلبه، ولذلك كان النبي ﷺ يتجنب- قدر المستطاع- الدعاء على المشركين، بل إنه ﷺ كان يدعو لهم بالهداية ليتألف قلوبهم ورغبة في أن يهديهم، والدليل على ذلك أن الإمام البخاري أورد في صحيحه بابًا بعنوان: باب الدعاء للمشركين بالهدى ليتألفهم، وذكر البخاري في هذا الباب حديث أبي هريرة في قدوم الطفيل بن عمرو الدوسي وأصحابه على النبي ﷺ قولهم: يا رسول الله إن دوسًا عصت وأبت فادعُ الله عليها، فظن الناس أنه ﷺ سيدعو عليهم، لكن النبي ﷺ رفع يديه إلى السماء قائلا: «**اللهم**

---

(١) انظر: صحيح مسلم ٢/ ٦٣٤، وصحيح ابن حبان ١٥/ ٥١٥، وسنن أبي داود ٣/ ١٩٠، ومسند أبي يعلي ١٢/ ٤٥٩، ومسند أحمد ٦/ ٢٩٧، والمعجم الكبير للطبراني ٢٣/ ٣١٤.

(٢) السنن الكبرى للنسائي ١/ ٦٠٠، وسنن البيهقي الكبرى ٣/ ٣٨٤، والمعجم الأوسط للطبراني ٨/ ٧٩.

اهدِ دوسًا وأتِ بهم، اللهم اهدِ دوسًا وأتِ بهم»[(١)] .

لقد كان النبي ﷺ يدعو على المشركين حينما تشتد شوكتهم ويكثر أذاهم، بينما كان عليه الصلاة والسلام يدعو لهم بالهداية عندما تؤمن غائلتهم وشرورهم ويرجى تألفهم[(٢)] ، وعن هذا الخلق النبوي الكريم يحدثنا ابن القيم فيقول: كان النبي ﷺ يدعو لبعض الكفار بأن يهديه الله أو يرزقه، كما دعا لأم أبي هريرة حتى هداها الله، وكما دعا لدوس فقال «**اللهم اهْدِ دوسًا وأتِ بهم**» فهداهم الله، وكما روى أبو داود أنه استسقى لبعض المشركين لما طلبوا منه أن يستسقى لهم فاستسقى لهم، وكان ذلك إحسانًا منه إليهم يتألف به قلوبهم، كما كان يتألفهم بغير ذلك[(٣)] .

أيها الأب الكريم، أيتها الأم الحنون

إن الدعاء للأبناء يؤلف قلوبهم ويجمع حولنا أرواحهم، كما أنه يعدّل حالهم ويصلح أخطاءهم، فكم من ابن أصلحته دعوة أبيه، وخير مثال على ذلك: عليّ بن الفضيل بن عياض؛ فلقد اجتهد والده في تربيته اجتهادًا كبيرًا، وكان يأمل أن يكون صالحًا ورعًا تقيًا، ووصل الأمر بأبيه إلى أن دعا الله قائلاً: «اللهم إني اجتهدت أن أؤدب عليًا فلم أقدر على تأديبه، فأدِّبه أنت لي»، لقد بذل الوالد الحاني كل ما يستطيع- تقريبا- في تربية ولده، واستعان بالله على هذه المهمة الصعبة؛ فكان التوفيق منه سبحانه وتعالى، إذ أصبح عليّ بن الفضيل بن عياض إمامًا كأبيه في العلم والزهد، بالإضافة إلى أنه قد خرج هو وأبوه من الضعف الغالب على الزهاد والصوفية وعُدّا في الثقات إجماعًا، قال الإمام النسائي عن علي بن الفضيل: ثقة مأمون، وقال الحافظ أبو بكر الخطيب: كان من الورع بمحل عظيم، وقال عبد الله بن المبارك يومًا: خير الناس الفضيل بن عياض وخير منه ابنه عليّ، وعن سفيان بن عيينة قال: ما رأيت أحدا أخوف من الفضيل وابنه.

---

(١) انظر: صحيح البخاري ٣/ ١٠٧٣، وصحيح مسلم ٤/ ١٩٥٧، وصحيح ابن حبان ٣/ ٢٦٠، ومسند أحمد ٢/ ٢٤٣.

(٢) فتح الباري ٦/ ١٠٨.

(٣) مجموع الفتاوى ١/ ١٤٥.

لقد اجتهد الوالد في تربية ابنه ودعا الله له فاستجاب دعاءه، فكانت النتيجة ولدًا صالحًا أعان والده على الخير والصلاح.

فلقد كان على بن الفضيل قانتًا لله خاشعًا وجلاً ربانيًا كبير الشأن، فعن أبي بكر ابن عياش قال: صليت خلف فضيل بن عياض المغرب وابنه عليّ إلى جانبي فقرأ ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ فلما قال: ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾؛ سقط عليٌّ على وجهه مغشيًا عليه، وعن محمد بن ناجية قال: صليت خلف الفضيل فقرأ الحاقة في الصبح، فلما بلغ إلى قوله:﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ﴾ غلبه البكاء فسقط ابنه عليّ مغشيًا عليه، وها هو والده يحكي عنه قائلاً: أشرفت ليلة على عليٌّ وهو في صحن الدار وهو يقول: النار، ومتى الخلاص من النار؟ ووجده أبوه يومًا يبكى، فقال له: يا بني ما يبكيك؟ فقال: أخاف أن لا تجمعنا القيامة.

وكان عليّ بن الفضيل كريمًا سخيًا على الفقراء، فعن والده فضيل بن عياض أنهم اشتروا شعيرًا بدينار وكان ذلك في غلاء من السعر، فقالت أم على للفضيل: قوته لكل إنسان قرصان (يعني رغيفين) وكان عليّ يأخذ واحدًا (يأكله) ويتصدق بالثاني؛ حتى كاد يصيبه الخواء (الضعف) أو أصابه بعض ذلك.

وبالإضافة للزهد والكرم فلقد كان على بن الفضيل ورعًا يتجنب كل ما فيه شبهة؛ فهذا والده يقول: كانت لنا شاة بالكوفة أكلت شيئًا يسيرًا من علف أمير فما شرب لها علي لبنًا بعد، وفي ذات مرة كان يحج مع والده، وكان الطواف مزدحمًا، فجاء الخليفة فأخلى الحراس له المطاف من الناس ليطوف بحرية، فقال الفضيل بن عياض والد عليّ: يا بنيّ، أمير المؤمنين قد أخلى له الطواف؛ قُمْ حتى نغتنم الطواف، فقال: يا أبتِ: نغتنم خلوة الجور؟!

لقد كان الفتى نعم العون لأبيه على التقي والزهد والورع؛ يخرجان معا للصلاة والحج وأعمال الخير، يقيمان الليل ويصومان معا، دون نسيان بقية أهل البيت، فلقد كان بيت خير وصلاح، وهكذا كانت العلاقة بين الابن وأبيه إلى أن جاء اليوم الموعود فلقد فارق عليّ بن الفضيل الحياة عندما سمع آية من كتاب الله؛ قال الإمام الذهبي:

سمعت إبراهيم بن بشار يقول: الآية التي مات فيها على بن الفضيل في الأنعام: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلاَ نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنعام: ٢٧]، وكانت وفاته رحمه الله في سنة ثلاث وثمانين ومائة هجرية، ولقد افتقده والده وحزن عليه كثيرًا، فها هو الفضيل بعد وفاة ابنه على يقول: قال لي عليٌّ يومًا اسأل الذي جمعنا في الدنيا أن يجمعنا في الآخرة ثم بكى، فلم يزل منكسر القلب حزينًا، ثم بكى الفضيل فقال: حبيبي من كان يساعدني على الحزن والبكاء، يا ثمرة قلبي، شكر الله لك ما قد علمه فيك... وهكذا ظل والده حزينًا عليه حتى لحق به بعد أربعة أعوام، إذ توفى الفضيل بن عياض- رحمه الله- سنة مائة وسبعة وثمانين هجرية، رحمهما الله وأسكنهما فسيح جناته، وألحقنا نحن وأبناءنا بهما على خير، اللهم آمين[1].

* * *

(١) للاستزادة من أخبار الفضيل بن عياض وابنه عليّ انظر: البداية والنهاية ١٠/ ١٨٣، ١٩٨، وتهذيب الكمال ٢١/ ٩٦- ١٠٥، وحلية الأولياء ٨/ ٢٩٧-٣٠٠، وسير أعلام النبلاء ٨/ ٤٤٢-٤٤٨.

لا ترفع يدك عاليًا

قال تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلاَ تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور:٢].

بعض الناس يظن أن معنى قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللهِ﴾ هو أن نضربهم بأقصى ما نملك من قوة، لأنهم ارتكبوا فعلاً فظيعًا، لكن المقصود من الآية غير ذلك؛ إذ قال العلماء مثل: عطاء ومجاهد والضحاك وغيرهم أنه لا يقصد بقوله تعالى: ﴿وَلاَ تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللهِ﴾ شدة الجلد، إنما المقصود هو أن يقام الحد ولا يعطل، فإذا رفع أمر الزنا للسلطان فليس له أن يدعهم رحمة لهم حتى يقيم عليهم الحد، ولقد خرج عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم من طريق عبيد الله بن عبد الله بن عمر: أن جارية لابن عمر زنت، فضرب (ابن عمر) رجليها وظهرها، فقال ابنه له: ﴿وَلاَ تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللهِ﴾ (يعني اضربها أشد من ذلك استجابة لأمر الله ولا تأخذك بها رأفة)، فقال ابن عمر: إن الله لم يأمرني أن أقتلها ولا أن أجلد رأسها، وقد أوجعت حيث ضربت[1].

ولأنه لا ينبغي لمن يقيم الحد أن يضرب بأقصى قوته، فلقد اتفق جمهور الفقهاء على أنه لا ينبغي لمن يقيم الحد أن يرفع يده عاليًا أثناء الضرب، ووضعوا مقياسًا لذلك وهو ألا يظهر إبطه أثناء الضرب، أي لا يرفع يده بحيث يظهر بياض إبطه، ولقد قال الإمام أحمد (رحمه الله): لا يبدي إبطه في شيء من الحدود يعني لا يبالغ في رفع يده؛ لأن المقصود أدبه لا قتله، ولقد أكد الفقهاء على رأيهم هذا بما رواه سفيان عن عاصم عن أبي عثمان أن عمر رضي الله عنه أُتي برجل في حد فقال للجلاد: اضرب ولا ترَ إبطك وأعط كل عضو

---

(١) الدر المنثور ٦/ ١٢٥، ١٢٦ (بتصرف).

حقه. كما استشهدوا بما رواه شعبة عن عاصم عن أبي وائل قال: أدركت عمر جلد رجلاً فقال للجلاد: لا ترني إبطك[١]، ومن هنا فإن على من يقيم الحد على المذنبين ألا يرفع العصا أو السوط عاليًا فوق رأسه، ويساعده على ذلك أن يحرص على عدم ظهور بياض إبطه أثناء الضرب.

وليس المقصود من عدم رفع اليد الميوعة أو التساهل في إقامة الحدود، لكن المقصود هو عدم الشدة والقسوة، ولقد طالب الفقهاء بالوسطية والاعتدال في إقامة الحدود فقالوا: ينبغي لمن يقيم الحد أن يضرب ضربًا بين ضربين، فلا يرفع الضارب يده فوق رأسه بحيث يبدو بياض إبطه لأنه يشتد ألمه وفيه مبالغة في الضرب، ولا يضع السوط عليه وضعًا لا يؤلم، ولكن يرفع ذراعه بعض الشيء ليكسب السوط ثقلاً، وقد روى عن عليٍّ ﷺ أنه قال: «ضرب بين ضربين، وسوط بين سوطين، وهكذا الضرب يكون وسطًا لا شديدًا فيقتل ولا ضعيفًا فلا يردع»[٢].

إن الهدف من إقامة الحدود ليس تعذيب المذنبين، لذلك فإن على من يقيم الحد ألا يضرب بأقصى قوته، لأن ذلك منهي عنه شرعًا، إذ المطلوب الوسطية والاعتدال، وخير دليل على ذلك ما رواه أبو عبيد في غريب الحديث بسند صحيح عن أبي رافع أن عمر ﷺ أُتى بشارب (أي شارب خمر)، فقال لمطيع بن الأسود: إذا أصبحتَ غدًا فاضربه (أقم عليه الحد)، فجاء عمر (في اليوم التالي) فوجده يضربه ضربًا شديدًا، فقال: كم ضربته؟ قال مطيع بن الأسود: ستين، فقال عمر: أقص عنه بعشرين يعني: اجعل شدة هذا الضرب الذي ضربته قصاصًا بالعشرين ولا تضربه العشرين)[٣].

---

(١) انظر: الروض المربع ٣/ ٣٠٤- ٣٠٧، ومنار السبيل ٢/ ٣٢٣، ٣٢٤، وتفسير القرطبي ١٢/ ١٦١- ١٦٣، والكافي في فقه ابن حنبل ٤/ ٢٤١، والتمهيد لابن عبد البر ٥/ ٣٣٣-٣٣٥، وحاشية ابن عابدين ٤/ ١٤.

(٢) انظر: كشاف القناع ٦/ ٨٠- ٨٢، وروضة الطالبين ١٠/ ١٧٢، ١٧٣، والمغنى ٩/ ١٤٠- ١٤٢، ومنار السبيل ٢/ ٢٢٣، ٢٢٤، والكافي في فقه ابن حنبل ٤/ ٢٤١.

(٣) فتح الباري ١٢/ ٧٣، وتفسير القرطبي ١٢/ ١٦١- ١٦٣.

أيها الوالد الكريم، أيتها الأم الحنون

إن الحد لا يقام إلا على شخص قد ارتكب جريمة كبيرة مثل: الزنا أو شرب الخمر أو قذف الطاهرين بالفاحشة، ومع ذلك فإن الإسلام يأمرنا ألا نرفع أيدينا عاليًا، وألا نضربهم بكل ما أوتينا من قوة عندما نقيم الحد عليهم، فلماذا يضرب بعضنا أبناءه إذا أخطأوا بكل شدة وعنف وقسوة، مما قد ينتج عنه كسور، وكدمات، وربما عاهات مستديمة، فالرفق الرفق أيها الآباء، والرحمة الرحمة أيتها الأمهات، فديننا يأمرنا ألا نتعدى حدّ الاعتدال في ضرب المذنبين، فما بالنا بأبنائنا الطيبين، فهيا بنا نترفق بأبنائنا ولا نرفع أيدينا عاليًا عند ضربهم ولا نضربهم بأقصى قوة عند عقابهم، ولنرحم نظرات الرعب والخوف التي تطل من عيونهم عندما نغضب عليهم، ولنحذر من قوله ﷺ فيما رواه الترمذي وأحمد وابن حبان: «**ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا**»[1]، ولقد قال بعض أهل العلم: إن معنى قوله ﷺ: «**ليس منا**» أي: ليس من سنتنا وطريقتنا وليس من أدبنا، وليس المراد به إخراجه عن الدين ولكن فائدة إيراده بهذا اللفظ: المبالغة في الردع عن الوقوع في مثل ذلك، كما يقول الرجل لولده عند معاتبته: لستُ منك ولستَ مني، أي ما أنت على طريقتي[2]، فهيا بنا نتبع النبي ﷺ ونسير على طريقته، لنصل إلى ما يرضاه ربنا، ونكون من الفائزين.

* * *

(١) سنن الترمذي ٤/ ٣٢١، وصحيح ابن حبان ٢/ ٢٠٣، ومسند أحمد ١/ ٢٥٧.
(٢) فتح الباري ٣/ ١٦٣، سنن الترمذي ٤/ ٣٢٢.

توقـــف إذا ذكـــر الله

إذا كنت تحب ربنا اتركني، ارحمني من أجل الله، ارحمني رحمك الله، يا رب يا رب، أعوذ بالله، سامحني من أجل الله...هذه العبارات وأمثالها قد نسمعها من أبنائنا عندما نضربهم، والواجب علينا عند سماع الطفل يذكر الله (بأي من الطرق السابقة) أن نرفع أيدينا عنه مباشرة، ونتوقف عن ضربه تمامًا، والسبب في ذلك ما رواه الترمذي وأبو يعلي عن أبى سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا ضرب أحدكم خادمه فذكر الله؛ فارفعوا أيديكم**»[(١)]، فالنبي ﷺ يأمرنا أن نرفع أيدينا إذا ذكر الله؛ وذلك تعظيمًا لله ومعرفة لقدره سبحانه، ولأن الله عظيم ومن استعان بالعظيم وجب تلبية ندائه، ولهذا قال رسول الله ﷺ -فيما رواه النسائي وابن حبان وأبو داود وأحمد والطبراني-: «**من استعاذ بالله فأعيذوه، ومن سألكم بالله فأعطوه، ومن استجار بالله فأجيروه، ومن أتى إليكم معروفًا فكافئوه فإن لم تجدوا فادعوا له حتى تعلموا أن قد كافأتموه**»[(٢)].

وهذا الحديث- كما قال العلماء- دليل على أن من استعاذ بالله من أي أمر طلب واجب عليه فإنه يعاذ ويترك ما طلب منه أن يفعل، وأنه يجب إعطاء من سأله بالله، وإن كان قد ورد أنه لا يسأل بالله إلا الجنة فمن سأل من المخلوقين بالله شيئًا وجب إعطاؤه إلا أن يكون منهيًا عن إعطائه، وقد أخرج الطبراني من حديث أبى موسى الأشعري أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**ملعون من سأل بوجه الله، وملعون من سُئل بوجه الله ثم منع سائله ما لم يسأل هُجرًا**»[(٣)]، وهُجْرا: بضم الهاء وسكون الجيم أي أمرًا قبيحًا لا يليق، ويحتمل ما لم يسأل سؤالاً قبيحًا أي بكلام يقبح. ولكن العلماء حملوا هذا الحديث على

(١) سنن الترمذي ٤/ ٣٣٧، ومسند أبى يعلي ٣٣١٢.

(٢) صحيح ابن حبان ٨/ ١٦٨، والسنن الكبرى للنسائي ٢/ ٤٣، وسنن أبى داود ٢/ ١٢٨، ومسند أحمد ١/ ٢٤٩، و المعجم الكبير للطبراني ١٢/ ٣٩٧.

(٣) رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح إلا شيخه يحيى بن عثمان بن صالح وهو ثقة وفيه كلام؛ انظر: المعجم الكبير للطبراني ٢٢/ ٣٧٧، والترغيب والترهيب١/ ٣٤٠.

الكراهة ويحتمل أنه يراد به المضطر ويكون ذكره هنا أن منعه مع سؤاله بالله أقبح وأفظع، ويحمل لعن السائل على ما إذا ألح في المسألة حتى أضجر المسئول[١].

وإن مما يؤكد ضرورة التوقف عن ضرب الابن إذا ذكر الله أو استعاذ به سبحانه؛ أن النبي ﷺ غضب غضبًا شديدًا من الصحابي الجليل أبى مسعود الأنصاري؛ لأنه كان يضرب غلامه بشدة واستعاذ بالله فلم يتركه، روى الإمام مسلم عن أبي مسعود أنه كان يضرب غلامه فجعل يقول: أعوذ بالله، قال: فجعل يضربه، فقال: أعوذ برسول الله فتركه، فقال رسول الله ﷺ: «**والله لله أقدر عليك منك عليه**». قال: فأعتقه[٢]، قال العلماء تعليقًا على موقف الصحابي الجليل أبى مسعود الأنصاري: لعله لم يسمع استعاذته الأولى لشدة غضبه، أو يكون لما استعاذ برسول الله ﷺ تنبه لمكان النبي ﷺ؛ فتوقف عن الضرب[٣].

أيها الوالد الكريم، أيتها الأم الحنون

هيا بنا نقدر الله حق قدره، ونتوقف عن ضرب أبنائنا إذا ذكروا الله أو استعاذوا به سبحانه، ونلبي طلباتهم إذا سألوا بالله ما لم يطلبوا شيئًا يضرهم، وعلينا أن نغرس في أبنائنا حب اللجوء إلى الله وتعظيم الاستعاذة به، كما فعل سعد بن أبى وقاص مع أبنائه؛ إذ روى البخاري وابن حبان وابن خزيمة والنسائي والترمذي عن عمرو بن ميمون الأزدي قال: كان سعد يعلم بنيه هؤلاء الكلمات كما يعلم المعلم الغلمان الكتابة، ويقول: إن رسول الله ﷺ كان يتعوذ منهن دبر الصلاة (وفي رواية ابن حبان: بعد كل صلاة)، **اللهم إني أعوذ بك من الجبن، وأعوذ بك أن أرد إلى أرذل العمر، وأعوذ بك من**

(١) سبل السلام ٤/ ١٧٠.
(٢) صحيح مسلم ٣/ ١٢٨١.
(٣) شرح النووي على صحيح مسلم ١١/ ١٣١ (بتصرف).

فتنة الدنيا، وأعوذ بك من عذاب القبر[1].

ولأننا قوم عمليون؛ فإليكم هذه الفكرة العملية التي ستساعدكم- إن شاء الله- على غرس حب اللجوء إلى الله والاستعاذة به سبحانه في قلوب أبنائكم، وتتلخص الفكرة في أن نطلب من أبنائنا أن يستعيذوا بالله من الشيطان الرجيم في كل يوم عشر مرات، ونخبرهم أن من يفعل ذلك يأمر الله ملكًا أن يرد عنه الشيطان فلا يضره، روى أبو يعلي في مسنده عن أنس قال رسول الله ﷺ: «**من استعاذ بالله في اليوم عشر مرات من الشيطان وكل الله به ملكًا يرد عنه الشياطين**»[2].

فاللهم إنا نعوذ بك من الشيطان الرجيم، ونسألك يا ذا الجلال والإكرام أن توفقنا في تربية أبنائنا، إنك نعم المولى ونعم النصير.. آمين.

* * *

(١) صحيح البخاري ٣/ ١٠٣٨، وصحيح ابن حبان ٥/ ٣٧١، وصحيح ابن خزيمة ١/ ٣٦٧، وسنن النسائي ٨/ ٢٥٦، وسنن الترمذي ٥/ ٥٦٢.

(٢) مسند أبي يعلي ٧/ ١٤٦.

بدلاً من اللعنة اجعلها رحمة

للأبناء- صغيرهم وكبيرهم- الكثير من التصرفات التي قد تخرج الآباء عن شعورهم، والآباء في كثير من الأحيان معذورون فيما يفعلون، لكن الشيء المرفوض هو أن ينفعل بعض الآباء على الأبناء فيضربونهم وأثناء الضرب يلعنون أبناءهم؛ وذلك بقولهم: الله يلعنك، أو أنت ملعون، وربما يقول البعض: لعنك الله، أو عليك اللعنة، وهذه اللعنات التي نصبها على أبنائنا مرفوضة شرعًا حتى لو جاءنا أحدهم وقد شرب الخمر (لا قدر الله)، فقد أورد البخاري في صحيحه بابًا أسماه: باب ما يكره من لعن شارب الخمر وإنه ليس بخارج من الملة، وفي هذا الباب يروى لنا عمر ابن الخطاب ﷺ أن رجلاً على عهد النبي ﷺ كان اسمه عبد الله وكان يلقب حمَّارا وكان يضحك رسول الله ﷺ، وكان النبي ﷺ قد جلده في الشراب فأتى به يومًا فأمر به فجُلد فقال: رجل من القوم : اللهم العنه، ما أكثر ما يؤتي به. فقال النبي ﷺ: «**لا تلعنوه فوالله ما علمت إلا أنه يحب الله ورسوله**»(١).

لقد كان السبب الذي دفع الصحابي إلى لعن أخيه (حمَّار) هو تعدد مرات اقترافه لذنب شرب الخمر، والدليل على ذلك قوله: اللهم العنه، ما أكثر ما يؤتي به، ومع ذلك نهانا النبي ﷺ عن لعن صاحبه، ولعل هذه رسالة إلى الآباء الذين يقولون: إن أبناءنا يقعون في الخطأ عدة مرات، ومهما فعلنا ونبهنا وحذرنا فإنهم – أي الأبناء – يعودون لما نهيناهم عنه، مما يخرجنا عن شعورنا فنصب عليهم اللعنات دون أن نشعر.

إن المسلم الصالح عفيف اللسان حلو الكلام، لذلك تراه يبتعد عن اللعنات والشتائم مهما كان الدافع وراءها، لأن اللعنة في الدعاء يراد بها الإبعاد من رحمة الله تعالى، وليس الدعاء بهذا من أخلاق المؤمنين الذي وصفهم الله تعالى بالرحمة بينهم والتعاون على البر والتقوى، وجعلهم كالبنيان يشد بعضه بعضًا وكالجسد الواحد،

---

(١) صحيح البخاري ٦/ ٢٤٨٩.

وأن المؤمن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، فمن دعا على أخيه المسلم باللعنة وهي الإبعاد من رحمة الله تعالى فهو من نهاية المقاطعة والإساءة[١]، وكما أن المسلم الصالح يتجنب لعن المسلمين؛ فإنه يحفظ لسانه أيضًا عن لعن الحيوانات والبهائم والطيور، وهذا ما نادى به رسولنا الكريم ﷺ؛ إذ نهانا عن لعن الطيور والحيوانات أو شتمها؛ فقد روى البزار والطبراني عن عبد الله بن مسعود ﷺ أن الديك صرخ ثَمَّ (أي:عند) النبي ﷺ فقال رجل: اللهم العنه، فقال النبي ﷺ «**لا تلعنه ولا تسبه فإنه يدعو إلى الصلاة**»[٢]، وعن أنس ﷺ قال: كنا ثَمَّ رسول الله ﷺ فلدغت رجلاً برغوث فلعنها فقال النبي ﷺ «**لا تلعنها فإنها نبهت نبيًا من الأنبياء للصلاة**»[٣].

كيف تطرد ابنك من رحمة الله؟

أيها الوالد الكريم، أيتها الأم الحنون

إن أحدًا منا لا يريد أن يكون سببًا في طرد ابنه من رحمة الله، لذلك علينا أن نتجنب لعن أبنائنا مهما كان السبب، وإن مما يساعدنا على تجنب لعن أبنائنا هو أن نعرف نتائج هذه اللعنات في الدنيا والآخرة، فانتبهوا معنا- من فضلكم- لما يلي:

أولاً: اللعن قد يكون من الكبائر:

روى الطبراني بإسناد جيد عن سلمة بن الأكوع ﷺ قال: كنا إذا رأينا الرجل يلعن أخاه رأينا أنه قد أتي بابا من الكبائر[٤]. ولعل السبب في نظر بعض الصحابة إلى اللعن على أنه كبيرة من الكبائر هو قول النبي ﷺ فيما رواه البخاري ومسلم: «**من حلف بغير ملة الإسلام فهو كما قال، ومن قتل نفسه**

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم ١٦/ ١٤٨، ١٤٩ (بتصرف).

(٢) الترغيب والترهيب ٣/ ٣١٤، والمعجم الكبير ١٠/١٦.

(٣) رواه أبو يعلي واللفظ له والبزار إلا أنه قال: «**لا تسبه فإنه أيقظ نبيًا من الأنبياء لصلاة الصبح**» ورواته رواة الصحيح إلا سويد بن إبراهيم ورواه الطبراني في الأوسط ولفظه: ذُكرت البراغيث ثم رسول الله ﷺ فقال: «**إنها توقظ للصلاة**» ورواة الطبراني ثقات إلا سعيد بن بشير، انظر: الترغيب والترهيب من ٣/ ٣١٥.

(٤) الترغيب والترهيب ٣/ ٣٠٣، والمعجم الأوسط ٦/ ٣٨٠.

بشيء عُذب به في نار جهنم، ولعن المؤمن كقتله، ومن رمى مؤمنًا بكفر فهو كقتله»[١]، ولقد علق الإمام النووي- رحمه الله- على هذا الحديث قائلاً: لعن المؤمن كقتله؛ لأن القاتل يقطعه عن منافع الدنيا وهذا يقطعه عن نعيم الله تعالى، وقيل: معنى لعن المؤمن كقتله في الإثم وهذا أظهر[٢].

ثانيًا: قد يستجيب الله دعاءك باللعنة على ابنك:

روى الإمام أحمد عن أبي هريرة ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ في سفر يسير فلعن رجل ناقة فقال: «**أين صاحب الناقة؟**» فقال الرجل: أنا، فقال: «**أخرها فقد أجيب فيها**»[٣]، وروى الإمام مسلم وأحمد والنسائي (واللفظ لمسلم) عن عمران بن حصين ﷺ قال: بينما رسول الله ﷺ في بعض أسفاره وامرأة من الأنصار على ناقة فضجرت فلعنتها فسمع ذلك رسول الله ﷺ فقال: «**خذوا ما عليها ودعوها فإنها ملعونة**». قال عمران: فكأني أراها الآن تمشي في الناس ما يعرض لها أحد[٤]، وروى ابن حبان في صحيحه وأبو يعلي في مسنده عن أبي برزة ﷺ أن جارية بينا هي على بعير أو راحلة عليها متاع القوم ... وأتى عليها رسول الله ﷺ فلما أبصرته جعلت تقول: حلّ اللهم العنه، اللهم العنه. فقال رسول الله ﷺ: «**لا تصبحنا راحلة عليها لعنة من الله**»[٥].

لقد استجاب الله سبحانه وتعالى لعنة هذه اللاعنة في ناقتها، فصارت مطرودة من رحمة الله، لذلك قال رسول الله ﷺ: «**لا تصحبنا راحلة عليها لعنة من الله**»[٦]، فاحذروا أيها الآباء- رحمكم الله- من لعن أبنائكم، فربما يستجيب الله لكم، فتكونون قد تسببتم في طردهم من رحمة ربكم.

---

(١) صحيح البخاري ٦/ ٢٤٥١، وصحيح مسلم ١/ ١٠٤.
(٢) شرح النووي على صحيح مسلم ١٦/ ١٤٨، ١٤٩.
(٣) مسند أحمد ٢/ ٤٢٨.
(٤) انظر: صحيح مسلم ٤/ ٢٠٠٤، السنن الكبرى للنسائي ٥/ ٢٥٢، مسند أحمد ٤/ ٤٣١.
(٥) صحيح ابن حبان ١٣/ ٥٣، ورواه أبو يعلي في مسنده ١٣/ ٤٢٤.
(٦) قال أبو حاتم ﷺ معلقًا على هذه الحادثة: تسييب الراحلة التي لُعنت أمر أضمر فيه سببه؛ وهو حقيقة استجابة الدعاء للاعن، فمتى علم استجابة الدعاء من لاعن ما راحلة له أمرناه بتسييبها، ولا سبيل إلى علم هذا لانقطاع الوحي فلا يجوز استعمال هذا الفعل لأحد أبدًا؛ انظر: صحيح ابن حبان ١٣/ ٥٣.

ثالثا: قد تعود اللعنة إلى صاحبها:

روى أبو داود عن أبى الدرداء ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن العبد إذا لعن شيئًا صعدت اللعنة إلى السماء فتغلق أبواب السماء دونها، ثم تهبط إلى الأرض فتغلق أبوابها دونها، ثم تأخذ يمينًا وشمالاً فإن لم تجد مساغًا رجعت إلى الذي لُعن فإن كان أهلاً وإلا رجعت إلى قائلها»**[١]، وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رجلاً لعن الريح عند رسول الله ﷺ فقال: **«لا تلعن الريح فإنها مأمورة، وإنه من لعن شيئًا ليس له بأهل رجعت اللعنة عليه»**[٢].

إن اللعنة إذا عادت إلى صاحبها؛ فهذا قد يعني أنه مطرود من رحمة الله، وهذا والله هو الخسران المبين، وهذا ما جعل سيدنا عبد الله بن مسعود يخرج هاربًا من بيت أخيه، خشية أن ترجع اللعنة عليه، روى الإمام أحمد عن أبى عمير ﷺ أنه كان صديقًا لعبد الله بن مسعود وأن عبد الله بن مسعود زاره في أهله فلم يجده قال: فاستأذن على أهله وسلّم فاستسقى قال: فبعثت الجارية تجيئه بشراب من الجيران فأبطأت فلعنتها، فخرج عبد الله فجاء أبو عمير فقال: يا أبا عبد الرحمن ليس مثلك يغار عليه هلا سلمت على أهل أخيك وجلست وأصبت من الشراب قال: قد فعلت فأرسلت الخادم فأبطأت إما لم يكن عندهم وإما رغبوا فيما عندهم، فأبطأت الخادم؛ فلعنتها، وسمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إن اللعنة إذا وجهت إلى من وجهت إليه فإن أصابت عليه سبيلاً أو وجدت فيه مسلكًا وإلا قالت: يا رب وجهت إلى فلان فلم أجد عليه سبيلاً ولم أجد فيه مسلكًا فيقال لها: ارجعي من حيث جئت»** فخشيت أن تكون الخادم معذورة فترجع اللعنة، فأكون سببها[٣] .

---

(١) سنن أبى داود ٤/ ٢٧٧.

(٢) رواه أبو داود والترمذي وابن حبان في صحيحه وقال الترمذي: حديث غريب لا نعلم أحدًا أسنده غير بشر بن عمر، قال الحافظ: وبشر هذا ثقة احتج به البخاري ومسلم وغيرهما، ولا أعلم فيه جرحًا؛ انظر: الترغيب والترهيب ٣/ ٣١٥.

(٣) مسند أحمد ١/ ٤٠٨، والترغيب و الترهيب ٣/ ٣١٣.

رابعًا: باللعن تعين الشيطان على ابنك:

روى ابن حبان والبيهقي وأبو يعلي عن أبي هريرة ﷺ: قال: أتى رسول الله ﷺ بشارب (يعني: شارب خمر) فقال: «**اضربوه**»؛ فمنا الضارب بيده ومنا الضارب بنعله، فقال بعض القوم: أخزاك الله! فقال رسول الله ﷺ: «**لا تقولوا هكذا، لا تعينوا الشيطان عليه**»[(١)]، ولقد وعى سيدنا عبد الله بن مسعود الدرس جيدا، فانطلق يوصي التابعين قائلاً: إذا رأيتم أخاكم قارف ذنبًا فلا تكونوا أعوانًا للشيطان عليه؛ تقولوا: اللهم اخزه، اللهم العنه، ولكن سلوا الله العافية، فإنا أصحاب محمد ﷺ كنا لا نقول في أحد شيئًا حتى نعلم على ما يموت، فإن ختم له بخير علمنا أنه قد أصاب خيرًا، وإن ختم له بشر خفنا عليه عمله[(٢)]. فهيا بنا معشر الآباء نعمل بهذه الوصية، وكفانا عونًا للشيطان على أبنائنا.

خامسًا: اللعّان لا يكون شفيعًا ولا شهيدًا:

كان أبو الدرداء ﷺ كباقي الصحابة- يحب الجلوس بين يدي النبي ﷺ، وفي يوم من الأيام سمع النبي ﷺ يقول: «**إن اللعانين لا يكونون شهداء ولا شفعاء يوم القيامة**»، ولقد نقل أبو الدرداء الحديث بكل أمانة إلى زوجته، وهذا هو ما يقوم به الزوج الناصح الأمين، ولعله فعل ذلك حتى يكون البيت كله بعيدًا عن اللعن، قريبًا من رحمة الله. ولقد فهمت أم الدرداء – رضي الله عنها- الحديث جيدا، وعلمته لغيرها بصورة تربوية رائعة؛ روى الإمام مسلم وأبو داود والبيهقي وابن حبان عن زيد بن أسلم قال:«كان عبد الملك بن مروان يرسل إلى أم الدرداء فتبيت ثَـمَّ نسائه ويسائلها عن الشيء. قال: فقال ليلة فدعا خادمه فأبطأت عليه؛ فلعنها،(قال: اللهم العنها) فقالت: لا تلعن فإن أبا الدرداء حدثني أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**إن اللعانين لا يكونون يوم القيامة شفعاء ولا شهداء**»[(٣)]، ولقد شرح لنا الإمام النووي- رحمه الله-

---

(١) صحيح ابن حبان ١٣/ ٣٧، وسنن البيهقي الكبرى ٨/ ٣١٢، ومسند أبي يعلي ١٠/ ٣٨٦.
(٢) المعجم الكبير ٩/ ١١٠.
(٣) صحيح مسلم ٤/ ٢٠٠٦، وسنن أبي داود ٤/ ٢٧٧، وصحيح ابن حبان ١٣/ ٥٦، وسنن البيهقي الكبرى ١٠/ ١٩٣.

معنى فقدان المسلم لشرف الشفاعة والشهادة فقال: وأما قوله ﷺ:«**إن اللعانين لا يكونون شفعاء**» فمعناه: لا يشفعون يوم القيامة حين يشفع المؤمنون في إخوانهم وأهليهم الذين استوجبوا النار، ومعنى قوله ﷺ «**ولا شهداء**»: ففيه ثلاثة أقوال؛ أولها وهو أصحها: لا يكونون شهداء يوم القيامة على الأمم بتبليغ رسلهم إليهم الرسالات، والثاني: لا يكونون شهداء في الدنيا أي لا تقبل شهادتهم لفسقهم، والثالث: لا يرزقون الشهادة وهي القتل في سبيل الله، وإنما قال ﷺ لا يكون اللعانون شفعاء بصيغة التكثير ولم يقل لاعنًا ولا اللاعنون، لأن هذا الذم في الحديث إنما هو لمن كثر منه اللعن لا لمرة ونحوها ولأنه يخرج منه أيضًا اللعن المباح وهو الذي ورد الشرع به، وهو لعنة الله على الظالمين مثل: لعن الله اليهود والنصارى، لعن الله الواصلة والواشمة وشارب الخمر وآكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه والمصورين ومن انتمى إلى غير أبيه ومن غير منار الأرض وغيرهم ممن هو مشهور في الأحاديث الصحيحة[١].

سادسًا: اللعّان لا يكون صدّيقًا:

قال تعالى:﴿**وَمَن يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا**﴾ [النساء:٦٩].

الدرجات العلا من الجنة يسكنها أربعة أصناف، هم على الترتيب: النبيون والصديقون والشهداء والصالحون، فالصديقون هم الذين يتلون الأنبياء، والشهداء هم الذين يتلون الصديقين، والصالحون يتلون الشهداء[٢]، الصديقون هم أفاضل أصحاب الأنبياء لمبالغتهم في الصدق والتصديق[٣]، ولأنهم آمنوا بالرسل ولم يكذبوهم طرفة عين مثل: مؤمن آل فرعون وصاحب آل ياسين وأبى بكر الصديق وأصحاب الأخدود[٤]، ولا يصل اللعان إلى هذه الدرجة العالية والمنزلة الرفيعة،

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم ١٦/ ١٤٩.
(٢) تفسير القرطبي ١٧/ ٢٥٣.
(٣) تفسير الجلالين ١/ ١١٢.
(٤) تفسير القرطبي ١٧/ ٢٥٤.

والدليل على ذلك ما رواه الإمام مسلم عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ: **«لا ينبغي لصدِّيق أن يكون لعانًا»**[١].

وروى البيهقي عن عائشة رضي الله عنها قالت: مر النبي ﷺ بأبي بكر وهو يلعن بعض رقيقه فالتفت إليه وقال: **«يا أبا بكر لعانين وصديقين كلا ورب الكعبة»**، فعتق أبو بكر ﷺ يومئذ بعض رقيقه. قال: ثم جاء إلى النبي ﷺ فقال: لا أعود[٢].

أيها الآباء والأمهات

إننا بحاجة ماسة إلى إخراج اللعن من بيوتنا، حتى تكون بيوتًا عامرة بالأمن والأمان والرحمة والرضوان، فهيا بنا نتوب إلى الله إن كنا نلعن أبناءنا، وننوى ألا نعود إلى هذا السلوك الذي لا يليق بالمؤمنين، عسى أن يجعلنا الله مع الذين أنعم - سبحانه وتعالى - عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقا، وبدلاً من أن ندعو على أبنائنا- عند الغضب- باللعن والطرد من رحمة الله، هيا بنا ندعو لهم بالدخول في رضوان الله ومغفرته، وهذا ما علّمه النبي ﷺ لصحابته الكرام، فعن أبي هريرة: أن النبي ﷺ أتى بشارب (أي شارب خمر)، فأمر النبي ﷺ أصحابه أن يضربوه؛ فمنهم من ضربه بنعله ومنهم بيده ومنهم بثوبه، ثم قال: **«ارجعوا»**، ثم أمرهم فبكّتوه فقالوا:ألا تستحي، مع رسول الله ﷺ تصنع هذا ثم أرسله (أي تركه)، فلما أدبر (رجع) وقع القوم يدعون عليه ويسبّونه؛ يقول القائل: اللهم أخزه، اللهم العنه، فقال رسول الله ﷺ: **«لا تقولوا هكذا لكن قولوا: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه»**[٣]، فاللهم ارحم أبناءنا واغفر لهم، واجعلهم صالحين مصلحين، إنك سبحانك نعم المولى ونعم النصير.

* * *

---

(١) صحيح مسلم ٤/ ٢٠٠٥.

(٢) الترغيب والترهيب ٣/ ٣١٢.

(٣) سنن البيهقي الكبرى ٨/ ٣١٢، وسنن أبي داود ٤/ ١٦٣.

قصيرة ورفيعة وليّنة

عندما نتحدث عن الضرب لابد أن نـذكر أداة الضـرب أو وسيلته؛ والنـاس في ذلك مختلفون؛ فمنهم من يضرب بيده، والبعض يضرب- بدون مبالغـة- بيـد المقشـة الخشبية أو بحزامه الجلدي، والبعض الأخر يضـرب بالحـذاء والمنفضـة الـتي تسـتخدم لتنظيف الأثاث المنزلي، وبعض الآباء يضع عصا غليظة من الخيرزان فـوق الـدولاب ليضرب بها عند اللزوم، وهناك نوع من الآباء يضرب أبناءه بما يقـع تحـت يديـه مـن أدوات عندما يغضب، والسؤال الذي يطرح نفسه الآن: ما وسيلة الضـرب المناسـبة، وبمعنى آخر: ما هي أداة الضرب التي يبيحها ديننا الحنيف؟ والحقيقة أن الإسـلام قـد وضع عدة شروط يجب أن تتوافر في الأداة التي نضرب بها، وذلك حتى تحقق الهـدف منها دون الإضرار بالمضروب؛ فلا تكسر له عظمًا، أو تقطع لـه جلـدًا، أو تهتـك لـه لحمًـا، ولا تفسـد لـه جارحـة، وتـتلخص هـذه المواصـفات وتلـك الشـروط فيما يلي:

أولاً: تكون ليّنة ومرنة:

وروى الإمام مالك عن زيد بن أسلم أن رجلا اعترف علـى نفسـه بالزنـا علـى عهد رسول الله ﷺ، فدعا له رسول الله ﷺ بسوط (أي طلب سوطًا ليقـيم بـه الحـد عليه)، فأتى بسوط مكسور فقال: **فوق هذا** (أي: أشد وأقوى منه)، فأتى بسوط جديد لم تقطع ثمرته،[1] فقال: **دون هذا** (أي أقل قوة منه)، فأتى بسوط قد ركب به ولان[2]، فأمر به رسول الله ﷺ فجلد ثم قال: «**أيها الناس قد آن لكم أن تنتهوا عن حدود الله، من أصاب من هذه القاذورات شيئًا فليستتر بستر الله فإنه من يُبْدِ لنا صفحته نقم عليه**

(١) قوله: بسوط لم تقطع ثمرته: أراد لم يمتهن ولم يلن، والثمرة «الطرف»، وإذا ركـب الراكـب علـى الدابـة وضربها كثيرًا بالسوط ذهب طرفه، تقول العرب: ثمرة السوط وذباب السيف، انظر: التمهيد لابن عبد البر ٥/ ٣٢٣.

(٢) قوله: «وركِب» به بضم الراء وكسر الكاف على صيغة المجهول أي ركب به الراكب على الدابة وضـربها به حتى لان، انظر: نيل الأوطار ٧/ ٢٨٤.

كتاب الله»[١]، وروى البيهقي عن أبى عثمان النهدي قال: أُتى عمر بن الخطاب رضي الله عنه برجل في حد، فأتى بسوط فيه شدة فقال: أريد ألين من هذا، ثم أتى بسوط فيه لين فقال: أريد أشد من هذا، فأتى بسوط بين السوطين فقال: اضرب ولا يُرَي إبطك، وأعط كل عضو حقه[٢]، وفي زمن سيدنا عمر بن الخطاب كان السوط يدق بين حجرين حتى يصبح لينًا ومرنًا ثم يضربون به؛ فعن حنظلة السوسي قال: سمعت أنس بن مالك يقول: كان يؤمر بالسوط فتقطع ثمرته (أي طرفه) ثم يدق بين حجرين حتى يلين، ثم يضرب به، قلنا لأنس: في زمن مَنْ كان هذا؟ قال: في زمن عمر بن الخطاب[٣]، ومن هنا قال الفقهاء: ينبغي أن يكون السوط الذي يجلد به لينًا ومرنًا ومتوسطًا بين الجديد والعتيق (القديم)، لأن الغرض الإيلام دون الجرح إذ الجديد يجرح والبالي لا يؤلم، وهكذا إذا كان الجلد بعود ينبغي أن يكون متوسطًا بين الكبير والصغير؛ فلا يكون من الخشب التي تكسر العظم وتجرح اللحم، ولا من الأعواد الرقيقة التي لا تؤثر في الألم، فإن ضربه بجريدة فلتكن خفيفة بين اليابسة والرطبة، لقول على بن أبى طالب: ضرب بين ضربين، وسوط بين سوطين، يعني وسطًا[٤].

ثانيًا: تكون رفيعة:

ليس المقصود بكونها رفيعة أن تكون رفيعة جدًا، ولكن المقصود ألا تكون غليظة، ولقد قال الفقهاء: أن سُمْك السوط الذي يجلد به في الحدود يكون تقريبًا مثل سُمك الإصبع[٥]، وإذا كان هذا هو سُمك أداة إقامة الحدود وهي من أشد الذنوب، فينبغي أن تكون العصا التي نؤدب بها أبناءنا عندما يخطئون أرفع من الإصبع، بل ربما يجب أن تكون أرفع من الإصبع بكثير.

---

(١) موطأ مالك (٢/ ٨٢٥).
(٢) سنن البيهقي الكبرى ٨/ ٣٢٦، ٣٢٧.
(٣) التمهيد لابن عبد البر ٥/ ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٥، وحاشية ابن عابدين ٤/ ١٣.
(٤) انظر: نيل الأوطار ٧/ ٢٨٥، شرح النووي على صحيح ١١/ ٢١٨، كشاف القناع ٦/ ٨٠- ٨٢، وتفسير القرطبي ١٢/ ١٦١- ١٦٣، والمبدع ٩/ ٤٧- ٤٩.
(٥) نيل الأوطار ٧/ ٢٨٥.

ثالثًا: طولها ذراع [٦٠ سنتيمترًا]:

تحدث الفقهاء عن طول العصا أو السوط الذي يجلد به في الحدود، وقالوا: ينبغي أن يكون معتدلاً في الحجم ووسطًا بين القضيب (غصن الشجرة الصغير) والعصا، أي فوق القضيب ودون العصا(١)، والعصا طولها (كما في لسان العرب) حوالي ذراع(٢)، ومن هنا حدد بعض الفقهاء طول السوط أو العصا التي يجلد بها فقالوا: طوله حوالي ذراع(٣)، أي ستون سنتيمترًا تقريبًا، وربما ينقص عنها قليلاً، والهدف من كونها قصيرة بطول ذراع، حتى تأتي في المكان الذي تضرب فيه، ولا تصيب الطفل في مكان آخر، وتكون رفيعة، حتى لا تكسر له عظمًا، ولا تقطع له جلدًا.

رابعًا: ليس في طرفها عقدة وليس لها رأسان:

قال الفقهاء: ينبغي ألا يكون في طرف السوط الذي يجلد به في الحدود عقدة أو ما شابهها، واستدلوا بما روى عن أنس بن مالك ﷺ أنه كان يؤمر بالسوط فتقطع ثمرته (طرفه)، ثم يدق بين حجرين حتى يلين، ثم يضرب به، وقالوا: إن المراد مما رواه سيدنا أنس هو ألا يضرب بالسوط أو العصا وفي طرفها يبس؛ لأنه يجرح أو يبرح، فكيف إذا كان فيه عقدة؟ إذاً ينبغي تجنب الضرب بالعصا التي في طرفها خشونة أو عقدة أو ما شابه ذلك، ولا يضرب بمثل هذه العصا حتى يدق رأسها فيصير متوسطًا ولينًا(٤)، وكما رفض الفقهاء الضرب بالسوط الذي في طرفه عقدة؛ فقد منعوا الضرب بالسوط الذي له طرفان أو رأسان، وقالوا: إن الجَلْد في الحدود كالزنا والقذف وشرب الخمر يكون بسوط جلد له رأس لين لا رأسان(٥)...

والحكمة من النهي عن الضرب بالعصا التي في طرفها عقدة أو لها رأسان؛ هي

(١) الأنصاف للمرادي ١٠/ ١٥٥، وكشاف القناع ٦/ ٨٠، وشرح النووي على صحيح مسلم ١١/ ٢١٨، والمبدع ٩/ ٤٧، وروضه الطالبين ١٠/ ١٧٢، ومنار السبيل ٢/ ٣٢٣، ٣٢٤، الروض المربع ٢/ ٤٣٧.
(٢) لسان العرب ١١/ ٥٥٥، و ١٣/ ٣٣١.
(٣) نيل الأوطار ٧/ ٢٨٥.
(٤) حاشية ابن عابدين ٤/ ١٣ (بتصرف).
(٥) الشرح الكبير ٤/ ٣٥٤ (بتصرف)

الحفاظ على سلامة المضروب، وعدم إفساد أي جارحة من جوارحه، أو حتى قطع جلده أو خدشه، فلقد روى البيهقي: أن عمر بن الخطاب أتي بامرأة قد زنت فقال: ويل للمرأة أفسدت حسبها، اذهبا فاجلداها ولا تخرقا جلدها[1].

الزجاج المكسور والعصا ذات المسامير

أحد الأطفال كان يلعب داخل المنزل، وأثناء اللعب كسر زجاج النافذة، فجاء أبوه إليه بعد أن سمع صوت تكسر الزجاج وسأل: من كسر زجاج النافذة؟ قيل له: ولدك، لم يتمالك الوالد أعصابه وتناول عصا غليظة من الأرض وأقبل على ولده يشبعه ضربًا...أخذ الطفل يبكي ويصرخ ويطلب من والده العفو والسماح دون فائدة، وبعد أن توقف الأب عن الضرب جرّ الولد قدميه إلى فراشه وهو يشكو الإعياء والألم فأمضى ليله فزعًا...

أصبح الصباح وجاءت الأم لتوقظ ولدها، فرأت يداه مخضرّتان فصاحت في الحال، وهبّ الأب إلى حيث الصوت وعلى ملامحه أكثر من دهشة وقد رأى ما رأته الأم، فقام بنقله إلى المستشفى وبعد الفحص قرر الطبيب أن اليدين متسممتان، وتبين أن العصا التي ضرب بها الطفل كانت فيها مسامير قديمة أصابها الصدأ، لم يكن الأب ليلتفت إليها لشدة ما كان فيه من فورة الغضب، مما أدى ذلك إلى أن تغرز المسامير في يدي الولد وتسرّب السمّ إلى جسمه، فقرر الطبيب أنه لا بدّ من قطع يدي الطفل؛ حتى لا يسري السم إلى سائر جسمه، فوقف الأب حائرًا لا يدري ما يصنع وماذا يقول؟

قال الطبيب: لا بدّ من ذلك، والأمر لا يحتمل التأخير، فاليوم قد تقطع الكف وغدًا ربما تقطع الذراع، وإذا تأخّرنا ربما اضطررنا أن نقطع اليد إلى المرفق ثم من الكتف، وكلما تأخّرنا أكثر تسرب السم إلى جسمه وربما مات.. لم يجد الأب حيلة إلا أن يوقع على إجراء العملية، فقطعت كفًّا الطفل، وبعد

---

(١) سنن البيهقي الكبرى ٨/ ٣٢٧، ومصنف عبد الرزاق ٧/ ٣٧٤

أن أفاق من أثر التخدير نظر وإذا يداه مقطوعتان، فتطلّع إلى أبيه بنظرة متوسلة وصار يحلف أنه لن يكسر أو يتلف شيئًا بعد اليوم شرط أن يعيد إليه أبوه يديه، لم يتحمل الأب الصدمة وضاقت به السُبُل فلم يجد وسيلة للخلاص والهروب إلا أن ينتحر، فرمى بنفسه من أعلى المستشفى وكان في ذلك نهايته...فجاء الشاعر عدنان عبد القادر أبو المكارم ليصوغ قصته في قالب شعري حزين فقال:

كسر الغلام زجاج نافذة البنا ... من غير قصد شأنه شأن البشر
فأتاه والده وفي يده عصا ... غضبان كالليث الجسور إذا زأر
مسك الغلام يدق أعظم كفه ... لم يبق شيئًا في عصاه ولم يذر
والطفل يرقص كالذبيح ودمعه ... يجري كجري السيل أو دفق المطر
نام الغلام وفي الصباح أتت له ... الأم الرؤوم فأيقظته على حذر
وإذا بكفيه كغصن أخضر ... صرخت فجاء الزوج عاين فانبهر
وبلمحة نحو الطبيب سعى به ... والقلب يرجف والفؤاد قد انفطر
قال الطبيب وفي يديه وريقة ... عجّلْ ووقعْ هاهنا وخذ العبر
كف الغلام تسممت إذ بالعصا ... صدأ قديم في جوانبها انتشر
في الحال تقطع كفه من قبل أن ... تسري السموم به ويزداد الخطر
نادى الأب المسكين وا أسفي على ... ولدي ووقعَ باكيا ثم استتر
قطع الطبيب يديه ثم أتى به ... نحو الأب المنهار في كف القدر
قال الغلام أبي وحق أمي ... لا لن أعود فرُدَّ ما مني انبتر
شُدِهَ الأب الجاني وألقى نفسه ... من سطح مستشفى رفيع فانتحر[1]

(١) http://www.egyptsons.com/misr/showthread.php?t=10259



كيف نمسك العصا؟

لقد اهتم العلماء اهتمامًا شديدًا بموضوع الضرب، فتحدثوا عن كيفيته ووقته وأماكن الجسم التي نضرب فيها والتي لا نضرب فيها، والعجيب أنهم بعد أن حددوا مواصفات العصا التي نضرب بها؛ بينوا كيف يمسك الضارب بها عندما يضرب، فقالوا: ويقبض الضارب على السوط أو العصا بالخنصر والبنصر والوسطي دون السبابة والإبهام يقبضهما فوق الوسط فارغين، ويخرج السوط من بين السبابة والوسطي[1].

والحقيقة إن الهدف من إمساك العصا بهذه الكيفية؛ هي أن يكون الضرب وسطًا لا شديدًا فيقتل ولا ضعيفًا فلا يردع، وهذا هو ما قصده سيدنا على بن أبى طالب عندما تحدث عن الضرب المطلوب فقال: ضرب بين ضربتين وسوط بين سوطين[2].

أيها الوالد الكريم، أيتها الأم الحنون

هيا بنا نتأمل الموقف التالي بين النبي ﷺ والسيدة أم سلمة خادمتها، روى الإمام أحمد وأبو يعلي والطبراني عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ في بيتي، وكان بيده سواك، فدعا وصيفة له (يعني خادمة) أو لها حتى استبان الغضب في وجهه، فخرجت أم سلمة إلى الحجرات فوجدت الوصيفة وهي تلعب ببهمة[3]، فقالت: ألا أراك تلعبين بهذه البهمة ورسول الله ﷺ يدعوك، فقالت: لا والذي بعثك بالحق ما سمعتك، فقال رسول الله ﷺ: «**لولا خشية القود لأوجعتك بهذا السواك**»، وفي رواية قال ﷺ: «**لولا القصاص لضربتُك بهذا السواك**»[4].

---

(١) الشرح الكبير ٤/ ٣٥٤ (بتصرف)

(٢) منار السبيل ٢/ ٣٢٣، وكشاف القناع ٦/ ٨٠، والمغنى ٩/ ١٤٢.

(٣) البَهْمَة: هي ولد الضأن (الخروف) ذكرًا كان أو أنثى، إذاً البهمة هي الخروف الصغير، انظر: مختار الصحاح ١/ ٢٧.

(٤) رواه أبو يعلي بأسانيد أحدها جيد، ورواه أحمد بأسانيد أحدها جيد، ورواه الطبراني؛ انظر: الترغيب والترهيب ٣/ ١٥٣، ٤/ ٢١٨، ومسند أبي يعلي ١٢/ ٣٦٠، ٣٧٣.

إن النبي ﷺ في الموقف السابق لخص مواصفات عصا الضرب، وذلك بقوله ﷺ: «**لضربتُك بهذا السواك**»، فالسواك يجمع – تقريبًا- كل مواصفات العصا التي تحدث عنها الفقهاء؛ فأفضل أنواع السواك الرفيع الذي يتخلل بين الأسنان، وهذه من صفات عصا الضرب وهي أن تكون غير غليظة، وأفضل أنواع السواك اللين والمرن لأنه يكون حديثًا وجيدًا، وهذه صفة أخرى من صفات العصا وهي أن تكون لينة ومرنة والسواك الذي كان يستخدمه النبي ﷺ وصحابته الكرام لم يكن قصيرًا ولا طويلاً، بمعنى أنه كان يقترب من الطول المطلوب في عصا الضرب وهو ذراع أو أقل قليلاً (ستين سنتيمترًا أو يقل عنها)، وهكذا لخص النبي ﷺ المواصفات التي ينبغي أن تتوافر في العصا التي نضرب بها بقوله: «**لأوجعتُك بهذا السواك**». وبقى أن نقول: إنه مع توافر المواصفات في السواك، إلا أن النبي ﷺ لم يضرب به خشية أن يكون ظالمًا للخادمة فتقتص منه يوم القيامة، فهيا بنا نقتدي بحبيبنا محمد ﷺ، ونترفق في ضرب أبنائنا وتلامذتنا، خشية القصاص في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

* * *

لا مدّ ولا قيد ولا تجريد

في دولة عربية، اشترى أحد الآباء فيلا جديدة، وفَرَشَها بأجمل الأثاث، وانتقل إليها هو وأفراد أسرته، وفي أول يوم لهم فيها أخذ الابن الصغير يلعب بالأثاث بواسطة «موسى» صغير، ولم يلاحظه أحد إلا بعد أن خرب الكثير من الأثاث الجديد، وانفعل الأب انفعالاً شديدًا لما رأى ما حدث، وهنا ربط الطفل من يديه وعلقه في السقف، وتركه عدة ساعات، ولما هدأ الأب ذهب لينزل الابن، فوجد يديه قد تحولتا إلى اللون الأزرق، واشتكى الابن من ألم شديد في يديه، فذهب الأب به إلى الطبيب، وكانت الصدمة كبيرة، إذ أُصيبت اليدان بغرغرينة ويجب قطعهما، وقد كان ...وبعد أن أفاق الطفل من التخدير، نظر إلى نفسه فلم يجد يديه، بحث عنهما كثيرًا دون جدوى، فقد ذهبتا إلى الأبد، وبكى الصغير بكاءً شديدًا، ولما رأى أباه ازداد بكاؤه، وهو يبكي أخذ يقول: يا أبي، سامحني وأرجع لي يدي ولن أفعل ما فعلته مرة أخرى، أعدك أني لن أفعل ما فعلته مرة ثانية لكن أعد لي يدي أرجوك..

بعض الآباء قد يربط ابنه في (رجل) السرير عندما يضربه أو بعد أن ينتهي من ضربه، والبعض الآخر ربما يقيد ابنه بالحبال حتى يتمكن من ضربه بحرية، وهذا مما نهى عنه ديننا الحنيف، فلقد أقام النبي ﷺ وصحابته الكرام حد الجلد على المذنبين (وهو أعلى درجات الضرب في الإسلام)، ولم ينقل عن أحدهم أنه ربط المذنب أو قيد يديه أو جرّده من ثيابه أو مدده على الأرض حتى يجلده[1]، ولذلك قرر الفقهاء أن من حق من يقام عليه حد الجلد ألا يُربطوا أو يمددوا على الأرض، أو تُخلع عنهم ثيابهم بل يكون عليه الثوب والثوبان وإن كان عليه فرو أو جبة محشوة نزعت عنه لأنه لو ترك عليه ذلك لم يبال بالضرب، ولا تربط يده خلف ظهره، واستشهدوا بقول سيدنا عبد الله بن

(١) المغني ٩/ ١٤٠، ١٤٢، منار السبيل ٢/ ٢٢٣، ٢٢٤، المبدع ٩/ ٤٧- ٤٩.

مسعود ﷺ: ليس في ديننا مد ولا قيد ولا تجريد[١]، وفي رواية أخرى أنه قال: لا يحل في هذه الأمة تجريد ولا مد ولا غل ولا صفد[٢]، والحكمة من عدم الربط هي الحفاظ على كرامة المذنب، فلا نربطه مثل البهائم، كما أننا لا نربط يديه حتى يتقي بهما الضرب عن وجهه أو الأماكن الحساسة في جسده، ولقد روى الإمام البيهقي عن على ﷺ أنه أُتى برجل في خمر فقال: دع له يديه يتقي بهما[٣].

أيها الوالد الكريم، أيتها الأم الحنون

إذا كنتم- لا قدر الله- ممن يربطون أبناءهم قبل أو أثناء أو حتى بعد الضرب؛ فتوبوا إلى الله قبل فوات الأوان، وتوقفوا عن هذه العادة السيئة، عسى أن يتقبلنا الله في الصالحين، وبدلاً من ربط الأبناء في السرير، اربطوهم بالله والجنة والنار، وعودوهم الخير فإن الخير عادة.

* * *

(١) كشاف القناع ٦/ ٨٠- ٨٢، والروض المربع ٣/ ٣٠٤-٣٠٦، والمهذب ٢/ ٢٧٠، ٢٧١، والمبدع ٩/ ٤٦- ٤٨، وروضة الطالبين ١٠/ ١٧٢، ١٧٣، ومنار السبيل ٢/ ٢٢٣، ٢٢٤.

(٢) سنن البيهقي الكبرى ٨/ [illegible]، والمعجم الكبير للطبراني ٩/ ٣٤٠، والكافي في فقه ابن حنبل ٤/ ٢١٣، والمهذب للشيرازي [illegible].

(٣) سنن البيهقي الكبرى ٨/ ٣٢٦.

١٦ ألف كلمة سيئة



تشير دراسة تربوية حديثة إلى أن الفرد بداية من طفولته إلى أن يصل إلى عمر المراهقة يكون قد سمع مالا يقل عن ستة عشر ألف كلمة سيئة، ولكنه لا يسمع إلا بضع مئات من الكلمات الحسنة[١]، وهذا العدد الهائل من الكلمات السيئة يسمعها في الشارع والمدرسة وأحيانًا في المنزل، ومن الكلمات السيئة التي ربما يسمعها أبناؤنا داخل بيوتنا، السباب والشتائم الموجهة من الأب للأم أو الصادرة من أحد الوالدين تجاه الأبناء، ويحدث ذلك عادة عند الشجار بين الزوجين، أو عند غضب الآباء على الأبناء وضربهم و توبيخهم، وهذا ما نهانا عنه ديننا الحنيف، إذ أراد نبينا الكريم ﷺ من البيت المسلم أن يبتعد تمامًا عن الكلمات النابية والألفاظ القبيحة، لذلك جعل من حق الزوجة على زوجها ألا يشتمها أو يحقر من شأنها؛ روى أبو داود وابن حبان في صحيحه عن معاوية بن حيدة ﷺ قال: قلت: يا رسول الله ما حق زوجة أحدنا عليه؟ قال: «**أن تطعمها إذا طعمت وتكسوها إذا اكتسيت ولا تقبّح ولا تهجر إلا في البيت**»، ومعنى قوله ﷺ: لا تقبّح بتشديد الباء: أي لا تسمعها المكروه ولا تشتمها ولا تقل قبحك الله ونحو ذلك[٢].

وهكذا يتوقف- تقريبًا- نصف عدد الشتائم التي يمكن سماعها في البيت المسلم، أما النصف الآخر: وهو شتم الآباء للأبناء عند ضربهم وتوبيخهم، فقد نهانا نبينا الكريم ﷺ عنه بشدة، وأكد عليه الصلاة والسلام أنه لا يحق لأحد شتم الأبناء مهما كان الخطأ الذي ارتكبوه، حتى لو شربوا الخمر والعياذ بالله؛ فلقد أورد ابن حبان في صحيحه بابًا سماه: ذكر الزجر عن سب المحدودين إذا حدوا (يعني: النهي عن شتمهم أثناء إقامة الحد أو بعده)، وذكر في هذا الباب حديثًا رواه عن أبي هريرة ﷺ قال: أُتي رسول الله ﷺ بشارب فقال: اضربوه (يعني: أقيموا عليه الحد) فمنّا الضارب بيده

---

(١) تربية الأبناء بالحب، مجلة الكلمة الطيبة.
http://gesah.net/mag3/modules.php?name=News&file=article&sid=496
(٢) الترغيب والترهيب ٣/ ٣٢، ٣٣.

ومنّا الضارب بنعله، فقال بعض القوم: أخزاك الله، فقال رسول الله ﷺ: «**لا تقولوا هكذا، لا تعينوا الشيطان عليه**»[1]، ولقد قال العلماء: أنه لم يثبت أنه ﷺ سب أحدًا ممن أقام عليه الحد، بل نهى ﷺ عن شتم من يُقام عليه الحد[2]، ومن هنا قال الفقهاء: أنه يحرم إيذاء من يقام عليه الحد بكلام كالتعيير أثناء أو بعد الحد[3]، وإذا كان الإسلام قد نهى عن شتم من ارتكب أشد الأخطاء أثناء إقامة الحد عليه أو بعد ذلك، فمن باب أولى أن نكف عن سب أبنائنا أثناء الضرب أو بعده.

أيها الوالد الكريم، أيتها الأم الحنون

إن شتم الأبناء له عدة حالات، ويتغير الإثم من بعضها إلى الآخر، وهذه الحالات كما يلي:

الحالة الأولى: أن نشتم أبناءنا بما فيهم أمام أعينهم، كأن نقول لأحدهم يا أعمى وهو فعلاً أعمى، أو نقول لإحداهن يا عرجاء وهي فعلاً عرجاء، وهذه الحالة – مع خطورتها- تعتبر أقل الحالات ضررًا وإثمًا.

الحالة الثانية: أن تشتم أحد أبنائك بما ليس فيه في حضوره، كأن تقول له: يا أعمى وهو ليس كذلك، أو تقول لإحداهن: يا غبية وهي ليست غبية، وهذا النوع من الشتائم يشتمل على الكذب، وهذا يعني أنه ذنب مركب من السب والكذب.

الحالة الثالثة: أن تشتم ابنك أو غيره بما هو فيه فعلاً في غيبته، كأن تشتكي ابنك لأحد أصدقائك أو جيرانك فتقول: إنه كذاب وهو بالفعل كثير الكذب، وهنا تكون قد وقعت في غيبة ابنك أو ابنتك دون أن تشعر، فالغيبة تعني ذكرك ما في غيرك من صفات سيئة من ورائه ودون حضوره.

---

(١) صحيح ابن حبان ١٣/ ٣٧، وهذا الحديث رواه البخاري وأبو داود وأبو يعلي والبيهقي وفي رواية للإمام أحمد قال ﷺ ردًا على الذي شتم من يقام عليه الحد: «**لا تقولوا هكذا لا تعينوا عليه الشيطان ولكن قولوا: رحمك الله**»، انظر: صحيح البخاري ٦/ ٢٤٨٨، وسنن أبي داود ٤/ ١٦٢، ومسند أبى يعلي ١٠/ ٣٨٦، ومسند أحمد ٢/ ٢٩٩، و سنن البيهقي الكبرى ٨/ ٣١٢.

(٢) نيل الأوطار ٧/ ٢٩٤.

(٣) منار السبيل ٢/ ٢٢٣، ٢٢٤(بتصرف).

الحالة الرابعة: أن تشتم ابنك أو غيره بما ليس فيه في غيبته، كأن تتحدث مع أحد زملائك في العمل عن أبنائك وتقول عن أحدهم: إنه حمار أو حيوان أو كذاب أو غبي أو مهمل أو ماكر، وهذه الصفات ليست موجودة فيه، وهنا تكون قد وقعت في البهتان، فالبهتان معناه ذكرك غيرك بما ليس فيه في غيبته، وفي هذه الحالة تكون قد وقعت في ذنب مركب، لأنه يتكون من الشتم والكذب والبهتان، وهذه تعتبر أسوأ حالات السب الأربعة، والجدول التالي يلخص لنا حالات الشتم السابقة....

نوع الشتم	في حضور المشتوم	في غياب المشتوم
شتم وسب صادق	هذا الذنب عبارة عن سب فقط	يتكون هذا الذنب من السب و الغيبة
شتم وسب كاذب	يتكون هذا الذنب من السب والكذب	هذا ذنب يتكون من سب وكذب وبهتان

وبالإضافة إلى هذه الحالات الأربع هناك حالة خامسة أخطر منها جميعًا، وهي أن يقول الواحد منا لابنه أو ابنته وهو يضربه: كان يومًا أسود يوم أن أنجبتُك، أو يقول: كان يوم شؤم يوم أن جئت أنت إلى الحياة، وهذا هو سب الدهر الذي نهانا عنه نبينا الكريم ﷺ، إذ روى البخاري ومسلم وغيرهما عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يقول الله عز وجل: يؤذيني ابن آدم** (أي ينسب إليَّ ما لا يليق بي) **يسب الدهر، وأنا الدهر** (يعني أنا ملك الدهر ومصرفه ومقلبه)، **بيدي الأمر أقلب الليل والنهار**»[1]، وفي رواية أخرى للإمام مسلم وأحمد قال رسول الله ﷺ: «**قال الله عز وجل: يؤذيني ابن آدم يقول: يا خيبة الدهر، فلا يقولن أحدكم: يا خيبة الدهر فإني أنا**

(١) صحيح البخاري ٤/ ١٨٢٥، وصحيح ابن حبان ١٣/ ٢٣، وصحيح مسلم ٤/ ١٧٦٢، ومسند أحمد ٢/ ٢٣٨.

الدهر أقلب ليله ونهاره فإذا شئت قبضتهما»[١] .

لقد كان أهل الجاهلية إذا أصابتهم مصيبة، أو حُرِموا غرضًا معينًا أخذوا يسبون الدهر ويلعنون الزمان، فيقول أحدهم: «قبحّ الله الدهر الذي شتت شملنا»، و «لعن الله الزمان الذي جرى فيه كذا وكذا»، وما أشبه ذلك من عبارات التقبيح والشتم، فجاء هذا الحديث لرد ما يقول أهل الجاهلية ومن شابههم وسلك مسلكهم، فقال رسول الله ﷺ: «**لا تسبوا الدهر**»على أنه الذي يفنيكم والذي يفعل بكم هذه الأشياء، فإنكم إذا سببتم فاعل هذه الأشياء فإنما تسبوا الله تبارك وتعالى، فإن الله فاعل هذه الأشياء. فبيَّن لنا ﷺ أن من يسب الدّهر والزمان، فإنما يسب- في الحقيقة- الذي فعل هذه الأمور وقدَّرها، حتى وإن أضاف الفعل إلى الدهر، فإن الدهر لا فعل له، وإنما الفاعل هو ربُّ الدّهر سبحانه وتعالى، وأما الدهر فليس له من الأمر شيء، فمسبتهم للدهر هي مسبة لله عزّ وجلّ، ولهذا كانت مؤذية له سبحانه[٢] .

أيها الوالد الكريم، أيتها الأم الحنون

إن المسلم الصادق عفيف اللسان حلو الكلام؛ فلا تراه يشتم أبناءه أو يسب إخوانه وزملاءه وجيرانه، كما أنه لا يتعدى بالشتم أو السب على الطيور والحيوانات والرياح والحمى وغيرها، وهذا ما علمنا إياه نبينا الكريم ﷺ؛ إذ روى ابن حبان في صحيحه عن زيد ابن خالد الجهني قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تسبوا الديك فإنه يدعو إلى الصلاة**»[٣]، وهذا رجل يجلس مع النبي ﷺ، فيصيح الديك فجأة فيشتمه الرجل لأنه ربما أزعجه، فيقول له عليه الصلاة والسلام، «**لا تلعنه ولا تسبه فإنه يدعو إلى الصلاة**»[٤]، وروى الطبراني عن علي بن أبي طالب ﷺ قال: نزلنا منزلاً فآذتنا البراغيث فسببناها، فقال

(١) صحيح مسلم ٤/ ١٧٦٢، ومسند أحمد ٢/ ٢٧٢.
(٢) سنن البيهقي الكبرى ٣/ ٣٦٥ (بتصرف).
(٣) صحيح ابن حبان ١٣/ ٣٧.
(٤) رواه البزار بإسناد لا بأس به والطبراني واللفظ له، انظر: الترغيب والترهيب ٣/ ٣١٥، ٣١٤.

رسول الله ﷺ: «**لا تسبوها فنعمت الدابة فإنها أيقظتكم لذكر الله**»[١] .

والمسلم الصادق إن أصابه المرض فإنه لا يشتمه، بل يعلم أنه ابتلاء من الله يكفر به ذنوبه فيصبر ويحتسب؛ روى ابن ماجه عن أبى هريرة قال: ذكرت الحمى عند رسول الله ﷺ فسبّها رجل فقال ﷺ: «**لا تسبها فإنها تنفي الذنوب كما تنفي النار خبث الحديد**»[٢] ....ولأن المسلم الصادق عفيف اللسان فإنه لا يسب الريح، بل يسأل الله من خيرها ويستعيذ من شرها، روى ابن حبان في صحيحه وابن ماجه في سننه عن أبى هريرة يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الريح من روح الله تأتي بالرحمة وتأتي بالعذاب فلا تسبوها وسلوا الله من خيرها واستعيذوا بالله من شرها**»[٣] ، وروى الترمذي في سننه بإسناد صحيح عن أبى بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تسبوا الريح فإذا رأيتم ما تكرهون فقولوا: اللهم إنا نسألك من خير هذه الريح وخير ما فيها، وخير ما أمرت به، ونعوذ بك من شر هذه الريح وشر ما فيها وشر ما أمرت به**»[٤] .

المسلم الصادق كَيِّس فَطِنٌ، يعلم أن شتم غير المسلمين أو سب الشيطان لا طائل من ورائه، لأن سبهم ما هو إلا سيئات تكتب عليه وفقط؛ لذلك تراه يبتعد عن الفحش والتفحش معهم، وهذا ما شجعنا عليه نبينا الكريم ﷺ، روى البخاري ومسلم و أحمد عن عائشة رضي الله عنها أن اليهود أتوا النبي ﷺ فقالوا: السام عليكم، قال: وعليكم. فقالت عائشة: السام عليكم ولعنكم الله وغضب عليكم، فقال رسول الله ﷺ: «**مهلا يا عائشة عليك بالرفق وإياك والعنف أو الفحش**» (وفي رواية للإمام أحمد قال ﷺ: «**يا عائشة لا تكوني فاحشة**») قالت: أو لم تسمع ما قالوا؟ قال: «**أو لم تسمعي ما قلت؟ رددتُ عليهم فيستجاب لي فيهم ولا يستجاب لهم فينا**»[٥] ، وروى أحمد وأبو داود والبيهقي والحاكم عن أبى تميمة الهجيمي، أنه كان رديف النبي ﷺ (يعني راكبًا خلف

(١) الترغيب والترهيب ٣/ ٣١٤، ٣١٥.
(٢) سنن ابن ماجه ٢/ ١١٤٩.
(٣) صحيح ابن حبان١٣/ ٣٨، ٣٩، وسنن ابن ماجه ٢/ ١٢٢٨.
(٤) سنن الترمذي ٤/ ٥٢١.
(٥) صحيح البخاري ٥/ ٢٣٥٠، صحيح مسلم (٤/ ١٧٠٧)، ومسند أحمد ٦/ ٢٢٩.

النبي ﷺ) قال: كنت رديفه على حمار فعثر الحمار، فقلت: تعس الشيطان، فقال لي النبي ﷺ: «**لا تقل تعس الشيطان، فإنك إذا قلت: تعس الشيطان تعاظم الشيطان في نفسه، وقال: صرعته بقوتي، فإذا قلت: بسم الله تصاغرت إليه نفسه حتى يكون أصغر من ذباب**»(١).

وكما يحذر المسلم الصادق مما وراء شتمه للشيطان ولغير المسلمين من سيئات؛ فإنه يحافظ على حسناته وحقوقه التي عند من ظلمه، لذلك لا يشتم من ظلمه ولا يسبه حتى يأخذ حقه كاملاً يوم القيامة، روى أحمد في كتاب الزهد والأصبهاني في حلية الأولياء عن رباح بن عبيدة قال: كنت قاعدًا ثَمَّ (أي: عند) عمر بن عبد العزيز، فذكر الحجاج، فشتمته ووقعت فيه، فقال عمر: مهلا يا رباح، إنه بلغني أن الرجل ليظلم بالمظلمة، فلا يزال المظلوم يشتم الظالم وينتقصه حتى يستوفى حقه، فيكون للظالم عليه الفضل(٢)، وروى أن رجلاً سب الحجاج ابن يوسف عند عمر بن عبد العزيز، فقال عمر: أظلمك بشيء؟ قال: نعم ظلمني بكذا وكذا، قال عمر: فهلا تركتَ مظلمتك حتى تقدم عليها يوم القيامة وهي وافرة -يعني «كاملة»- لم ينقص منها شيء(٣).

أيها الوالد الكريم، أيتها الأم الحنون

للأسف نسمع اليوم في بعض البيوت نوعًا من الشتائم التي تؤذي الآذان وتجرح المشاعر، في حين أن البيت المسلم ينبغي ألا نسمع فيه مثل هذا السباب، حتى وإن أخطأ أحد الأفراد وتلفظ بمثل هذه الآثام فإنه يتوب إلى الله ويستغفره، إن كلمات المسلمين اليوم وعباراتهم بحاجة إلى الرقي والنقاء، بمعنى أن يختفي من بيوتنا ومجتمعاتنا هذا القاموس الملئ بأفظع الشتائم وأقبح الألفاظ، وليكن قدوتنا في ذلك المجتمع الطاهر على عهد النبي ﷺ إذ إننا لو حاولنا إحصاء

(١) مسند أحمد ٥/ ٥٩، وسنن أبى داود ٤/ ٢٩٦، والترغيب والترهيب٤/ ٤٢.
(٢) سبل السلام ٤/ ٢٨، وحلية الأولياء ٥/ ٢٧٧.
(٣) الجامع لمعمر بن راشد ١١/ ١٨٠.

الشتائم التي كانت شائعة في هذا المجتمع الرائع، سنجد أنها- مقارنة بمجتمعنا اليوم- راقية وحضارية ومهذبة، ومع ذلك استنكرها النبي ﷺ وصحابته الكرام ونهوا عنها، ولكي نتأكد من ذلك إليكم بعض ما سماه المسلمون الأوائل سبًا وشتائم....

١- لا بارك الله فيها:

روى الإمام مسلم وابن حبان عن جابر بن عبد الله ﷺ أن رسول الله ﷺ دخل على أم السائب أو أم المسيب فقال: **مالك يا أم السائب أو يا أم المسيب تزفزفين؟** قالت: الحمى لا بارك الله فيها، فقال: **لا تسبي الحمى فإنها تذهب خطايا بنى آدم كما يذهب الكير خبث الحديد**[1] .

٢- تعس فلان:

عندما حدثت كذبة الإفك، و الافتراء على السيدة عائشة، كان مسطح بن أثاثة فيمن تحدث بسوء عن السيدة عائشة، ولم تعلم السيدة الطاهرة عن الأمر شيئًا إلى أن بلغها الخبر من أم مسطح رضي الله عنها؛ وتروى السيدة عائشة ذلك وتقول: خرجت لبعض حاجتي ومعي أم مسطح فعثرت (تعثرت في ثوبها) وقالت: تعس مسطح، فقلت: أي أم تسبين ابنك؟ وسكتت، ثم عثرت الثانية فقالت: تعس مسطح، فقلت لها: تسبين ابنك؟ ثم عثرت الثالثة فقالت: تعس مسطح، فانتهرتها، فقالت: والله ما أسبه إلا فيك، فقلت: في أي شأني؟ قالت: فبقرت لي الحديث (يعني فذكرت لي حديث الإفك)[2]، وفي رواية أخرى: أن أم مسطح لما قالت: تعس مسطح، استنكرت السيدة عائشة ذلك وقالت لها: بئس ما قلت أتسبين رجلاً شهد بدرًا؟ فقالت: أي هنتاه أو لم تسمعي ما قال؟ قالت: وقلت: وما قال؟ فأخبرتني بقول أهل الإفك[3] .

---

(١) صحيح مسلم ٤/ ١٩٩٣، و صحيح ابن حبان ٧/ ٢٠٠
(٢) صحيح البخاري٤/ ١٧٨٠، وسنن الترمذي ٥/ ٣٣٢.
(٣) صحيح البخاري ٤/ ١٥١٩، وصحيح مسلم ٤/ ٢١٣٢، وصحيح ابن حبان ١٠/ ١٦.

٣- يا ابن السوداء:

يحكي لنا سيدنا أبو ذر ﷺ أنه كانت بينه وبين سيدنا بلال مشادة كلامية وبعض الغضب، فانفعل أبو ذر وعيّر سيدنا بلال بلون بشرة والدته قائلا: يا ابن السوداء، فحزن سيدنا بلال ﷺ وانطلق يشكوه إلى النبي ﷺ، يقول أبو ذر: فلقيت النبي ﷺ فقال: «**يا أبا ذر إنك امرؤ فيك جاهلية**»، وهكذا عاتب النبي ﷺ أبا ذر وأنكر عليه ما فعل، مبينًا السبب في ذلك وهو أن التعيير وتنقيص الآباء والأمهات من خصال الجاهلية، وينبغي للمسلم أن يبتعد تمامًا عن أخلاق الجاهلية[1].

٤- أخزاك الله:

روى البخاري وأبو يعلي وأبو داود وأحمد (واللفظ له) عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ أُتى برجل قد شرب، فقال رسول الله ﷺ: «**اضربوه**» (يعني أقيموا عليه الحد)، قال: فمنّا الضارب بيده ومنّا الضارب بنعله والضارب بثوبه، فلما انصرف قال بعض القوم: أخزاك الله، قال رسول الله ﷺ: «**لا تقولوا هكذا، لا تعينوا عليه الشيطان، ولكن قولوا: رحمك الله**»[2].

السباب آلام وأخطاء:

أيها الوالد الكريم، أيتها الأم الحنون

إننا عندما نسب أبناءنا أو نشتمهم، نرتكب العديد من الأخطاء في حق أنفسنا وفي حق أبنائنا، لأن سب الآخرين ينتج عنه الكثير من السلبيات التي يمكن تلخيصها فيما يلي:

---

(١) انظر: صحيح البخاري ١/ ٢٠، ٢/ ٨٩٩، وصحيح مسلم ٣/ ١٢٨٢، ومسند أحمد ٥/ ١٦١، وسنن أبى داود ٤/ ٣٤٠، وفتح الباري ١/ ٨٥، ٨٦، وشرح النووي على صحيح مسلم ١١/ ١٣٢، ١٣٣.

(٢) صحيح البخاري ٦/ ٢٤٨٨، ومسند أحمد ٢/ ٢٩٩، مسند أبو يعلي ١٠/ ٣٨٦، وسنن أبى داود ٤/ ١٦٢.

١ - السباب يجعلك من المفلسين:

روى البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «**سباب المسلم فسوق وقتاله كفر**»[١]، وقال فريق من العلماء: السباب أشد من السب، فالسب معناه أن تشتم الرجل بما هو فيه (شتائم صادقة) كأن يكون قصيرًا أو أعور أو أعرج أو غيرها، أما السباب فمعناه أن تشتم غيرك بما فيه وبما ليس فيه (شتائم كاذبة) مثل: يا خنزير، يا سارق وهو ليس بسارق وهكذا، وقال فريق آخر: السباب معناه كثرة السب والشتم، وهذا يعني أن من يكثر شتم أبنائه وتلامذته أو يشتمهم بما فيهم (شتائم صادقة) وبما ليس فيهم (شتائم كاذبة)؛ فهو مرتكب للسباب، والسباب من الفسوق، والفسوق في عرف الشرع أشد من العصيان، قال الله تعالى في سورة الحجرات: ﴿وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ﴾[٢].

ولأن الإسلام لا يريد من المسلم أن يشتم لا قليلاً ولا كثيرًا، فقد حذرنا نبينا الكريم ﷺ من القصاص يوم القيامة، ونبهنا عليه الصلاة والسلام إلى أن القصاص لا يقتصر على الشتائم الكبيرة، بل يشمل الصغيرة منها أيضًا؛ فمن يعمل مثقال ذرة من الشر لابد أن يراه، وكلما كثرت الشتائم والمظالم زاد القصاص يوم القيامة، حتى يصبح الشاتم مفلسًا من الحسنات غنيًا بالسيئات، فلا يكون له مصير إلا النار وساءت مصيرًا؛ روى الإمام مسلم وأحمد وابن حبان والترمذي عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**أتدرون من المفلس**»؟قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال: «**إن المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطي هذا من حسناته وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار**»[٣].

---

(١) صحيح البخاري ١/ ٢٧، وصحيح مسلم ١/ ٨١.
(٢) فتح الباري ١/ ١١٢.
(٣) صحيح مسلم ٤/ ١٩٩٧، صحيح ابن حبان ١٠/ ٢٥٩ و١٦/ ٣٥٩، وسنن الترمذي ٤/ ٦١٣، ومسند أحمد ٢/ ٣٠٣.

٢- السب يخرق درع الصيام:

إن الصيام كله خير، وأجمل ما فيه أنه يكون درعًا واقية تحميك من النار يوم القيامة، والدليل على ذلك هو قوله ﷺ فيما رواه النسائي: «**الصوم جنة من النار كجنة أحدكم من القتال**»(١) ، ولقد أمرنا نبينا ﷺ بالحفاظ على هذه الدرع سليمة متينة، إذ إنه من السهل أن تخرق أو تقطع فتصبح خربة لا تقي نارًا ولا تمنع حرًا؛ روى النسائي عن أبي عبيدة. سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**الصوم جُنة ما لم يخرقها**»(٢) .

ولقد شرح لنا نبينا الكريم ﷺ كيفية خرق درع الصيام، فهي تُخرَق عندما نشتم أبناءنا أو تلامذتنا أو أي شخص آخر، روى أحمد والنسائي عن عائشة عن النبي ﷺ قال: «**الصيام جنة من النار فمن أصبح صائمًا فلا يجهل يومئذ، وإن امرؤ جهل عليه فلا يشتمه ولا يسبه وليقل إني صائم**»(٣) ، فالنبي ﷺ ينصحنا بأمرين اثنين لنحمي درع الصيام من الخرق، الأمر الأول: ألا نجهل ونحن صيام، وهذا معناه ألا نفعل شيئًا من أفعال أهل الجهل كالصياح والسفه والسب نحو ذلك(٤) .

والأمر الثاني الذي يحافظ على درع الصيام هو عدم الرد على من يشتمنا ونحن صيام، ويكون ردنا على من يشتمنا: إني صائم، أي إني أصنع بالصيام درعًا تقيني - إن شاء الله - من النار، ولن أخرق هذه الدرع أو أفسدها من أجل الرد عليك.

٣- يرد عليك ملك كريم:

عندما تسب ابنك أو تشتمه، فإنه بالطبع لا يرد عليك السب بمثله، وهنا تكمن المشكلة، فالمشتوم الذي لا يرد يتولى عملية الرد عنه ملك كريم، روى الإمام أحمد في مسنده عن أبي هريرة أن رجلاً شتم أبا بكر والنبي ﷺ جالس فجعل النبي ﷺ يعجب ويبتسم، فلما أكثر (يعني زاد الشاتم من شتائمه) ردّ عليه(أبو بكر) بعض قوله،

(١) سنن النسائي ٤/ ١٦٧.
(٢) سنن النسائي ٤/ ١٦٤.
(٣) سنن النسائي ٤/ ١٦٧، ومسند أحمد ٢/ ٢٧٣.
(٤) فتح الباري ٤/ ١٠٤.

فغضب النبي ﷺ وقام، فلحقه أبو بكر فقال: يا رسول الله يشتمني وأنت جالس فلما رددت عليه بعض قوله غضبتَ وقمتَ، قال ﷺ: «**إنه كان معك ملك يرد عنك، فلما رددت عليه بعض قوله وقع الشيطان، فلم أكن لأقعد مع الشيطان ثَمَّ** (يعني هناك)»[1].

وروى الإمام أحمد عن النعمان بن مقرن قال: سب رجل رجلاً عند النبي ﷺ: قال: فجعل الرجل المسبوب يقول (يعني لمن يشتمه): عليك السلام، فقال رسول الله ﷺ: «**أما إن ملكًا بينكما يذب عنك** (أي: يدافع عن المشتوم الذي لا يرد الشتائم)، **كلما يشتمك هذا قال** (المَلَكُ) **له: بل أنت وأنت أحق به، وإذا قال له** (إذا قال المشتوم للشاتم): **عليك السلام، قال** (الملك): **لا، بل لك أنت، أحق به**»[2].

٤- تعمل مساعدًا للشيطان:

عندما تشتم ابنك فإنك تساعد الشيطان على تحقيق أهدافه، فالشيطان يريد أن يوقع بينك وبين ابنك العداوة، وأسهل طريقة لذلك هي شتم الأبناء وتوبيخهم بصورة دائمة، والدليل على ذلك قوله تعالى في سورة الإسراء: ﴿**وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ**﴾ ولقد قال الإمام القرطبي: إن هذه الآية نزلت في عمر بن الخطاب، وذلك أن رجلاً من العرب شتمه وسبه، فهم عمر بقتله، فكادت تثير فتنة، فأنزل الله تعالى فيه: ﴿**وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾[3].

والشيطان الرجيم يريد من ابنك أن يتعلم كيف يشتم ويسب الآخرين، وأنت بشتمك له تساعد الشيطان على تحقيق مهمته، وبعض الآباء يرتكبون الخطأ نفسه ولكن بطريقة أخرى، ففي بداية تعلم أبنائهم الكلام يلتقطون من الكبار أو الشارع بعض الشتائم، فيفرح الآباء بذلك كثيرًا، بل يشجعون ابنهم على ترديد هذه الشتائم، بل إن البعض قد يجعل ابنه يحيى الضيوف ببعض هذه الشتائم، كأن يقول له: اشتم عمك أو خالك، وعندما يفعل ذلك يفرح الجميع ويبتسمون ويهللون، وفي نفس اللحظة يضحك عليهم الشيطان، لأنهم أراحوه وقاموا هم بمهمته.

---

(١) مسند أحمد ٢/ ٤٣٦.

(٢) مسند أحمد ٥/ ٤٤٥.

(٣) تفسير القرطبي ١٠/ ٢٧٦.

والشيطان الرجيم يريد أن يبغضك الله أنت وأبناءك، وخير ما يساعده على ذلك كثرة شتم الآباء والأمهات لأبنائهم، وكثرة شتم الأبناء لبعضهم البعض، وبهذه الطريقة يمتلأ البيت بالفاحش من الألفاظ والبذئ من الكلمات، وهنا يبغض الله سبحانه البيت وأهله، روى ابن حبان في صحيحه عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ قال: «**إن الله يبغض الفاحش البذئ**»[1]، وروى الإمام أحمد عن أسامة بن زيد قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله لا يحب كل فاحش متفحش**»[2]، ومن هنا كانت وصية النبي ﷺ لصحابته الكرام ولنا من بعدهم: «**إياكم والفُحَش، فإن الله لا يحب الفحش ولا التفحش**»، وعندما سأله الصحابي الجليل: أي المسلمين أفضل؟ كانت إجابته ﷺ محددة وواضحة وصريحة فقال: «**من سَلِمَ المسلمون من لسانه ويده**»[3].

أيها الوالد الكريم، أيتها الأم الحنون

إن الشتائم تفسد حياتنا وتهدم آخرتنا، لذلك كانت وصية النبي ﷺ للأعرابي عندما طلب النصيحة: «**لا تسبن أحدًا**» وما كان من الأعرابي إلا أن طبق ما أوصاه به النبي ﷺ؛ إذ يحكي الأعرابي عن نفسه قائلاً: فما سببتُ حرًا ولا عبدًا ولا بعيرًا ولا شاة منذ أوصاني رسول الله ﷺ[4]...

والحقيقة أن هذه الوصية النبوية الكريمة لم تكن لهذا الصحابي وحده، بل إنها له وللمسلمين من بعده، والمطلوب منا اليوم كآباء ومربين أن نكون مثل هذا الصحابي الجليل في الاستجابة لوصية النبي ﷺ بالتوقف التام عن الشتم والسب، والبعد الدائم عن الفحش والتفحش، فلا نسب ابنًا أو تلميذًا أو حيوانًا بعد اليوم.

ولكي ننجح في هذه المهمة؛ علينا أن نتوب إلى الله عما مضي من شتائم،

---

(١) صحيح ابن حبان ١٢/ ٥٠٦.
(٢) مسند أحمد ٥/ ٢٠٢.
(٣) انظر: مسند أحمد ٢/ ١٩١، وصحيح ابن حبان ١١/ ٥٧٩.
(٤) انظر: مسند أحمد ٤/ ٦٥، ٥/ ٣٧٧، وسنن أبي داود ٤/ ٥٦، والترغيب والترهيب ٣/ ٣١١، ٣١٢.

ونستغفره سبحانه عن كل مرة سببنا فيها أحدًا، وها هو قدوتنا ﷺ يفعل ذلك؛ روى الإمام أحمد وأبو يعلي عن عائشة: أن رسول الله ﷺ دخل عليَّ بيتي في إزار ورداء فاستقبل القبلة وبسط يده ثم قال: «**اللهم إنما أنا بشر فأي عبد من عبادك شتمتُ أو آذيتُ فلا تعاقبني فيه**»[1] ، وفي رواية أخرى للإمام أحمد عن السيدة عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ يرفع يديه يدعو: «**اللهم فإنما أنا بشر فلا تعذبني بشتم رجل شتمتُه أو آذيتُه**»[2] .

وبعد أن نتوب إلى الله سبحانه، وننوي ألا نشتم أحدًا بعد اليوم، يأتي دور الدعاء لمن شتمناه فيما مضى، وقدوتنا في ذلك نبينا محمد ﷺ؛ إذ روى الإمام البخاري عن أبى هريرة ﷺ أنه سمع النبي ﷺ يقول: «**اللهم فأيما مؤمن سببتُه فاجعل ذلك له قُربةً إليك يوم القيامة**»[3] ، وروى الإمام مسلم وأحمد وابن حبان عن جابر بن عبد الله قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنما أنا بشر، وإني اشترطت على ربي عزّ وجلّ أي عبد من المسلمين سببتُه أو شتمتُه؛ أن يكون ذلك له زكاة وأجرًا**»[4] .

أيها الوالد الكريم، أيتها الأم الحنون

إن من جمال الجنة وروعتها أنك لا تسمع فيها كلمة جارحة أو لفظة مؤذية، والدليل على ذلك قوله تعالى في سورة الواقعة: ﴿**لاَ يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلاَ تَأْثِيمًا**﴾. قال بعض العلماء: معنى هذه الآية أن سكان الجنة لا يسمعون فيها شتمًا ولا كذبًا ولا مأثمًا[5] ، ويؤكد هذا المعنى قوله تعالى في سورة الغاشية: ﴿**لاَ تَسْمَعُ فِيهَا لاَغِيَةً**﴾ و اللاغية هنا معناها الشتم والسب[6] .

---

(١) مسند أحمد ٦/ ٢٥٩، ومسند أبى يعلي ٨/ ٧٨.
(٢) مسند أحمد ٦/ ٢٢٥.
(٣) صحيح البخاري ٥/ ٢٣٣٩.
(٤) صحيح مسلم ٤/ ٢٠٠٤، وصحيح ابن حبان ١٤/ ٤٤٦، ومسند أحمد ٣/ ٣٨٤.
(٥) تفسير القرطبي ١٧/ ٢٠٦.
(٦) فتح الباري ٨/ ٧٠٠.

ولكي يتحول بيتنا إلى جنة؛ فلابد من منع الشتائم فيه، فلا تسمع داخله كلمة فاحشة ولا لفظة بذيئة، ولكي يتحقق ذلك هيا بنا نجتمع مع أفراد عائلتنا، ونحدثهم ونشجعهم على ترك الشتم داخل البيت، ونتفق معهم على مشروع نسميه (وداعًا للشتائم)، وفكرة المشروع تتلخص في تخصيص غرامة مالية على من يشتم في البيت، وتجمع هذه الغرامات في صندوق نكتب عليه: وداعًا للشتائم، ويفتح الصندوق مرة في الشهر ونتصدق بما فيه، عسى أن يغفر الله لمن أخطأ وشتم في بيتنا.

* * *

الرفق بالبنات كله حسنات

بعض الناس قد تعود على ضرب زوجته أو أخته أو ابنته، وهذا في الواقع خلق سيئ، ومن روعة إسلامنا وجماله أن جعل من يضرب النساء ليس من خير الناس؛ روى ابن حبان في صحيحه و ابن ماجه في سننه عن إياس بن أبي ذباب قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تضربوا إماء الله**»، قال: فذئر النساء وساءت أخلاقهن على أزواجهن[1] ، فقال عمر بن الخطاب (للنبي ﷺ): ذئر النساء وساءت أخلاقهن على أزواجن منذ نهيت عن ضربهن، فقال النبي ﷺ: «**فاضربوا**»، فضرب الناس نساءهم تلك الليلة، فأتى (يعني تلك الليلة) نساء كثير يشتكين الضرب، فقال النبي ﷺ حين أصبح: «**لقد طاف لآل محمد الليلة سبعون امرأة كلهن يشتكين الضرب، وأيم الله لا تجدون أولئك خياركم**»، وفي رواية أخرى: فأذن لهم فضربوهن فبات فسمع صوتًا عاليًا فقال: «**ما هذا؟**» قالوا: أذنت للرجال في ضرب النساء فضربوهن فنهاهم وقال: «**خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي**»[2] .

ولأن النبي ﷺ هو خير البشر؛ فإنه لم يستخدم الضرب في بيته نهائيًا، فلم يضرب زوجة ولا ولدًا ولا بنتًا ولا خادمًا أبدًا، روى الإمام أحمد وابن حبان وأبو داود وابن ماجه ومسلم (واللفظ له) عن أم المؤمنين عائشة ﵂ قالت: «**ما ضرب رسول الله ﷺ شيئًا قط بيده ولا امرأة ولا خادمًا إلا أن يجاهد في سبيل الله**»[3] ، ويعلق الإمام النووي على هذا الموقف النبوي الكريم فيقول: قول السيدة عائشة: ما ضرب رسول الله ﷺ شيئًا قط بيده ولا امرأة ولا خادمًا إلا أن يجاهد في سبيل الله، فيه أن ضرب الزوجة والبنت

---

(١) ذئِرَ: اجترأ، وذئر النساء على أزواجهن بكسر الهمزة أي: نفرن ونشزن واجترأن، انظر : مختار الصحاح ١/ ٩٢.

(٢) صحيح ابن حبان ٩/ ٤٩٩، وسنن ابن ماجه ١/ ٦٣٨.

(٣) صحيح مسلم ٤/ ١٨١٤، وصحيح ابن حبان ٢/ ٢٤٠، وسنن أبي داود ٤/ ٢٥٠، ومسند أحمد ٦/ ٣١، وسنن ابن ماجه ١/ ٦٣٨.

والخادم والدابة وإن كان مباحًا للأدب فتركه أفضل[١].

ولأن الذي يضرب النساء ليس من خير الناس، فلقد نصح النبي ﷺ فاطمة بنت قيس ألا تتزوج أبا الجهم لأنه قد اشتهر بكثرة ضربه للنساء؛ روى الإمام مالك وابن حبان والترمذي وأحمد والنسائي ومسلم (واللفظ له) عن فاطمة بنت قيس: أن أبا عمرو بن حفص طلقها البتة (يعني نهائيا) وهو غائب (بالشام) فأرسل إليها وكيله بشعير فسخطته، فقال (أي زوجها السابق): والله ما لك علينا من شيء، فجاءت رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له، فقال: ليس لك عليه نفقة، فأمرها أن تعتد (تقضي فترة العدة) في بيت أم شريك، ثم قال ﷺ: «**تلك امرأة يغشاها أصحابي، اعتدّى عند ابن أم مكتوم؛ فإنه رجل أعمى تضعين ثيابك** (حيث شئت)، **فإذا حللت فآذنيني** (يعنى: إذا أنهيت العدة فأعلميني)، قالت: فلما حللتُ ذكرت له أن معاوية بن أبى سفيان وأبا جهم خطباني، فقال رسول الله ﷺ: «**أما أبو جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه** (وفي رواية ثانية: **أما أبو جهم فرجل لا يرفع عصاه عن النساء**، وفي رواية ثالثة: **أما أبو جهم فرجل أخاف عليك قسقاسته للعصا** يعنى: كثرة استخدامه للعصا، وفي رواية رابعة: **وأما أبو جهم فرجل ضرّاب للنساء**، وفي رواية خامسة: **وأبو جهم فيه شدة على النساء**)، **وأما معاوية فصعلوك لا مال له** (وفي رواية ثانية: **إن معاوية ترب خفيف الحال**)، انكحي أسامة بن زيد، فكرهته، ثم قال: انكحي أسامة، فنكحته، فجعل الله فيه خيرًا واغتبطت»[٢].

أيها الوالد الكريم، أيتها الأم الحنون

إذا أردتم أن تكونوا من خير الناس فتوقفوا تمامًا عن ضرب بناتكم وأخواتكم، وحافظوا على مشاعرهن ورقتهن وبراءتهن، فلقد وصفهن النبي ﷺ بالقوارير، والقوارير جمع قارورة وهي الزجاجة، روى البخاري ومسلم وغيرهما عن أنس بن مالك وأيوب عن أبى قلابة عن أنس بن مالك قال: «كان رسول الله ﷺ في سفر وكان معه غلام له أسود يقال له أنجشة يحدو، (فكان نساؤه

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم ١٥/ ٨٤ (بتصرف).

(٢) صحيح مسلم ٢/ ١١١٤، ١١١٩، وصحيح ابن حبان ١٠/ ٦٧، ١٢٥، وموطأ مالك ٢/ ٥٨٠، وسنن الترمذي ٣/ ٤٤٠، وسنن النسائي ٦/ ٧٥، ٧٦، ٢٠٧، و مسند أحمد ٦/ ٤١١، ٤١٤.

يتقدمن بين يديه)، فقال له رسول الله ﷺ: **ويحك يا أنجشة رويدك بالقوارير**»، وفي رواية ثانية: «**رويدك سوقك بالقوارير**»، وفي رواية ثالثة: «**ارفق بالقوارير**»، وفي رواية رابعة: «**رويدًا لا تكسر القوارير**»[١]، وقوله ﷺ: «**يا أنجشة رفقًا بالقوارير**»: يعني النساء لأن الحداء إذا سمعته الإبل أسرعت في المشي فتزعج الراكب، والنساء يضعفن من شدة الحركة[٢].

ولقد قال العلماء: سمي النساء قوارير لضعف عزائمهن تشبيهًا بقارورة الزجاج لضعفها وإسراع الانكسار إليها، كما أنه ﷺ سماهن القوارير لرقتهن وضعفهن عن الحركة، والنساء يشبهن بالقوارير في الرقة واللطافة وضعف البنية[٣]، وهذا يعني أن النساء يحتجن إلى رعاية ومعاملة من نوع خاص، حتى لا يصيبهن أذى، ومن هنا كانت وصية النبي ﷺ بالإحسان إلى البنات والأخوات، هذا لمن أراد أن يدخل جنة عرضها السماوات والأرض؛ روى الترمذي وابن حبان عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ :«**من كان له ثلاث بنات أو ثلاث أخوات أو ابنتان أو أختان فأحسن صحبتهن واتقى الله فيهن فله الجنة**»[٤]، وروى الإمام أحمد عن عائشة قالت: دخلت عليَّ امرأة معها ابنتان لها فأطعمتها تمرة فشقتها بينهما ولم تأكل منها شيئًا، فدخل عليَّ رسول الله ﷺ فذكرت له ذلك فقال: «**من ابتلى من البنات بشيء فأحسن صحبتهن كن له سترًا من النار**»[٥]، وروى الطبراني عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «**ما من أمتي أحد يكون له ثلاث بنات أو ثلاث أخوات فيحسن صحبتهن إلا كن له سترًا من النار**»[٦].

---

(١) صحيح البخاري ٥/ ٢٢٨١، ٥/ ٢٢٩١، وصحيح ابن حبان ١٣/ ١١٨، وصحيح مسلم ٤/ ١٨١١، ١٨١٢، والسنن الكبرى النسائي ٦/ ١٣٥، وسنن البيهقي الكبرى ١٠/ ١٩٩، ومسند أبو يعلي ٥/ ١٩١، ١٩٢، ٤٣٣، ومسند أحمد ٣/ ٢٠٢.

(٢) السيرة الحلبية ٣/ ٤٢١.

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم ١٥/ ٨٠، ٨١، وفتح الباري ١٠/ ٤٥٤.

(٤) سنن الترمذي ٤/ ٣٢٠، وصحيح ابن حبان ٢/ ١٩٠.

(٥) مسند أحمد ٦/ ٢٤٣.

(٦) المعجم الأوسط للطبراني ٥/ ٣٢٣، ٣٢٤.

ولقد اختلف في المراد بالإحسان، هل يقتصر به على قدر الواجب، أو بما زاد عليه، والظاهر أن الرأي الثاني أصوب؛ لأن السيدة عائشة أعطت المرأة التمرة فآثرت بها ابنتيها فوصفها النبي ﷺ بالإحسان، فدل على أن من فعل معروفًا لم يكن واجبًا عليه أو زاد على قدر الواجب عليه عُدّ محسنًا، والذي يقتصر على الواجب وإن كان يوصف بكونه محسنًا لكن المراد من الوصف المذكور قدر زائد عن الواجب، وشرط الإحسان أن يوافق الشرع لا ما خالفه، والظاهر أن الثواب المذكور إنما يحصل لفاعله إذا استمر إلى أن يحصل استغناؤهن عنه بزوج أو غيره[1]، فهيا بنا نحسن إلى بناتنا وأخواتنا، ونتجنب ضربهن وإيذاءهن وشتمهن، عسى أن يتقبل الله منا، فنجد سترًا يسترنا يوم القيامة عن النار ويبعد حرها عنا، حتى ندخل الجنة بسلام، اللهم آمين.

***

(١) فتح الباري ١٠/ ٤٢٨.

لا تضربه أمام طائفة

لم يأمرنا ديننا أن نضرب أحدًا أمام غيره إلا في حد من حدود الله، كالزنا والقذف وشرب الخمر، قال تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلاَ تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور:٢].وإذا حضر إقامة الحد على الزاني والزانية رجل واحد فإنه يعتبر طائفة، إذ أن الواحد يعتبر طائفة كما أن الألف طائفة؛ عن ابن عباس قال: الطائفة الرجل فما فوقه، وأخرج ابن جرير عن مجاهد قال: الطائفة رجل فما فوقه إلى الألف، وحجة مجاهد قوله تعالى: ﴿فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ﴾ وقوله: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ﴾ ونزلت في تقاتل رجلين فكذلك قوله تعالى: ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ والواحد يسمى طائفة إلى الألف.

ولقد اختلف العلماء حول الهدف من حضور طائفة لمشاهدة إقامة الحدود على المذنبين؛ فذهب بعضهم إلى أن الهدف من الحضور هو الإغلاظ على الزناة والتوبيخ بحضرة الناس، وأن ذلك يردع المحدود، كما أن من شهده وحضره يتعظ به ويزدجر لأجله ويشيع حديثه في الناس فيكون عبرة لهم، ودافعًا ألا يقعوا في الخطأ الذي ارتكبه، بينما يرى فريق آخر من العلماء أن الهدف من الحضور ليس للفضيحة، إنما يحضر المؤمنون ليستغفروا الله للمذنبين ويدعوا الله لهم بالتوبة والرحمة[1].

وإذا كان الإسلام قد أمر بحضور طائفة من المؤمنين إقامة الحدود على المذنبين؛ لكي يعتبروا بهم ويستغفروا الله من أجلهم، فلقد نهانا ديننا الحنيف عن ضرب من يخطئ من أبنائنا أمام أصدقائهم أو أقاربهم، لأن هذه تعتبر فضيحة لهم، والنبي ﷺ قد نهانا عن فضح الآخرين، بل إنه عليه الصلاة والسلام قد أمرنا بستر المذنبين من المسلمين؛ روى البخاري ومسلم وغيرهما عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن

(١) تفسير القرطبي ١٢/ ١٦٦، ١٦٧، والدر المنثور ٦/ ١٢٦.

رسول الله ﷺ قال: «**من ستر مسلمًا ستره الله يوم القيامة**»(١)، وفي رواية أخرى للإمام أحمد وابن ماجه أن النبي ﷺ قال: «**من ستر مسلمًا ستره الله في الدنيا والآخرة**»(٢)، ولأهمية ستر الآخرين فلقد اعتبر بعض العلماء أن من شكر العينين أنك إذا رأيت بهما خيرًا أعلنته وإن رأيت بهما شرًا سترته، كما قالوا: إن من شكر الأذنين أنك إذا سمعت بهما خيرًا وعيته، وإن سمعت بهما شرًا دفنته(٣)، وانطلاقًا من هذا الهدى النبوي الكريم قال يحيى بن معين: ما رأيت على رجل قط خطأ إلا سترتُه وأحببتُ أن أزين أمره، وما استقبلتُ رجلاً في وجهه بأمر يكرهه ولكن أبين له خطأه فيما بيني وبينه، فإن قبل ذلك مني وإلا تركتُه(٤).

إن النبي ﷺ قد شجع المسلمين على ستر بعضهم البعض، ووعدهم بالأجر والمثوبة من الله سبحانه، لكنه عليه الصلاة والسلام اهتم اهتمامًا خاصًا بالآباء والأمهات والقائمين على رعاية اليتامى، إذ أمرهم النبي ﷺ أن يستروا أبناءهم وألا يفضحوهم، حتى لو ارتكبوا جريمة الزنا، والعياذ بالله، ويتضح ذلك من خلال القصة التالية:

روى الإمام النسائي وأحمد والبيهقي وأبو داود (واللفظ له) عن نعيم بن هزال قال: كان ماعز بن مالك يتيمًا في حجر أبي، فأصاب جارية من الحي فقال له أبي: أتِ رسول الله ﷺ فأخبره بما صنعت لعله يستغفر لك، وإنما يريد بذلك رجاء أن يكون له مخرجًا فأتاه فقال: يا رسول الله، إني زنيتُ فأقم عليَّ كتاب الله. فأعرض عنه فعاد فقال: يا رسول الله إني زنيتُ فأقم عليّ كتاب الله حتى قالها أربع مرات. قال ﷺ: «**إنك قد قلتها أربع مرات فبمن؟**» قال: بفلانة، قال: «**هل ضاجعتها؟**» قال: نعم، قال: «**هل باشرتها؟**» قال: نعم، قال: «**هل جامعتها؟**» قال: نعم، قال فأمر به أن يُرجَم، فأخرج به إلى الحرة فلما رجم فوجد مس الحجر جزع فخرج يشتد فلقيه

---

(١) صحيح البخاري ٢/ ٨٦٢، وصحيح ابن حبان ٢/ ٢٩١، وصحيح مسلم ٤/ ١٩٩٦، وسنن أبي داود ٤/ ٢٧٣، وسنن الترمذي ٤/ ٣٤ و ٥/ ١٩٥، وسنن البيهقي الكبرى ٦/ ٩٤.

(٢) سنن ابن ماجه ٢/ ٨٥٠، ومسند أحمد ٤/ ١٠٤.

(٣) حلية الأولياء ٣/ ٢٤٣.

(٤) تهذيب الكمال ٣١/ ٥٥٩، وتهذيب التهذيب ١١/ ٢٥٠، وتاريخ بغداد ١٤/ ١٨٤، وسير أعلام النبلاء ١١/ ٨٣.

عبد الله بن أنيس وقد عجز أصحابه فنزع له بوظيف بعير فرماه به فقتله، ثم أتى النبي ﷺ فذكر ذلك له فقال: «**هلا تركتموه لعله أن يتوب فيتوب الله عليه**»[١]...

ولم تنته القصة هنا، لأن النبي ﷺ لما قابل هزال الذي يعتبر ولي أمر ماعز بن مالك لأنه كان يتيمًا في حجره، عاتبه الرسول ﷺ عتابًا شديدًا؛ وذلك لأنه أشار على ماعز أن يأتي النبي ﷺ ويحكي قصته ويفضح نفسه، فقال عليه الصلاة والسلام لهزال: «**والله يا هزال لو كنت سترته بثوبك كان خيرًا مما صنعت به**»[٢].

أيها الوالد الكريم، أيتها الأم الحنون

إننا قد نضرب أبناءنا أو نوبخهم أو ننهرهم أمام ضيوفنا أو ضيوفه، وهذا السلوك ضار من ناحيتين: فهو قد يوحى للضيوف أننا ضائقون بهم وبزيارتهم ونحاول التعبير عن ذلك بعقوبة الأبناء، كما أن هذا يظهرنا أمام الضيوف بالمظهر غير اللائق، ومن جهة أخرى فإن هذا التصرف يحرج أبناءنا ويشعرهم بالمذلة والمهانة، والتصرف الأمثل في مثل هذه الحالة: إما تأجيل العقاب والعتاب إلى وقت آخر، أو الانفراد بالطفل وإفهامه خطأه وتأنيبه بعيدًا عن ملاحظة الآخرين.

وهناك أمر آخر علينا أن ننتبه إليه، وهو أننا عندما ننصح أبناءنا بالرفق واللين أمام الآخرين؛ فإننا بهذه الطريقة نفضحهم ونحرجهم، والدليل على ذلك قول الإمام الشافعي رحمه الله: «**من وعظ أخاه سرًا فقد نصحه وزانه، ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه**»[٣]، فهيا بنا نستر عيوب أبنائنا، ونعالجها فيما بيننا وبينهم، ولا ننفعل عليهم أمام الآخرين، بل نكظم غيظنا إلى حين، آملين أن يسترنا الله سبحانه في الدنيا والآخرة بستره الجميل، وألا يفضحنا أمام صغير أو كبير، اللهم آمين.

---

(١) سنن أبي داود ٤/ ١٤٥، والسنن الكبرى للنسائي ٤/ ٣٠٥، وسنن البيهقي الكبرى ٨/ ٢١٩، ومسند أحمد ٥/ ٢١٧.

(٢) مسند أحمد ٥/ ٢١٦، والسنن الكبرى للنسائي ٤/ ٣٠٥، وسنن أبي داود ٤/ ١٣٤، وسنن البيهقي الكبرى ٨/ ٢١٩، والمعجم الكبير للطبراني ٢٢/ ٢٠١، وموطأ مالك ٢/ ٨٢١.

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم ٢/ ٢٤.

اليد الحانية والمواضع الأربعة

شد الأذن برفق والضرب الخفيف على الصدر والطعن باليد في البطن والضرب الخفيف على اليد؛ كل هذه إجراءات عقابية يمكننا أن نستخدمها في عقاب من يخطئ من أبنائنا وتلامذتنا، وعلى المربي ألا يستخدمها كلها مجتمعة، فلا يعاقب ابنه بشد الأذن مع الضرب على الصدر ويضيف إليه الطعن في البطن ويختم بالضرب على اليد، فعلى المربي أن يكتفي بإجراء عقابي يدوي واحد، فيشد أذن المخطئ فقط، أو يضربه على يديه وكفى، والمربي الناجح هو من يستخدم صوته حين لا ينفع صمته، ولا يستخدم يده إلا حين لا ينفع لسانه....

أولاً: شد الأذن بين التنبيه والتأنيب

روى الإمام مسلم عن عبد الله بن عباس- رضي الله عنهما -قال: بت ليلة عند خالتي ميمونة بنت الحارث، فقلت لها: إذا قام رسول الله ﷺ (يعني لصلاة التهجد ليلاً) فأيقظني، فقام رسول الله ﷺ؛ فقمتُ إلى جنبه الأيسر، فأخذ بيدي فجعلني من شقه الأيمن، فجعلت إذا أغفيت يأخذ بشحمة أذني (وفي رواية البخاري: وأخذ بأذني اليمنى يفتلها، وفي رواية النسائي: فجعل يمسح أذني كأنه يوقظني)، قال ابن عباس: فصلى إحدى عشرة ركعة ثم احتبي حتى إني لأسمع نفسه راقدًا، فلما تبين له الفجر صلى ركعتين خفيفتين(١)..

قال ابن حجر العسقلاني رحمه الله: لقد شدّ النبي ﷺ أذن ابن عباس تنبيهًا له من النعاس ولإشعاره بالأنس لأنهم يصلون ليلاً، ومن هنا قال العلماء: بجواز فتل أذن الصبي لتأنيسه وإيقاظه، قد قيل: إن المتعلم إذا تُعُوهدَ بفتل آذانه كان أذكى لفهمه(٢). ولقد فهم ابن تيمية رحمه الله هذه الحقيقة؛ فكان يشد آذان تلامذته عند تعليمهم وتأديبهم، فقيل له: أنت تزعم أن أفعالك كلها من السنة، فهذا الذي تفعله

(١) صحيح البخاري ١/ ٧٨، وصحيح مسلم ١/ ٥٢٨، والسنن الكبرى للنسائي ١/ ١٦١.
(٢) شرح النووي على صحيح مسلم ٦/ ٤٦، وفتح الباري ٢/ ٤٨٥، ٣/ ٧٢ (بتصرف).

بالناس من عرك آذانهم من أين جاء هذا في السنة، فقال رحمه الله: حديث ابن عباس في الصحيحين، قال ﷺ: صليت خلف رسول الله ﷺ ليلاً، فكنت إذا أغفيت أخذ بأذني[١].

أيها الأب الكريم، أيتها الأم الحنون

إن شد الأذن يستخدم للتنبيه من الغفلة، كشد أذن التلميذ السرحان عند شرح الدرس، أو الابن الذي ينام أثناء الصلاة، وشد الأذن يستخدم أيضًا بهدف تنبيه المتعلم لشيء مهم سيقوله أستاذه، وهذا ما فعله الصحابي الجليل عبد الله بن بسر رضي الله عنهما عندما أراد أن ينصح أحد التابعين نصيحة مهمة؛ فعن بسر بن عبد الله بن يسار قال: كان عبد الله بن بسر ﷺ يأخذ بأذني ويقول: يا بن أخي، إن أدركت فتح القسطنطينية؛ فلا تدع أن تأخذ حظك منها[٢]. ... وشد الأذن يستخدم أيضا لعتاب المخطئ وتنبيهه لما وقع فيه من خطأ، وهذا ما فعله رسول الله ﷺ مع أبى محذورة ﷺ، فقد أمره رسول الله ﷺ أن يؤذن في مكة، وكان أبو محذورة حديث عهد بالإسلام، فبدأ يؤذن والنبي ﷺ يسمعه، فقال أبو محذورة: الله أكبر أربع مرات بصوت مرتفع، فلما بلغ إلى الشهادتين خفض بهما صوته، قال بعض الناس: إنما فعل ذلك مخافة الكفار، وبعضهم قالوا: إنه كان جهوري الصوت، وكان في الجاهلية يجهر بسب رسول الله ﷺ، فلما بلغ إلى الشهادتين فاستحيا فخفض بهما صوته، فلما سمعه النبي ﷺ يخفض صوته دعاه وعرك أذنه وقال: «**ارجع وقل: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله، ومد بهما صوتك غيظًا للكفار**»[٣] ...وكما يستخدم شد الأذن للعتاب، فإنه يستخدم أيضًا كعقاب، فعن عبد الله بن بسر المازني ﷺ قال: بعثتني أمي بقطف من عنب إلى رسول الله ﷺ، فأكلت منه قبل أن أبلغه إياه، فلما جئت إليه أخذ بأذني وقال: «**يا غدر**»[٤]، وعن النعمان بن بشير ﷺ: أن رسول الله ﷺ بعث معه بقطفين واحد له

---

(١) الوافي بالوفيات ٧ / ١٢.
(٢) الآحاد والمثاني ٣/ ٤٨.
(٣) بدائع الصنائع ١/ ١٤٨.
(٤) تهذيب الكمال ١٧/ ٢٨١.

والآخر لأمه عمرة، فلقي رسول الله ﷺ أمه عمرة فقال: «**أتاك النعمان بقطف من عنب؟**» فقالت: لا، فأخذ النبي ﷺ بأذنه فقال: «**يا غدر**»[١] ...

أيها المربي الكريم، إذا كان النبي ﷺ قد استخدم شد الأذن للعتاب والتنبيه والعقاب، فليس هذا معناه أن نستخدمه دون حساب، فالعلاج إن لم يُعطَ للمريض بكمية مضبوطة وفي أوقات معلومة؛ فإنه يضر ولا ينفع، وكذلك شد الأذن علينا أن نستخدمه مع أبنائنا بحكمة وعقلانية، وإذا حدث وعاقبنا أحدهم بشد أذنه، ثم تبين لنا أننا قد ظلمناه، فلنطيِّب خاطره ونطلب منه السماح، وقدوتنا في ذلك سيدنا عثمان بن عفان ﷺ؛ فقد روى أنه دخل على غلام له يعلف ناقة، فرأى في علفها ما كره، فأخذ بأذن غلامه فعركها (دلكها بشدة)، ثم ندم فقال لغلامه: اقتص، فأبي الغلام، فلم يدعه عثمان حتى أخذ بأذنه فجعل يعركها، فقال له عثمان: شد بيدك على أذني، حتى ظن أنه بلغ منه مثل ما بلغ منه، فقال عثمان ﷺ: واها لقصاص قبل قصاص الآخرة[٢] ...

ثانيًا: ضرب الصدر بين الإعجاب والعتاب

عندما تعجب من قول أو فعل أحد الناس؛ فإنك قد تمدحه بالقول أو تربت على كتفه أو تعطيه جائزة، كما أن الضرب الخفيف على الصدر (لمرة واحدة) يعبر عن الرضا والإعجاب، فقد قال أبو مسعود الأصبهاني[٣]: كنا نتذاكر أبواب الحديث يومًا عند الإمام أحمد، فكنا نذكر عنوان الباب ثم نذكر ما نحفظه من الأحاديث المناسبة لهذا العنوان، وتذاكرنا أبواب الحديث يومًا؛ فذكروا عنوانًا وجعلوا يذكرون ما تحته من

(١) حلية الأولياء ٦/ ١٠٥، وتاريخ مدينة دمشق ٦٢/ ١٢١.

(٢) أخبار المدينة٢ / ١٣٢، وتاريخ واسط ١/ ١٨٤.

(٣) أبو مسعود الضبي الأصبهاني أحد حفاظ الحديث، وكان قد سافر الكثير وجمع في الرحلة بين البصرة والكوفة والحجاز واليمن والشام ومصر والجزائر، ولقي علماء عصره، وورد بغداد في حياة أحمد بن حنبل وذاكر حفاظها بحضرته، وكان الإمام أحمد يقدمه ويكرمه، واستوطن أبو مسعود بعد ذلك أصبهان إلى آخر عمره وبها كانت وفاته.

أحاديث، وبلغ عدد الأحاديث التي ذكروها خمسة، فجئتهم أنا بحديث سادس يندرج تحت نفس الباب، فضرب الإمام أحمد بيده في صدري إعجابًا بي[١] ...ولقد فعل الإمام أحمد ما فعله من قبل رسول الله ﷺ؛ إذ ضرب ﷺ بيده الشريفة على صدر من أعجب بكلامه؛ فقد روى الإمام مسلم عن أُبي بن كعب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يا أبا المنذر، أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟**» قال: قلت الله ورسوله أعلم، فقال ﷺ: «**يا أبا المنذر، أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟**» قال: قلت: الله لا إله إلا هو الحي القيوم، قال أُبي: فضرب في صدري وقال: «**والله لِيَهنَكَ** (يعني: هنيئًا لك) **العلم أبا المنذر**»، وفي رواية أبي داود قال أُبي: فضرب في صدري وقال: «**لِيَهنِ لك يا أبا المنذر العلم**»[٢] ... وروى الترمذي وأحمد وأبو داود والبيهقي (واللفظ له) عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ لما بعث معاذ إلى اليمن (وفي رواية: لما أراد أن يبعث معاذًا إلى اليمن) قال له: «**كيف تقضي إذا عرض لك قضاء؟**» قال معاذ: أقضي بكتاب الله، قال: «**فإن لم تجده في كتاب الله؟**» قال معاذ: أقضي بسنة رسول الله ﷺ، قال: «**فإن لم تجده في سنة رسول الله؟**» (وفي رواية: فإن لم تجد في سنة رسوله ولا في كتاب الله؟) قال معاذ: اجتهد برأي لا آلو، قال معاذ: فضرب ﷺ بيده في صدري وقال: «**الحمد لله الذي وفق رسولَ رسولِ الله ﷺ لما يُرضي رسول الله ﷺ**»[٣] ....

وكما تستخدم الضربة الخفيفة على الصدر لإبداء الإعجاب، فإنها تستخدم أحيانًا لإظهار اللوم والعتاب، فقد روى أن عمر رضي الله عنه لما قدم الشام عرضت له مخاضة، فنزل عن بعيره ونزع خفيه فأمسكهما وخاض الماء ومعه بعيره، فقال له أبو عبيدة: لقد صنعت اليوم صنيعًا عظيمًا عند أهل الأرض، لقد صنعت كذا وكذا، فصك عمر في صدره وقال: أوه، لو غيرك يقول هذا يا أبا عبيدة، إنكم كنتم أذل الناس، فأعزّكم

---

(١) تهذيب التهذيب ١/ ٥٨، وتاريخ بغداد ٤/ ٣٤٣، وتاريخ مدينة دمشق ٥/ ١٥٣، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٤٨٣ (بتصرف).

(٢) صحيح مسلم ١/ ٥٥٦، وسنن أبي داود ٢/ ٧٢.

(٣) سنن الترمذي ٣/ ٦١٦، وسنن أبي داود ٣/ ٣٠٣، ومسند أحمد ٥/ ٢٣٠، وسنن البيهقي الكبرى ١٠/ ١١٤.

الله بالإسلام، فمهما تطلبوا العزة بغيره يذلكم الله"[١] ... وروى البيهقي عن عبد الله ابن عمر- رضي الله عنهما- قال: بينما أبو بكر ﷺ في المسجد، جاءه رجل فلاث عليه بلوث من كلام (يعنى كلمه بصوت خفيض حرص ألا يسمعه غيره) وهو دهش، فقال أبو بكر لعمر ﷺ: قم إليه فانظر في شأنه فإن له شأنًا، فقام إليه عمر ﷺ، فقال الرجل: إنه ضافه ضيف فوقع بابنته (زنا بها)، فصك عمر ﷺ في صدره وقال: قبَّحك الله، ألا سترت على ابنتك؟! قال: فأمر بهما أبو بكر ﷺ فضُرِبا الحد، ثم تزوج أحدهما من الآخر، وأمر بهما فغربا عامًا أو حولاً[٢] ... وروى الإمام مسلم عن عامر بن سعد- رضي الله عنهما- قال: كان سعد بن أبى وقاص في إبله، فجاءه ابنه عمر، فلما رآه سعد قال: أعوذ بالله من شر هذا الراكب، فنزل ابنه فقال له: أنزلت في إبلك وغنمك وتركت الناس يتنازعون الملك بينهم، فضرب سعد في صدره فقال: اسكت، سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله يحب العبد التقي الغني الخفي**»[٣]....

وكما يستخدم الضرب الخفيف للصدر في إبداء الإعجاب وإظهار العتاب؛ فإنه يستخدم كذلك لتنبيه المخطئ لما ارتكبه من خطأ، وذلك في مجال التعليم والتأديب، فعندما يخطئ ابنك أو تلميذك يمكنك أن ترشده لخطئه بضربة خفيفة على صدره؛ فقد روى النسائي عن البراء بن عازب قال: قال لي رسول الله ﷺ: «**ما تقول يا براء إذا أويت إلى فراشك؟**» قال البراء: قلتُ الله ورسوله أعلم، قال: «**إذا أويت إلى فراشك طاهرًا فتوسد يمينك، ثم قل: اللهم أسلمت وجهي إليك، وفوضتُ أمري إليك، وألجأتُ ظهري إليك، رهبة ورغبة إليك، لا ملجأ ولا منجي منك إلا إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت، وبنبيك الذي أرسلت**»، قال البراء: فقلت كما قال: إلا أني قلت: وبرسولك الذي أرسلت، فوضع يده في صدري (وفي رواية الترمذي: فطعن في صدري) وقال: «**وبنبيك الذي أرسلت**، ثم قال ﷺ: «**من قاله من ليلته ثم مات؛ مات على الفطرة**»[٤] ...

---

(١) حلية الأولياء ١/ ٤٧، والأنس الجليل ١ / ٢٥٢، وتاريخ مدينة دمشق ٤٤/ ٥.
(٢) سنن البيهقي الكبرى ٨/ ٢٢٢.
(٣) صحيح مسلم ٤/ ٢٢٧٧، والترغيب والترهيب ٣/ ٢٥٩، والغنى: أي غنى النفس القنوع.
(٤) السنن الكبرى للنسائي ٦/ ١٩٥، وسنن الترمذي ٥/ ٤٦٨.

عن عمر بن ميسرة قال: أقيمت الصلاة يومًا ونحن خارج المسجد، فجعلنا نسرع المشي، فلقينا سعد بن أبى وقاص؛ فدفع في صدري أو في صدر بعضنا فقال: على رسلك (على مهلك) فإنك في صلاة، ولك بكل خطوة أجر[1] ...

والضرب الخفيف على الصدر لا يصلح فقط للتنبيه إلى الأخطاء، بل يصلح أيضًا في العقاب، فعندما يخطئ أحد من أبنائك وتلامذتك يكفيك أن تعاقبه بضربة خفيفة واحدة على صدره، فقد روى أن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما- كان يحدث أبناءه يومًا، فقال لهم: قال رسول الله ﷺ: **«ائذنوا للنساء بالليل إلى المساجد»** (يعني في الصلوات المسائية) فقال ابن له يُسمى عليّ: والله لا نأذن لهن يتخذنه دغلاً (طريقًا للفساد والخداع والريبة)، فضرب عبد الله في صدره وقال: أحدثك عن رسول الله ﷺ، وتقول: لا نأذن لهن[2] ؟!. وفي هذه القصة دليل على تعزير (عقاب) المعترض على السنة والمعارض لها برأيه، وفيه تعزير الوالد ولده وإن كان كبيرًا[3] ....لقد كان عبد الله بن عمر حكيمًا في عقابه للمخطئين، وكان بالطبع لا يعاقب (بضرب الصدر وغيره) إلا في موقف يستحق العقاب، وكان في ضربه لصدر المخطئ لا يزيد عن ضربة واحدة متوسطة القوة، وذلك أسوة بحبيبه النبي ﷺ، فعن سعيد بن أبى سعيد المقبري قال: جئت إلى عبد الله بن عمر وهو يناجي رجلاً (يتحدث معه بصوت منخفض)؛ فظننتُ أنه يحدثه بحديث رسول الله ﷺ، فأدخلت رأسي بينهما، فصك في صدري، فدهشت وضحكتُ، فقال ابن عمر: أمجنون أنت؟ قال سعيد: قلت: ظننتُ أنك تحدثه بحديث رسول الله ﷺ، فقال ابن عمر: أما سمعت أن النبي عليه الصلاة والسلام قال: **«إذا تناجي اثنان؛ فلا يدخل بينهما الثالث إلا بإذنهما»**[4] ...

---

(١) التاريخ الكبير ٦/ ١٩٩.

(٢) انظر: صحيح مسلم ١/ ٣٢٧، وسنن الترمذي ٢/ ٤٥٩.. ولقد قال الإمام النووي: لا تمنع المرأة من الخروج للمسجد لكن بشروط ذكرها العلماء، وهي أن لا تكون متطيبة، ولا متزينة، ولا ذات خلاخل يسمع صوتها، ولا ثياب فاخرة، ولا مختلطة بالرجال ونحوها ممن يفتتن بها، وأن لا يكون في الطرق ما يخاف به مفسدة، ونحوها «شرح النووي على صحيح مسلم ٤/ ١٦١، ١٦٢» (بتصرف).

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم ٤/ ١٦١، ١٦٢ (بتصرف).

(٤) تاريخ مدينة دمشق ٢١ / ٢٨٠، والتمهيد لابن عبد البر ١٥/ ٢٩١، ٢٩٢، ومسند أحمد ٢/ ١٣٨.

أيها المربي الكريم،

إن العقاب بضربة خفيفة على الصدر لا يستخدم مع صغار السن، لأنه قد يضرهم ويصيبهم بأذى، كما يشترط فيمن نعاقبه بالضرب الخفيف على الصدر أن يكون على معرفة تامة أن ما يرتكبه خطأ، وليس له عذر يعفيه من العقوبة، وينبغي على المربي ألا يعاقب بالضرب على الصدر وهو غضبان، حتى لا يتكرر معه ما حدث مع سيدنا موسى عليه السلام، قال تعالى: ﴿**وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ**﴾ [القصص:١٥]، فسيدنا موسى- عليه السلام- لما دخل المدينة وقت الظهيرة والناس نيام، وجد فيها رجلين يقتتلان ويتصارعان، أحدهما كان من بني إسرائيل قوم سيدنا موسى وعشيرته، والآخر كان من الأقباط قوم فرعون، وكان الرجل الإسرائيلي مظلومًا فاستغاث بالنبي الكريم حتى ينصره، فانفعل سيدنا موسى وغضب غضبًا شديدًا؛ لأن النفوس الطاهرة تنفر من الظلم وتعطف على المظلوم بل وتساعده بأقصى ما تستطيع، ولقد أطاع سيدنا موسى غضبه فضرب الظالم بقبضة يده فكانت نهايته، لقد مات الرجل القبطي بضربة واحدة من سيدنا موسى، وهنا ندم النبي الكريم أشد الندم، وهتف قائلا: هذا من عمل الشيطان وإغوائه، إنه عدو مضل مبين، وذلك لأن الموقف كان من الممكن أن يعالج بطريقة أخرى بعيدًا عن القتل وإزهاق الأرواح، لكن الغضب- في أغلب الأحيان- يقود الإنسان إلى الشرور والمهالك والندم[1] ...

(١) تفسير القرطبي ١٣/ ٣٥٩-٣٦١ (بتصرف).

 ثالثًا: ضرب اليد وإمساكها

ضربة واحدة على اليد قد تنبه الغافل وتعلم الجاهل وتعاقب المخطئ، وهذا ما يؤكده لنا الإمام أحمد بما رواه عن عبد الله بن محمد عن امرأة منهم قالت: دخل عليّ رسول الله ﷺ وأنا آكل بشمالي، وكنت امرأة عسراء؛ فضرب يدي فسقطت اللقمة، فقال: «**لا تأكلي بشمالك وقد جعل الله تبارك وتعالى لك يمينًا**» ، أو قال: «**قد أطلق الله عزّ وجلّ لك يمينك**»، قالت: فتحولتْ شمالي يمينًا، فما اختلفا بها بعد (يعنى لم تعد امرأة عسراء وبقيت القوة في يدها اليمنى)[(١)] ... ولقد تعلم الصحابة الدرس من حبيبهم محمد ﷺ وطبقوه مع أبنائهم وتلامذتهم؛ فقد روى الإمام مسلم عن مصعب بن سعد ابن أبى وقاص- رضي الله عنهما – قال: صليت إلى جنب أبى، قال: وجعلت يدي بين ركبتي (أثناء الركوع) فقال لي أبى: اضرب بكفيك (يعني ضعهما) على ركبتيك، قال مصعب: ثم فعلت ذلك مرة أخرى؛ فضرب يدي وقال: إنا نُهينا عن هذا وأُمرنا أن نضرب بالأكفّ (نضعها) على الركب[(٢)] ...وروى الإمام أحمد عن زياد بن صبيح الحنفي قال: صليت إلى جنب عبد الله بن عمر، فوضعت يدي على خاصرتي؛ فضرب يدي، فلما صلى قال: «هذا الصلب في الصلاة، وكان رسول الله ﷺ ينهي عنه»[(٣)] ، وروى ابن خزيمة والطبراني (واللفظ له) عن أبى ثمامة قال: لقيت كعب بن عجرة[(٤)] يوم جمعة وأنا أريد الجمعة (يعنى ذاهب لصلاة الجمعة)، فلما رأيتُه أسرعتُ نحوه وقد شبكتُ بين أصابعي، فلما دنوتُ منه ضرب يدي وفرَّق بين أصابعي، فقلتُ: ما هذا يا أبا محمد؟! فقال: إنا قد نُهينا أن يشبك أحدنا بين أصابعه في الصلاة، قلت: إني لست في الصلاة، فقال: أليس توضأت وأنت تريد الجمعة (ذاهب الصلاة)؟

---

(١) مسند أحمد ٤/ ٦٩، ٥/ ٣٦٠.

(٢) صحيح مسلم ١/ ٣٨٠.

(٣) مسند أحمد ٢/ ١٠٦.

(٤) كعب بن عجرة صحابي جليل، روى ابن خزيمة في صحيحه عن أبى هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال لكعب بن عجرة: «**إذا توضأت ثم دخلت المسجد فلا تشبكن بين أصابعك**» صحيح ابن خزيمة ١/ ٢٢٧.

قلت: بلى، قال: فأنت في صلاة[1]...

وكما أن ضرب اليد يستخدم للتنبيه والتعليم والعقاب؛ فإن إمساكها والقبض عليها يستخدم للغرض نفسه؛ ويدل على ذلك ما رواه ابن ماجه والطبراني وابن خزيمة والترمذي (واللفظ له) عن عكراش بن ذؤيب ﷺ قال: بعثني بنو مرة بن عبيد بصدقات أموالهم إلى رسول الله ﷺ، فقدمت عليه المدينة فوجدتُه جالسًا بين المهاجرين والأنصار، قال عكراش: ثم أخذ بيدي فانطلق بي إلى بيت أم سلمة، فقال: هل من طعام؟ فأتينا بجفنة كثيرة الثريد والوذر (قطع اللحم)، وأقبلنا نأكل منها، فخبطتُ بيدي في نواحيها وأكل رسول الله ﷺ من بين يديه، فقبض بيده اليسرى على يدي اليمنى ثم قال: «**يا عكراش؛ كُلْ من موضع واحد؛ فإنه طعام واحد**»، ثم أتينا بطبق فيه ألوان الرطب أو من ألوان الرطب، قال: فجعلت آكل من بين يدي، وجالت يد رسول الله ﷺ في الطبق، وقال: «**يا عكراش؛ كُلْ من حيث شئت؛ فإنه غير لون واحد**»[2]...

رابعًا: طعن البطن مداعبة وتنبيه ومعاقبة

الطعن في البطن بالإصبع أو بعصا صغيرة- برفق ولين- يستخدم لثلاثة أهداف تربوية؛ فطعن البطن يستخدم بغرض المداعبة أو التنبيه لخطأ ما وربما يستخدم للمعاقبة، وهذا ما نراه بصورة واضحة في حياة حبيبنا محمد ﷺ وصحابته الكرام، فطعن البطن بالإصبع بغرض المداعبة والملاطفة نجده فيما رواه الحاكم والبيهقي عن عبد الرحمن بن أبى ليلى عن أبيه قال: كان أسيد بن حضير رجلاً ضاحكًا مليحًا، قال: فبينما هو عند رسول الله ﷺ يحدث القوم ويضحكهم؛ فطعن رسول الله ﷺ بإصبعه في خاصرته، فقال أسيد: أوجعتني، قال ﷺ: «**اقتص**»، قال أسيد: يا رسول الله؛ إن عليك قميصًا ولم يكن عليّ قميص،

---

(١) صحيح ابن خزيمة ١/ ٢٢٧، والمعجم الكبير ١٩/ ١٥٢.
(٢) سنن الترمذي ٤/ ٢٨٣، والمعجم الأوسط ٦/ ١٨٠، وسنن ابن ماجة ٢/ ١٠٨٩، وصحيح ابن خزيمة ٤/ ٢٨.

قال: فرفع رسول الله ﷺ قميصه؛ فاحتضنه. أسيد ثم جعل يقبل كشحه (خصره)، فقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، أردت هذا[١]. وكما طعن رسول الله ﷺ بطن أسيد بن الحضير ليداعبه ويلاطفه، فقد استخدم ﷺ الطعن الخفيف في البطن لينبه من أساء من أصحابه ويدعوه لتصحيح ما ارتكبه من خطأ، فها هو معلمنا الكريم ﷺ يَصُفُّ المسلمين للقتال قبيل غزوة بدر، وأثناء مروره بين الصفوف رأى صحابيًا جليلاً يقف خارج الصف، فطعنه ﷺ في بطنه بقدح (بسهم لا نصل له) كان في يده وقال له: «**استو يا سواد**»، وهنا يعلن سواد بن غزية رضي الله عنه عن تألمه من الطعن ويطلب القصاص من رسول الله ﷺ فيقول: يا رسول الله أوجعتني، وقد بعثك الله بالحق والعدل؛ فأقدني (أي مكني من القود أي القصاص من نفسك)، وما كان من المعلم الكريم ﷺ إلا أن كشف عن بطنه الشريف وقال لسواد بكل تواضع ورحمة: «**استقد**» (أي اقتص وخذ حقك)، وهنا تظهر النية الحقيقية لسيدنا سواد؛ إذ أنه ما تألم لطعنة وما أراد القصاص؛ لكنه أراد أن يمس جلده جلد حبيبه محمد ﷺ لعله بذلك ينجو من النار، لقد انتهز سيدنا سواد فرصة كشف النبي ﷺ لبطنه الشريف فاحتضنه وأخذ يقبّل بطنه، وهنا يسأل الرسول الكريم ﷺ عن سبب هذا التصرف فيقول: «**ما حملك على هذا يا سواد؟**» فقال سواد: يا رسول الله؛ حضر ما ترى (يعنى الحرب)، فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدي جلدك، فدعا له رسول الله ﷺ بخير[٢]...

وكما يستخدم الطعن الخفيف للبطن في المداعبة وتنبيه المخطئ لما يفعل؛ فإنه يستخدم كذلك كنوع من الضرب والعقاب؛ فقد روى البخاري ومسلم عن أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - قالت: «خرجنا مع رسول الله ﷺ

---

(١) المستدرك على الصحيحين ٣/ ٣٢٧، وسنن البيهقي الكبرى ٨/ ٤٩.

(٢) انظر: السيرة النبوية ٣/ ١٧٤، والسيرة الحلبية ٢/ ٤٠٢، ومعجم الصحابة ١/ ٢٩٧، والإصابة في تمييز الصحابة ٥ / ٢٩٧، والبداية والنهاية ٣/ ٢٧١، وتاريخ الطبري ٢/ ٣٢، وسمط النجوم العوالي ٢/ ٥٨، والطبقات الكبرى ٣/ ٥١٦.

في بعض أسفاره، حتى إذا كنا بالبيداء أو بذات الجيش[١]؛ انقطع عقد لي، فأقام رسول الله ﷺ على التماسه وأقام الناس معه، وليسوا على ماء، فأتى الناس إلى أبي بكر الصديق فقالوا: ألا ترى ما صنعت عائشة، أقامت برسول الله ﷺ والناس وليسوا على ماء وليس معهم ماء؛ فجاء أبو بكر ورسول الله ﷺ واضع رأسه على فخذي قد نام؛ فقال: حبست رسول الله ﷺ والناس وليسوا على ماء وليس معهم ماء، فقالت عائشة: فعاتبني أبو بكر وقال ما شاء الله أن يقول، وجعل يطعنني بيده في خاصرتي، فلا يمنعني من التحرك إلا مكان رسول الله ﷺ على فخذي، فقام رسول الله ﷺ حين أصبح على غير ماء، فأنزل الله آية التيمم فتيمموا، فقال أسيد بن الحضير: ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر، قالت: فبعثنا البعير الذي كنت عليه فأصبنا العقد تحته»[٢].

وعندما نتأمل الموقف السابق نجد فيه العديد من الدروس والفوائد التربوية، فسيدنا أبو بكر ﷺ قد عاتب السيدة عائشة وعاقبها بالطعن في بطنها مع أنها كبيرة ومتزوجة ومع زوجها، وفي هذا دليل على «تأديب الرجل ولده بالقول والفعل والضرب ونحوه، وفيه تأديب الرجل ابنته وإن كانت كبيرة متزوجة خارجة عن بيته»[٣] ... وفي قول السيدة عائشة رضي الله عنها فعاتبني أبو بكر ولم تقل: فعاتبني أبي دليل على غضبها مما فعله بها من العتاب والطعن في البطن، «فالأبوة تعني الحنو والعطف والرفق، وما وقع من العتاب بالقول والتأديب بالفعل مغاير لذلك في الظاهر، فلذلك أنزلته منزلة الأجنبي فقالت

---

(١) البيداء وذات الجيش موضعان بين المدينة وخيبر.

(٢) صحيح البخاري ١/ ١٢٧، وصحيح مسلم ١/ ٢٧٩.

(٣) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم، ٤ /٥٩، وفتح الباري، ١/ ٤٣٣..ولقد قال العلماء: يؤدَّب الولد ولو كان كبيرًا متزوجًا منفردًا في بيت؛ لقول عائشة: لمّا انقطع عقدها وأقام النبي ﷺ بالناس وليس معهم ماء فعاتبني أبو بكر وقال ما شاء الله أن يقول وجعل يطعن بيده في خاصرتي، ولما روى عن ابن عمر أنه قال: لا تمنعوا إماء الله مساجد الله، فقال ابنه بلال: والله لنمنعهن، فسبه سبًا سيئًا وضربه في صدره» الفروع ٥/ ٤٦٠.

أبو بكر ولم تقل أبي»[١] ...وفي ختام القصة دعوة للآباء والأمهات إلى الرفق بأبنائهم وعدم التسرع في لومهم وعتابهم، فلقد عاتب أبو بكر ﷺ ابنته ليلاً لأنها حبست المسلمين ليبحثوا لها عن عقدها الضائع في مكان ليس به ماء وليس معهم ما يكفيهم من الماء، وفي الصباح جاء الفرج لهم وللمسلمين من بعدهم. وذلك بنزول آيات التيمم لمن لم يجد الماء، وهنا قال أسيد بن الحضير ﷺ: ما هي بأول بركتكم يا آل أبى بكر، وكأن ما حدث كله ليس إلا بركة من بركات السيدة عائشة والتي هي واحدة من آل أبى بكر، فعلينا- كآباء ومعلمين- ألا نتسرع في العتاب، لأننا قد نعاتب أبناءنا على شيء لا يستحق العتاب، وربما نعاتبهم على شيء نظنه شرًا فيتضح بعد ذلك أنه كان خيرًا...

* * *

(١) فتح الباري، ١/ ٤٣٣ (بتصرف).

خاتمة مهمـــة

تحدثنا في الصفحات السابقة عن الكيفية التي حددها الإسلام للضرب، سواء أكان ذلك ضرب الأبناء والتلاميذ أو ضرب الزوجات أو حتى ضرب المذنبين عند إقامة الحدود، ولقد وضع الإسلام الكثير من القواعد التي تحكم عملية الضرب، وهذه القواعد ما وضعها الإسلام إلا ليحقق الأهداف التالية:

أولاً: الحفاظ على كرامة ومشاعر المضروب؛ فلا يهان أو تستباح إنسانيته، ويتحقق ذلك عن طريق عدم ضرب الوجه والامتناع عن الشتائم واللعن والتعيير والبعد عن ضرب الأبناء أمام زملائهم وأصدقائهم وعدم مد المضروب أو تقييده أو تجريده من ملابسه.

ثانيًا: لا تكسر للمضروب عظمًا، فعندما قال تعالى في سورة النور: ﴿وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلاَ تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً﴾ كان الضرب المقصود في هذه الآية كما قال الإمام القرطبي: هو ضرب الأدب غير المُبْرح، وهو الذي لا يكسر عظمًا ولا يشين (يفسد) جارحة؛ كاللكزة ونحوها؛ فإن المقصود منه الصلاح لا غير[1]، ولقد قال عبد الله بن عباس ﷺ: يهجرها (يعني زوجته الناشز بعد وعظها) في المضجع فإن أقبلت وإلا فقد أذن الله لك أن تضربها ضربًا غير مبرحًا ولا تكسر لها عظمًا فإن أقبلت وإلا فقد أحل الله لك منها الفدية[2].

ويتحقق عدم كسر عظام المضروب بمراعاة شروط عصا الضرب فتكون لينة ومرنة وليس في طرفها عقدة كما تكون رفيعة، والضرب في مناطق الجسم التي حددها العلماء كالمقعدة والفخذين وغيرهما، وتوزيع الضرب على الأعضاء فتعطي كل عضو حقه من الضرب، مع مراعاة حجم الخطأ وحالة جسم المذنب عند الضرب، بالإضافة إلى عدم رفع اليد عاليًا عند الضرب.

---

(١) تفسير القرطبي ٥/ ١٧٢.
(٢) تفسير ابن كثير ١/ ٤٩٣.

ثالثًا: لا تقطع للمضروب جلدًا: حتى عند إقامة الحد، فلقد أتى عمر بن الخطاب ﷺ بامرأة قد زنت فقال: ويل للمرية أفسدت حسبها، اذهبا فاجلداها، ولا تخرقا جلدها[1]، ومن هنا قال الإمام القرطبي: الضرب الذي يجب هو أن يكون مؤلمًا لا يجرح ولا يبضع[2].

ولتحقيق هذا الهدف فلقد اشترط الفقهاء في سوط أو عصا الضرب أن يكون وسطًا بين القديم والجديد؛ إذ السوط الجديد يجرح والبالي لا يؤلم، والغرض من الضرب هو الإيلام دون الجرح[3]، كما اشترط الفقهاء في عصا الضرب أن تكون رفيعة ولينة وقصيرة وليس في طرفها عقدة حتى لا تقطع له جلدًا، وقالوا للضارب: لا ترفع يدك عاليا عند الضرب، ولا تركز الضرب على مكان واحد، بل توزعه على أماكن الضرب المختلفة.

رابعًا: لا تفسد للمضروب جارحة: لذلك قال لك الفقهاء: لا تضرب الوجه والرأس والصدر والبطن وأسفل الظهر والأعضاء التناسلية، ولا تركز الضرب في عضو واحد لأنه يفضي إلى تلف ذلك العضو أو إلى تمزيق جلده، وكل ذلك لا يجوز[4]، ولكي يتحقق هذا الهدف فلقد حدد العلماء الحد الأقصى للضربات في البيت بعشر وفي المدرسة بثلاث، وكان من شروط العصا أن تكون قصيرة (أقل من ستين سنتيمترا) حتى تتحكم بها جيدًا عند الضرب، فلا تؤذي عضوًا حساسًا في جسد المضروب.

خامسًا: لا تهتك للمضروب لحمًا: وذلك يعني ألا ينتج عن الضرب كدمات أو جروح غائرة، ويتحقق ذلك بتطبيق شروط عصا الضرب، فتكون رفيعة وقصيرة ولينة وليس في طرفها عقدة، وبالإضافة إلى عدم رفع اليد عاليًا وعدم ربطه أثناء الضرب أو بعده، وعدم الزيادة عن الحد الأقصى للضربات وهي عشر وتوزيعها على أماكن الضرب المختلفة من الجسم.

---

(١) سنن البيهقي الكبرى ٨/ ٣٢٧، ومصنف عبد الرزاق ٧/ ٣٧٤، والمهذب ٢/ ٢٧٠، ٢٧١.
(٢) تفسير القرطبي ١٢/ ١٦٣.
(٣) المبدع ٩/ ٤٧- ٤٩ (بتصرف).
(٤) بدائع الصنائع ٧/ ٥٩.

أيها الوالد الكريم، أيتها الأم الحنون

كثيرًا ما ضربنا أبناءنا دون الالتزام بقواعد الضرب الصحيحة، وهذا يحتاج إلى توبة واستغفار مع نية صادقة ورغبة أكيدة في ترك أساليب الضرب الخاطئة، وليكن قدوتنا في ذلك الصحابي الجليل أبا مسعود الأنصاري؛ فقد روى الإمام مسلم وأبو داود والترمذي عن أبي مسعود البدري الأنصاري ﷺ قال: كنت أضرب غلامًا لي بالسوط، فسمعت صوتًا من خلفي: «**اعلم أبا مسعود**»، فلم أفهم الصوت من الغضب، فلما دنا مني إذا هو رسول الله ﷺ، فإذا هو يقول: «**اعلم أبا مسعود أن الله عزّ وجلّ أقدر عليك منك على هذا الغلام**»، فقلت: لا أضرب مملوكًا بعده أبدًا. وفي رواية للإمام أحمد قال أبو مسعود: فحلفت ألا أضرب مملوكًا أبدًا، وفي رواية للإمام الترمذي قال أبو مسعود: فما ضربت مملوكًا لي بعد ذلك[1].

وبعد أن نعقد العزم على ألا نضرب أبناءنا بعد اليوم بطريقة غير صحيحة، علينا أن نحرص على عدم خصام أبنائنا مدة طويلة بعد ضربنا لهم، سواء أضربناهم بطريقة صحيحة أم غير صحيحة، حيث يستغل الشيطان هذا الوقت فيوسع الهوة بيننا وبين أبنائنا، ومن هنا حرص النبي ﷺ على تطييب خاطر من ضرب من الصحابة بأسرع وقت ممكن، ولِمَ لا؟ وقد كان عليه الصلاة والسلام كالوالد لأبنائه؛ روى ابن كثير عن عبد الله بن أبي بكر أن رجلاً ممن شهد حنين قال: والله إني لأسير إلى جنب رسول الله ﷺ على ناقة لي (وهم عائدون من غزوة حنين) وفي رجلي نعل غليظة، إذ زاحمت ناقتي ناقة رسول الله ﷺ ويقع حرف نعلي على ساق رسول الله ﷺ فأوجعه، فقرع ﷺ قدمي بالسوط قال: «**أوجعتني فتأخر عني**»، فانصرفتُ، فلما كان الغد إذا رسول الله ﷺ يلتمسني (يبحث عني)، فقلتُ: هذا والله لما كنتُ أصبتُ من رجل رسول الله ﷺ بالأمس، قال: فجئته وأنا أتوقع، فقال ﷺ: «**إنك أصبتَ قدمي بالأمس فأوجعتني فقرعتُ قدمَك**

---

(١) الترغيب والترهيب ٣/ ١٤٧، ومسند أحمد ٤/ ١٢٠، وسنن الترمذي ٤/ ٣٣٥.

بالسوط فدعوتُك لأعوضكَ منها»، فأعطاني ثمانين نعجة بالضربة التي ضربني[1] فهيا بنا نطيِّب خاطر أبنائنا بعد ضربنا لهم، حتى لو ضربناهم عصا واحدة، وليكن الحد الأقصى لتركهم دون مصالحة يومًا واحدًا كما فعل نبينا الكريم ﷺ.

وفي الختام هناك سؤال يطرح نفسه وهو: هل نترك أبناءنا يعرفون هذه القواعد أم لا؟ والحقيقة أن سماعهم لهذا الموضوع ومعرفتهم لقواعد الضرب له ثلاث فوائد:

الفائدة الأولى: سيساعدونك على تطبيقها، فكلما ضربتهم بصورة خاطئة نبهوك ورجوك أن تبتعد عن ذلك.

الفائدة الثانية: نربيهم على معرفة حقوقهم وتشجيعهم على المطالبة بها، وما أجمل أن تقول لأبنائك: عندما أضربكم بصورة خاطئة نبهوني حتى أبتعد عن ذلك فنتعاون جميعًا على الخير.

الفائدة الثالثة: فائدة مستقبلية وهي أن أبناءنا سيربون أبناءهم- إن شاء الله- بطريقة سليمة، يبتعدون عن طرق الضرب الخاطئة، مما يجعل الخير يمتد عبر الأجيال ويُتوارث الحق جيلاً بعد آخر.. فهيا بنا نطبق هذه الفكرة، وسنجد في بيتنا العديد من المواقف والطرائف الجيدة، فإنا أذكر أن إحدى البنات الصغيرات (عمرها ٥ سنين ونصف) حضرت مع أمها محاضرة عن كيفية ضرب الأبناء وسمعت أن ضرب الأبناء له كثير من القواعد والمحاذير، وفي اليوم التالي ذهبت إلى الروضة، وعندما عادت من المدرسة قالت لأمها: عندما أخطئ أو أتشاقى لا تضربيني، فقالت الأم: لماذا؟ فقالت البنت: لأن النبي ﷺقال: إذا جاء الطفل من المدرسة فلا تضرباه أي (أمه أو أبوه)، وطبعًا هذا ليس بحديث لكن هذا ما فهمته الطفلة الصغيرة من الأحاديث النبوية الشريفة التي تناولت موضوع الضرب، فعبّرتْ عنه بطريقة طفولية رائعة....

***

---

(١) البداية والنهاية ٤/ ٣٥٥.

المراجـــع

١- الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد بن أبى بكر بن فرح القرطبى أبو عبد الله ـ ٦٧١هـ، دار الشعب (القاهرة)، الطبعة الثانية ١٣٧٢هـ، تحقيق أحمد عبد العليم البرودنى.

٢- جامع البيان عن تأويل آى القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبرى أبو جعفر، ت٣١٠هـ، دار الفكر (بيروت)، ١٤٠٥هـ.

٣- تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقى أبو الفداء، (ت٧٧٤هـ)، دار الفكر (بيروت)، ١٤٠١هـ.

٤- تفسير الجلالين، جلال الدين المحلى وجلال الدين السيوطى، دار الحديث (القاهرة)، الطبعة الأولى.

٥- الدر المنثور، عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطى، (ت٩١١)، دار الفكر (بيروت) ١٩٩٣م.

٦- الجامع الصحيح المختصر، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخارى الجعفى (ت٢٥٦هـ)، دار ابن كثير (بيروت) الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م، تحقيق د. مصطفى ديب البغا.

٧- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيرى النيسابورى (ت٢٦١هـ)، دار إحياء التراث العربى(بيروت)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى.

٨- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمى البستى، (ت٣٥٤هـ)، مؤسسة الرسالة (بيروت)، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م، تحقيق شعيب الأرناؤوط.

٩- صحيح ابن خزيمة، محمد بن إسحاق بن خزيمة أبو بكر السلمى النيسابورى (ت ٣١١ هـ)، المكتب الإسلامى (بيروت)، ١٣٩٠هـ-١٩٧٠م، تحقيق: د. محمد مصطفى الأعظمى.

١٠- الجامع الصحيح سنن الترمذى، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذى السلمى (ت٢٧٩هـ)، دار إحياء التراث العربى (بيروت)، تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرين.

١١- موطأ الإمام مالك، مالك بن أنس أبو عبد الله الأصبحى (ت١٧٩هـ)، دار إحياء التراث العربى (مصر)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى.

١٢- سنن البيهقى الكبرى، أحمد بن الحسين بن على بن موسى أبو بكر البيهقى، (ت ٤٥٨هـ)، مكتبة دار الباز (مكة المكرمة) ١٤١٤هـ-١٩٩٤م، تحقيق محمد عبد القادر عطا.

١٣- سنن أبى داود، سليمان بن الأشعث أبو داود السجستانى الأزدى، (ت٢٧٥هـ)، دار الفكر (بيروت)، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد.

١٤- مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيبانى، (ت٢٤١هـ)، مؤسسة قرطبة (مصر).

١٥- مسند أبى يعلى، أحمد بن على بن المثنى أبو يعلى الموصلى التميمى، (ت٣٠٧هـ)، دار المأمون للتراث (دمشق)، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م، تحقيق حسين سليم أسد.

١٦- المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم النيسابورى، (ت٤٠٥هـ)، دار الكتب العلمية (بيروت) الطبعة الأولى ١٤١١هـ-١٩٩٠م، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا.

١٧- سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد أبو عبد الله القزوينى، (ت ٢٧٥ هـ)، دار الفكر (بيروت)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى.

١٨- سنن الدارقطنى، على بن عمر أبو الحسن الدارقطنى البغدادى، (ت٣٨٥هـ)، دار المعرفة (بيروت)، ١٣٨٦هـ-١٩٦٦م، تحقيق السيد عبد الله هاشم يمانى المدنى.

١٩- السنن الكبرى، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائى ، (ت٣٠٣هـ)، دار

الكتب العلمية (بيروت)، الطبعة الأولى ١٩٩١م، تحقيق د. عبد الغفار سليمان البندارى، سيد كسروى حسن.

٢٠- الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، عبد العظيم بن عبد القوى المنذرى أبو محمد، (ت٦٥٦)، دار الكتب العلمية (بيروت) ١٤١٧هـ، الطبعة الأولى، تحقيق إبراهيم شمس الدين.

٢١- الروض الدانى (المعجم الصغير)، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبرانى، (ت٣٦٠هـ)، المكتب الإسلامى (بيروت) دار عمار (عمان)، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م، تحقيق محمد شكور محمود الحاج أمرير.

٢٢- المعجم الأوسط، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبرانى (ت ٣٦٠ هـ)، دار الحرمين (القاهرة)، ١٤١٥هـ، تحقيق طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسينى.

٢٣- المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبرانى، (ت٣٦٠هـ)، مكتبة العلوم والحكم (الموصل)، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ-١٩٨٣م، تحقيق حمدى ابن عبد المجيد السلفى.

٢٤- سنن الدارمى، عبد الله بن عبد الرحمن أبو محمد الدارمى، (ت٢٥٥هـ)، دار الكتاب العربى (بيروت)، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ، تحقيق فواز أحمد زمرلى، خالد السبع العلمى.

٢٥- المصنف، أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعانى، (ت ٢١١هـ)، المكتب الإسلامى (بيروت)، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمى.

٢٦- الجامع، معمر بن راشد الأزدى (ت١٥١هـ)، المكتب الإسلامى (بيروت) ١٤٠٣هـ، الطبعة الثانية، تحقيق حبيب الأعظمى (منشور كملحق بكتاب المصنف للصنعانى ج١٠).

٢٧- فتح البارى شرح صحيح البخارى، أحمد بن على بن حجر أبو الفضل العسقلانى الشافعى، (ت٨٥٢هـ)، دار المعرفة (بيروت)، ١٣٧٩هـ، تحقيق محمد

فؤاد عبد الباقى، محب الدين الخطيب.

٢٨- صحيح مسلم بشرح النووى، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مرى النووى (ت ٦٧٦هـ)، دار إحياء التراث العربى (بيروت)، الطبعة الثانية ١٣٩٢هـ.

٢٩- التمهيد لما فى الموطأ من المعانى والأسانيد، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمرى (ت٤٦٣ هـ)، وزارة عموم الأوقاف والشئون الإسلامية (المغرب) ١٣٨٧هـ، مصطفى بن أحمد العلوى، محمد عبد الكبير البكر.

٣٠- نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار، محمد بن على بن محمد الشوكانى (ت١٢٥٥هـ)، دار الجيل (بيروت) ١٩٧٣م.

٣١- سبل السلام شرح بلوغ المرام من أدلة الأحكام، محمد بن إسماعيل الصنعانى الأمير (ت٨٥٢هـ)، دار إحياء التراث العربى (بيروت)، الطبعة الرابعة ١٣٧٩هـ، تحقيق محمد عبد العزيز الخولى.

٣٢- المهذب فى فقه الإمام الشافعى، إبراهيم بن على بن يوسف الشيرازى أبو إسحاق، دار الفكر (بيروت).

٣٣- المبدع فى شرح المقنع، إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن مفلح الحنبلى أبو إسحاق (ت ٨٨٤هـ)، المكتب الإسلامى (بيروت)، ١٤٠٠هـ.

٣٤- بدائع الصنائع فى ترتيب الشرائع، علاء الدين الكاسانى (ت٥٨٧هـ)، دار الكتاب العربى (بيروت)، الطبعة الثانية ١٩٨٢م.

٣٥- الكافى فى فقه الإمام المبجل أحمد بن حنبل، عبد الله بن قدامة المقدسى أبو محمد، المكتب الإسلامى (بيروت)، الطبعة الخامسة ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م، تحقيق زهير الشاويش.

٣٦- منار السبيل فى شرح الدليل، إبراهيم بن محمد بن سالم بن ضويان (ت١٣٥٣هـ)، مكتبة المعارف (الرياض)، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ، تحقيق عصام القلعجى.

٣٧- كشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس بن إدريس البهوتى، دار الفكر

(بيروت) ١٤٠٢هـ، تحقيق هلال مصيلحى مصطفى هلال.

٣٨- روضة الطالبين وعمدة المفتين للنووى، المكتب الإسلامى (بيروت)، الطبعة الثانية ١٤١٥هـ.

٣٩- المغنى فى فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيبانى، عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسى أبو محمد (ت٦٢٠هـ)، دار الفكر (بيروت) الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.

٤٠- الروض المربع شرح زاد المستقنع، منصور بن يونس بن إدريس البهوتى (ت١٠٥١هـ)، مكتبة الرياض الحديثة (السعودية) ١٣٩٠هـ.

٤١- المدونة الكبرى، مالك بن أنس، دار صادر (بيروت).

٤٢- الشرح الكبير، أحمد الدردير أبو البركات، دار الفكر (بيروت)، تحقيق محمد عليش.

٤٣- حاشية ابن عابدين (حاشية رد المحتار على الدر المختار: شرح تنوير الأبصار) محمد أمين، دار الفكر (بيروت)، الطبعة الثانية ١٣٨٦هـ.

٤٤- الإنصاف فى معرفة الراجح من الخلاف على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، على بن سليمان المرداوى أبو الحسن (ت٨٨٥هـ)، دار إحياء التراث العربى (بيروت)، تحقيق محمد حامد الفقى.

٤٥- المحرر فى الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، عبد السلام بن عبد الله بن أبى القاسم بن تيمية الحرانى (ت٦٥٢هـ)، مكتبة المعارف (الرياض)، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ.

٤٦- زاد المستقنع، موسى بن أحمد بن سالم المقدسى الحنبلى أبو النجا (ت ٦٩٠هـ)، مكتبة النهضة الحديثة، (مكة المكرمة)، تحقيق على محمد عبد العزيز الهندى.

٤٧- دليل الطالب على مذهب الإمام المبجل أحمد بن حنبل، مرعى بن يوسف الحنبلى، المكتب الإسلامى (بيروت)، الطبعة الثانية ١٣٨٩هـ.

٤٨- الفروع وتصحيح الفروع، محمد بن مفلح المقدسى أبو عبد الله (ت٧٦٢هـ)، دار

الكتب العلمية (بيروت) الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ، تحقيق أبو الزهراء حازم القاضي.

٤٩- المبسوط، محمد بن أبى سهل السرخسى أبو بكر، دار المعرفة، (بيروت) ١٤٠٦هـ.

٥٠- كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، أحمد عبد الحليم بن تيمية الحرانى أبو العباس (ت٧٢٨هـ)، مكتبة ابن تيمية، الطبعة الثانية، تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمى النجدى.

٥١- توضيح المقاصد وتصحيح القواعد فى شرح قصيدة الإمام ابن القيم، أحمد بن إبراهيم بن عيسى (ت١٣٢٩هـ)، المكتب الإسلامى (بيروت) الطبعة الثالثة ١٤٠٦هـ، تحقيق: زهير الشاويش.

٥٢- السيرة النبوية لابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميرى المعافرى أبو محمد (ت٢١٣ هـ)، دار الجيل (بيروت)، الطبعة الأولى ١٤١١هـ، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد.

٥٣- السيرة الحلبية فى سيرة الأمين والمأمون، على بن برهان الدين الحلبى (ت١٠٤٤هـ) ، دار المعرفة (بيروت) ١٤٠٠هـ.

٥٤- البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشى أبو الفداء (ت٧٧٤هـ) ، مكتبة المعارف (بيروت).

٥٥- تاريخ مدينة دمشق، أبو القاسم على بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعى، (ت٥٧١هـ) ، دار الفكر (بيروت) ١٩٩٥م، تحقيق: محب الدين أبى سعد عمر بن غرامة العمرى.

٥٦- سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى أبو عبد الله (ت٧٤٨هـ)، مؤسسة الرسالة (بيروت)، الطبعة التاسعة ١٤١٣هـ، تحقيق شعيب الأرناؤوط، محمد نعيم العرقسوسى.

٥٧- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهانى

(ت٤٣٠هـ)، دار الكتاب العربى (بيروت)، الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ.

٥٨- زاد المعاد فى هدى خير العباد، محمد بن أبى بكر أيوب الزرعى أبو عبد الله (ت٧٥١ هـ)، مؤسسة الرسالة (بيروت)، مكتبة المنار الإسلامية (الكويت) الطبعة الرابعة عشرة ١٤٠٧هـ-١٩٨٦م، تحقيق: شعيب الأرناؤوط - عبد القادر الأرناؤوط.

٥٩- تاريخ الخلفاء، عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى (ت٩١١هـ)، مطبعة السعادة (مصر)، الطبعة الأولى ١٣٧١هـ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد.

٦٠- تاريخ بغداد، أحمد بن على أبو بكر الخطيب البغدادى (ت٤٦٣هـ)، دار الكتب العلمية (بيروت).

٦١- الوافى بالوفيات: صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدى، دار إحياء التراث (بيروت) ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، تركى مصطفى.

٦٢- تهذيب الكمال، يوسف بن الزكى عبد الرحمن أبو الحجاج المزى (ت٧٤٢هـ) ، مؤسسة الرسالة (بيروت)، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م، تحقيق د. بشار عواد معروف.

٦٣- تهذيب التهذيب، أحمد بن على بن حجر أبو الفضل العسقلانى الشافعى (ت٨٥٢هـ)، دار الفكر (بيروت)، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.

٦٤- أخبار المدينة، أبو زيد عمر بن شبة النميرى البصرى (ت٢٦٢هـ)، دار الكتب العلمية (بيروت) ١٤١٧هـ-١٩٩٦م، تحقيق: محمد على دندل، وياسين سعد الدين بيان.

٦٥- الزهد، هناد بن السرى الكوفى (ت٢٤٣هـ) ، دار الخلفاء للكتاب الإسلامى (الكويت)، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ، تحقيق عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائى.

٦٦- مدارج السالكين، محمد بن أبى بكر أيوب الزرعى أبو عبد الله (المعروف بابن قيم الجوزية) (ت٧٥١هـ)، دار الكتاب العربى (بيروت)، الطبعة الثانية ١٣٩٣هـ- ١٩٧٣م، تحقيق: محمد حامد الفقى.

٦٧- مجمع الأمثال، أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني النيسابوري، (ت ٥١٨هـ)، دار المعرفة (بيروت)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد.

٦٨- مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي (ت٧٢١هـ)، مكتبة لبنان ناشرون (بيروت)، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م، تحقيق: محمود خاطر.

٦٩- لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري (ت٧١١هـ)، دار صادر بيروت، الطبعة الأولى.

٧٠- العشرة الطيبة مع الأولاد وتربيتهم، محمد حسين، دار التوزيع والنشر الإسلامية (مصر)، الطبعة الأولى ١٩٩٨م.

٧١- كيف تغير سلوك طفلك؟، محمد راشد ديماس، دار ابن حزم (بيروت)، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

٧٢- منهج التربية النبوية للطفل، محمد نور بن عبد الحفيظ سويد، مكتبة المنار الحديثة (الكويت)، الطبعة الخامسة ١٩٩٤م.

٧٣- من أساليب الرسول ﷺ في التربية، نجيب خالد العامر.

٧٤- مجلة الوعي الإسلامي عدد (٤٥٧) رمضان ١٤٢٤هـ.

٧٥- مجلة ولدي العدد (٢) يناير ١٩٩٩م، والعدد (٤) مارس ١٩٩٩م، العدد (٥٥) يونيو ٢٠٠٣م، والعدد (٦٦) مايو ٢٠٠٤م.

٧٦- مجلة الطفولة العربية (مجلة فصلية تصدرها الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية) العدد السادس عشر - سبتمبر ٢٠٠٣م.

٧٧- مجلة الإعجاز العلمي عدد (١٦) رجب ١٤٢٤هـ.

٧٨- جريدة الرياض، يوم الأحد ١٠ ذو الحجة ١٤٢٤هـ، العدد رقم (١٣٠٠٨)، السنة ٣٩.

٧٩- دليل الآباء الحائرين لإيقاف سلوكيات الطفل السيئة، كارت كيلي، مكتبة جرير للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م.

٨٠- كيـف ينشـئ الآبـاء الأكفـاء أبنـاء عظامًـا؟، د. آلان ديفيدسـون، وروبـرت ديفيدسون، مكتبة جرير للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م.

٨١- التربية الذكية، دلارى جيه كوينج، مكتبة جرير للنشر والتوزيع، الطبعـة الأولى، ٢٠٠٤م.

ثانيًا: المواقع الإلكترونية

1- www.womengateway.com
2- www.almualem.net
3- www.be-free.info
4- www.islamonline.net
5- www.amanjordan.org
6- www.arabiyat.com
7- www.aljazeera.net
8- www.zahrani.net
9- www.islamicmedicine.org
10- www.ebaa.net
11- www.mknon.net
12- www.mooga.com
13- www.arraee.com
14- www.riyadhedu.gov
15- www.arabic.peopledaily.com

ومراجع أخرى مثبتة على هوامش الصفحات.

الفهـــــرس

الفصل الثاني: طرق العقـــاب

الفصل الثالث

ضرب الأبناء متى وكيف ولماذا؟

* * *





الأندلس الجديدة
للنشر والتوزيع
18 شارع مطر - أحمد حلمي - شبرا مصر - تليفون: 0101068135
newandalus@hotmail.com